

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة باتنة 1



نيابة العمادة لما بعد التدرج  
والبحث العلمي والعلاقات الخارجية

كلية العلوم الإسلامية  
قسم أصول الدين

موقع الإعلام من الحرب الحضارية الأمريكية ضد  
العالم الإسلامي بعد 11 سبتمبر 2001

بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه العلوم في العلوم الإسلامية تخصص دعوة و إعلام

إشراف الأستاذ الدكتور:  
أحمد عيساوي

إعداد الطالب  
نورالدين جفافة

لجنة المناقشة

الصفة	الجامعة	الدرجة العلمية	الإسم و اللقب
رئيسا	الحاج لخضر باتنة 1	أستاذ التعليم العالي	صحراوي مقلاتي
مشرف و مقررا	الحاج لخضر باتنة 1	أستاذ التعليم العالي	أحمد عيساوي
عضوا مناقشا	باجي مختار عنابة	أستاذ التعليم العالي	مراد زعيمي
عضوا مناقشا	الأمير عبد القادر قسنطينة	أستاذ التعليم العالي	أحمد بوسجادة
عضوا مناقشا	الأمير عبد القادر قسنطينة	أستاذ محاضر أ	بشير قلاتي
عضوا مناقشا	الحاج لخضر باتنة 1	أستاذ محاضر أ	محمد قارش

السنة الجامعية 2015 - 2016

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ الْعَالَمِينَ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ  
وَأُولُو السُّبُلِ لَكِنَّا نَعْلَمُ بِمَا نَعْمَلُ لَكِنَّا لَا نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِمَا نَعْمَلُ  
غَيْرَ مَعْرِفَةٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ

# إهداء ثواب

حينما فكّرت في إهداء هذا الجهد المتواضع جال بخاطري جمّع  
ممن سكن هواهم فؤادي، غير أنّ العقل لم يستطع حسم اختياري،  
فأسندت الأمر لذات الفؤاد، فأبى إلا أن يكون من تربّع على  
عرش هواه هو اختياري.. ولم يكن ذلك الملك الأبى إلاّ أبي.  
فرحت كثيراً، غير أنّ ذكرى فراقه هيّج الهوى، فانفجرت عينُ  
الفؤاد قبل عينيّ الرأس بالعبرات، و همست: رؤيدك.. تاج حبك  
قد وريّ الثرى. فردّ عليها هاتف من أعماق الفؤاد:

﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾

و نفخ في روعي أن اجعل ما نويت

## إهداء ثواب

إليك أبتِ عليك من الله شأبيب رحمته أهدي ثواب هذا العمل،  
الذي هو ثمرة توريتك إياي الاهتمام بقضايا العالم الإسلاميّ  
منذ نعومة الأظافر.

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

# شكر وعرفان



لا أنسى ذلك اليوم الذي حملت فيه مشروع هذا البحث و هو لم يزل بعد فسيلة إلى جامعة الحاج لخضر في عاصمة الأوراس الأشم مدينة باتنة الأبية، و لا أنسى تلك الحفاوة التي استقبلني بها أستاذي و أخي في الله الأستاذ الدكتور أحمد عيساوي، الذي تفضل علي بإشرافه، و شجعتني على المضي قدما لإنجازه، و دعا لي بالتوفيق و البركة، و لا يفوتني التنويه بما كشف الله لي من خصال حميدة في رجل عالم- و لا أزكي على الله أحدا- و هي القدرة الكبيرة في تحميل المسؤولية لطلابه الذين يشرف عليهم، و منحهم كامل الحرية في اختياراتهم العلمية، كل ذلك و هو مدثر بأخلاق الفضلاء و صرامة العقلاء، فلك جزيل الشكر و وافر العرفان. أستاذي الفاضل الدكتور أحمد عيساوي.

كما أتوجه بالشكر الجزيل والتقدير الكبير إلى كل من مدّ لي يد العون و المساعدة لإنجاز هذا المجهود المتواضع و أخصّ بالذكر قرة العين و حبيبة القلب الزوجة الصابرة المحتسبة و طار مسعودة التي كانت خير معين و وفرت لي كل الأجواء لإنجاز هذا البحث في جميع مراحلها. و لا يفوتني أن أشكر الأستاذ الدكتور أحمد بوراس رئيس جامعة الشهيد العربي بن مهيدي الذي لبي لي رغبتي في التحويل من كلية الحقوق و العلوم السياسية إلى كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية، حيث تخصص الإعلام و الاتصال، مما ساعدني على إكمال بحثي في تخصصي المرغوب. و أعرج بشكري إلى كل الأساتذة الذي أمدوني بنصائحهم و توجيهاتهم و تشجيعاتهم و أخص بالذكر منهم الدكتورة الطيب برغوث و صحراوي مقلاتي و عبد القادر جدي. و أحتمها بالمسك شكرا إلى الأساتذة الفضلاء أعضاء لجنة المناقشة و كل أساتذة كلية العلوم الإسلامية بجامعة الحاج لخضر .

## ملخص الدراسة

هذه الدراسة تحمل عنوان " موقع الإعلام من الحرب الحضارية الأمريكية ضد العالم الإسلامي بعد الحادي عشر من سبتمبر 2001م"، و هي مكونة من مقدمة و أربعة فصول وخاتمة.

جاء **الفصل الأول** ليكون مفتاحا مفاهيميا للدراسة، لهذا كان بعنوان " مفهوم الحرب الحضارية"، و قد تناول هذه الحرب باعتبارها ظاهرة إنسانية قديمة في العلاقات بين الشعوب و القبائل و الدول و الأمم ، ضاربة بجذورها في عمق تاريخ الحضارات الإنسانية؛ و بسبب التداخل بين مفهومي الحضارة و الثقافة موضوعيا و منهجيا، اقتضت الدراسة الوقوف على مفهومي الحضارة و الثقافة كلا على حدا، و هو ما تم تناوله في **مبحثين: الأول حول مفهوم الحضارة، و الثاني حول مفهوم الثقافة**، و ذلك من حيث الأبعاد اللغوية و الاصطلاحية، من أجل الوصول إلى مفهوم إجرائي لكليهما، و توجّ **الفصل بمبحث ثالث حول مفهوم الحرب الحضارية أو الثقافية** ، انطلاقا من تاريخ المصطلح و الظروف العامة لانبثاقه، مرورا بالأطروحات ذات العلاقة بأطروحة الحرب الحضارية، ليميز بها بين هذه الأطروحة موضوع الدراسة، و الأطروحات الشبيهة بها، وصولا إلى بناء و استخلاص مفهوم عام للحرب الثقافية و الحضارية، و مفهوم خاص بالحرب الحضارية الأمريكية على العالم الإسلامي، تُبنى عليه كل المباحث التالية في الدراسة.

و أما **الفصل الثاني** ، فكان بعنوان " أسس الحرب الحضارية الأمريكية و أهدافها الإستراتيجية"، و قد كان الهدف منه محاولة إبراز أن تلك الأطروحة ذات علاقة بالمرجعيات الدينية و الفلسفية الغربية، و بمنظومة قيمهم و بعالم أفكارهم ، و هو ما تم التطرق إليه في **مبحثين**، تناول **الأول** منهما، **أسس الحرب الحضارية**، فكانت على النحو التالي: الأساس الديني، فالأساس الفكري و الفلسفي، ثم الأساس الثقافي الاجتماعي، ثم فالأساس السياسي، و انتهاء بالأساس الاقتصادي؛ و تناول **المبحث الثاني أهدافها الإستراتيجية**، و التي تمثلت بحسب ما أفضت إليه الدراسة إلى خلق عدو خارجي، و

شيطنة الإسلام ومحاربته تحت مسمى الإرهاب، وإعاقة الديمقراطية و نشر الفوضى في العالم الإسلامي، و التدخل في الشؤون الداخلية للدول و تطويق حقول النفط و الموارد الإستراتيجية، و إستراتيجية الأمن القومي - التواجد العسكري وسياسة الوصول ، و التي يبدو أن أمريكا قد حققت قسطا كبيرا منها.

و بالنسبة **للفصل الثالث**، الذي كان بعنوان "ماهية الإعلام الأمريكي"، فقد كانت الغاية منه بيان أن الإعلام الأمريكي من حيث فلسفته و أسسه، و كذا طبيعته و خصائصه ، هو نتاج طبيعي للبنية الثقافية و الحضارية و الاجتماعية للمجتمع الأمريكي منذ تأسيسه، لهذا تناول هذا الفصل من خلال **مبحثه الأول** " فلسفة الإعلام الأمريكي و أسسه" ، و بيّن أن تلك الأسس التي قام عليها ذلك الإعلام وتأسست عليه فلسفته، هي نابعة من أصول العقل الأمريكي نفسه و تطبيقاته ، ومن ثم خلصت الدراسة إلى أن الإعلام الأمريكي مسخر لخدمة مصالح الأقوياء و يتأرجح بين خدمة الصراع والبقاء للأقوى و خدمة المصالح المتبادلة، و يقدر القوة و العنف و الإرهاب و الصراع، و يمجّد الملكية الخاصة و المتعة و الاستهلاك، و يرفض الآخرين و يقدر الذات و يتحور حولها، مما أفضى به إلى أن يكون بعيدا عن منظومة الأ خلاق الإنسانية. و تناول **المبحث الثاني** " طبيعة الإعلام الأمريكي وخصائصه" ، و ذلك انطلاقا من البدايات الأولى لاستقلال الولايات المتحدة و التي اتسم فيه الإعلام بالخضوع شبه التام للحكومة و الشركات الاقتصادية العملاقة، التي لا تكتفي بالتدخل فيه فحسب، بل توجهه و تسيطر عليه و تستغله و تهيمن عليه، لتخدير المجتمع الأمريكي و المجتمع العالمي و تعمل على تضليلهما؛ كما يُبرز هذا المبحث كيف خسر الإعلام في داخل أمريكا وظيفته الأساسية كمؤسسة اجتماعية و سياسية لها دورها الرئيسي و مكانها الخطير في العملية الديمقراطية، مما أثار بالسلب ليس عليها وحدها، بل أيضا على المؤسسات الأخرى ، فأصبح الإعلام مطبوعا بالانحياز و غياب المصداقية و الموضوعية، كما حاول المبحث بيان كيف الإعلام يستعمل الإعلام سلاحا في الحروب الثقافية و الحضارية، و ترهيب و تهميش المعارضين و المخالفين في الداخل و الخارج.

و تختتم الدراسة **بالفصل الرابع** الذي كان بعنوان " دور الإعلام الأمريكي في الحرب الحضارية على العالم الإسلامي" ، و الهدف الرئيس منه هو محاولة الوقوف على الدور

الخطير و المنحرف الذي يضطلع به الإعلام الأمريكي في هذه الحرب الحضارية أحادية الجانب ضد العالم الإسلامي، و ذلك باستعمال ترسانة ضخمة من نظريات العلوم الإنسانية و الاجتماعية عامة، و نظريات علوم الإعلام و الاتصال بوجه خاص؛ لأجل ذلك ت ناول هذا الفصل النظريات ذات الأبعاد الحضارية و الثقافية و الصراعية و العلاقات الدولية، ثم تطرّق إلى نماذج من تلك النظريات لرسم بعض الملامح العامة عن نماذج من إستراتيجيات الإعلام الأمريكي في حروبه الحضارية ضد العالم الإسلامي، و كان ذلك ضمن مبحثين اثنين؛ فالمبحث الأول و هو بعنوان "ملامح إستراتيجية الإعلام الأمريكي في الحروب الحضارية" ، تناول أهم الفئات العامة للنظريات المعتمدة في إستراتيجيات الإعلام الأمريكي، و أتبعته هذه الفئات بنموذج نظري عن نظريات الإعلام المعتمدة في حروب أمريكا الحضارية، و هو نموذج المنظر الأمريكي في الإعلام **هربرت شيللر**، ليكون مثالا توضيحا عن نموذج كان و ما يزال مستعملا كأداة فعالة في حروب أمريكا الحضارية. و أما المبحث الثاني و هو بعنوان "تنزيل نظرية التضليل الإعلامي على الحرب الحضارية الأمريكية ضد العالم الإسلامي بعد 2001/09/11"، فتضمن تطبيقات نظرية شيللر في حروب أمريكا على العالم الإسلامي قبيل و بعد أحداث 2001/09/11م، بدءا من الحرب الحضارية الأولى 1990/02/17م على العراق، فاحتلال أفغانستان في 2001م و إزاحة نظام طالبان، ثم احتلال العراق في 2003م، إلى الحرب على تنظيم القاعدة و التنظيم المسمى زورا و بهتانا بالدولة الإسلامية في العراق و الشام (داعش).

## Summary of the research

This study is entitled “**The Media Site from the American Civilizational War On The Islamic World**», a study after the events of September Eleventh (11), 2001. This study consists of: an introduction, four chapters and a conclusion.

The first chapter is prepared as a conceptual **key** to the study. That’s why, it was entitled “**Notion/Definition Of The Civilizational War**». It considers this war as an old human phenomenon in the relation between peoples, tribes, countries and nations which is rooted in the deep of the human civilization’ history. Due to this relation between the notion of civilization and that of culture in both their subjectivity and their curricular, the study necessitated the focus on these two notions “**civilization and culture**” each one alone. That was tackled in two studies. The first one discusses the notion of “**civilization**” while the second one discusses the notion of “**culture**” from the linguistic and terminological dimensions to reach a procedural notion to both of them. This chapter is supported by a third study about the notion of cultural and civilizational war, starting from the history of the term and the general circumstances to its emerge, passing through these theses related with the civilizational war thesis. To distinguish between the study’s thesis and other similar these to reach the building and the deduction of a general notion / definition of the civilizational and cultural war, besides a specific/private notion of the American civilizational war on the Islamic world on which the following researches of the study will be built.

The second chapter is entitled “**The Principles Of The American Civilizational War and Its Strategic Purposes**” The aim behind it, is to highlight that this thesis including its religious and strange philosophical background/reference, in addition to its values’ system and their ideas’ world, is what is tackled in the previous studies. The first one dealt with the foundations of the civilizational war. Thus, it was on the following way: the religious foundations, the intellectual and philosophical foundations, the economic foundation and the sociological foundations. The second study dealt with its strategic purposes which is presented according to what the study mentioned in creating an external enemy and demonization of Islam and fighting it under the name of terrorism and disabling democracy, in addition to spreading chaos in the Islamic world and the intervention in the internal affairs of countries, besides the encirclement the oil rights and the strategic resources as well as the national security. The American existence and the policy of access which seems that America realized a big deal of it.

The third chapter is entitled “**The Essence of The American Media**” It aims at showing that the American media from its nature and characteristics, in addition to its philosophy and foundations, is a natural result of the cultural, sociological and civilizational structure of the American society since its foundation. That’s why this



chapter according to its first study dealt with the nature of the American Media and its characteristics/features proceeding from the first beginnings of the United States independence in which the media was characterized with almost complete undergo of the government which is not satisfied with its intervention, but, it orients, controls, exploits and dominates it to warn and mislead the American community as well as the world's one. This study also shows the reason why the media loses its principle function as a social and political corporation in America that has its principle role and dangerous position in the democratic process. Therefore, it badly influenced itself and the other corporations. The second study highlights the philosophy of the American media and its foundations and shows that these foundations on which media stands and on which its philosophy is founded are illustrated from the application and the American brain/mind itself. Our study results that the American media is swinging the conflict's service and the survival of the fittest/strongest and the mutual interests' services. It also sacrifices power, violence, terrorism and conflicts. It glorifies the private property, fun and consumption. It rejects the others, sacrifices the self and is centred around it. So, it leads it to be far from human morality system.

This study is concluded by the fourth chapter which is entitled **The Role Of The American in The Civilizational War on The Islamic World**. Its main purpose is trying to stand on the dangerous and deviant role of the American media in the civilizational single war against the Islamic world by using a huge armory of the social and human sciences' theses in general and the communication and media sciences' theses in particular. That's why this chapter takes theses of civilizational, cultural, and conflictive dimensions, in addition to the international relations. Then, it talked models of these theses to draw some of the general features of the American media strategies in its civilization wars against the Islamic world. That was included in two studies. The first study is entitled **The American Media Strategies Features**. It highlights the general categories supported in the strategies of the American media. These categories follow a theoretical model in the supported media theories in the civilizational American war, and it is a model of the American media viewer "Herbert Schiller" to be an illustrative example to a model which was used and is still used as an effective tool in the civilizational American war while the second study is entitled **Implementing/Empirical Models About The American Media Role in The Civilizational War**. It includes Chiller's previous theory applications in the American war on the Islamic world before and after 11-09-2001 ' events. Starting with the first civilizational war 17-02-1990, moving to Afghanistan occupation 2001. Then, Iraq occupation 2003, ending with the war on AL-QAIDA Organization and the war on the Islamic State of Iraq and Syria (ISIS).

# مقدمة

## مدخل

الحمد لله وحده، و الصلاة و السلام على رسوله و عبده، و على آله و صحبه.

و بعد:

فإن موضوع هذه الدراسة الموسوم بـ( **موقع الإعلام من الحرب الحضارية الأمريكية ضد العالم الإسلامي بعد الحادي عشر من سبتمبر 2001م**) موضوع يتعلق بقضية جوهرية من قضايا حاضر العالم الإسلامي و مستقبله، ألا و هي قضية الصراع الحضاري، التي تحكها سنة من أكبر السنن الاجتماعية في الأمم و الشعوب، و هي سنة التدافع الحضاري.

و من المعلوم أن سنة التدافع الحضاري بكل تجلياتها الإيجابية أو السلبية، كالتعارف و التحاور و التعاون و التنافس، أو التناكر و التدابر و التصارع و التحارب، هي مسألة تتعلق بالذات الحضارية للأمة الإسلامية وجوداً و عدماً، فهي ليست مسألة فرعية من مسائل الشريعة، بل ليست حتى مسألة كلية من جملة كلياتها، و إنما هي كلية الكليات و غاية الغايات، و هي المقصد الأسنى من مقاصد الشريعة الإسلامية، فالضروريات و الحاجيات و التحسينيات كلها عائدة لحفظ الذات الحضارية للأمة، التي عبّر عنها القرآن الكريم في قوله عز و جل: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ... ﴾<sup>1</sup>، و قوله ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾<sup>2</sup>؛ فالأمة الإسلامية هي الأمة التي قد تولى الله عز و جل إخراجها، و الله هو من تولى جعلها أمة وسطاً، قال سيد قطب رحمه الله: "إن التعبير بكلمة {أخرجت} المبني لغير الفاعل، تعبير يلفت النظر، وهو يكاد يشي باليد المدبرة اللطيفة، تخرج هذه الأمة إخراجاً وتدفعها إلى الظهور دفعاً من ظلمات الغيب، ومن وراء الستار السرمدي الذي لا يعلم ما وراءه إلا الله، إنها كلمة تصور حركة خفية المسرى، لطيفة الدبيب، حركة تخرج على مسرح الوجود أمة، أمة ذات دور خاص، لها مقام خاص، ولها حساب خاص..

1 - سورة آل عمران، الآية 110

2 - سورة البقرة، الآية 143.

و هذا ما ينبغي أن تدركه الأمة المسلمة لتعرف حقيقتها وقيمتها، وتعرف أنها أخرجت لتكون طليعة، وتكون لها القيادة، بما أنها هي خير أمة، و الله يريد أن تكون القيادة للخير لا للشر في هذه الأرض؛ و من ثم لا ينبغي لها أن تتلقى من غيرها من أمم الجاهلية، إنما ينبغي دائماً أن تعطي هذه الأمم مما لديها، وأن يكون لديها دائماً ما تعطيه، ما تعطيه من الاعتقاد الصحيح، و التصور الصحيح، و النظام الصحيح، و الخلق الصحيح، و المعرفة الصحيحة، و العلم الصحيح.. هذا واجبها الذي يحتمه عليها مكانها، و تحتمه عليها غاية وجودها، و واجبها أن تكون في الطليعة دائماً، و في مركز القيادة دائماً. و لهذا المركز تبعاته، فهو لا يؤخذ ادعاء، و لا يسلم لها به إلا أن تكون هي أهلاً له" <sup>3</sup>.

و الحرب الحضارية على الأمة الإسلامية ليست كأى نوع من الحروب السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية بل و حتى العسكرية، لأن هذه الحرب (الحضارية) تستهدف ذات الأمة و روحها، و تستهدف تفكيك مُركبها الحضاري و مكونات جامعتها، و عناصر قوتها التي يقوم عليها وجودها، و هي لا تستهدف إضعاف الأمة و تهوينها بقدر ما تستهدف إعدامها و إفناءها، و ذلك مكن خطرها <sup>4</sup>.

و إذا كان الحديث عن الحرب الحضارية الأمريكية على العالم الإسلامي بهذا الشأن العظيم من حيث الأهمية و الخطورة، فإن بيان دور الإعلام في هذه الحرب لا يقل شأنه عن الحرب نفسها، بل لا نجافي الحقيقة قيد قطمير إذا اعتبرنا الحرب الحضارية نارا، و الإعلام ريحها و وقودها.

إن الإعلام في الحرب الحضارية الأمريكية على العالم الإسلامي، لم يزد هذه الحرب بُعداً استراتيجياً آخر مع الأبعاد الأخرى، كالبعد السياسي و الاقتصادي و الاجتماعي و العسكري، و إنما بفضل الثورة في تكنولوجيات الإعلام و الاتصال، و الثورة التثويرية في علوم الإعلام و الاتصال، زادت فعالية الحرب الحضارية و تضاعف تأثيرها و تعاضم خطرها، و ذلك لأن الإعلام صار له الحظ الأعظم في

<sup>3</sup>- سيد قطب، في ظلال القرآن، الطبعة الثانية و الثلاثون، (بيروت: دار الشروق، 2003) ج 1 ص 448.  
<sup>4</sup>- أحمد العماري، نظرية الاستعداد في المواجهة الحضارية للاستعمار: المغرب نموذجا. الطبعة الأولى (فبراير 1997). المعهد العالمي للفكر الإسلامي. 1 ص.

صياغة العقل و تشكيل النفس و تحديد السلوك، أو بكلمة موجزة تكوين شخصية الفرد و شخصية المجتمع(الرأي العام).

و من هنا يكون موضوع ( موقع الإعلام من الحرب الحضارية الأمريكية على العالم الإسلامي ) موضوعاً جديراً بالدراسة، ليس فحسب من جانب واحد، بل من مختلف جوانبه؛ و ليس فقط من طرف باحث واحد، بل من طرف لفييف من الباحثين إن لم يكن جديراً بمراكز للبحوث و الدراسات، لأنه موضوع يتمحور حول الكينونة الحضارية لأمة الإسلام، و يكشف عن سلوك الآخر الحضاري و عن خلفياته؛ كما أنه موضوع يفتح بوابة لاستشراف مستقبل الأمة، و مستقبل الآخر الحضاري، المتفاعل معها بسنة الدفع أو التدافع، و فهم الحركة التاريخية التي تمثّل قوانين الوجود الحضاري. و من هنا يمكن تحديد عناصر هذه المقدمة فيما يلي من النقاط:

## أولاً: أهمية الدراسة.

### أ- الأهمية النظرية.

تعدُّ هذه الدراسة دراسة يغلب عليها الطابع النظري؛ و يُعدّ هذا الطابع في الدراسات الحضارية التي تهتم بحاضر العالم الإسلامي و مستقبله قليلة، مقارنة بما يستوجبه الأمر لأمة سيشكل عددها بعد عقود من الزمن ربع سكان المعمورة، و لعالم تُشكّل دوله المنضوية تحت منظمة التعاون الإسلامي (منظمة المؤتمر الإسلامي سابقاً) أكثر من ربع الدول الأعضاء في هيئة الأمم المتحدة<sup>5</sup>.

من هنا تأخذ هذه الدراسة موقعها من الأهمية، و كذلك من تغطيتها لجانب نظري واسع من حقل الدراسات الحضارية، فالى جانب تناولها للأبعاد الثقافية و الدينية و الحضارية في دراسات العلاقات الدولية و العلاقات الحضاراتية<sup>6</sup>، من خلال مجموعة من الأطروحات ( أطروحة نهاية التاريخ، و أطروحة صراع و صدام الحضارات، و أطروحة الفوضى أو

5- تظم منظمة التعاون الإسلامي 57 دولة و تظم الأمم المتحدة 192 دولة. انظر موقع منظمة التعاون الإسلامي:

/http://www.oic-oci.org/oicv2/states/ و منظمة الأمم المتحدة: http://www.un.org/ar/members/

6- أماني محمود غانم، البعد الثقافي في العلاقات الدولية- دراسة في الخطاب حول صدام الحضارات. الطبعة (دون) القاهرة: دار اقرأ للطباعة، 2007م)، ص 7.

الأناركية، و أطروحة نحن و الآخرون) التي شكلت بالتحامها ظاهرة الحرب الحضارية الأمريكية أحادية الجانب على العالم الإسلامي؛ فقد تناولت الدراسة من جانب نظري أيضا، الموقع و المكانة التي أخذها الإعلام الأمريكي في عمومه من هذه الحرب، و اعتمدت على نظريات الاتصال و الإعلام ذات الأبعاد الحضارية و الثقافية، و التي تتوافق مع الدراسات الحضارية و تتناسب مع واقع الإعلام الأمريكي في سياسته الخارجية، كل ذلك بأسلوب علمي يعتمد على المراجع الأساسية للنظريات المختلفة.

### ب- الأهمية العملية و التطبيقية.

المقصود بالأهمية العملية للدراسة هو بُعدها التطبيقي في الواقع الدولي، و ارتباطها بالواقع العملي للعلاقات الدولية و الحضاراتية، و تأثير نظرياتها- سواء المتعلقة بحقل الدراسات الحضارية و الثقافية، أو النظريات المتعلقة بالشق الإعلامي و الاتصالي- على صنع السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية من جانب، و تأثيرها على المؤسسات البحثية و الدوائر المهمة بالتنظير لصناع القرار فيها من جانب آخر.

ويأتي ارتباط السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية بالأطروحات الصراعية سالفة الذكر (أطروحة نهاية التاريخ، و أطروحة صراع و صدام الحضارات، و أطروحة الفوضى أو الأناركية، و أطروحة نحن و الآخرون)، كمثل بارز على هذا الجانب، وهي الدولة التي تمسك بزمام المبادرة في السياسة الدولية الراهنة، فمنذ البدايات الجينية المبكرة لتأسيس أمريكا ككيان، كانت تلك الأطروحات الصراعية بمثابة خارطة فكرية لصناع القرار الأمريكي، و المستشارين المساهمين في صنع السياسة الخارجية؛ و كان الإعلام مؤسسا على فلسفة تتمحور حول كونه أداة في أيدي صناع القرار، للسيطرة على الرأي العام و توجيهه، بل و تضليله قصد صناعة الموافقة و الإجماع حول القضايا الخاصة بمصالح المتنفذين و أصحاب القرار؛ و من هنا كانت معرفة فرضيات هذه النظريات الإعلامية و الاتصالية، ممّا يساعد في فهم الإطار العام للسياسة الخارجية الأمريكية و ما و من يدور في فلكها، و تأثير ذلك على حاضر العلاقات الدولية و الحضاراتية و مستقبلها.

## ثانياً: مشكلة الدراسة.

إن موضوع (موقع الإعلام من الحرب الحضارية الأمريكية على العالم الإسلامي - دراسة بعد أحداث 11/09/2001م) يحاول أن يعالج حقيقة هذه الحرب و يستكنه مفهومها و طبيعتها و أسسها و أهدافها، و كذا حقيقة الإعلام الأمريكي المسخر فيها، و الوقوف على طبيعته و فلسفته و أسسه و خصائصه، و هو ما تطرحه هذه الدراسة من خلال مجموعة من التساؤلات و هي :

- 1 - ماهي طبيعة الحروب التي تشنها أمريكا على أعدائها الحقيقيين أو المفترضين و المصطنعين، و هل هي حروب عادية ذات بعد واحد ( اقتصادي مثلاً) أو هي حروب غير عادية و بأبعاد كثيرة و معقدة؟
- 2 - ماهي المرجعيات الدينية و الخلفيات الثقافية و الفلسفية و الفكرية التي تؤطر حروب أمريكا على أعدائها؟
- 3 - ما تأثير هذه المرجعيات و الخلفيات على العلاقات الحضارية و الدولية بين الولايات المتحدة و غيرها، و بخاصة بينها و بين العالم الإسلامي؟
- 4 - ما هو موقع و مكانة الأبعاد الدينية و الثقافية و الحضارية في العلاقات بين الأمم و الشعوب و الدول، و ما هو تأثيرها على واقع و مستقبل العلاقات الإنسانية؟
- 5 - ماهي أهم الأطروحات و النظريات المفسرة للحرب الحضارية الأمريكية أحادية الجانب على العالم الإسلامي، و هل يمكن لأطروحة أو نظرية واحدة أن تفسر هذه الحرب؟
- 6 - ماهي مكانة و موقع الإعلام من حرب أمريكا الحضارية على العالم الإسلامي، و ماهي فلسفة و طبيعة و خصائص هذا الإعلام؟
- 7 - ماهي أهم النظريات المؤطرة لهذا الإعلام المسخر في تلك الحرب، و هل يصح منهجياً الاعتماد على نظرية واحدة لفهم تلك المكانة و تفسير فلسفة السخرة؟

## ثالثاً: أسباب اختيار الموضوع.

وقع اختيار الباحث على هذا الموضوع للأسباب التالية:

- 1 - لأنه يتميز بخصوصية موضوعية في دراسات الدعوة و الإعلام، و خاصة في مجال دراسات حاضر العالم الإسلامي و مستقبله.
- إنه موضوع يتعلق بأهم قضايا العالم الإسلامي، و هو ليس موضوعاً هامشياً أو ثانوياً، بل موضوع جوهري و رئيسي، فهو يتناول الذات الحضارية للأمة، و ما تتعرض له من هجمة شرسة تهدف إلى إعدامها و إفنائها، و إذابتها و صهرها في كيان حضاري آخر، مغاير لها و مختلف عنها في الأصول و الأركان و المرتكزات الحضارية.
- إنه موضوع يتعلق بتسخير الإعلام في أخطر ظاهرة إنسانية ألا و هي الحرب الحضارية، مما جعل هذه الحرب تختلف عن الحروب الحضارية القديمة من جهة، و عن الحروب الأخرى ذات الأبعاد المحدود من جهة أخرى، سواء من حيث آثارها على الكينونة الحضارية أو الذات الحضارية للأمة، أو من حيث فعالية التأثير و سرعته.
- 2 - لأن موضوع الحرب الحضارية الأمريكية أحادية الجانب، المعلنه على العالم الإسلامي، تمثل جوهر الأزمة التي تعاني منها المعمورة و المجتمع العالمي، و هي أساس المشكلة المتعلقة بأزمة العلاقات الدولية و الأممية و الحضارية.
- لقد حاول الغرب منذ زمن بعيد أن يُسَوِّق للعالم أن الأزمات الإنسانية الكبرى تُصنع في العالم الإسلامي، و أن السبب في ذلك هو أصول و أركان و مرتكزات الحضارة الإسلامية. و لقد كانت أحداث 2001/09/11م الفرصة السانحة للغرب عموماً، و لأمريكا بوجه خاص، لترويج و توكيد ادعاءاتها السابقة بفضل الترسانة الإعلامية الضخمة التي يمتلكونها.



لهذا طفق الغرب منذ تلك الأحداث، ينسب كل جريمة ضده أو ضد مصالحه، إلى العالم الإسلامي أو حضارته أو المنتسبين له أو للدين الإسلامي نفسه، بل صار يخلق أزمات و يصطنع أحداثا و يرمي بها خصمه المصطنع المتمثل في العالم الإسلامي (الأخر الحضاري بالنسبة للغرب). و لقد تطورت هذه الاتهامات إلى استراتيجيات مخططة و سلوكيات ممنهجة و سياسات متبعة، أفضت مجتمعة إلى رُهاب من الإسلام (الإسلاموفوبيا) لدى عموم الغربيين، بل و امتدت نار هذا الرُهاب إلى أغلب أصقاع المعمورة.

3- لأن هذا الموضوع يحتاج إلى أن يُتناول من مختلف مداخله و جوانبه، الموضوعية و المنهجية، و من مجالات بحثية عديدة، فهو موضوع يتعلق بمسألة معقدة و متشابكة و هي مسألة الهوية (هوية الأمة) التي تُعد من المسائل الحضارية المعقدة لارتباطها بالأبعاد الثقافية و السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية و الإعلامية و العسكرية و غيرها.

إن موضوع الدراسة من خلال عنوانه، تبرز فيه علاقة بيّنة بين البعد الاتصالي و الإعلامي من جهة، و بقية الأبعاد الحضارية من جهة أخرى، فهو إذن يجمع بين تخصصي الدعوة و الإعلام و الاتصال، و هذا ما زاد تحفيزا على اختياره.

### رابعاً: فرضيات الدراسة.

تقوم الفرضية الأساسية لهذه الدراسة على أساس أن الحروب التي تشنها أمريكا على أعدائها الحقيقيين أو المفترضين و المصطنعين، هي في عمومها حروب حضارية تأخذ الأبعاد الدينية و الثقافية فيها موقعا استراتيجيا رئيسا و أساسيا، دون إغفال لبقية الأبعاد و خاصة البعد الاقتصادي؛ كما أنه يدخل ضمن هذه الفرضية الأساسية، أن توظيف و تسخير منظومة الإعلام كآلية و أداة إستراتيجية في حرب أمريكا الحضارية على العالم الإسلامي بعد أحداث 2001/01/11م، يُعدّ إستراتيجية أساسية مستقلة بذاتها في هذه الحرب، و لا يمكن الاستغناء عنها، بل تفقد هذه الحرب أو تكاد، صفتها الحضارية إن جردت من الإستراتيجية الإعلامية.

وبناء على هذه الفرضية الأساسية وطبيعة العلاقة بين متغيريها (الحرب الحضارية و الإعلام)، تعتمد الدراسة على فرضيات فرعية أخرى منها:

1 - إن البعد الديني و الثقافي و الحضاري أصبح من الأمور المسلّم بها في العلاقات الدولية و الحضاراتية، إن على مستوى التنظير العلمي، أو على مستوى التطبيق العملي في المجتمع الدولي المعاصر، و بخاصة بعد أحداث 2001/09/11 م.

2 - إن الحروب التي شنتها- و يشنها- الغرب على العالم الإسلامي، و منها الحروب الأمريكية، هي حروب حضارية بامتياز، و هي امتداد طبيعي للحروب الصليبية، و أنه ما لم يتخلّ الغرب عن مرجعياته الصراعية في علاقاته الدولية و الحضاراتية، فإنّ الصراع و الحرب هما اللذان سيظبعان مستقبل المجتمع الإنساني.

3 - إن الحرب الحضارية الأمريكية على العالم الإسلامي هي نتاج طبيعي لمجموعة من الأطروحات الصراعية مثل (أطروحة نهاية التاريخ، و أطروحة صراع و صدام الحضارات، و أطروحة الفوضى أو الأناركية، و أطروحة نحن و الآخرون) و غيرها، و ما لم تُدرس هذه الأخيرة، فلا يمكن الوقوف على حقيقة و أبعاد الحرب الحضارية، و على فلسفتها و طبيعتها، و أهدافها و غاياتها، و على ماضيها و حاضرها و مستقبلها.

4 - إنّ الإعلام الأمريكي منذ بواكيره الأولى لم يكن موضوعيا و محايدا في القضايا المتعلقة بالقضايا الدولية و السياسة الخارجية، بل إنه زُحزح عن وظيفته الأساسية كمؤسسة اجتماعية و سياسية، و أصبح أداة لصناعة الموافقة و الإجماع حول القضايا التي تخدم طبقة المتنفذين و صناع القرار.

5 - إنّه لا يُتصور وجود حرب حضارية من دون إعلام و من دون منظومة إعلامية، لأنّ الإعلام ليس مجرد وسيلة، بل هو رسالة و وسيلة، و لا يمكن التفريق بينهما؛ و من هنا فإنّ هذه الفرضية الفرعية تفترض التلازم الموضوعي و الشكلي و المنهجي بين منظومتي الإعلام الأمريكي و الحرب الحضارية الأمريكية على العالم الإسلامي.

6 - إنّه و تبعا للفرضية السابقة، التي تفترض التلازم الموضوعي و الشكلي و المنهجي بين منظومتي الإعلام و الحرب الحضارية، فإنه يمكن تصور وجود أرضية تنظيرية مشتركة لكل من المنظومة الإعلامية الأمريكية و منظومة الحرب الحضارية، و تتمحور

هذه الأرضية حول النظريات الثقافية و الحضارية و القيمية و الدينية و الصراعية و نظريات العولمة و الأمركة و الهيمنة.

7 - إن الدراسات التطبيقية الغربية و الأمريكية بوجه خاص في مجال الإعلام و

الاتصال، التي أفضت إلى إمكانية تطبيق تقنيات و استراتيجيات خاصة بمجال معين و بيئة ثقافية و حضارية معينة، في مجالات أخرى، و في بيئات ثقافية و حضارية مغايرة، تدل على أن الظاهرة الإعلامية و الاتصالية من حيث تأثيرها و تأثيرها، و من حيث تخلُّقها و تكوينها، و نشأتها و تطورها، و انفعالها و تفاعلها، تخضع لمنظومة من السنن و القوانين الاجتماعية التي يسميها القرآن الكريم " سنة الله " .

### خامسا: منهج الدراسة.

يتناول موضوع (موقع الإعلام من الحرب الحضارية الأمريكية ضد العالم الإسلامي بعد الحادي عشر من سبتمبر 2001م) بالدراسة ظاهرة اجتماعية أو حضارية في غاية التعقيد، و هي ظاهرة الصراعات الثقافية و الحضارية بين الأمم و الدول و القبائل و الشعوب، و هي كما تبيّن تدخل ضمن ظاهرة أشمل منها و هي ظاهرة التدافع الحضاري، التي ذكرها الله في قوله: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾<sup>7</sup>، و قوله: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْذَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾<sup>8</sup>.

فالله عز و جل يدفعُ الناس بعضهم ببعض، فمفهومُ التدافع يحمل معنى التنافس وحبّ التطوير، فبدلاً من مفهوم الصراع الطبيعي المبني على أن الفطرة هي حرب الكل ضد الكل، زكّى الإسلام "سبيل التدافع" الذي لا يتغيّر "أ" "محو الآخر" وإنما تعديل المواقع بين وجهات نظر متنافسة، أو بين حق ينبغي أن يُحقّ وباطل يجب أن يُبطل، ذلك من المعايير الإسلامية الضابطة و الحاكمة ، فالدفعُ و الدفاعُ و التدافع حراك لا

7 - سورة البقرة، الآية 251.

8 - سورة الحج، الآية 40.

إهلاك و هي عمليات حضارية كبرى<sup>9</sup>، ويحدث التدافع الذي لولاه لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين، وشأنُ الناس أن يتمَّ بينهم تموج ومدا فعة و واضطراباً، وهي مسألة حتمية، وقضية لا بُدَّ منها<sup>10</sup>؛ وهي ظاهرة في غاية التعقيد.

و نظراً لهذا التعقيد في موضوع الدراسة والظواهر المختلفة التي تغطيها اهتماماتها، و الوقائع والمقولات والتحليلات المتباينة في مجال العلاقات الدولية و الحضاراتية، وبناء على خلفية الهدف المركزي الأول للدراسة، المتمثل في فحص ظاهرة الحرب الحضارية الأمريكية، و الأطروحات التي تتداخل معها و تصب في مجراها، و بناء على الهدف المركزي الثاني للدراسة، و المتمثل في محاولة بيان الدور الإستراتيجي للإعلام في تلك الحرب الحضارية، فإنه يتعذر استخدام منهج واحد ومحدد لتغطية موضوع الدراسة.

وعليه فإن المحاولة المنهجية للدراسة تتركز في التعامل مع أكثر من منهج، وذلك للوصول إلى مقاربات منهجية تسمح بدورها بالوصول إلى نتائج معينة تخدم أهداف الدراسة، لذلك اعتمدت الدراسة بشكل أساسي على الجمع بين المنهج الوصفي (البحث الوصفي المكتبي والوثائقي بتصنيف وتني Whitney)<sup>11</sup> و المنهج التقويمي أو النقدي و المنهج التاريخي.

فالمنهج الوصفي - باعتباره يساعد في تفسير الوضع القائم للظاهرة أو المشكلة، من خلال تحديد ظروفها وأبعادها وتوصيف العلاقات بينها بهدف الانتهاء إلى وصف علمي دقيق متكامل للظاهرة أو المشكلة بالاعتماد على الحقائق المرتبطة بها و

9 - مدحت ماهر، من المفاهيم الحضارية للعلاقات بين الأمم . مجلة المسلم المعاصر، العدد 138/137، 1/ ديسمبر 2010. (لبنان، بيروت) انظر:

[http://almuslimalmuaser.org/index.php?option=com\\_k2&view=item&id=683:men-el-mafahem](http://almuslimalmuaser.org/index.php?option=com_k2&view=item&id=683:men-el-mafahem)

10- جمال عبد العزيز أحمد، قانون التدافع الحضاري، <http://www.alukah.net/sharia/0/34073>، و انظر: أحمد عرفات القاضي، الإسلام والغرب - إشكالية الصراع وضرورة الحوار، الطبعة الأولى، (القاهرة: مكتبة مدبولي، 2010) ص- ص 51-80.

11- عبد الرحمن بن عبد الله الواصل. البحث العلمي خطواته ومراحله ، أساليبه ومناهجه، أدواته ووسائله، أصول كتابته . 1420 هـ - 1999 م. ص 37، 36 . كتاب الإلكتروني من موقع: <http://www.shatharat.net/vb/showthread.php?t=11507> بتاريخ 20 أبريل 2015. الساعة 11.25.

تحليلها<sup>12</sup> - سوف يعتمد لتفسير ظاهرة الحرب الحضارية من خلال تحليل ظاهرتي الثقافة و الحضارة، و تحديد مختلف أبعادها و بيان وجه العلاقة بينها، و وجه الارتباط بينها و بين الأطروحات المشابهة لها؛ كما يستعان بالمنهج الوصفي في الكشف عن دور منظومة الإعلام في الحرب الحضارية الأمريكية على العالم الإسلامي و ذلك من خلال فحص كلي لهذه المنظومة و الوقوف على طبيعتها و أسسها و فلسفتها و خصائصها، و توصيف ملامح إستراتيجية الإعلام الأمريكي في الحروب الحضارية.

و لما كان المنهج التقويمي أو النقدي يدخل ضمن البحوث الوصفية كما ذهب إلى ذلك الدكتور سعد إسماعيل صيني، و انطلاقاً من كون الدراسة الوصفية التقويمية أو النقدية قد تتضمن شيئاً من الاستقراء بصفتها جزئية صغيرة ضمن دراسة يغلب عليها الطابع الوصفي<sup>13</sup>، فإن هذه الدراسة سوف يعتمد هذا المنهج للوقوف على مواضع الضعف في الأطروحات التي تأسست عليها الحرب الحضارية من خلال الانتقادات والمراجعات لفرضياتها الأساسية.

و أما بالنسبة للمنهج التاريخي - فباعباره الأداة الأنسب لتتبع الظواهر منذ نشأتها ومراحل تطورها والعوامل التي تأثرت بها، بهدف تفسيرها في سياقها التاريخي وذلك من أجل فهم الماضي ومحاولة فهم الحاضر على ضوء الأحداث والتطورات الماضية - فيتوسل به إلى تتبع جذور الحروب الحضارية وما يرتبط بها من ظواهر، و الظروف التاريخية العامة لانبثاق النسخة الأمريكية منها، و كذا تتبع مسار تطور الإعلام الأمريكي منذ تأسيس الأمة الأمريكية بإعلان الاستقلال عن التاج البريطاني عام 1776م، و ذلك من أجل فهم الظاهرة الإعلامية الكلية و علاقتها بصانعي القرار، و بخاصة فيما يتعلق بالسياسة الخارجية و العلاقات الدولية.

---

12- سعيد إسماعيل صيني، قواعد أساسية في البحث العلمي. الطبعة الأولى (لبنان: بيروت، مؤسسة الرسالة 1994)، ص 62؛ ربحي عبد القادر الجديلي مناهج البحث العلمي 2011 م . ص- ص 20-28. في موقع : [www.ao-academy.org/docs/manahij20022011.doc](http://www.ao-academy.org/docs/manahij20022011.doc) بتاريخ 20 أفريل 2015. الساعة 11.35.

13- سعيد إسماعيل صيني، ن م ، ص 63.

على صعيد آخر اعتمدت الدراسة على مفهوم "النموذج المعرفي" Paradigm " عند توماس كون<sup>14</sup> "Thomas Kuhn" وذلك لاستخدامه كإطار مفاهيمي للتعامل مع بعض الأطروحات المشابهة لأطروحة الحرب الحضارية، وذلك لأن مفهوم النموذج المعرفي هو أوسع من مفهوم النظرية، ولأنه يحتوي على معاني ودلالات تستجيب بشكل أفضل للتطورات الجديدة التي شهدتها حقل الدراسات الحضارية و حقل العلاقات الدولية بعد توسع اهتماماته وقضاياها، وبروز الكثير من النظريات لفهم العلاقات الدولية وتفسيرها.

### سادسا: صعوبات الدراسة.

إن الطبيعة النظرية لهذه الدراسة جعلت الصعوبات التي واجهت الباحث تتعلق بمسائل التعامل مع الأدوات المكتبية للبحث، مثل توفر المراجع، والتعامل مع المفاهيم الفكرية، والتشابك الحاصل بين مختلف البراديجمات و في مختلف النظريات ..الخ . وهذه بعض منها:

#### أ- عدم توافر المراجع الكافية بسهولة

لعل أول الصعوبات التي واجهت الباحث من إعداد خطة الدراسة لحين الانتهاء من آخر فقرة منها ترتبط بمسألة عدم توافر المراجع المتخصصة من حيث الموضوع، و الصعوبة في المراجع كانت أشد مع البدايات الأولى للدراسة، و قد كان ذلك طبيعيا لجدة الموضوع ، و لأن الدراسة أخذت حيزا زمنيا و هو فترة ما بعد أحداث

---

**14- توماس سامويل كون (كوهن) (1922 - 1996)** مفكر أمريكي يهودي. أنتج بغزارة في تاريخ العلوم وفلسفة العلوم، كما أدخل إضافات وأفكار مهمة جديدة في فلسفة العلم. (دكتوراه في الفيزياء 1949) درس منهج تاريخ العلوم للفترة من 1948 إلى 1956 بناء على رغبة رئيس جامعة هارفرد جيمس كونانت. بعد مغادرته لهارفرد، شغل كوهن منصبا تدريسيا في جامعة كاليفورنيا في بيركلي، في قسمي الفلسفة والتاريخ. حصل على درجة الأستاذية في تاريخ العلوم عام 1961. عام 1964 انتقل إلى جامعة برنستون، وفي عام 1979 التحق بمعهد ماساشوسيتس للتكنولوجيا MIT، وبقى هناك إلى 1991. حاز على جوائز وأوسمة كثيرة. شهرته الأساسية جاءت من كتابه المهم "بنية الثورات العلمية" 1962 (ترجم إلى العربية في سلسلة عالم المعرفة الكويتية و هو برقم 168) في هذا الكتاب، يقدم كوهن فكرته أن تطور العلم ليس دائما متدرجا أو تراكميا نحو الحقيقة، بل قد يمر بثورات بنوية دورية بسميها كوهن تحول الباراديجم. أثر هذه الفكرة كان كبيرا لدرجة أنه غير المفردات المستخدمة في تاريخ العلم. وغير استخدام مصطلح الباراديجم من استخدامه اللغوي المحدود إلى معناه الواسع المستخدم حاليا.

كما قدم مصطلح "العلم العادي" والذي يقصد فيه العلم اليومي الروتيني الذي يعمل فيه العلماء في مختبراتهم ضمن باراديجم واحد. كوهن هو المسئول أيضا عن مصطلح "الثورات العلمية" بصيغة الجمع والذي يقصد فيه الثورات التي تحدث في أزمنة مختلفة وفروع مختلفة من العلم بمواجهة صيغة المفرد "الثورة العلمية" والتي توحى عادة بعصر النهضة انظر: توماس\_سامويل\_كون <http://ar.wikipedia.org/wiki/كون>

2001/09/11م؛ هذا من جانب، و من جانب آخر عانى الباحث من شح المراجع ذات البعد التنظيري إن على مستوى مجال الدراسات الحضارية أو العلاقات الدولية ذات البعد الثقافي و الحضاري، أو على مستوى الدراسات الإعلامية.

### ب- الصعوبة المنهجية المتعلقة بتشابك قضايا و مواضع الدراسة

و من الصعوبات التي واجهت الدراسة أيضا، تشابك قضاياها الموضوعاتية و المنهجية، حيث أن مصطلحي الثقافة و الحضارة متقاربان جدا إلى الحد الذي حدا ببعض الدارسين إلى اعتبارهما مترادفين، و هو الأمر الذي جعل البراديجمات و النظريات الخاصة بالمصطلحين جد متقاربة، و جعل القضايا المتداولة بواسطة تلك البراديجمات و النظريات متداخلة و متشابكة، و لا شك أن هذا الأمر يتسبب بمشكلة منهجية للباحث، مع الأخذ في عين الاعتبار أنه لا يمكن التعامل مع هذا الإشكالات بطريقة صارمة لأنها تأبى الفصل و التصنيف الحاد في حد ذاتها، لوجود العامل الإنساني في رسمها، و تعقد مجالات الحياة الدينية و الفكرية و الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية في الدراسات الحضارية.

كما واجهت الدراسة في شقها الإعلامي صعوبة منهجية تمثلت في كثرة نظريات الاتصال و الإعلام ذات العلاقة بالدراسات الحضارية و العلاقات الدولية، حيث تم فحص أكثر من 400 نظرية تضمنت 17 فئة أو مجموعة<sup>15</sup>، و وجد الباحث أن النظريات ذات العلاقة ببحثه من الكثرة و التنوع و التعدد و التباين، حتى أنه ليكاد أن يعجز عن اختيار ما يناسب دراسته.

### سابعاً: أدوات البحث

نظرا لأن هذه الدراسة تتخذ طابعا نظريا، لذلك تنحصر أدوات البحث فيها على الأدوات المكتبية من الكتب و الرسائل الجامعية و الدوريات و التقارير وأحيانا بعض الدراسات

المنشورة على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت)، و كذا على بعض البرامج التلفزيونية من ندوات و حوارات و خطابات لبعض الساسة و القادة و صناع القرار.

## ثامنا: الدراسات السابقة

تؤدي عملية استعراض الدراسات السابقة عددا من المهام بالنسبة للباحث أثناء تنفيذه لعملية الاستعراض، و للقارئ عند قراءته ما كتبه الباحث حول الدراسات السابقة، فهي التي تؤكد جدة المشكلة من حيث الموضوع و من حيث المنهج، و بها يتبين موقع الدراسة من الجهود السابقة و إيضاح نوع الإسهام لتحقيق مبدأ التراكمية المعرفية في التخصص، و الإسهام في توضيح أبعاد مشكلة الدراسة و التنبه إلى العقبات التي تعترض عملية البحث.

و الدراسات السابقة تزود الباحث بأفكار كاملة أو جزئية عن المنهج المناسب لإجراء الدراسة، و تنبئه إلى ما يوجد في مناهجها من إيجابيات ليستفيد منها، و من سلبيات ليتجنبها، و هي التي تلفت نظره إلى مصادر علمية قد لا يعرفها أثبتتها الدراسات السابقة في قوائم مراجعها؛ كما تسهم المصادر السابقة في تعريف الباحث بطبيعة المادة العلمية الموجودة، من حيث كونها متيسرة أو صعبة المنال أو معقدة أو بسيطة، و تزويده بالإطار النظري الذي يبني عليه دراسته، و إمداده بخلفية يناقش في ضوءها نتائج بحثه.

و لا ينكر الباحث أنه قد استفاد من الدراسات السابقة من جميع تلك الوجوه المبينة أعلاه، سواء كانت تلك المصادر ذات صلة مباشرة بموضوع الدراسة أو غير مباشرة، و يمكن إيجاز ذلك فيما يلي:

### أولا: كتب عن الحضارة و عن التحاف الحضاري

استفاد الباحث من هذه الكتب بشكل عام، و في الفصلين الأول و الثاني بشكل خاص، ولكن تتفاوت درجة الاستفادة منها، نذكر منها على سبيل المثال الكتب التالية:

□ 1- كتاب "الحرب الحضارية الأولى : مستقبل الماضي وماضي المستقبل" لمؤلفه المفكر المستقبلي المغربي المهدي المنجرة، و هو أول من لفت اهتمام الباحث إلى ظاهرة



الحروب الحضارية، غير أن الكتاب لا يعتبر دراسة أكاديمية ذات وحدة موضوعية، بل هو مجموعة مقالات و حوارات نشرت على فترات متقطعة يجمع بينها محور عام أطلق عليه المؤلف الحرب الحضارية الأولى، و التي اعتبر انطلاقها يوم 1990/08/02م. و يكتسي الكتاب أهمية خاصة بالنسبة لهذه الدراسة و ذلك لطابعه الاستشراقي، فبعد ربع قرن من صدوره تحققت كثير من توقعاته في مجال العلاقات الدولية و مستقبل بعض الدول و التكتلات السياسية و الاقتصادية و المنظمات الدولية و مستقبل الإعلام.

□ 2- كتاب "صدام الحضارات و إعادة بناء النظام العالمي" لمؤلفه المفكر المستقبلي الأمريكي صموئيل هنتنغتون، و هذا الكتاب كان بعنوانه المثير هو من استفز الباحث بعد أحداث 2001/09/11م لأن يتطرق لهذا الموضوع، و لقد كانت مباحثه الكبرى (عالم من الحضارات، التوازن المتغير بين الحضارات، بروز نظام الحضارات، صدام الحضارات، مستقبل الحضارات ) بما تضمنته من قضايا شائكة، القاعدة الكبرى التي انطلق منها الباحث لخوض غمار هذا الموضوع الذي مازال و سيبقى مثارا للجدل لأمد بعيد. و الكتاب برغم أهميته، إلا أنه يمثل وجهة نظر غربية منتقدة حتى من بعض الغربيين أنفسهم و هو يخلو من بيان دور الإعلام في الحروب الحضارية.

□ 3- كتاب "تعايش الثقافات: مشروع مضاد لهنتنغتون" لمؤلفه المفكر الألماني أستاذ العلاقات الدولية هارالد مولر، و الذي نشر لأول مرة بالألمانية سنة 2001م، و باللغة العربية سنة 2005م، و هو من المراجع ذات الأهمية في نقد أطروحة هنتنغتون و كشف تهافتها، إذ هو من نفس المحور الذي ينتمي إليه هنتنغتون (أي محور موسكو - واشنطن) و قد بين صاحبه أنه يهدف إلى التصدي إلى محاولة ضغط العلاقات المعقدة في السياسة الدولية في نموذج "نحن ضد هم"، كما بين أن صراع الثقافات ليس من صنع قوى الطبيعة، بل من صنع البشر. و هذا النفس للحتمية الصراعية الهنتنغتونية هو مما اعتمد عليه الباحث في الرد على النظريات الصراعية، من باب "و شهد شاهد من أهلها".

□ 4- كتاب "نظرية الاستعداد في المواجهة الحضارية للاستعمار-المغرب نموذجا" لمؤلفه المغربي أحمد العماري، و الدراسة عبارة عن أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ المعاصر، و هي كما جاء التعريف بها في غلاف الكتاب "تحاول الكشف عن الإستراتيجية الاستعمارية الأوروبية لاحتلال المغرب في القرن التاسع عشر، و ما نشأ عن ذلك من رد

فعل من قبل العلماء متمثلاً في نظرية ذات طابع شمولي في الاستعداد لإحباط الغزو الاستعماري و تجاوز آثاره و في التصدي له حضارياً، ارتكازاً على الإحياء الإسلامي لمواجهة الهجمة الأوروبية على الهوية الحضارية للأمة؛ و هو دراسة متعمقة لمفهومى المواجهة و المراجعة كطرفي قانون تطور القوة، و محاولة لتفسير حركة التاريخ، و تشخيص الخلفية الدينية الحضارية للأمة".

لأجل هذا، شكلت هذه الدراسة للباحث قاعدة متينة انطلق منها لكشف إستراتيجية الحرب الحضارية الأمريكية على العالم الإسلامي، باعتبارها وريثة الإستراتيجية الاستعمارية الأوروبية، لأن الدراسة قابلة للتعميم على خريطة العالم الإسلامي في تفسير حركة الاستعمار و رصد تطورات و سياساته و استشرف مآلاته.

#### □ 5- كتاب "تعارف الحضارات - رؤية جديدة لمستقبل العلاقات بين الحضارات" و هو

تأليف جماعي بإشراف المفكر السعودي زكي الميلاد، و هذا واحد من عناصر قوة الكتاب، إذ طرحت الأطروحة للنقاش في ملتقى علمي شارك فيه خمس و ستون باحثاً، و تكمن أهمية هذه الدراسة في أطروحتها البديلة (أطروحة التعارف) التي نسفت -بعد مناقشة علمية- جميع الأطروحات الصراعية التي تنطلق رؤاها من حتمية الصراع و الصدام و الحرب ، كما ناقشت (أطروحة التعارف) الأطروحات المتوافقة معها مثل أطروحة الحوار و التعاون و التعايش و التلاحق و التحالف، و تجاوزتها و هيمنت عليها. و كانت بمثابة تشييد صرح جديد، و تأسيس نظر جديد مغاير لكل من الأفكار السائدة و النظريات المتداولة في العلاقات الدولية و الحضاراتية، و فضلاً عن كل هذا فهي نظرية قرآنية مستمدة من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾<sup>16</sup>.

غير أن هذا الكتاب برغم أهميته، إلا أنه لم يتعرض إلى واقع العلاقات الدولية، المهيم عليه بالنظريات الغربية الصراعية و سيطرة قطب حضاري واحد على باقي الحضارات، كما أنه لم يتعرض للإستراتيجية الإعلامية في الحرب الحضارية الأمريكية المعلنة من جانب واحد على العالم الإسلامي.

16- سورة الحجرات، الآية 13.

## □ 6- كتاب "مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة و

ثقافة السلام" لمؤلفه المغربي محمد سعدي، و الكتاب في غاية الأهمية للدراسة كخلفية فكرية و منهجية لأطروحة صراع الحضارات و الأطروحات المشابهة لها، فقد تتبع المؤلف أهم الخلفيات المحركة للأطروحة و أبعادها الفكرية و الفلسفية و الإستراتيجية، كما تتبع مثالبها المفاهيمية و قصورها المنهجي، ثم أعقب ذلك باستشراف لمستقبل العلاقات الدولية في ظل أطروحات صدام الحضارات، ثم عرج على العولمة و الديناميات الدولية الجديدة و تصاعد الرهانات الثقافية، و ختم بالحديث عن الغرب بعد 2001/09/11م، ليختم الحديث عن أزمة الحضارة الإنسانية و حوار الثقافات و ثقافة السلام.

غير أن الدراسة بالإضافة إلى أنها لم تتعرض إلى الإستراتيجية الأمريكية في حربها الحضارية على العالم الإسلامي و أبعادها، فهي لم تعر لمسألة الإعلام أية أهمية عدا بعض الإشارات العابرة، و يعود السبب في ذلك إلى مجال اختصاصها بالعلوم السياسية و العلاقات الدولية.

## □ 7- كتاب "البعد الثقافي في العلاقات الدولية- دراسة في الخطاب حول صدام

الحضارات"، لمؤلفته المصرية أماني محمود غانم، و هو دراسة في غاية الأهمية بالنسبة لبحثنا، ليس فقط من حيث موضوعه، و إنما لكونه ضمن سلسلة من الدراسات عن برنامج الدراسات الحضارية و حوار الثقافات التابع لكلية الاقتصاد و العلوم السياسية لجامعة القاهرة. فبالنسبة لموضوع الدراسة فهي رصد للاهتمام المتزايد بالبعد الثقافي في أدبيات العلاقات الدولية، بدءاً من المفهوم إلى شبكة العلاقات المفاهيمية التي كانت مستبعدة مثل الحضارة و الدين و الآخر و القيم و الهوية، ثم رصد مستويات التنظير لتأثير الثقافي على العلاقات الدولية؛ و أما بالنسبة للسلسلة السابقة فلأن برنامجها كله يشكل قاعدة مرجعية هامة لدراستنا و ذلك لتضمنه دراسات مثل "السياسة الأمريكية تجاه الإسلام" و نماذج "من خبرات حوار الحضارات" و "العنوان ، المقاومة الحضارية في حرب لبنان" و غيرها .

## ثانياً: كتبه عن الإعلام و التحافع الحضاري

□ 8- كتاب "الإعلام و الأزمات المعاصرة"، لمؤلفته المصرية هويدا مصطفى، و تستعرض الدراسة كما هو ملخص في صفحة الغلاف الأخيرة الأطر النظرية و المفاهيم و الاتجاهات البحثية في دراسة من المنظور الإعلامي و ما يستتبع ذلك من إثارة العديد من الإشكاليات التي ترتبط بالأداء و الممارسة الإعلامية وقت الأزمات، كما يحمل الكتاب في فصوله نماذج تحليلية و بحثية للأداء الإعلامي في عدد من الأزمات التي مثلت نقطة انطلاق، و أثارت الجدل و النقاش في المنتديات البحثية و الأكاديمية، و كذلك طرحت العديد من التساؤلات حول مفاهيم الموضوعية و التوازن، و معايير النزاهة و الحياد، و كلها تؤثر على مصداقية وسائل الإعلام التي أثير حولها نقاش و جدل عام، ارتبط بالممارسات الإعلامية خلال هذه الأزمات التي شكلت بدءاً من أزمة الخليج الثانية مروراً بأزمة 11 سبتمبر و حرب أفغانستان و انتهاء بحرب العراق. و الدراسة برغم أهميتها في مجالها إلا أنها لم تتعرض إلى الحرب الحضارية كأزمة في العلاقات الدولية و لم تشر إلى الإعلام كإستراتيجية في هذه الحرب.

□ 9- كتاب "المتلاعبون بالعقول" لمؤلفه المنظر في علوم الإعلام و الاتصال الأمريكي هربرت شيللر، و الكتاب على الرغم من صدوره منذ أربعة عقود، إلا أن طابعه التنظيري جعله ذا أهمية كبيرة في مجال الدراسات الاتصالية، إذ يطرح المؤلف رؤية تحليلية ناقدة لآليات السيطرة و التأثير على عمليات جمع و نشر المعلومات في الولايات المتحدة، و طبيعة القوى المهيمنة على وسائل الإعلام في المجتمع الأمريكي، و الكشف عن مدى قوة تأثير و علو خبرة سائسي العقول هؤلاء في ترويج أفكارهم من خلال غمر الأمريكيين بالمعلومات بوصفها وعياً جاهزاً عبر وسائل الإعلام. و لقد كانت هذه الدراسة ذات أهمية قصوى في الكشف عن الطبيعة التضليلية للإعلام الأمريكي، و ذلك من خلال نظرية شيللر حول التضليل الإعلامي و الوعي المعطب، الذي تطور من الطابع المحلي إلى الطابع العالمي عبر العولمة.

□ 10- كتاب "تغطية الإسلام - كيف تتحكم أجهزة الإعلام و يتحكم الخبراء في رؤيتنا لسائر بلدان

العالم"- لمؤلفه الفلسطيني- الأمريكي إدوارد سعيد، و قد صدر لأول مرة بالانجليزية سنة 1981م، أما طبعته الأولى بالعربية فتأخرت إلى سنة 2005م. و هو دراسة في غاية

الأهمية بالنسبة لبحثنا لأن موضوعه هو مواقف الغرب و مواقف أمريكا بوجه خاص إزاء العالم الإسلامي، الذي يرى الغربيون أن له صلة وثيقة بهم، و مع ذلك فهو يموج بالقلق المعادية لهم و يمثل مشكلة لهم، لهذا شغل الإعلام الغربي بتغطية الإسلام و بخاصة منذ الثورة الإيرانية في 1979م، و يُبين سعيد أن هذه التغطية مضللة حتى و إن بدت شاملة، و يضاف إليها عمل الخبراء الأكاديميين في الإسلام، و رجال الاستراتيجيات الجغرافيا السياسية الذين يتحدثون عن "هلال الأزمة" و عمل المفكرين الثقافيين الذين ينعون "تدهور الغرب"، و تجري هذه التغطية الإعلامية المضللة عن الإسلام في إطار ما يفترض أنه تغطية منصفة متوازنة و موضوعية، و يلخص سعيد موضوع كتابه في صورة الإسلام في الغرب و بصفة خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، و استخدام هذه الصورة في الغرب و خصوصا في الولايات المتحدة الأمريكية.

و قد انتفع الباحث من هذه الدراسة- و بخاصة أنها تعتبر مكملة لدراسة شيلر- لأنها خُصت لصورة الإسلام و المسلمين في الإعلام الأمريكي، المبنية على التضليل، و هذا ما مكن الباحث من توظيفها(الدراسة) في بيان موقع الإعلام من الحرب الحضارية.

□ 11- كتاب " صدام الحضارات: حتمية قدرية أم لوثة بشرية؟ " ، لمؤلفه الفلسطيني

حسن الباش، و قد أدرجته في هذا الموضوع لاحتوائه على فصل كامل من فصوله الست بعنوان الإعلام و صدام الحضارات، و قد استفادت منه الدراسة في أطروحة الصدام الحضاري و حوار الثقافات و حوار الحضارات و كذا في الفصل السادس من الكتاب المذكور، الذي خصص للإعلام الصهيوني و القضية الفلسطينية و نفوذ و تأثير الإعلام الصهيوني في الإعلام الأمريكي.

□ 12- كتاب " صورة العرب في عقول الأمريكيين " لمؤلفه الفلسطيني ميخائيل

سليمان، و هو يقدم نظرة متعددة الوجوه للتصورات الأمريكية للعالم الإسلامي و لاسيما العرب، و يعرض للعلاقة بين العرب و الأمريكيين، و العوامل المؤثرة في هذه العلاقة، مثل الاتصالات و التصورات الإسلامية - الغربية، و الصهيونية و المسألة الفلسطينية، و تناول في دراسة نظامية و مطولة التغطية الصحفية الأمريكية لأبناء الشرق الأوسط خلال حروب 1956م و 1967م و 1973م، و هو ما أعطى صورة واضحة عن الحالة الذهنية للأمريكيين و المناخ العقلي السائد خلال كل مواجهة، مما يمكن من المقارنة بين الآراء

الأمريكية الشعبية و الرسمية، كما تناولت الدراسة القوالب الذهنية عن العرب و لاسيما السلبية، و التي استعملت كسلاح ثبت أنه لا يقل تأثيرا عن الأسلحة العسكرية و الاقتصادية و السياسية، و تعرضت الدراسة لدور التعليم في صناعة الصور النمطية عن العالم الإسلامي، كما قدمت عرضا شاملا للمواقف الأمريكية عن الشرق الأوسط من خلال مئات الاستطلاعات للرأي العام على مدى نصف قرن، ابتداء من عام 1939م، و بحثت في أثر المواقف و القوالب الذهنية الأمريكية على العلاقات الأمريكية - العربية. ولقد شكلت هذه الدراسة بنتائجها قاعدة استعان بها الباحث في فهم صورة العالم الإسلامي لدى الغربيين بوجه عام، و الأمريكيين على وجه الخصوص، قبل أحداث 11 سبتمبر 2001م .

### ثالثا: الدراسات المنشورة في الدوريات المحكمة:

وهي مجموعة من الدراسات مثبتة في قائمة المراجع، ولكن تتفاوت درجة استفادة الباحث منها، نذكر منها:

□ النظريات التفسيرية للعلاقات الدولية بين التكيف و التغيير في ظل تحولات عالم ما بعد الحرب الباردة" للدكتور عبد الناصر جندلي أستاذ العلوم السياسية والعلاقات الدولية جامعة الحاج لخضر باتنة.

□ القوة و الثقافة و عالم ما بعد الحرب الباردة" أحمد علي سالم، جامعة زايد بالإمارات العربية المتحدة

□ برديغيات العلاقات الدولية المعاصرة: المركزية الغربية نموذجا. بلخيرة محمد،

مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية و الإنسانية العدد 10، جوان 2013م

□ فلسفة الإعلام الأمريكي والشبكات الفضائية، د. سلافة فاروق الزغبي، جامعة جدارا

-الاردن

□ موقف الفكر الإسلامي من الأطروحات الفكرية الغربية المعاصرة (نزاية التاريخ

أنموذجا) أ.م. فائز صالح محمود اللهيبي

□ الفوضى الخلاقة: ثنائية الأنا والآخر من خلال إشكالية الإسلام و الديمقراطية د/

سعيد الحسين عبدولي كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- تونس

□ سياسة الولايات المتحدة تجاه الشرق الأوسط في حقبة أوباما، هل هي نقطة

تحول، نعوم تشومسكي. ترجمة ناصر ونوس.

□ قراءة في انعكاسات المشروع الإمبراطوري الأمريكي على المنطقة العربية منذر

سليمان مدير وحدة صنع القرار في مركز وحدة دراسات الوحدة العربية.

□ كينيث والتز خمسون عاما من العلاقات الدولية (1959-2009): دراسة استكشافية

أحمد محمد أبو زيد، باحث في العلاقات الدولية جامعة أسيوط القاهرة.

## تاسعا: هيكل الدراسة

تتكون هذه الدراسة من مقدمة و أربعة فصول و خاتمة و فهارس

**الفصل الأول و هو بعنوان " مفهوم الحرب الحضارية" ، و قد تم تناوله في ثلاثة**

**مباحث: الأول حول مفهوم الحضارة، و الثاني حول مفهوم الثقافة، و ذلك من حيث**

**الأبعاد اللغوية و الاصطلاحية من أجل الوصول إلى مفهوم إجرائي لكليهما، و تُوج**

**الفصل بمبحث ثالث حول مفهوم الحرب الحضارية أو الثقافية، كان الهدف منه بناء و**

**استخلاص مفهوم عام للحرب الثقافية و الحضارية، و مفهوم خاص بالحرب الحضارية**

**الأمريكية على العالم الإسلامي، تُبنى عليه كل المباحث التالية في الدراسة.**

**و أما الفصل الثاني، فكان بعنوان " أسس الحرب الحضارية الأمريكية و أهدافها**

**الإستراتيجية"، و قد تم التطرق إليه في مبحثين، تناول الأول منهما أسس الحرب**

**الحضارية، و تناول المبحث الثاني أهدافها الإستراتيجية.**

**و بالنسبة للفصل الثالث، الذي كان بعنوان "ماهية الإعلام الأمريكي"، و قد تناول**

**مبحث الأول فلسفة الإعلام الأمريكي و أسسه، و تناول مبحثه الثاني طبيعة الإعلام**

**الأمريكي وخصائصه.**

**و كان الفصل الرابع بعنوان "دور الإعلام الأمريكي في الحرب الحضارية على العالم**

**الإسلامي"، و قد تم تناوله ضمن مبحثين اثنين، الأول كان بعنوان "ملامح إستراتيجية**

الإعلام الأمريكي في الحروب الحضارية ، و أما المبحث الثاني فكان بعنوان "نماذج تطبيقية عن دور الإعلام الأمريكي في الحروب الحضارية".

و اختتمت الدراسة بخاتمة، تناول فيها الباحث أهم النتائج التي خلص إليها، و آفاق الاستفادة من هذه الدراسة على الصعيدين العلمي و العملي، ثم توج كل ذلك بتوصيات تخدم البحث العلمي المتعلق بقضايا حاضر العالم الإسلامي و مستقبله.



# الفصل الأول

## مفهوم الحرب الحضارية

المبحث الأول: مفهوم الحضارة

المبحث الثاني: مفهوم الثقافة

المبحث الثالث: مفهوم الحرب

الحضارية أو الثقافية

## تمهيد

إن الحرب الحضارية أو الحرب الثقافية كما يسميها البعض - باعتبارها ظاهرة إنسانية<sup>17</sup> في العلاقات بين الشعوب و القبائل و الدول و الأمم - ليست ظاهرة جديدة أو حديثة، بل هي ضاربة بجذورها في عمق تاريخ الحضارات الإنسانية.

فقد عرف تاريخ البشرية نماذج عديدة من العلاقات بين الحضارات، تراوح بين الانعزال و الانغلاق، كما في الحضارات القديمة، و علاقة التزاوج و الإخصاب، كما شهدت الحضارة العربية الإسلامية، و علاقة الاستمرارية بمعنى الاستقبال، كما كان بين الحضارة الغربية و الحضارة الرومانية، و علاقة التسمم و هو ما تتعرض له الثقافات و الحضارات غير الغربية من قبل الحضارة الغربية<sup>18</sup>؛ بل لا نجافي الحقيقة بالقول إن تاريخ البشرية لم يخل من الصدمات و النزاعات، التي كان الكثير منها يرمي إلى استيعاب بعضها بعضا حضاريا و ثقافيا و لغويا و دينيا.

هذا و إن مفهوم الحرب الحضارية / الثقافية<sup>19</sup>، لا يمكن الخلوص إليه دون الوقوف على مجموعة من المفاهيم المفتاحية لهذه الدراسة و على رأسها مفهوم الحضارة و الثقافة.

---

**17-** كونها ظاهرة إنسانية، لا يعني أنها حتمية، بل إن تاريخ العلاقة بين الحضارات و الثقافات و واقعها يشهدان بتنوع و تعدد أشكال هذه العلاقة كما بينا، و أما ما ذهب إليه البروفيسور هانتغتون من كون الصدام أو الحرب أمر حتمي، فهذا مذهب فاسد و هو ما نبينه في ثنايا البحث. و هو تبرير للإستراتيجية الأمريكية في حربها ضد العالم الإسلامي. انظر على سبيل المثال: عبد الرزاق مقري، صدام الحضارات- محاولة للفهم أبعاد، أسباب و مآلات العدوان الأمريكي على الأمة الإسلامية الطبعة الأولى، (مصر، المنصورة: دار الكلمة، 2004) ص 43، 43، 99، 5. حسن الباش، صدام الحضارات: حتمية قدرية أم لوثة بشرية؟ الطبعة الثانية (سوريا، دمشق. لبنان، بيروت: دار قتيبة، 2005)، ص 7-11.

**18-** حامد الربيع، الثقافة العربية بين الغزو الصهيوني و إدارة التكامل القومي، (القاهرة: دار الوقف العربي، 1983) ص 23.

**19-** المهدي المنجرة، الحرب الحضارية الأولى- مستقبل الماضي و ماضي المستقبل - الطبعة الأولى (الجزائر: شركة الشهاب، 1991)، ص 73.

# المبحث الأول

## مفهوم الحضارة

المطلب الأول : الحضارة في اللغة العربية

المطلب الثاني: الحضارة في اللغات العربية

المطلب الثالث: نماذج من تعريفات الحضارة

المطلب الرابع: الحضارة في الاصطلاح الإجرائي

يُعتبر مصطلح الحضارة من أكثر مصطلحات العلوم الاجتماعية التي كثر من حولها الخلاف، في مفهومها وطبيعتها، و في عناصرها و وسائلها، و في وظائفها و أهدافها؛ و تتجلى أبرز مظاهر ذلك في الكم الهائل من التعريفات و المفاهيم التي عرفت بها<sup>20</sup>.

و يمكن إرجاع أسباب ذلك الخلاف ، إلى اختلاف نظرة الباحثين و الدارسين لهذا المصطلح، تبعا لاختلاف عقائدهم و أفكارهم و مذاهبهم في الحياة، و لتباين تخصصاتهم و مناهجهم العلمية و وجهات نظرهم، بل و حتى اختلاف لغاتهم و بيئاتهم و ثقافتهم و حضارتهم.

كما أن من أسباب الخلاف حول هذا المصطلح ، اشتراكه في المعنى مع بعض المفاهيم و المصطلحات، كالثقافة و المدنية و غيرها، سواء في اللغة العربية أو في بعض اللغات الأوروبية<sup>21</sup>، و كذا بفعل التطور الدلالي الذي حظي به عبر تاريخ الحضارة نفسها<sup>22</sup>.

---

**20-** نعمان عبد الرزاق السامرائي، نحن والحضارة والشهود (الجزء الأول) سلسلة كتاب الأمة، العدد 80 الطبعة الأولى، (قطر: وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، 2001)، ص 61. على موقع :

[http://www.sheikhali-](http://www.sheikhali-waqfia.org.qa/SF/AR/BookShow/BookShowTree.aspx?BookId=192#PageNum=61)

[waqfia.org.qa/SF/AR/BookShow/BookShowTree.aspx?BookId=192#PageNum=61](http://www.sheikhali-waqfia.org.qa/SF/AR/BookShow/BookShowTree.aspx?BookId=192#PageNum=61)

**21-** عارف، نصر محمد، الحضارة والثقافة المدنية، دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم ، سلسلة المفاهيم والمصطلحات(1)، الطبعة الثانية، (الوم أ، هيرندن، فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1994)، ص16، 42، 49.

**22-** بن الحسن بدران، مفهوم الحضارة، موقع: الإسلام اليوم بتاريخ :

17.46 الساعة 2015/04/20 . <http://islamtoday.net/nawafeth/services/saveart-40-3205.htm>

## المطلب الأول: الحضارة في اللغة العربية

الحضارة في اللغة العربية مشتقة من الحضر و أصله مادة ( ح ض ر ) و يمكن تلخيص معانيها وفق ما يخدم جوهر هذا الدراسة و منهجه في ما يلي:

- الحضور نقيض المغيب و الغيبة، و هو بمعنى الشهود. نقول بمشهد منه أي بحضرته.
- الحضر خلاف البدو، و الحضارة هي الإقامة في الحضر أي المدن والقرى.
- الحاضرة هي الحي العظيم.
- الحاضر ضد المسافر، و الحضرة القرب من الشيء، نقول كنت بحضرة الدار أي قريب منها.
- الحضور هو المجيء، حضرت الصلاة، و حضر القاضي<sup>23</sup>.
- و في القرآن الكريم نجد أن حضر تعني شهد، قال الله تعالى: ﴿ إذا حضر أحدكم الموت ﴾<sup>24</sup>، و قال جل و عز: ﴿ و إذا حضر القسمة أولوا القربى ﴾<sup>25</sup>، و قال تعالى: ﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾<sup>26</sup>. و جميع هذه الدلالات تؤدي معنى الشهادة أو الحضور.

### ملاحظة:

لم تستعمل كلمة الحضارة في اللغة العربية بمعنى مظاهر الرقي العلمي و الفني و الأدبي و الاجتماعي إلا حديثاً<sup>27</sup>.

---

23 - ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب، تحقيق المخزومي مهدي و السامرائي إبراهيم، ط 1، (لبنان بيروت: دار صادر، السنة: دون ذكر)، ج 4، ص 149 .

24 - سورة البقرة، الآية 180.

25 - سورة النساء، الآية 8.

26 - سورة البقرة، الآية 185.

27 - الجفائري محمد عبد السلام، مشكلات الحضارة عند مالك بن نبي، الطبعة (دون)، (لبيبا: طرابلس: الدار العربية للكتاب، 1984) ص 94.

إن مصطلح الحضارة كمصطلح اجتماعي، و كمفهوم كلي شامل يؤطر الحركة البشرية و يلقي عليها بصفات قيمية معينة، لم تعرفه الحضارة الإسلامية أو التراث العربي الإسلامي<sup>28</sup>، و لهذا لا نجد له حضوراً.

وحتى ابن خلدون<sup>29</sup> الذي استخدم هذا المصطلح، اقتصر على إحدى دلالاته، و هي تلك المشتقة من الإقامة في الحضر بخلاف البادية، أو النمط من الحياة المناقض للبدوة وقد توافق استخدامه مع جذور المفهوم الأوروبي لـ Civilization<sup>30</sup>.

و من ثم يحتل مفهوم التقدم مركز هذا المعنى، وقد تحدث ابن خلدون أولاً عن انتقال الدولة من البدوة إلى الحضارة، و حاول استكشاف (طبائع العمران)، أي قوانين تطور المجتمعات، فجعل البدوة و الحضارة طورين طبيعيين من أطوار المجتمعات الإنسانية، و اعتبر الحضارة هي آخر الأطوار و نهاية العمران، و تمثل خير ما وصل إليه المجتمع من صنائع و فنون و علوم، كما تعني كذلك «نهاية العمران، و خروجه إلى الفساد و نهاية الشر و البعد عن الخير»<sup>31</sup>.

---

**28-** لعل الجاحظ كان أول من استعمل هذا المصطلح في الأدب العربي، انظر: الجفائري محمد عبد السلام م س، ص 101.

**29-** أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون لد في تونس عام 1332 (732هـ). وهو مؤرخ و فيلسوف اجتماعي، عربي مسلم ، ينتهي نسبه إلى الصحابي وائل بن حجر من عرب اليمن من أسرة اشتهرت بالعلم و الأدب شغل أجداده في الأندلس و تونس مناصب سياسية و دينية مهمة و كانوا أهل جاه و نفوذ، نزح أهله من الأندلس في منتصف القرن السابع الهجري إلى تونس خلال حكم دولة الحفصيين.

انتقل في بلاد المغرب و الأندلس ، ثم أقام يتلمسان ، و شرع في تأليف تاريخه ، و بعدها عاد إلى تونس ، و منها انتقل إلى مصر ، و اتصل بسلطانها برقوق ، فولاه القضاء ، انقطع للتدريس و التأليف فأتم كتابه (العبر و ديوان المبتدأ و الخبر) وهو كتاب له قيمة كبرى بين كتب التاريخ الإسلامي كما أن لمقدمته أهمية عظيمة لاشتمالها على فصول في أصول العمران، و النظريات الاجتماعية و السياسية ، و تصنيف العلوم و غير ذلك مما جعل من ابن خلدون مؤسساً لفلسفة التاريخ و علم الاجتماع الذي يقول عنه أنه فرع فلسفي جديد لم يخطر على قلب أرسطو.

يعتبر ابن خلدون أحد العلماء الذين تفخر بهم الحضارة الإسلامية، فهو مؤسس علم الاجتماع و أول من وضعه على أسسه الحديثة، و قد توصل إلى نظريات باهرة في هذا العلم حول قوانين العمران و نظرية العصبية، و بناء الدولة و أطوار عمارها و سقوطها. و قد سبقت آراؤه و نظرياته ما توصل إليه لاحقاً بعدة قرون عدد من مشاهير العلماء كالعالم الفرنسي أوجست كونت. توفي في القاهرة في 1406م. انظر موقع: <http://www.startimes.com/f.aspx?t=34027121>.

**30-** عارف، نصر محمد، الحضارة-الثقافة-المدنية، م س، ص 55.

**31-** ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، الطبعة السابعة (بيروت: دار القلم، 1989) ص 123.

و قد استعمل الفلاسفة العرب القدماء لفظة "مدني" بمعنى اجتماعي، تأثرا باليونانيين الذين كانت المدنية عندهم هي مظهر المجتمع المتحضر، وفي هذا يقول ابن خلدون: «ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم الإنسان مدني بالطبع، أي لا بد من الاجتماع الذي هو المدينة في اصطلاحهم، وهو معنى العمران»<sup>32</sup>.

إلا أن مصطلح «التمدن»، لم ينتشر إلا حديثاً، أسوة بمصطلح «المدنية» الذي يستعمل مرادفاً للحضارة، وهي لفظة مولدة لم ترد في المعاجم، ويبدو أنها مستمدة من الكلمة «Civilisation». وقد عرف المعجم الذي أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة لفظة المدنية بأنها: «الحضارة واتساع العمران»، وعرف لفظة تمدن بقوله: «عاش عيشة أهل المدن وأخذ بأسباب الحضارة». و نجد ابن خلدون قبل هذا، استعمل لفظة «التمدن» بمعنى الحضارة أو التحضر فقال: «ولهذا نجد التمدن غاية للبدوي يجري إليها»<sup>33</sup>. ومن هنا يتبين أن المعنى الأصلي لمصطلحي الحضارة والمدنية يعني «سكنى الحواضر أو المدن، وما ينشأ عن هذه السكنى أو يصاحبها من فنون الحضارة ومظاهرها»<sup>34</sup>.

---

32- ابن خلدون، ن م، ص 41.

33- ابن خلدون، ن م، ص 122.

34- قسطنطين زريق: في معركة الحضارة، الطبعة الأولى، (بيروت: دار العلم للملايين، 1964)، ص 32.

## المطلب الثاني: الحضارة في اللغات الأوروبية

يُعد اللفظ العربي "حضارة" هو الترجمة الشائعة للفظة الانجليزية civilization، أو الفرنسية civilisation والتي يعود أصلها إلى عدة جذور في اللغة اللاتينية منها: Civites بمعنى ولايات، أو civitas بمعنى مدينة، و Civis بمعنى ساكن المدينة، و Citizen بمعنى المواطن، (كانت في الأصل المواطن الروماني المتعالي على البربري)، و Civil بمعنى مدني.

و تختلف دلالة مفهوم الحضارة حالياً باختلاف الدول والمدارس والحقول المعرفية التي توظفه. فيذهب عالم الاجتماع الألماني نوربرت إلياس Norbert Elias<sup>35</sup> إلى أن كلمة "حضارة" لا تحمل نفس الدلالة عند مجموع الدول الغربية. و هنا يسجل بالخصوص الفرق الشاسع في استعمال و توظيف هذه الكلمة، ما بين الإنجليز والفرنسيين من جهة، والألمان من جهة أخرى.. فهي لدى الفرنسيين و الإنجليز تعني شهامة وأنفة الوطن وتقدم الغرب والإنسانية بوجه عام، بينما تعني لدى الألمان الأشياء والمظاهر ذات المنفعة القوية، مثل درجة وجود الحس الإنساني في السلوك البشري..<sup>36</sup>.

و قد ظهرت كلمة "Civilisation" في اللغة الفرنسية عام 1734 (عصر الأنوار)، وينحدر أصلها من صفة Civilisé أي تحضر(في القرن 17م). وهذه الصفة منحدره بدورها من فعل civiliser (ق 13م) المشتق من الظرف civilement (ق 14م) ومن صفة civil مدني أو حضري (ق 13م) المأخوذة بدورها من اللغة اللاتينية civilité (ق 14م) وكذلك cité أي مدينة أو حاضرة (ق 11م) المأخوذة من civitas.<sup>37</sup>

**35-** نوربرت إلياس ولد في ألمانيا في 1897م وتوفي في 1990م و هو كاتب و عالم اجتماع ألماني من أصول يهودية . و هو مؤلف لعمل عظيم في علم الاجتماع التاريخي حول عملية الحضارة. نشر بفرنسا في مجلدين. وحضارة الأخلاق، وحيوية للغرب.

**36-** عبد السلام السعيد جدلية التاريخ والحضارة، مجلة فكر و نقد العدد 34، ديسمبر 2000 نقلا عن : **Norbert Elias : Civilisation des moeurs**, Paris, 1977, p12 - انظر في موقع الجابري: [http://www.fikrwanakd.aljabriabed.net/n34\\_09saidi.htm](http://www.fikrwanakd.aljabriabed.net/n34_09saidi.htm)

**37-** عبد السلام السعيد جدلية التاريخ والحضارة، م س نقلا عن: رولان بريتون: جغرافيا الحضارات، ترجمة خليل أحمد خليل، الطبعة(، لبنان بيروت، 1993)، ص19.



و هكذا منذ البداية ارتبط المفهوم بالانتماء إلى المدينة، و إلى جماعة منظمة تمثل الدولة أو تقوم مقامها، و ارتبط دلاليا بمفهوم التهذيب. فالإنسان المدني و المهذب و الحضري هو أيضا الإنسان البورجوازي.

و خلال القرنين 18م و 19م، أصبح مفهوم الحضارة يعني حالة التحضر؛ و المتحضر هو الذي يحمل جملة الصفات المكتسبة خارج الطبيعة، و هي مجموع الصفات و الظواهر المميزة للعالم المتقدم الذي يمثله الإنسان الأوربي آنذاك. و بذلك انبنى مفهوم الحضارة على المركزية الأوروبية، أي على هيمنة أوروبا على العالم سياسيا و فكريا و اقتصاديا و ثقافيا.. و أصبح معيار التقدم التكنولوجي، هو الذي على ضوءه تصنف الشعوب؛ فيقال هذه شعوب متحضرة ذات حضارة، و هذه شعوب غير متحضرة أي فاقدة لأية حضارة، مما أدى إلى ظهور التعارضات الثنائية الضدية التالية:

\* التعارض بين مركز ديناميكي منتج و هو معقل الابتكارات (أوروبا)، و أطراف جامدة مستهلكة بدون إنتاج (العالم غير الأوربي).

\* التعارض بين مجتمعات حارة مندمجة في مسار تطوري قائم على تراكم الخبرات و الابتكارات و العطاءات، و مجتمعات باردة متجمدة (تحجر و تخلف في العقليات و في التقنيات و العادات).

\* التعارض بين مجتمعات تاريخية سمحت لها كتابتها بالتقدم و تحقيق الطفرات و الوعي<sup>38</sup>، و مجتمعات لا تاريخية لا كتابة لديها، و بالتالي لا تاريخ لها، فهي مجتمعات ما قبل تاريخية بدائية جامدة (المشافهة).

---

38- عبد السلام السعيد جدلية التاريخ والحضارة، م س، ص 19.

\*التعارض بين الحضارات التاريخية، عرفت الكتابة (بلاد الرافدين+الفرعنة..)  
والحضارات غير التاريخية جاهلة للأبجدية (في إفريقيا، آسيا..).

\*التعارض بين الإنسان المتحضر، إنسان مهذب يعيش في المدينة والإنسان المتوحش: إنسان همجي يعيش في الغابات والأدغال<sup>39</sup>.

\*التعارض بين الغرب رمز التقدم والتحضر، والشرق رمز التخلف والبربرية  
Barbarisme. وفي هذا السياق يورد روديارد كيلينغ R Kipling<sup>40</sup> قوله الشهيرة:  
"الشرق هو الشرق، والغرب هو الغرب، ولن يلتقيا أبدا.."<sup>41</sup>.

\*التعارض بين مجتمع الطبيعة، أي شعب طبيعي بدائي، ومجتمع الثقافة أي شعب ثقافي و متحضر.

وبهذه التعارضات الثنائية الضدية التي حاول الغرب الأوروبي في القرنين 18 و19م بثها خارج محيطه القاري، اعتبر الحضارة مرادفة للتقدم المادي والتكنولوجي للشعوب، و زعم أن هناك حضارة واحدة و وحيدة في العالم هي حضارته، وعلى أرضية هذا الزعم والادعاء، افتتح الغرب الأوروبي عهد الزمن الإمبريالي، و التمرکز حول الذات، وسمح لنفسه بقيادة حملة استعمارية واسعة ضد الشعوب التي اعتبرها غير متحضرة، وأنه هو المسؤول الوحيد عن حمل الرسالة الحضارية إليها ولو بلغة "الحديد والنار"، و هذا هو التوظيف الإيديولوجي لمفهوم الحضارة<sup>42</sup>، الذي مازالت آثاره بادية في الفكر و السلوك الغربيين.

39 - عبد السلام السعيد جدلية التاريخ والحضارة، م س، إيلين كلاستر: ( المتوحشون والمتحضرين في القرن الثامن عشر)، مقال وارد ضمن كتاب: إيديولوجيا الغزو، ترجمة جوزيف عبد الله، بيروت، 1984.

40 - شاعر و أديب إنجليزي ولد في الهند سنة 1865 قضى طفولته في إيطاليا، و درس في بريطانيا ثم رجع للهند، حصل على جائزة نوبل في عام 1907 توفي في لندن في 1936.

41 - عبد السلام السعيد جدلية التاريخ والحضارة، م س، نقل عن:

R.Kipling : La Ballade de l'est et l'ouest, Paris, 1892.

42 - إيلين كلاستر: المرجع السابق، ص20 و21.

أما في القرن 20 م وبسبب عدة عوامل<sup>43</sup> فقد اتسع مفهوم الحضارة، و أصبحت الكلمة لا تقاس بمدى التقدم التكنولوجي والمعرفي و العلمي للمجتمعات فقط، و إنما تعني كل شيء في حياة الإنسان، كما أن كل شيء يعني حضارة، فهي تشمل الروح والجسد، المادة والفكر معا. وبهذا الطرح الجديد أصبح لكل مجتمع حضارة معينة خاصة به، مهما كانت درجة نموه التاريخي<sup>44</sup>.

---

**43 -** منها \*مرور قرنين من الزمن على استعمال/توظيف كلمتي حضارة وثقافة.\*تقدم وتطور وكثافة الأبحاث الأنثروبولوجية والإثنوغرافية والأركيولوجية والتاريخية..الخ.\*انتقال مراكز الثقل الحضاري/التقني والاقتصادي إلى جهات أخرى غير أوروبية (اليابان + U.R.S.S + U.S.A + الصين...).

**44 -** عبد السلام السعيدي. **جدلية التاريخ والحضارة** ، مجلة فكر و نقد العدد 34، ديسمبر 2000. في: [http://www.fikrwanakd.aljabriabed.net/n34\\_09saidi.htm](http://www.fikrwanakd.aljabriabed.net/n34_09saidi.htm)

## المطلب الثالث: نماذج من تعريفات الحضارة

ينبغي التنويه في مطلع هذا المطلب إلى أن الغرض من إيراد هذه النماذج التعريفية هو الوقوف على ظاهرة الخلاف الكبير الذي كثر حول مصطلح الحضارة من حيث مفهومها وطبيعتها، و عناصرها و وسائلها، و وظائفها و أهدافها، لهذا تم انتقاء مجموعة من التعريفات، تشترك من حيث مرجعيتها الفكرية و هي المرجعية الغربية، و تختلف من حيث اختصاصات أصحابها، و من حيث منهجهم في التعريف.

فمن حيث الاختصاصات، تناول مصطلح الحضارة متخصصون في الأنثروبولوجيا و الإثنولوجيا، و تناولها الفلاسفة و علماء التاريخ، و المفكرون السياسيون و الاقتصاديون، و غيرهم، بل لا يكاد فرع من فروع العلوم الإنسانية و الاجتماعية إلا و قد تناول هذا المصطلح، و هذا أمر طبيعي لشمول الحضارة لكل الشأن الإنساني.

و أمّا من حيث منهجية التعريف، فتتجلى في كون بعض المعرفين للمفهوم ركز على العناصر المكونة للحضارة، و بعضهم على الخصائص، و آخرون على الوظائف، و طائفة على الأهداف و الغايات. لأجل هذا تباينت التعريفات حتى في المرجعية الواحدة و الدولة الواحدة و الاختصاص الواحد، بل أحيان نجد لمفكر أو عالم واحد أكثر من تعريف للحضارة، و هذا طبيعي في المعارف الإنسانية و الاجتماعية و الفلسفية، و من النماذج التالية تتكشف لنا هذه الحقائق.

### □ تعريف فرانز بواس . Franz Boas <sup>45</sup>

".. الحضارة هي الكم المتكامل للأفعال و النشاطات العقلية و الطبيعية التي تميز السلوك الجماعي و الفردي للأفراد الذين يكونون مجموعة اجتماعية، بالارتباط ببيئتهم

---

**45- فرانز بواس Franz Boas (1858-1942)** متخصص في علم الأنثروبولوجيا (علم الإنسان الثقافي) ألماني الأصل أمريكي الجنسية، و هو من اليهود الإشكناز كان مناضلا شيوعيا مخلصا . و كان رائدا في علم الأنثروبولوجيا الحديث، مما حدا بالبعض أن يطلق عليه لقب "الأب المؤسس لعلم الأنثروبولوجيا الأمريكية" طبق فرانز بواس المنهج العلمي في دراسة الثقافات و المجتمعات البشرية، بدلا من استخدام الأدلة التي تتبع الأسلوب القصصي و كان أبرز الأنثروبولوجيين الذين رفضوا نظرية التطور. و اعتبر أحد الممثلين البارزين للمدرسة الأمريكية. انظر: موقع: <http://www.biography.com/people/franz-boas-9216786/>

الطبيعية.. وهي تحتوي أيضا على منتجات هذه النشاطات ودورها في حياة المجموعة..<sup>46</sup>.

#### □ تعريف كلايد كلوكهونم . Clyde Kluckhon<sup>47</sup>

".. إنها (أي الحضارة) عملية تاريخية (التقليد الاجتماعي) نمطية أو اعتيادية (القواعد والقوانين والمثل) ونفسية (التعليم + العادة..) وأصولية (الأدوات والآلات، و الأفكار والرموز..)"<sup>48</sup>.

#### □ تعريف ول ديورانت. William James Durant<sup>49</sup>

الحضارة "Civilization" نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة في إنتاجه الثقافي، و تتألف "civilization" من عناصر أربعة: الموارد الاقتصادية و النظم السياسية و التقاليد الخلقية و متابعة العلوم و الفنون. و هي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب و القلق، لأنه إذا ما أمن الإنسان من الخوف تحررت في نفسه دوافع التطوع و عوامل الإبداع و الإنشاء، و بعدئذ لا تتفك الحوافز الطبيعية تستهضه للمضي في طريقه إلى فهم الحياة و ازدهارها<sup>50</sup>.

**46-** عبد السلام السعيد. جدلية التاريخ والحضارة نقلا عن: د.محمد رياض: الإنسان: دراسة في النوع والحضارة ، الطبعة الثانية، 1974 (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة و النشر و التوزيع)، ص184-185. انظر:

[http://www.aljabriabed.net/n34\\_09saidi.htm](http://www.aljabriabed.net/n34_09saidi.htm)

**47-** كلايد كلوكهون Clyde Kay Mayben Kluckhohn (1960/1905) أنثروبولوجي أمريكي تخصص في دراسة قبائل الهنود الحمر وخاصة في قبائل النافاجوس Navajos المتفرعة عن الأباش . تلقى تعليمه الجامعي في جامعة برنستون وجامعة ويسكونسن. و في جامعة أكسفورد، حيث حصل على درجة الماجستير في عام 1932. درس أيضا في جامعة فيينا عام 1931-1932، و بالعودة إلى الولايات المتحدة، حصل على الدكتوراه في الأنثروبولوجيا في جامعة هارفارد في عام 1936. انظر موقع:

<https://www.britannica.com/biography/Clyde-K-M-Kluckhohn>

**48-** عبد السلام السعيد. جدلية التاريخ والحضارة نقلا عن: د.محمد رياض: نفس المرجع، ص184.

**49-** فيلسوف، مؤرخ وكاتب أمريكي (1885 - 1981) من أشهر مؤلفاته كتاب قصة الحضارة والذي شاركته زوجته أريل ديورانت في تأليفه في 32 جزءا ، و كتاب قصة الفلسفة.

<https://www.britannica.com/biography/Will-Durant-and-Ariel-Durant>

**50-** ول ديورانت، قصة الحضارة، نشأة الحضارة. ج 1، ترجمة زكي نجيب محمود، الطبعة الأولى (القاهرة: لجنة التأليف و الترجمة و النشر، 1956)، ص3.

## □ تعريف صموئيل هنتنغتون. Samuel Phillips Huntington. 51

"الحضارة كيان ثقافي في أوسع معانيه. الجماعات القروية و الإقليمية و العرفية و القوميات، و الجماعات الدينية جميعها تمتلك ثقافات متميزة عند مستويات متباينة من التنوع الثقافي" 52.

و قد تتضمن الحضارة أكثر من دولة/أمة، مثلما هو الحال مع الحضارات الغربية و الأمريكية و العربية، أو دولة /أمة واحدة، مثلما هو الحال مع الحضارة اليابانية. 53

## □ تعريف راتناو. Rathenau. 54 و كيسرلنج. Keyserling 55، و توماس مان.

56 Thomas Mann، و هم باحثون ألمان.

الحضارة هي الروح العميقة للمجتمع و تقوم على تأكيد الأصالة الروحية و الحقيقة الفلسفية و العاطفية للإنسان 57.

**51- (1927-2008)** أستاذ علوم سياسية اشتهر بتحليله للعلاقة بين العسكر والحكومة المدنية، وبحوثه في انقلابات الدول، ثم أطروحته بأن اللاعبين السياسيين المركزيين في القرن 21 هي الحضارات وليس الدول القومية كما استحوذ على الانتباه لتحليله للمخاطر على الولايات المتحدة التي تشكلها الهجرة المعاصرة. برز اسم هنتنغتون أول مرة في الستينات بنشره بحث بعنوان "النظام السياسي في مجتمعات متغيرة"، وهو العمل الذي تحدى النظرة التقليدية لمنظري التحديث والتي كانت تقول بأن التقدم الاقتصادي و الاجتماعي سيؤديان إلى قيام ديمقراطيات مستقرة في المستعمرات حديثة الاستقلال. انظر: <https://www.britannica.com/biography/Samuel-P-Huntington>

**52- صموئيل هنتنغتون، صدام الحضارات و إعادة بناء النظام العالمي الجديد** ، ترجمة د مالك عبيد أبو شهوبة و د محمود محمد خلف، الطبعة الأولى (ليبيا، مصراتة: الدار الجماهيرية للنشر و التوزيع و الإعلان، 1999) ص 105، 106.

**53- صموئيل هنتنغتون و آخرون، الغرب و بقية العالم بين صدام الحضارات و حوارها** ، الطبعة الأولى (لبنان، بيروت: مركز الدراسات الاستراتيجية و البحوث و التوثيق، 2006)، ص 13.

**54- والتر راتناو (Walther Rathenau)** كاتب و سياسي ألماني، من أصول يهودية، كان رجلا صناعيا من كبار أثرياء ألمانيا، ولد في برلين في 1867 و تقلد وزارة الخارجية الألمانية في 1922 قبل اغتياله في 1922/06/24. كان يريد إعطاء النموذج عن الاستيعاب الثقافي و الوطني الناجح مؤكدا: "فقط الدم الألماني هو الذي يتدفق في كياننا" من كبار مؤيدي سياسة استيعاب اليهود الألمان: رأى راتناو أن على اليهود معارضة الصهيونية و الاشتراكية و عليهم بالاندماج الكامل في المجتمع الألماني. انظر: [http://www.marefa.org/index.php/التر\\_راتناو](http://www.marefa.org/index.php/التر_راتناو)

**55- الكونت هيرمان فون كيسرلينج** حفيد عالم النباتات الشهير الكسندر فون كيسرلينج، فيلسوف ألماني ولد في 1880 في استونيا ، وتوفي في 1946 في انسبروك. ساعده ثراء عائلته على التفرغ للفلسفة و الكتابة. أسس مدرسة المعرفة و اهتم بالفلسفة و الحكمة الشرقية و أعطى أولوية للتبادل الثقافي مع فرنسا . وترك مجموعة من الأعمال ترجم أهمها للفرنسية و الانجليزية و الاسبانية. انظر: <http://www.universalis.fr/encyclopedie/hermann-von->

**56- بول توماس مان (Thomas Mann)** أديب ألماني ( 1875/1955) تحصل على جائزة نوبل في الأدب لسنة 1929. ترك العديد من الروايات الشهيرة سار على خطى أبو الأدب الألماني غوته ( Goethe). وقد ساعده ذلك على النجاح الأكبر في الحياة الأدبية. وكان لهذا الاقتداء السبب المباشر لاعتبار توماس مان أحد أبرز الأشخاص الكلاسيكيين في عصر الأدب الألماني الحديث. وعلى هذا قامت أشهر الجامعات العالمية بتكريمه من خلال دعوتها له ليكون بمثابة أستاذ ضيف فيها إضافة إلى منحها إياه لدرجة الدكتوراه الفخرية انظر:

[http://www.larousse.fr/encyclopedie/personnage/Thomas\\_Mann/131526](http://www.larousse.fr/encyclopedie/personnage/Thomas_Mann/131526)

**57- د محمد ضيف الله بطاينة، مفهوم الحضارة في موقع ملتقى الخطباء بتاريخ 2015/04/23**  
<http://www.khutabaa.com/index.cfm?method=home.con&contentid=1868>

## □ تعريف روبرت موريسون ماكيفر . Robert Morrison MacIver<sup>58</sup> .

الحضارة هي ما نحن، لا ما نستعمل . وتتمثل في الفنون و الآداب و الديانات و الأخلاقيات.

## □ تعريف ادوارد برني تايلور Edward Burnett Tylor<sup>59</sup> .

وهو أشهر تعريفات الحضارة وأكثرها اختصارا وشمولا حيث يعرفها قائلا: " .. إنها ذلك الكل المركب الذي يحتوي على المعرفة والمعتقد والفن والأخلاق والقانون والعادات وكل قدرات والعادات الأخرى يكتسبها الإنسان كعضو في مجتمع.."<sup>60</sup> .  
أو " إن الحضارة culture or civilization بمعناها الإثنوغرافي الواسع هي الكيان المعقد الذي يضم المعرفة و المعتقدات والفنون و الآداب و القوانين و العادات و جميع القدرات و التقاليد الأخرى التي يكتسبها الإنسان بصفته عضوا في المجتمع"<sup>61</sup> .  
و قد أصبح هذا المعنى مفهوما أساسيا، إن لم يكن المفهوم الأساسي في علم الاجتماع و الأنثروبولوجيا في ألمانيا و أمريكا، إلا أنه لم يلقى مثل هذا الذبوع في إنكلترا و فرنسا<sup>62</sup> .

## و كلمة Civilisation بصفة عامة لها معنيان:<sup>63</sup>

1. المعنى الأول: مجموع الظواهر الاجتماعية و الدينية و الثقافية و العلمية و التقنية و الأخلاقية و التي تمثل في مجموعها خصائص مجتمع معين. فعبارة « الحضارة

---

**58- روبرت موريسون ماكيفر Robert Morrison MacIver (1882-1970)** هو عالم اجتماع أمريكي (اسكتلندي المولد) حصل على درجات علمية من جامعة ادنبره و أوكسفورد و كولومبيا. و هارفارد أعماله برزت في فطنته و فهمه و إدراكه الفلسفي، و دراسة معمقة عن الأعمال الرئيسية الرائدة لدوركايم و تونيز Toennies و ماكس و

افرد وبيير. انظر: <https://www.britannica.com/biography/Robert-Morrison-MacIver>  
**59- السير إدوارد بيرنت تايلور Edward Burnett Tylor (1832 - 1917)**. عالم أنثروبولوجيا إنجليزي، يعتبر ممثلا لمذهب التطور الثقافي. في كتابيه "الثقافة البدائية" و "الأنثروبولوجيا" ، و عرف سياق الدراسة العلمية للأنثروبولوجيا، على أساس النظريات التطورية لتشارلز ليل Charles Lyell. و أعرب عن اعتقاده أن هناك أساسا وظيفيا لتطور المجتمع والدين، والذي كان حدده بالعالمية . و قد اعتبر من قبل العديد من الشخصيات المؤسس لعلم الأنثروبولوجيا الاجتماعية، و تعتبر أعماله العلمية مساهمات هامة ودائمة في مجال الأنثروبولوجيا (علم الإنسان الذي كان قد بدأ في التبلور في القرن 19م). و أعرب عن اعتقاده أن البحث في تاريخ و ما قبل تاريخ الإنسان يمكن استعمله كأساس لإصلاح المجتمع البريطاني. - <https://www.britannica.com/biography/Edward-Burnett-Tylor>

**60- عبد السلام السعيدى. جدلية التاريخ والحضارة** نقلا عن: د، محمد رياض: الإنسان: دراسة في النوع والحضارة ، م س، ص 184.

**61- قسطنطين زريق. في معركة الحضارة** م س، ص 34

**62- الجفائري محمد عبد السلام ، مشكلات الحضارة عند مالك بن نبي،** م س ص 105

**63- سليم رضوان، ظلال الهباء - مقالات فلسفية في مأساة 16 ماي،** الطبعة الأولى (المغرب: منشورات الجدل، 2006)، ص 114.

اليونانية» أو «الحضارة الصينية» أو «الحضارة الغربية»، تعني بهذا المعنى الثقافة بمفهومها الشامل.

2. المعنى الثاني: هو حال أو درجة ومستوى تقدم مجتمع معين في صورة المدنية، ومن ثم تمثل فكرة "التقدم" المعنى الخالص للحضارة.

و التمييز بين المعنيين لمفهوم " الحضارة " ضروري لفهم العلاقة القائمة بين مختلف الحضارات، وتطور تلك العلاقة في الزمان؛ ذلك أن التمييز بين المعنى الثقافي للحضارة والمعنى المدني لها، وحده يسمح بالجواب على السؤال الرئيسي: هل الحضارة كونية أم خصوصية؟ وبالتالي بأي معنى يمكن الحديث عن حضارة غربية أو حضارة إسلامية<sup>(64)</sup>.

كما يرى باحثون آخرون أيضا أن مفهوم الحضارة يحمل معنيين:

**المعنى الأول:** " نمط من الحياة يتميز بخطوط و ألوان من التقدم و الرقي " <sup>65</sup> أي أنه

يحمل الدلالة على الحالة التي يتصف بها المجتمع من التقدم و الرقي.

**المعنى الثاني:** يطلق عند الحديث عن الحضارات البشرية المتتابعة كالحضارة المصرية و اليونانية أو الإسلامية أو الغربية أو الحضارة الإنسانية بصفة عامة<sup>66</sup>.

و بناء على هذه المعاني يمكن القول أن المشتق يحمل كثيرا من دلالات المشتق منه، فالمقصود بهذا المفهوم في جوهره يدور حول نمط حياة المدينة بما يعكسه من قيم و سلوكيات و نظم و مؤسسات، و بهذا فهو يتداخل مع مفهوم المدنية، الذي يمثل جوهر مفهوم civilization؛ ثم استعملت فيما بعد عن طريق المجاز، إذ أصبحت تعني في البداية ما تعنيه مرادفتها "culture" باعتبارها اكتسابا للصفات المحمودة، ثم تطورت فيما بعد لتعبر عن حالة الرقي و التقدم في الأفراد و المجتمعات<sup>67</sup>.

64 - نفس المرجع، ص 115.

65 - قسطنطين، زريق، م س، ص 35.

66 - الجفائري محمد عبد السلام ، م س، ص 108.

67 - قسطنطين، زريق، م س، ص 35. في الجفائري محمد عبد السلام ، م س ص 105.



و من هاهنا يمكن أن نخلص من التعريفات المختلفة للحضارة، أنها أصبحت في القرن 20م، هي كل شيء بما فيها من المنتجات الإنسانية المادية والفكرية والمعنوية لمجتمع معين، كيفما كانت درجة ارتقائه في الزمن التاريخي (تاريخي، ما قبل تاريخي، قديم، حديث أو معاصر..). مما أدى إلى الانتقال من الحديث عن الحضارة بصيغة المفرد إلى الحديث عن الحضارة بصيغة الجمع، أي من الحضارة الواحدة (ق 18 و 19) إلى الحضارات المتعددة (ق20).

## المطلب الرابع: التعريف الإجرائي للحضارة

نظرا لكثرة تعريفات الحضارة وتنوعها وتباينها، فإن المنهج الذي يسلكه الباحث للخلوص إلى مفهوم إجرائي لمصطلح حضارة، بما يجعل منه مصطلحا واضحا وقابلا للتعامل معه ضمن شبكة المفاهيم المتعلقة بمنظور الدراسة، يتمثل في الوقوف على المرتكزين التاليين:

1- الانطلاق من المضامين المشتركة لمدلول الحضارة بين اللغة العربية واللغات الأوروبية.

2- الاستئناس بتعريفات الحضارة من مجالات حضارية وثقافية ومعرفية مختلفة. مع الأخذ بعين الاعتبار الحذر من المضامين الاستلابية الوافدة من الغرب.

أما المضامين المشتركة لمدلول الحضارة بين اللغة العربية واللغات الأوروبية، فالحضارة في العرف اللغوي كما تبين، ترتبط بالحضور والعمران والمدنية، أي أن المصطلح من ناحية اللغة العربية ذاتها، يحمل المعنى الاجتماعي، وذلك عند اعتبار الحضارة علامة على الحضور والإقامة والاستقرار، وهذه كلها تحمل معاني اجتماعية، فإذا سكن الناس واستقروا، نشأت بينهم صلات اجتماعية أكثر، وارتبطت مصالحهم ونشأت بينهم سبل التعاون، واتجهوا إلى بناء المدن والإبداع والانتظام والنظام.<sup>68</sup>

فالحضارة في جذرها اللغوي تعني وترتكز على الجانب الاجتماعي، وكأن اللغة تشير إلى أن الحضارة مفهوم اجتماعي منذ نشأته، كما أنها لا تكون إلا حيث توجد علاقات اجتماعية متبادلة بين الناس تظهر فيها معاني التعاون والتنظيم والانتظام في إطار مكاني محدد هو المدينة.<sup>69</sup>

68 - بدران بن الحسن، في مفهوم الحضارة . انظر: موقع الإسلام اليوم بتاريخ 2003/12/25 1424/11/2 <http://islamtoday.net/nawafeth/services/saveart-40-3205.htm>

69 - لعل هذا فيه إشارة لاهتمام النبي صلى الله عليه وسلم تسمية يثرب باسم المدينة بما يتضمنه لفظ المدينة من قيم اجتماعية وحضارية بعيدة النظر في النفس الإنسانية.

و مصطلح "حضارة" في اللغات الأوروبية يتضمن أيضا معنى المدينة والاستقرار والتنظيم الذي تقتضيه حياة المدينة، و كأن هناك تشابها في المعنيين اللغويين في كل من اللغة العربية واللغات الأوروبية، على اعتبار أن الإنسان اجتماعي بطبعه حسب التعبير الخلدوني، أي النزوع إلى التجمع والتنظيم والانتظام فطرة إنسانية تحكم السلوك الإنساني في إطاره الجماعي، وأن التحضر مطلب إنساني متصل بالسعي الإنساني في مختلف العصور.<sup>70</sup>

وأما بالنسبة إلى الارتكاز إلى التعريفات السابقة، ففي العصر الحاضر، تناول اللفظ باحثون ألمان وفرنسيون وإنجليز وأمريكان وغيرهم، ثم باحثون عرب ومسلمون، وقد اتفق أكثرهم على قدر من العناصر (المكونة) التي تدخل في مدلول لفظ الحضارة، كما أنهم اتفقوا على وجود تداخل كبير بين مصطلحات الحضارة والثقافة والمدنية<sup>71</sup>.

هذا و يمكن الإشارة إلى أن هذه العناصر جلها يندرج ضمن العقائد والديانات والأخلاق والأفكار والسلوكيات والعادات والتقاليد واللغات والتنظيم والمؤسسات والمبتكرات والآلات والعمارة والفنون والعلاقات وغيرها.

وفي خضم البحث عن تعريف شامل تعتمده الدراسة أساسا لها، وجد الباحث ضالته في تعريف الأستاذ الدكتور نصر محمد عارف، الذي يمكن اعتماده تعريفا إجرائيا، وقد اقتضى ذلك أمورا منهجية منها :

□ أنه تعريف سنني لظاهرة الحضارة، يركز على القوانين و النواميس التي تحكم الظاهرة و ينطلق من بنيتها التكوينية و التركيبية. و هو وظيفي يبين وظيفة الحضارة، وغائي يكشف عن غاياتها، فضلا عن كونه يمكن تطبيقه على جل التجارب الإنسانية في التحضر<sup>72</sup>.

□ أنه تعريف متوافق مع معاني مشتقات الحضارة في القرآن الكريم.

70 - بدران بن الحسن، في مفهوم الحضارة، م س. <http://islamtoday.net/nawafeth/services/saveart-40-3205.htm>

71 - عارف، نصر محمد، الحضارة والثقافة المدنية، دراسة لسيرة المصطلح و دلالة المفهوم، م س، ص 41.

72 - إبراهيم اشعيل، لغة التعريف و تعريف اللغة، ص 102. كتاب إلكتروني في موقع الألوكة، انظر: <http://www.alukah.net/library/0/59372/> ، بتاريخ 2015/04/25، الساعة 14.55.

□ أنه تعريف ينطبق على الحضارة الأمريكية، وعلى العالم الإسلامي كحضارة أو

مشروع حضاري.

73

□ أنه تعريف يُمكن المتبني له والمرتكز عليه، من تفكيك بعض البراديجمات

paradigmes التي تتناولها الدراسة، من ذلك براديجم صدام الحضارات، حوار

الحضارات، تعارف الحضارات، نهاية التاريخ، الحرب الحضارية وغيرها.

نخلص من ذلك إلى التعريف التالي:

الحضارة هي مطلق الحضور، أي طبيعة ونسق حضور أي تجربة بشرية استطاعت أن تصوغ نموذجا بشريا للحياة بكل أبعادها ونواحيها، تسعى لتقديمه للآخرين، ليقتنوا به ويسيروا وفق منظومته، على أساس أنه النموذج الإنساني الأجدر بالإتباع<sup>74</sup>.

والحضور لا يعني الوجود، بل هو مرحلة متقدمة في تجربة أي مجتمع، إذ أن كثيرا من المجتمعات الإنسانية تقتصر على مجرد الوجود دون حضور ومن ثم لا يمكن إطلاق مفهوم الحضارة عليها مهما كان نتاجها الذهني والمادي، طالما وقف عند مجرد الوجود<sup>75</sup>.

فقيام المجتمع يستلزم نظاما من القيم والمعايير والمعتقدات والأفكار والسلوكيات، وكذلك يستلزم أيضا نمطا من المبتكرات والأدوات والمؤسسات والعمارة والفنون وطرق الإنتاج والمعاش، وبهذا يكون المجتمع قد حقق نوعا من العمران، لكن لا يعني الحضارة، إذ أن قيام العمران فقط في المجتمع لا يعني أكثر من الوجود.

73 - ترجع لفظة براديجم إلى الأصل اليوناني paradeigma أي مثال ونموذج، وهو مشتق من لفظ paradeiknunai الذي يدل على فعل أظهر montrer و قارن أو شبه comparer. فيكون البراديجم لغة هو النموذج القياسي أو المثال الكامل الذي ينبغي اتباعه بأنه النموذج الفكري أو النموذج الإدراكي أو الإطار النظري . و كان طوماس كون Thomas. S. Kuhn أول من استعمل هذا الاصطلاح في كتابه "بنية الثورات العلمية" الذي نشره عام 1962م، وألحق به حاشية تنقيحية عام 1969م، ليبدل به على الأطر المفهومية ورؤية العالم عند جماعات علمية متعددة. تبعا له يدل البراديجم على مجموع متماسك من نماذج ومفاهيم ومعارف وفرضيات وقيم مترابطة بدقة . انظر: د. إدريس نغش الجابري، البراديجم العلمي الإسلامي .. قيمه الثقافية وخصائصه الإبتيمية مجلة الإحياء الصادرة عن الرابطة المحمدية للعلماء بالمغرب، انظر: <http://www.alihyaa.ma/Article.aspx?C=5692>

74 - نصر محمد عارف، الثقافة المدنية، دراسة لسيرة المصطلح و دلالة المفهوم، م س، ص 60.

75 - نصر محمد عارف ، م س، ص 60، نقلا عن بن نبي مالك، مشكلة الثقافة، م س، ص 21.

إن الحضور فقط يستلزم فوق تقديم نموذج للإنسانية للاقتداء به، أي نمط من العلاقات مع بني البشر الآخرين ومع الكون أو مسخرات الله في الكون، أي طرح نموذج إنساني للاقتداء به أو للتبشير به، بغض النظر عن مضمون هذا النموذج (من حيث الحسن والقبح والحق والباطل...)، وإنما هذا لا يمنع من إطلاق لفظ الحضارة عليها طالما تحققت الأبعاد التالية:

1. وجود نسق عقيدي يحدد طبيعة العلاقة مع عالم الغيب ومفهوم الإله، سلبا أو إيجابا.

2. وجود بناء فكري سلوكي في المجتمع يشكل نمط القيم السائدة والأخلاقيات العامة والأعراف.

3. وجود نمط مادي يشمل المبتكرات والآلات والمؤسسات والنظم والعمارة والفنون وجميع الأبعاد المادية في الحياة.

4. تحديد نمط العلاقة مع الكون ومسخراته وعالم أشيائه وقواعد التعامل مع هذه المسخرات وقيمها.

5. تحديد نمط العلاقة مع الآخر، أي المجتمعات الإنسانية الأخرى، وأسس التعامل معها وقواعد وأسلوب إقناعها بهذا النموذج، والهدف من ذلك الإقناع<sup>76</sup>.

---

76 - عارف، نصر محمد، الثقافة المدنية، دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم، م س، ص 60.

# المبحث الثاني

## مفهوم الثقافة

المطلب الأول : الثقافة في اللغة العربية

المطلب الثاني: الثقافة في اللغات الأوروبية

المطلب الثالث: نماذج من تعريفات الثقافة

المطلب الرابع: الثقافة في الاصطلاح الإجرائي

ما قيل عن مصطلح الحضارة كونه من أكثر مصطلحات العلوم الاجتماعية التي كثر من حولها الخلاف، يقال أيضا عن مصطلح الثقافة؛ هذا بالإضافة إلى ما سبق الإشارة إليه، كون المصطلحين "الحضارة والثقافة" يشتركان في المعنى، سواء في الاستعمال العربي أو الاستعمالات الأوروبية. لهذا يعد هذا الأمر الأخير مقتضى منهجيا للوقوف على دلالات هذا المفهوم وأوجه العلاقة بينه وبين مفهوم الحضارة، وبخاصة أن براديجم الحرب الحضارية يترجم لدى بعضهم بالحرب الثقافية.

إذا كان اللفظ العربي (حضارة) هو الترجمة الشائعة للفظة الإنجليزية والفرنسية (Civilisation)، فإن لفظ (ثقافة) هو الترجمة التي شاعت بالنسبة للفظة الإنجليزية والفرنسية (Culture)، غير أنه يجب الإشارة إلى أنه في بعض اللغات الأوروبية، هناك لفظين أساسيين يستعملان للدلالة على معنى الحضارة وهما (culture و civilisation)<sup>77</sup>.

---

<sup>77</sup> الجفائري محمد عبد السلام ، مشكلات الحضارة عند مالك بن نبي، م س، ص 103.

## المطلب الأول: الثقافة في اللغة العربية

لفظ الثقافة في اللغة العربية مشتق من النَّقْفِ، وأصله مادة (ث، ق، ف)، ويمكن

حصر أهم معانيها فيما يلي: <sup>78</sup>

- وجود الشيء ومصادفته.

- الظفر بالشيء وأخذه عليه.

- تسوية الشيء وتقويم اعوجاجه، سواء كان شيئاً حقيقياً ملموساً كالرمح والقوس أو

كان مجازياً، كتثقيف عوج السلوك والطباع.

- سرعة وجود الشيء في الأذهان.

- الحذق والمهارة في إتقان الشيء، سواء كان مادياً أو معنوياً.

- الفهم والذكاء.

- الإدراك على وجه الإطلاق.

و قد بقي لفظ « ثقافة » عند العرب مجرد كلمة، ولم تنتقل بعد إلى أن تكون مفهوماً،

أي مما هو حسي إلى ما هو ذهني، وقد تساءل "مالك بن نبي" في كتابه "مشكلة الثقافة:

79 من أين جاءت؟ و منذ متى استخدمت في اللغة العربية؟ رغم أنه يرجعها لابن خلدون

80 ويعرفها قائلاً بأنها: «علاقة معنوية بين سلوك الفرد وأسلوب الحياة في المجتمع»

ويعرف الحضارة " بأنها جملة العوامل المعنوية والمادية التي تتيح لمجتمع ما أن يوفر

لكل عضو فيه جميع الضمانات الاجتماعية اللازمة لتطوره"<sup>81</sup>، و من هنا يرى ضرورة

الربط بين مفهومي الثقافة والحضارة « وفي ضوء هذا الربط تصبح الثقافة نظرية في

السلوك، أكثر من أن تكون نظرية في المعرفة .. فهي مجموعة من الضمانات الخلقية،

والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح شعوريا العلاقة التي تربط

---

78 - ابن منظور، لسان العرب، م س، ج 9، ص 19، 20، حرف الفاء، فصل التاء. الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب مجد الدين ، القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، الطبعة الثامنة، (لبنان- بيروت: مؤسسة الرسالة، 2005)، ج3، ص121، باب الفاء، فصل التاء. الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر. أساس البلاغة، الطبعة الأولى، (لبنان:بيروت: دار الكتب العلمية، 1989)، ج1، ص 46، مادة (ث، ق، ف).

79 - زكي الميلاد: المسألة الثقافية- من أجل بناء نظرية في الثقافة ، الطبعة الثانية، (بيروت: مكتبة مؤمن قریش، 2010)، ص 39، 40.

80 - مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، تر عبد الصبور شاهين، الطبعة الأولى(القاهرة:مكتبة دار العروبة،1959)، ص64.

81 - مالك بن نبي : مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، ترجمة بسام بركة و أحمد شعبو ، الطبعة الأولى، (الجزائر، دمشق: دار الفكر، 1992)، ص43.



سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه»<sup>82</sup> وهي بذلك تكون «المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته»<sup>83</sup>.

«و هذا التعريف الشامل للثقافة، هو الذي يحدد مفهومها، فهي المحيط الذي يعكس حضارة معينة، والذي يتحرك في نطاقه الإنسان المتحضر»<sup>84</sup>.

و يربط بن نبي الحضارات في أصولها بالعقيدة، إذ هي التي تبعث الحضارة في كل عصر، لما تخلقه من قوة التماسك بين أفراد المجتمع. واعتبر الثقافة «في مهمتها التاريخية تقوم بالنسبة للحضارة بوظيفة الدم بالنسبة للكائن الحي»<sup>85</sup>.

---

82 - مالك بن نبي ، مشكلة الثقافة، مصدر سبق ذكره، ص 73.

83 - نفس المرجع، ص 73.

84 - نفس المرجع، ص 84.

85 - مالك بن نبي : فكرة الإفريقية الآسيوية، ترجمة عبد الصبور شاهين، الطبعة الأولى (القاهرة: مكتبة دار العروبة، 1957)، ص 157.

## المطلب الثاني: الثقافة في اللغات الأوروبية

ظهرت كلمة ثقافة " culture " .. " في الفرنسية بمعناها الدقيق في ق 13، وتلتها في القرن 14 كلمات مثقف/زارع Cultivateur ومزارع agriculteur لكنها لم تكتسب معناها المجازي كمعرفة و كتربية وعلم إلا في القرن 15م انطلاقا من مشتقاتها أيضا: cultivier ، cultivate ، Inculte، وبشكل متواز يحتفظ المعنيان (زرع، ثقف) بكامل قوتهما، ولن يتميذا إلا بصفتي cultural (القرن 19) و culturel (القرن 20)<sup>86</sup>.

و حاليا هناك شبه اتفاق على أن الثقافة هي نتاج تراكمي لعدة قرون وأنها تعد عملا إنسانيا جماعيا يتضمن عمليات التدخل والتفاعل والتعديل (للطبيعة وللسلوك..).

ويعود أصل لفظ (culture) في اللغة اللاتينية إلى:

- Cultura من فعل culturis بمعنى حرث أو نمى وقد كانت تعني تنمية الأرض ومحصولاتها، وقد ظلت اللفظة مقترنة بهذا المعنى طوال العصور اليونانية والرومانية، وهي الدلالة التي نجدها في (agriculture) و (horticulture)<sup>87</sup>.

وقد استعملها شيشرون بالمعنى المجازي، إذ سمي الفلسفة ( culture montis )، أي فلاح الأرض أو تنميتها مؤكدا أن دور الفلسفة هو تنشئة الناس على تكريم الآلهة، وقد ظلت الكلمة هكذا حتى القرون الوسطى، حيث أطلقت في فرنسا على الطقوس الدينية (cultes)<sup>88</sup>.

وقد أخذ الكتاب الفرنسيون مثل فولتير في القرن الثامن عشر يستعملون هذا المصطلح بصورة إجمالية دون إضافة، وبذلك أصبحت لفظة ( culture ) في معناها المطلق تعني تنمية العقل والذوق، ثم انتقل استعمالها إلى حصيلة هذه العملية، أي إلى المكاسب العقلية والأدبية والذوقية التي تعبر عنها في العربية بلفظة ثقافة<sup>89</sup>.

86 - رولان بريتون: جغرافيا الحضارات، ص 20.

87 - Wiener, Philip (ed), **Dictionary of History of ideas**, New York, Charles Scribner Sons, (1973), p 613.

88 - الطاهر لبيب، **سوسيولوجية الثقافة**، معهد البحوث والدراسات العربية، (1978 م)، ص 7.

89 - قستنتين زريق، في معركة الحضارة، ص 33.

واستعملت هذه اللفظة في الألمانية في أواخر القرن الثامن عشر بشكل ( culture ) ثم ( kulture ) وانتقل معها معناها الأخير وهو التنمية العقلية والأدبية ونتاج هذه التنمية، وقد تطور معنى هذا المصطلح عند الفلاسفة وعلماء الاجتماع والمؤرخين، وتخلى عن دلالات التنمية و التحسيس بالنسبة للفرد، إذ أصبح يطلق على أحوال الأقسام بمجموعها.

وقد تأكد هذا المعنى الأخير في أواسط القرن التاسع عشر عند المؤرخ وعالم الاجتماع الألماني كلیم<sup>90</sup>، الذي يعتبر مؤسس علم الأنثروبولوجيا الحديث، وأصبحت هذه اللفظة تطلق على مجموع عناصر الحياة وأشكالها ومظاهرها في مجتمع من المجتمعات<sup>91</sup>.

وقد أصبح هذا التعريف هو الاصطلاح الذي تعنيه كلمة culture عند علماء الاجتماع و الأنثروبولوجيا، وانتقل هذا المعنى من Klemm إلى العالم الأنثروبولوجي الإنجليزي E. B. Taylor الذي كان أول من استعمله باللغة الإنجليزية، وأثبتته في عنوان كتابه الشهير Primitive culture عام 1871، ومنه انتشر في الأوساط العلمية الأنجلوساكسونية، وبصفة خاصة في الولايات المتحدة.

وفي أول فقرة في كتابه، وضع تعريفا لهذا المفهوم يعد حتى اليوم من أوفى التعريفات وأشملها، بحيث لا يزال يستخدم في معظم الكتابات الأنثروبولوجية، و ينص هذا التعريف على أن culture بمعناها الإثنوغرافي الواسع هي: "ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعرف وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في مجتمع"<sup>92</sup>.

و ينبغي الإشارة إلى أن الاستعمال الغالب في اللغات الغربية الحديثة يستعمل مصطلحي civilisation و culture دون تمييز واضح بينهما، إلا أنه ظهرت اتجاهات للتفريق بينهما.

---

90 - فريديريك غوستاف كلیم (Friedrich Gustav Klemm) مؤرخ ألماني ولد في 1802م و توفي في 1869م. تدرج في الدرجات العلمية و تابع دراساته التاريخية و أولى تطور الحضارة و الإنسانية عناية خاصة.

91 - قسطنطين زريق، في معركة الحضارة، ص 34.  
92 - E. B. Taylores, **Primitive culture**, New York, Brentano's (1924) p1.

يقول في هذا الشأن المفكر الألماني هارالد مولر **Harold moeller**<sup>93</sup>: " يافت النظر أولاً أن كلمة ثقافة (kultur) في الاستعمال اللغوي الألماني تسود حيث تستخدم حضارة (zivilisation) في الخطاب الانجليزي أو الفرنسي. و هذا الفرق ليس صدفة، بل يعكس مفهومات متباينة تضرب بجذورها في التواريخ العقلية المختلفة"<sup>94</sup>.

و عليه "إذا أردنا أن نصف إحدى الثقافات بشكل كامل فيتوجب علينا أن نتناول الأمور التالية: مستوى تطور التقنية و أسلوب الاقتصاد، و نظام السلطة، و العناصر الاجتماعية، و النظام القانوني، و نظام القيم"<sup>95</sup>.

---

**93-** مفكر ألماني، ولد عام 1948م و هو أستاذ العلاقات الدولية في جامعة فرانكفورت الألمانية وعضو في " لجنة نزع السلاح "التابعة للأمم المتحدة، ورئيس معاون لجماعة "العمل من أجل السلام وحل النزاعات" في وزارة الخارجية الألمانية، وله مؤلفات كثيرة في مواضيع تتصل بالعلاقات الدولية ومسألة التسلح النووي ورئيس مؤسسة هيسين الألمانية لبحوث السلام والصراع بفرانكفورت المصدر: غلاف الطبعة العربية ترجمة ابراهيم أبو هشيش. انظر التهميش الموالي.

**94-** هارالد مولر تعايش الثقافات: مشروع مضاد لهنتنغتون، ترجمة ابراهيم أبو هشيش، الطبعة الأولى (بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2005) ص53.

**95-** هارالد مولر تعايش الثقافات: مشروع مضاد لهنتنغتون م س، ص56.

## المطلب الثالث: نماذج من تعريفات الثقافة

□ الأمريكي جون ديوي John Dewey<sup>96</sup> و معنى زيادة<sup>97</sup>:

الثقافة هي ثمرة التفاعل بين الإنسان وبيئته) وهذا هو المعنى الذي أعطاه أرنولد توينبي للحضارة كلها، أي أنها ثمرة تحدي لبيئة الإنسان ونوع استجابة لها<sup>98</sup>.

□ رالف لينتون<sup>99</sup> Ralph Linton :

شكل متكامل من السلوك المكتسب ونتائجه، يشترك في عناصره وينقلها أفراد مجتمع معين<sup>100</sup>.

□ كلايد كلوكهون Clyde Kluckhohn<sup>101</sup> :

مجموعة طرائق الحياة لدى شعب معين، أي الميراث الاجتماعي الذي يحصل عليه الفرد من مجموعته التي يعيش فيها، أو هي الجزء الذي خلفه الإنسان في محيطه وهي

---

**96- جون ديوي John Dewey (1859-1952)** فيلسوف وعالم نفس و مربى أمريكي. يعتبر من أوائل المؤسسين للفلسفة البراغماتية. سعى لبناء مجتمع ديمقراطي وفلسفة علمية. وطرح لوضع توازن فيه قيمة الفرد مع قيمة الجماعة والمجتمع. لقد أكد ديوي على العلاقة الوثيقة بين التقدم العلمي والنظام الديمقراطي ولقد استفادت أمريكا من أفكاره في موضوع التربية وجذب العقول واستقطاب كل علماء الأرض، ويعتبر الفلسفة سلطة تشريعية مهمتها نقض القيم الحاضرة واقتراح قيم جديدة تواكب التغيرات الحاصلة في الحياة ومن مهمة الفلسفة أيضا تفسير نتائج العلم الاختصاصي. انظر: <http://dewey.pragmatism.org/>

**97- مفكر عربي ولد في طرابلس- لبنان عام 1938 و توفي عام 1997** تركز عمله العلمي الأكاديمي في ثلاثة حقول: الفكر الفلسفي والكلامي والإسلامي، الفلسفة العامة الحديثة، وفكر عصر النهضة العربية من مؤلفاته: 1- الحركة الطبيعية إلى ما بعد الطبيعة. 2- خير الدين التونسي وكتابه أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك. 3- تدبير المتوحد- تحقيق "الفيلسوف الأندلسي ابن باجه.انظر:

<http://www.albayanlebanon.com/news.php?IssueAr=63&id=2640&idC>

**98- حسين مؤنس، الحضارة: دراسة في أصول و عوامل قيامها و تطورها،** م س، ص 370.

**99- لينتون، رالف ( 1893-1953م).** عالم أمريكي متخصص في علم الإنسان طور مفهوم المرتبة ومفهوم الوظيفة، وهما من المفاهيم التي يستعملها كثير من علماء الاجتماع. يعتقد لينتون أن مرتبة الشخص الاجتماعية تتكون من مجموعة حقوق وواجبات، وهذه المرتبة إما أن يحققها الشخص بمجهوده الخاص وإما أن يحددها له المجتمع اعتماداً على بعض المميزات كالعمر، أو الأبوة، أو الجنس. ويعتقد كذلك بأن مرتبة الشخص هي التي تحدد دوره، أي وظيفة الشخص في المجتمع. كما شرح كيف تؤثر وظيفة الشخص الاجتماعية في شخصيته. وساعد في تطوير وجهة النظر القائلة بأن كل ثقافة تنتج نوعاً معيناً من الشخصية الأساسية. انظر: <http://www.universalis.fr/encyclopedie/ralph-linton/>

**100- رالف لينتون الأصول الحضارية للشخصية،** ترجمة د عبد الحميد اللبان، بيروت، دار اليقظة العربية، ( 1964)، ص 58، 60.

**101- كلايد كلوكهون Clyde Kay Mayben.** سبق ترجمته ص 45

التي تحدد الأساليب الحياتية، أو هي طريقة في التفكير والشعور والمعتقدات، إنها معلومات الجماعة البشرية مخزونة في ذاكرة أفرادها أو في الكتب أو في المواد والأدوات<sup>102</sup>.

### □ تعريف وليام كيلباتريك Kilpatrick<sup>103</sup>:

الثقافة "هي ما صنعتها يد الإنسان وعقله من أشياء ومظاهر في البيئة الاجتماعية، أي كل ما اخترعه الإنسان أو ما اكتشفه وكان له دور في العملية الاجتماعية..<sup>104</sup>".

### □ تعريف بعض رجال التاريخ للثقافة:

فسر بعض رجال التاريخ الغربيين الثقافة قائلين بأنها هي "راسب التاريخ"، إذ ينظرون لها على أنها مجموعة عمليات تاريخية الأصل، تتراكم خلال السياق التاريخي/الحضاري أو تترسب في الزمان التاريخي. فهي تنمو وتتبعش وتترقى كما أنها قد تهجر من منطقة إلى أخرى<sup>105</sup>.

### □ تعريف اليونسكو:

"تعتبر الثقافة في أوسع معانيها، كل الصفات المميزة، الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعا أو مجموعة اجتماعية. و هي تشمل أيضا الفنون والآداب وأنماط الحياة، الحقوق الأساسية للإنسان ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات<sup>106</sup>".

---

**102** - كلايد كلوكهون، الإنسان في المرأة - علاقة الأنثروبولوجي بالحياة المعاصرة، ترجمة و تعليق شاكرا مصطفى سليم، تقديم د غوث الأنصاري، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر بغداد - نيويورك، من منشورات المكتبة الأهلية، بغداد، 1964. ص 24، 37، 49.

**103** - **William Heard Kilpatrick** (1871 - 1965) أمريكي الجنسية ولد بجورجيا، متخصص في البيدغوجيا و هو تلميذ جون ديوي و خليفته كان شخصية رئيسية في حركة التعليم التدريجي أوائل القرن 20. انظر موقع: <http://www.encyclopedia.com/people/philosophy-and-religion/philosophy-biographies/william-heard-kilpatrick>

**104** - د. عبد الله الرشدان، د. نعيم جعيني. المدخل إلى التربية والتعليم، عمان/الأردن، 1994، ص 194.

**105** - عبد السلام السعيد، جدلية التاريخ و الحضارة، م س .

**106** - Déclaration de Mexico sur les politiques culturelles. Conférence mondiale sur les politiques culturelles، Mexico City، 26 juillet - 6 août 1982.

[http://portal.unesco.org/culture/fr/files/12762/11295422481mexico\\_fr.pdf/mexico\\_fr.pdf](http://portal.unesco.org/culture/fr/files/12762/11295422481mexico_fr.pdf/mexico_fr.pdf)

يستنتج من التعريفات السابقة بأن الثقافة في مفهومها العام، تعني التكيف ، فكل تدخل إنساني يعدل الطبيعة أو يحولها بإضافة عناصر بشرية عليها و كل إضافة بشرية على الوجود الفيزيقي أو العالم الطبيعي هي ثقافة.

و الثقافة بمعنى من المعاني هي الجانب الفكري والروحي لمجتمع ما ولحضارة ما، لذا فهي مرتبطة بلغة معينة وبشعب معين، مما يسمح لنا بالقول إن هناك ثقافة فرنسية ضمن الحضارة الأوروبية وهناك ثقافة عربية ضمن الحضارة الإسلامية، فتكون الثقافة بهذا المنظور أو المثال هي الجزء والحضارة هي الكل<sup>107</sup>.

### □ تعريف معجم وبستر الجديد الثالث<sup>108</sup>:

- الثقافة عملية تطوير القدرات الفكرية و الأخلاقية و خاصة عن طريق التعليم

- الثقافة نمط متكامل من المعرفة البشرية والمعتقد والسلوك الذي يعتمد على القدرة على التعلم والمعرفة للأجيال القادمة.

ب: المعتقدات العرفية، الأشكال الاجتماعية، والصفات المادية لمجموعة عرقية أو دينية، أو اجتماعية؛ أيضا: السمات المميزة للوجود اليومية.<sup>109</sup>

107 - عبد السلام السعيد، جدلية التاريخ و الحضارة، م س.

108 - يُشيرُ اسم قاموسُ ويبستر إلى خَطِّ القواميسِ المطوّرةِ أولاً من قِبَلِ نوحِ وببستر في أوائلِ القرنِ التاسعِ عشرِ، أيضاً إلى القواميسِ الغيرِ مرتبطةِ العديدةِ التي أضافتُ اسمَ وببستر فقط للاشتراك في سمعته. إنّ هذا الاسم انشأ علامة تجارية في الولاياتِ المتّحدةِ للقواميسِ الشاملةِ للغةِ الإنجليزية . نوح وببستر ( 1758 - 1843)، مؤلف كتب القراء والتهجئة الذي سيطر على السوق الأمريكية في ذلك الوقت، أمضى العقود من السنين في البحث في جَمْعِ قواميسه. قاموسه الأول، قاموس موجز للغة الإنجليزية، ظهرَ في 1806. قدّم فيه الميزات التي ستكوّن علامة للطبعات المستقبلية مثل التهجئات الأمريكية مثل (center :بدلاً من honor) (center بدلاً من program) (honor بدلاً من programme)...(program) الخ وضمنه الكلمات الجديدة للتقنية و الفنون والعلوم بدلاً من حصر قاموسه في الكلمات الأدبية.

أمضى العقدين التاليين في العمل لتوسيع قاموسه <http://webstersdictionary1828.com/NoahWebster>

109 - <http://www.webster-dictionary.org/definition/culture>

من مضمون الثقافة ومعناها في الفكر الأوروبي ومن القواعد<sup>110</sup> التي ينطلق منها علم الأنثروبولوجيا، يمكن القول أن نظرية صدام الحضارات ونهاية التاريخ ورفض حوار وتعارف الحضارات... تأخذ مرجعيتها الفكرية والفلسفية من هذه المضامين ومن هذه القواعد.

لهذا من الخطورة بمكان تقبل المضامين الفلسفية و الفكرية والثقافية والحضارية الغربية دون تمحيص و فحص<sup>111</sup>.

---

110 - هذه القواعد سنتبينها في التعريف الإجرائي ص 65، 66.  
111 - راجع نصر محمد عارف ص 24 وما بعدها.



## المطلب الرابع: الثقافة في الاصطلاح الإجرائي

إن الإشكال المنهجي الذي يعترض الباحث العربي و المسلم حين التعرض لمفهوم الثقافة هو أنه إذا اعتمدنا على التراث العربي، فإننا لا نكاد نجد غير المفهوم اللغوي، الذي اعتمده المترجم العربي لكلمتي (culture) و (civilisation)، وهذا لا يغني في مثل هذه الدراسات؛ و إذا اعتمدنا على ما كتبه المعاصرون من المفكرين والباحثين العرب، فإننا نجد جل الدراسات قد تبنت المفهوم الغربي للمصطلح، وهذا ما لا نتبناه، إذ لو كان جائزا أن نعتمد عليهم، فالأولى الاعتماد على الأصل، لا على الفرع.

أما إذا ارتكزنا على المفاهيم الغربية، فإن هذا من شأنه أن يكون بمثابة عملية نقل لأفكار مميّنة إلى منظومتنا الفكرية. " ذلك أن المفهوم الغربي لـ ( civilisation ) و ( culture ) والذي قد تشعب في مختلف العلوم الاجتماعية وأصبح مكونا أساسيا فيها، وامتد خارج إطار المجتمع الأوروبي مع امتداد هذه العلوم وانتشارها في مختلف المجتمعات، حتى أصبح مكونا أساسيا لعلم الأنثروبولوجيا؛ فعلى هذين المصطلحين (civilisation) و (culture) يقوم علم الأنثروبولوجيا وعلى علم الأنثروبولوجيا تقوم افتراضات النظريات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية و.. الخ، الغربية جميعها، حيث تستقي منه مسلماتها وافتراضاتها حول تاريخ المجتمعات وتطورها وصورها السابقة، والقوانين التي تحكمها"<sup>112</sup>، والتي انتهت إلى نوع من الإلحاد المغلف بالعلم ينكر عالم الغيب، و أصبح مع الوقت هو أس الفكر الغربي وهو مرجعية فلسفتهم<sup>113</sup>.

إن علم الأنثروبولوجيا الذي يتخذ من مفهوم (civilisation) و (culture) جوهرًا أساسيا لمقولاته وتحليلاته، ينطلق من ثلاث قواعد أساسية، تندرج فيها جهود مختلف علماءه وتتبع منها نظرتهم وتحليلاتهم ومناهجهم، وتتغلغل في تفسيراتهم وتنبؤاتهم و خلاصاتهم ونتائجهم، وهذه القواعد هي<sup>114</sup>:

112 - عارف، نصر محمد، الحضارة والثقافة المدنية، دراسة لسيرة المصطلح و دلالة المفهوم، م س، ص 23.

113 - ن م، ص 23.

114 - ن م، ص 23.

1. إن المجتمع يسير في نسق تطوري في نمط متصاعد، انطلاقاً من الحالة البدائية الأولى إلى المرحلة الراقية التي وصل إليها المجتمع الأوروبي المعاصر. وبذلك يتم تقسيم المجتمعات طبقاً لمعايير نابذة عن مفهوم ( culture ) بمعناه العام بحيث وضع سلماً تدريجياً يمكن تصنيف المجتمعات طبقاً لمدى اقترابها وابتعادها عن الـ culture السائدة في المجتمع الأوروبي المعاصر، ومن ثم ظهرت مفاهيم مثل اللحاق بالركب وتصنيف الفجوة والتحديث... الخ.

2. إن الثقافة culture تنشأ في مجتمع معين ثم تنتشر إلى المجتمعات الأخرى إلى ما يترجم بالانتشار الثقافي، أي انتقال الثقافة من المجتمع الأكثر رقياً إلى المجتمعات الأدنى أو الأقل تطوراً. وتحت هذا المعنى برزت مفاهيم مثل رسالة الرجل الأبيض، والدور التحضيري لأوروبا والثورات الثقافية.

3. التثاقف والمثاقفة ( acculturation ) : ويقصد بها تأثر الثقافات بعضها ببعض نتيجة الاتصال بينها أي كانت طبيعة هذا الاتصال أو مدته.

وقد عرف ملفيل هرسكوفيتز<sup>115</sup> Melville Jean Herskovits و رالف لينتون و روبرت ردفيلد Robert-Redfield<sup>116</sup> التثاقف بأنه: "التغير الثقافي في تلك الظواهر التي تنشأ حين تدخل جماعات من الأفراد الذين ينتمون إلى ثقافتين مختلفتين في اتصال مباشر، مما يترتب عليه حدوث تغييرات في الأنماط الثقافية الأصلية السائدة في إحدى الجماعتين أو فيهما معاً".

---

115 - ملفيل هرسكوفيتز. عالم أنثروبولوجي أمريكي ولد في 1895م و توفي في 1963م. يعد مؤسس الانثروبولوجيا الثقافية لأمريكا الشمالية، اتجه مبكراً نحو الدراسات الإفريقية، فدرس المناطق الثقافية لإفريقيا الشرقية. واهتم بدراسة الزواج. من مؤلفاته: - الحضارة الرعوية في إفريقيا الشرقية (1926) - قواعد الانثروبولوجيا الثقافية و في سنة 1961 أنشأ الكرسي الجامعي للدراسات الإفريقية، انظر:

<http://www.nasonline.org/publications/biographical-memoirs/memoir-pdfs/herskovits-melville.pdf>

116 - هو روبرت ردفيلد عالم أمريكي في مجال الانثروبولوجيا و الاثنولوجيا ولد في 1897م وتوفي في 1958. تخصص في الدراسة الاثنولوجية والاجتماعية لأمريكا الوسطى، واشتهر كذلك بدراساته عن المجتمعات الصغيرة. انظر: <https://www.britannica.com/biography/Robert-Redfield>

وعرفه راد كليف براون Alfred Reginald Radcliffe-Brown<sup>117</sup> "بأنه تغير الحياة الاجتماعية بفعل تأثير أو سيطرة الغزاة الفاتحين الأوروبيين، وخاصة في القارة الإفريقية".

و قد ارتبط هذا الدور بالبعث الأوروبي (الاستعمار) وشكل معه وسيلة أساسية للسيطرة على الشعوب غير الأوروبية، إذ أن هناك فارقا كبيرا بين acculturation و transculturation، فالأخيرة تعني تبادلا متساويا، أما الأولى فتعني عملية نقل لثقافة معينة بل فرضها".

و طبقا لهذه القواعد الثلاث وانطلاقا منها، يبرز مفهوم ( culture ) بمعانيه السابقة نفسها في مختلف العلوم الاجتماعية، و الذي اعتبر مكونا أساسيا فيها، وتم تشكيل محتوياته طبقا لمعطيات الفكر الأوروبي و إيديولوجيته، وطبقا لتطوره الحديث، حيث وجدت مفاهيم مثل ( culture politique ) و ( culture économique )... الخ وتم التعامل مع هذه المفاهيم تعاملًا متميزًا، حيث اعتبرت قيم المجتمع الأوروبي ومعتقداته وأنماط سلوكه ومدركاته ووسائل حياته هي الأرقى دائما، أما المجتمعات الأخرى فإنها تقليدية أو رجعية أو مختلفة... الخ، ومن ثم عليها إذا أرادت التطور والتقدم والتحديث أن تنتقل نمط الـ culture الأوروبي وتتخلى تماما عن موروثها التقليدي. ويأتي هذا التطور في مفهوم ( culture ) نتيجة منطقية وتلقائية للجزر اللاتيني للمفهوم الذي يحمل معاني الحرث والبذر والحصاد والذي تحول من الأرض إلى الفكر.

و من هنا يعلم بأن المفهوم الغربي للثقافة ( culture ) لا يمكن اعتماده بحذافيره لما يحويه من مضامين استلابية. غير أن هذا المحذور لا يمنع من الاستئناس بنتائج الخبرات السابقة لهذا الفكر والفكر الإنساني، في سبيل تعريف شامل لمصطلح ثقافة ( culture )، يكون بمثابة المجال المشترك، ونقطة الالتقاء بين التعريفات. فالثقافة من حيث كونها مفهوما اجتماعيا لم تعرفها الحضارة العربية والإسلامية، ولم يسجل لها تراثها الفكري

---

117 - ألفريد ريجنالد رادكليف براون (1881 - 1955) بريطاني عالم الأنثروبولوجيا الاجتماعية طور نظرية الهيكلية الوظيفية، وهي الإطار الذي يصف المفاهيم الأساسية المتصلة بالبنية الاجتماعية للحضارات البدائية. انظر ويكيبيديا: <https://www.britannica.com/biography/A-R-Radcliffe-Brown>

حضوراً، وإنما هي ثمرة من ثمار عصر النهضة في أوروبا، ففيها ولد ونشأ، وفي أحضانها ترعرع ونما، ومنها نقل إلى بقية الأمم.

غير أن هذا لا ينفي أن محتواها ومضمونها كان موجوداً وحاضراً في الحضارة الإسلامية، فالتاريخ أثبت ويثبت أنها قد عرفت أرقى الثقافات الإنسانية، بل إننا لا نجافي الحقيقة إذا اعتبرنا أن كل المجتمعات الإنسانية قد عرفت وعاشت بروح الثقافة، لأن الثقافة في حقيقتها هي أبرز السمات والصفات الإنسانية، وهي ليست حكراً على أمة بعينها.<sup>118</sup>

هذا وقد أفضت عملية التتبع والفحص لعشرات التعريفات، إلى أنها تشتبك في العديد من العناصر والمكونات التي يمكن الانطلاق منها لبناء تعريف لها يتوافق والأسلوب الذي تتبع في تعريف الحضارة كما سلف.

و هذه العناصر المشتركة يمكن القول أنها تطوف حول أربع مجالات أو عوالم، وهي عالم الأشخاص، وعالم الأفكار، وعالم الأشياء وعالم العناصر والظواهر الطبيعية. و هو ما سنبينه لاحقاً، ولهذا لم تعد التعريفات عن كون الثقافة ثمرة النشاط الإنساني أو ثمرة تفاعل الإنسان مع البيئة، أو أسلوب حياة شعب ما، أو مجموعة طرائقه في الحياة.

**والتعريف الإجرائي الذي نعتمده لهذه الدراسة وفق ما يخدم أهدافها هو:**

"إن الثقافة هي مجموع القيم المعرفية والروحية والأخلاقية والسلوكية المتفاعلة مع العالم المادي و العالم ما وراء المادي للإنسان، والتي تهدف إلى الترقى الإنساني في بعده الفردي والاجتماعي بما يؤهله لبناء حضارة".

أما العناصر التي تتكون منها ظاهرة الثقافة، فهي كما يلي:

- عالم الأشخاص.
- عالم الأفكار.
- عالم الأشياء.
- عالم العناصر والظواهر الطبيعية.

---

**118-** جفافة نور الدين، الأبعاد الإعلامية و الاجتماعية للجمعة، رسالة ماجستير مخطوطة 1999، جامعة الامير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسم الدعوة و الاعلام، ص 143.

أما العناصر التي تتكوّن منها ظاهرة الثقافة،<sup>119</sup> فنظرا لكثرتها و شدة تشابكها و تمازجها فإننا نبرزها مصنفة ضمن أربع مجالات (عوالم) و هي:<sup>120</sup>

### المجال الأول: عالم الأشخاص.

إنّ الوحدة الأساسية لهذا العالم هي الإنسان، و يعتبر هذا العالم المحور المركزي الذي تدور عليه جميع عناصر الثقافة مهما اختلفت مجالاتها، و ذلك أنّ ظاهرة الثقافة نتاج اجتماعي إنساني<sup>121</sup>، فلا وجود لها دون مجتمع إنساني، كما أنه لا وجود له من دونها، فهما ظاهرتان متماسكتان أشدّ التماسك كأنهما سطحا ورقة في تلاصقهما، فإذا محونا من أيّ مجتمع ثقافته فإننا نكون قد سلخنا عنه بشريته<sup>122</sup>.

و يندرج تحت هذا العالم عناصر كثيرة جدًا لا يتسع المقام لتفصيلها. لهذا فإننا نقتصر على أهمّها، و هي الإنسان فردا بما فطر عليه من طاقات روحية و عقلية و نفسية و جسمية؛ و الإنسان في جماعة (شخصا) بما أنشأ من علاقات اجتماعية و ما اكتسب من صفات اجتماعية .

### المجال الثاني : عالم الأفكار .

إنّ الوحدة الأساسية لهذا العالم هي الفكرة سواء كان مصدرها وحي السماء و ميراث الأنبياء، أو كان أرضيا وضعيا من نتاج العقل الإنساني، و أهمّ العناصر الثقافية التي يتضمّنّها هذا المجال هي: العقائد و الأفكار و المعارف و العلوم و العادات و التقاليد و الأخلاق و الفنون الأدبية و القيم و الاتجاهات و ما كان على شاكلتها<sup>123</sup>.

119 - محمد بن عبد الكريم الجزائري، الثقافة و مآسي رجالها، الطبعة (د) ( الجزائر : شركة الشهاب، سنة الطبع (د) ص 25 .

120 - بن نبي ، مشكلة الثقافة ، ص 62 .

121 - سامية الساعاتي ، الثقافة و الشخصية ، ص 73 .

122 - هذا التشبيه لـ ( كروبير-Kroeber ) ، انظر المرجع السابق ، ص 73 .

123 - محمد بن عبد الكريم الجزائري، الثقافة و مآسي رجالها، م س، ص 26 .

### المجال الثالث: عالم الأشياء.

يمتثل الشيء المادّي أو المصنوع أو الناتج المادّي الحضاريّ الوحدة الأساسية لهذا المجال، سواء كان بسيطاً أم معقّداً، و سواء كان قديماً أم حديثاً، و من هذا المنطلق فإنّ هذا العالم يشمل كلّ العناصر التي أنتجها الإنسان و كان لها وجوداً مادّياً من الإبرة إلى الصّاروخ<sup>124</sup>.

### المجال الرابع: عالم العناصر و الظواهر الطبيعيّة.

إنّ الوحدة الأساسية لهذا العالم هو الشيء الموجود في الكون من غير أن يكون للإنسان فيه أثر صناعيّ، و ينزوي تحت هذا المجال، ما لا حصر له من مخلوقات الله تعالى، في الحيوان و النبات و الجماد، و مثل ما في الكون من الألوان و الأصوات و الروائح و الحركات و الأضواء و الظلال<sup>125</sup>.

ملاحظتان:

- 1- إنّ العناصر المكوّنة لظاهرة الثقافة ليست محصورة في المجالات أو العوالم الأربعة فقط، بل هناك مجالان آخران يحويان الكثير من العناصر و هما:<sup>126</sup>  
مجال العلاقات بين عناصر كلّ عالم .  
مجال العلاقات بين العوالم الأربعة .
- 2- إنّ المحور الأساسيّ لكلّ هذه العوالم بما تحويه من عناصر، هو الإنسان.

124- مشكلة الثقافة ، ص 66 .

125- ن م ، ص 56 .

126- ن م ، ص 64 .

# المبحث الثالث

## مفهوم الحرب الحضارية أو الثقافية

المطلب الأول: تاريخ المصطلح

و الظروف العامة لانبثاقه

المطلب الثاني: الأطروحات ذات العلاقة

بأطروحة الحرب الحضارية

المطلب الثالث: بناء و استخلاص مفهوم الحرب

الثقافية والحضارية

## المطلب الأول: تاريخ المصطلح و الظروف العامة لانبثاقه

للظروف التاريخية التي تنبثق فيها المفاهيم والأطروحات الفكرية أهمية كبيرة في فهمها وتحليلها ونقدها، وتتبع مسارها واستشراف مستقبلها. وهنا تكمن ضرورة ربط أطروحة الحرب الحضارية أو الحرب الثقافية كما يطلق عليها الألمان، بالظروف التي انبثقت منها، لنتمكن من معرفة معانيها وأبعادها، وكذا الإدراك العميق لخلفياتها ودوافعها ومحركاتها، و الوقوف عند المفاهيم والأطروحات الموافقة أو المخالفة لها.

و في رصدنا لتاريخ أطروحة الحرب الحضارية، سنقتصر المحاولة على أهم المحطات التاريخية الحاسمة في العصر الحديث، وعلى أهم المصطلحات التي لها ارتباط وتأثير فعال في بلورة وإنتاج هذه الأطروحة، على اعتبار أن الحرب الحضارية كأطروحة و ما يرتبط بها من برديغمت العلاقات الدولية مثل نهاية التاريخ و نحن و الآخرون و صدام الحضارات و الأناركية، جُلها قد تبلور في العصر الحديث<sup>127</sup>.

### المرحلة الأولى: من نهاية الحرب العالمية الأولى 1919م إلى نهاية الحرب العالمية الثانية 1945م.

من المعلوم أن هذه الفترة كانت تتميز بالصراع الشديد بين الأمم الأوروبية فيما بينها، من جهة على تركة الخلافة الإسلامية أو الرجل المريض، ومن جهة ثانية بين أوروبا الاستعمارية كأمة واحدة و حضارة واحدة هي الحضارة الغربية، والأمم التي استعمرتها في أطراف الأرض، و بخاصة الأمة الإسلامية التي كانت ممثلة بالدولة العثمانية. فقد كان الصراع على أوجه بين الإمبراطوريات الاستعمارية العتيقة كإنكلترا و فرنسا، و الإمبراطوريات و الفواعل الناشئة كدول استعمارية مثل ألمانيا و إيطاليا.

و قد احتدم الصراع و اشتد مع نهاية الحرب العالمية الأولى، و بخاصة عقب اتفاقية سيكس بيكو في 1916م، و وعد بلفور في 1917م و مؤتمر سان ريمو عام 1920م؛ تلك المؤتمرات و الاتفاقيات التي تجلت فيها نزعة التمركز و التمحوّر حول الذات، و

127 - جفافة نورالدين، الحرب الحضارية(الثقافية)- محاولة لرصد تاريخ المصطلح و الظروف العامة لانبثاقه، مجلة المعيار، العدد 37، ديسمبر 2014، كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة الجزائر.



تمظهرت بمظهرين اثنين، الأول تمركز حضاري عام وهو نحن ( الغرب) في مقابل الآخر (الشرق/العثماني/الإسلامي)، و الثاني تمركز قُطري خاص و هو نحن (الألمان/ الانجليز/ الفرنسيون... في مقابل بعضهم بعضا). و قد استند كل من التمركز الحضاري و القطري على ركائز تمثلت في التمركز العرقي (أوربي مقابل عثماني/عربي/فارسي، أو ألماني مقابل فرنسي) و التمركز الديني (مسيحي مقابل مسلم أو كاثوليكي مقابل بروتستانت و أرثوذكسي) و التمركز الثقافي (مثل التمركز الديني في التقسيم)<sup>128</sup>.

و بحلول عام 1939م لم يكن ذلك الصراع الغربي البارد الذي تجلى في عالم الفكر و الفلسفة و الثقافة ليستمر على نفس النهج و المنوال، فانفجر كالبركان في حرب عالمية طاحنة أهلكت الحرث و النسل و أفسدت الأرض، لكن و على الرغم من ذلك لم تخبُ نار الحرب الثقافية بين أمم أوروبا، بل كانت هي وقود الحرب الساخنة، التي كانت كلما ذوت جذوتها كان الصراع الفكري يمددها بالوقود. و قد تجسد ذلك في الحروب النفسية و الإعلامية و حروب الدعاية بين المعسكرين الغربيين.

و قد كان أول ظهور لمصطلح الحرب الحضارية أو الثقافية بحسب ما أفضى إليه جهد الباحث، على يد الألمان في أيام الاشتراكية الوطنية، المعروفة باسم النازية. و كان الألمان من الأوائل الذين شعروا بأهمية الصراع الثقافي أو الحضاري في العصر الحديث، و أدخلوا هذا الصراع في مناهجهم السياسية، بناء على خطط واعية مرسومة. و قد سموا هذا الصراع باسم " Kultur Kampf"، أي الصراع الثقافي أو الصراع الحضاري، وقد ألف في هذا الموضوع باحثون متخصصون على ما ذكره الدكتور حسين مؤنس<sup>129</sup>.

و "خلال الحرب العالمية الثانية صدر كتاب في ألمانيا استدعى الانتباه حينئذ، وأثار بعض الهواجس لدى المهتمين بالعلاقات الدولية و الدراسات الحضارية، وهو كتاب

---

128- بلخيرة محمد، برديغيات العلاقات الدولية المعاصرة: المركزية الغربية نموذجاً. مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية و الإنسانية العدد 10، جوان 2013م، ص 81،80.

129- حسين مؤنس، الحضارة: دراسة في أصول و عوامل قيامها و تطورها، م س، ص 52. نقلا عن Dawson. CH : The Dynamics of Word History. London, 1975.

"الإسلام قوة الغد العالمية" لمؤلفه باول شمتز<sup>130</sup>. وقد استقبلته الأوساط العربية و الإسلامية باعتزاز، مبشرة به، لما يتضمنه من شهادة لكاتب غربي يؤكد فيها دينامية الإسلام وتقدمه في المستقبل، مع أن الكاتب في الأصل كان يريد أن يلفت أنظار أوروبا المتطاحنة و المفككة آنذاك إلى الإسلام كقوة عالمية متصاعدة، من خارج حضارة الغرب، لما يتصف به الإسلام من قوة حددها الكاتب في أربعة عناصر أساسية هي:

1- الموقع الجغرافي الاستراتيجي الذي يتحكم في طرق التجارة العالمية و الاتصال بين القارات.

2- الزيادة السكانية وخصوبتها في هذه المجتمعات.

3- الثروات الطبيعية و الزراعية.

4- الطاقة الروحية و المعنوية التي يمتلكها الإسلام كوحدة فكرية لهذه الأمم.

و ختم المؤلف كتابه في الأسطر الأخيرة منه، بكلام ينذر بالصدام، إذ يقول أن انتفاضة العالم الإسلامي صوت نذير لأوروبا ، وهتاف يجوب آفاقها ، يدعو إلى التجمع و التساند الأوروبي، لمواجهة هذا العملاق الذي بدأ يصحو و ينفض النوم عن عينيه ، ثم يعقب الكاتب: "هل يسمعه أحد ؟ ألا من مجيب؟"<sup>131</sup>.

**المرحلة الثانية: من نهاية الحرب العالمية الثانية 1945 إلى تفكك الاتحاد السوفيتي 1989م.**

اتفقت كلمة أغلب الدارسين أن هذه الفترة هي فترة الحرب الباردة، و على الرغم أن هذا المصطلح وضع لوصف حالة الصراع السياسي و التوتر العسكري، بين المنتصرين في الحرب العالمية الثانية و هما قطبا الحرب الولايات المتحدة الأمريكية و الاتحاد السوفيتي، إلا أن المتأمل في طبيعة هذا الصراع يجده صراعا ثقافيا و لكن داخل منظومة حضارية واحدة هي المنظومة الغربية أو كما يسميها المفكر الجزائري مالك بن نبي (رحمه الله) محور موسكو - واشنطن.

**130-** باول شمتز Paul Schmitz (1903- 1948) كاتب و صحافي ألماني متخصص في شؤون الشرق الأوسط، بالإضافة إلى كتاب الإسلام قوة الغد العالمية له كتب مثل: تكوين العالم العربي، فرنسا في الشمال الإفريقي، موسكو و العام الإسلامي، الثورة العربية، و غيرها. انظر: [http://de.wikipedia.org/wiki/Paul\\_August\\_Schmitz](http://de.wikipedia.org/wiki/Paul_August_Schmitz)

**131-** انظر: باول شمتز، الإسلام قوة الغد العالمية. ترجمة د. محمد شامة. الطبعة الأولى. (القاهرة: مكتبة وهبة، 1971 م) ص 324.

و لقد كان أخطر ما في هذه الحرب التي سميت زورا بالحرب الباردة أنها كانت  
ساخنة على بقية شعوب العالم، و كانت محل صراع ثقافي و حضاري بين المتنافسين في  
محور موسكو - واشنطن على إيادة بقية ثقافات و حضارات العالم، و ذلك بسعي كل  
طرف لاستقطاب بقية الشعوب و المجتمعات إلى أيديولوجيته. و قد برز هذا الصراع في  
كتابات كثير من المفكرين في هذه الفترة و من مختلف الحضارات.

ففي المجال الحضاري الغربي، "في عام 1947 ألقى أرنولد توينبي<sup>132</sup> محاضرة بعنوان  
الصراع بين الحضارات، وقد أعيد نشرها في مجلة (هاربر) لعدد إبريل 1947، ثم تم  
تضمينها في كتابه الموسوم بـ الحضارة في الميزان ( CIVILIZATION ON  
TRIAL)، و قد اعتبر الدارسون هذه المحاضرة نصاً ثميناً مرجعياً في الوقت الحالي.  
فعلى الرغم من أفكارها البسيطة، فقد بنى عليها هنتغتون نصه في المقال الذي نشر في  
مجلة FOREIGN AFFAIRS وأحدث ردوداً لم تنته بعد، وأعاد صياغتها في كتابه الذي  
أصدره لاحقاً THE CLASH OF CIVILIZATIONS، والذي أخذ أبعاداً عالمية  
وتحول إلى ظاهرة<sup>133</sup>، و الذي يأتي ذكره في المرحلة الموالية.

وبالعودة إلى الأفكار الرئيسية التي قدمها توينبي في محاضراته الرائدة في مجال  
العلاقة بين الحضارات و المجتمعات و الأمم ، نجد أنه اعتبر أن الحادثة الكبرى والأهم  
في القرن العشرين، والتي سيقف عندها المؤرخون كثيراً في القرون القادمة هي حادثة  
اصطدام الحضارة الغربية بسائر المجتمعات الأخرى القائمة في العالم ، و هو ما تعيشه  
الإنسانية بالفعل، و لكن كإستراتيجية غربية و ليس كحتمية طبيعية.

---

**132-** ارنولد جوزيف توينبي **Toynbee Arnold Joseph (1889 - 1975)** مؤرخ بريطاني. يُعتبر أحدث وأهم  
مؤرخ بحث في مسألة الحضارات بشكل مفصل وشامل، ولاسيما في موسوعته التاريخية المعنونة "دراسة للتاريخ" التي  
تتألف من 12 مجلداً أنفق في تأليفها 41 عاماً. وهو يرى، خلافاً لمعظم المؤرخين الذين يعتبرون الأمم أو الدول القومية  
مجالاً لدراسة التاريخ، أن الحضارات الأكثر اتساعاً زماناً ومكاناً هي المجالات المعقولة للدراسة التاريخية. وهو يفرق  
بين المجتمعات البدائية والحضارية؛ وهذه الأخيرة أقل عدداً من الأولى، فهي تبلغ واحداً وعشرين مجتمعاً اندثر معظمها،  
ولم يبق غير سبع حضارات تمرّت منها بدور الانحلال، وهي: الحضارة الأرثوذكسية المسيحية البيزنطية،  
والأرثوذكسية الروسية، والإسلامية، والهندوكية، والصينية، والكورية-اليابانية؛ أمّا السابعة، أي الحضارة الغربية، فلا  
يُعرف مصيرها حتى الآن. ويُفسر توينبي نشوء الحضارات الأولى، أو كما يُسميها الحضارات المنقطعة، من خلال  
نظريته الشهيرة الخاصة بـ"التحدّي والاستجابة"، التي يعترف بأنه استلهمها من علم النفس السلوكي. انظر موقع :

البحوث/توينبي-أرنولد-جوزيف/ar/http://www.arab-ency.com/

**133-** غازي دحمان: صراع الحضارات في سجله وتجلياته. http://www.islamweb.net 2003/03/15

وتتبع أهمية هذا الحدث في رأي توينبي من أنه الخطوة الأولى نحو توحيد العالم في مجتمع واحد، وذلك عن طريق تحطيم التراث الاجتماعي الإقليمي للحضارات الأخرى عند اصطدامها بالتراث الاجتماعي الغربي، وإن نوعية وفرادة هذا التوحد الاجتماعي للعالم لا تكمن أو تتمثل في ميدان الفنون الصناعية والاقتصادية، ولا في ميدان الحرب والسياسة، وإنما تتمثل في ميدان الدين.

ويتابع أن الديانات الأربع الكبرى ذات الرسالة العالمية التي تقوم اليوم في العالم: المسيحية، الإسلام، والهندوسية، والبوذية الماهايانية التي تسود في الشرق الأقصى، هي من الناحية التاريخية ثمرة الصراع الذي دار بين الحضارة اليونانية – الرومانية ونظيراتها المعاصرة.

إذاً ينظر توينبي إلى تاريخ الحضارات على أنه صراع بين الحضارات، وأن هذه الحضارات إنما تقوم على الدين ك معتقد رئيسي ومرجع أساسي في قيام الحضارة<sup>134</sup>.

و في المجال الحضاري الإسلامي تجدر الإشارة إلى أن المفكر الجزائري مالك بن نبي (رحمه الله)، كان في هذه المرحلة من التاريخ من المفكرين المسلمين الأوائل الذين بحثوا في مسألة التدافع والصراع بين الحضارات، وقد أدرج جميع مؤلفاته تحت شعار "مشكلات الحضارة"، وفيها عالج مسألة الصراع بين الحضارات، وبخاصة بين الحضارة الغربية في شكلها الاستعماري والعالم الإسلامي، وقد اختار مصطلح (الصراع الفكري في البلاد المستعمرة) ليبين و يبرر من خلاله الأسلوب الذي يدير به الاستعمار صراعه ضد البلاد المستعمرة، وبخاصة ضد العالم الإسلامي<sup>135</sup>.

و قد عالج بن نبي هذه المسألة في جل كتبه بدءاً من شروط النهضة و وجهة العالم الإسلامي، إلى الصراع الفكري في البلاد المستعمرة و مشكلة الثقافة و غيرها.

---

134- غازي دحمان: صراع الحضارات في سجله وتجلياته. م.س.(مرجع اليكتروني غير مرقم بالصفحات)  
135- انظر على سبيل المثال كتابه: الصراع الفكري في البلاد المستعمرة. الطبعة الثالثة(الجزائر ، دمشق : دار الفكر، 1988) ص- ص 63.

و في غمار البحث عن الجذور التاريخية لمصطلح الحرب الحضارية، لا يجب أن نهمل كتابات المستشرق الأمريكي اليهودي الأصل المعروف برنار لويس<sup>136</sup> ( Bernard Lewis) الذي ساهم بقسط وافر في إشاعة فكرة صدام الحضارات، وخاصة ضد الإسلام. ففي شهر أوت سنة 1957م، عقب أزمة قناة السويس، ابتدع عبارة "صدام الحضارات" في ملتقى حول التوترات في الشرق الأوسط بجامعة جون هوبكينز ( Johns-Hopkins ) بواشنطن .

و بحسب رأيه فإن الاستياء الحالي لشعوب الشرق الأوسط، يُدرك أفضل حينما ندرك بأنه ليس نتيجة لنزاع بين الدول و الأمم، و لكن نتيجة للصدام بين حضارتين<sup>137</sup> .

و بالعودة إلى المجال الحضاري الإسلامي وتحديدًا بعد هزيمة 1967 نشأ في العالم العربي نوع من الكتابات في النقد الذاتي ركز على البعد الحضاري في المواجهة بين العرب وإسرائيل، واعتبرت الهزيمة ليست مجرد هزيمة عسكرية وسياسية، بل هي في المقام الأول هزيمة حضارية<sup>138</sup>، و من هنا يمكن القول أن الهزيمة الحضارية لا تكون إلا نتيجة لحرب حضارية أو صراع حضاري، ويقابل الهزيمة الحضارية النصر الحضاري الذي يتحقق بالمقاومة الحضارية أو المواجهة الحضارية.

---

**136** - مستشرق و مؤرخ يهودي له ثلاث جنسيات إنجليزي و أمريكي و إسرائيلي ولد في لندن عام 1916م . يتكلم ثمان لغات منها العربية و الفارسية و التركية له العشرات من الكتب و الدراسات حول الإسلام و كلها طعن فيه و تحريض ضده. اتسمت آراؤه بالسلبية تجاه العرب و المسلمين، حيث عزي تأخرهم عن أوروبا لأسباب ثقافية و دينية. كما رأى بأن العالم الإسلامي في حالة صراع مستمرة مع المسيحية و إن فترات السلم ليست إلا استعداد لفترات حرب قادمة. انظر:

[http://www.jewishvirtuallibrary.org/jsource/biography/bernard\\_lewis.html](http://www.jewishvirtuallibrary.org/jsource/biography/bernard_lewis.html)

**137** - « Bernard Lewis : *l'orient et moi* » [archive], Le Point, 17 janvier 2007. <http://www.lepoint.fr/actualites-chroniques/2007-01-17/bernard-lewis-l-orient-et-moi/989/0/17832>

**138** - السيد ياسين، قضية التحدي الحضاري بين العرب وإسرائيل، مجلة فكر ونقد، انظر موقع د عابد الجابري. [http://www.aljabriabed.net/n04\\_02yassine.htm](http://www.aljabriabed.net/n04_02yassine.htm)

و بالانتقال إلى أوروبا و بالتحديد إلى فرنسا، نجد أنه في أواخر السبعينيات كان الفيلسوف الفرنسي روجي (رجاء) غارودي<sup>139</sup> (Roger Garaudy) قد دعا إلى الحوار بين الحضارات لتحقيق السلام العالمي بدل الصراع، و اعتبر أن فكرة حوار الحضارات تحارب التوقع حول الأنا الضيقة، و تركز اهتمامها على الحقيقة الفعلية للأنا، باعتبارها قبل كل شيء علاقة مع الآخر وعلاقة مع الكل<sup>140</sup>.

و إذا كانت نظرية حوار الحضارات تنتمي إلى النزعة الإنسانية والأخلاقية التي ترفض النظر للبشر من خلال معايير اللون أو العرق أو اللغة واللسان أو الثروة... فإن وجودها بذاته يدل على وجود ما يناقضها في الواقع الدولي، ألا وهو صدام الحضارات وصراعها الذي يدعو غارودي إلى نبذه<sup>141</sup>.

و عودا للعالم الإسلامي، نجد المفكر المستقبلي المغربي المهدي المنجرة<sup>142</sup> من أوائل من تنبهوا إلى الدور المركزي للهوية الثقافية في تحديد طبيعة ومصادر الصراعات الدولية المقبلة، ففي عام (1979) تم نشر تقرير "نادي روما" الذي شارك في إعداده، وذلك تحت عنوان "من المهد إلى اللحد"، حيث أعلن التقرير أن :

" الهوية الثقافية تشكل مصدرا متناميا للنزاعات الاجتماعية والدولية، فهي تشكل على المستويين الوطني والدولي، واحدة من أهم الحاجات النفسية غير المادية، ويمكن أن تكون

---

139 - فيلسوف و كاتب فرنسي(1913-2012). اعتنق الإسلام عام 1982م و أخذ اسم رجاء جارودي. ولد في فرنسا، لأم كاثوليكية وأب ملحد. اعتنق البروتستانتية وهو في سن الرابعة عشرة، درس في كل من جامعة مرسيليا وجامعة إيكس أون بروفانس وانضم إلى صفوف الحزب الشيوعي الفرنسي، وفي عام 1937 عين أستاذا للفلسفة في مدرسة الليسيه من ألبى. في عام 1998 حكمت محكمة فرنسية على جارودي بتهمة التشكيك في محرقة اليهود في كتابه الأساطير المؤسسة لدولة إسرائيل، حيث شكك في الأرقام الشائعة حول إبادة يهود أوروبا في غرف الغاز على أيدي النازيين. وقد نال جارودي جائزة الملك فيصل العالمية سنة 1985 عن خدمة الإسلام وذلك عن كتابيه (ما يعد به الإسلام) و (الإسلام يسكن مستقبلنا) و لدفاعه عن القضية الفلسطينية . له عشرات الكتب منها بعد اسلامه وعود الإسلام /الإسلام دين المستقبل /المسجد مرآة الإسلام /الإسلام وأزمة الغرب /حوار الحضارات /كيف أصبح الإنسان إنسانيا /مستقبل المرأة وغيرها /المسجد مرآة الإسلام /فلسطين مهد الرسالات السماوية /الولايات المتحدة طبيعة التدهور 1997 "الإرهاب الغربي 2004 . انظر:

[http://www.jesuismort.com/biographie\\_celebrite\\_chercher/biographie-roger\\_garaudy-10369.php](http://www.jesuismort.com/biographie_celebrite_chercher/biographie-roger_garaudy-10369.php)

140 - انظر كتابه: في سبيل حوار حضارات. الطبعة الرابعة. تعريب عادل العوا، (لبنان بيروت: دار عويدات للنشر و الطباعة، 1999). ص216.

141 - زكي الميلاد و آخرون، تعارف الحضارات، الطبعة الأولى(بيروت: دار الفكر المعاصر، 2006)، ص 35.

142 - الدكتور المهدي المنجرة ( 1933 - 2014) مفكر مغربي تلقى دراسته الجامعية بالولايات المتحدة وبريطانيا . كتب في مختلف مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية، أكثر من 600 مقال و عدة مؤلفات، و بخاصة في الدراسات المستقبلية. انظر: المهدي-المنجرة-سيرة-ذاتية-1214596/06/13/2014/06/13/1214596-<http://www.menara.ma/ar/>

مصدرا من مصادر الصراع المتزايد في داخل المجتمعات، وبين مجتمع وآخر، فنحن نواجه صراعا جديا في مجال القيم... و يوجد نوع من التحمل، ولكن يوجد تقبل صاف أو ترحيب مخلص بقيم الجنوب، ذلك لأنه لا يوجد جهد جاد لمحاولة فهمه<sup>143</sup>.

وفي مقابلة مع صحيفة لوموند ( Le Monde ) الفرنسية سنة 1979 تحدث عالم الاجتماع أنور عبد المالك<sup>144</sup> عن جدلية الحضارات وهشاشة النموذج الحضاري البروميثي<sup>145</sup> للمجتمعات البورجوازية الغربية، حيث أوضح أن الغرب قد وصل إلى الحد الأقصى فيما يخص مشروعه لتحويل الإنسان إلى سيد الطبيعة والذي يقترح إنتاجا غير محدود، موجه لاستهلاك يتوخى المتعة واللذة كغاية نهائية " وفي الوقت الذي نشهد فيه بحثا جادا عن القيم والمثل، فإن سماء الغرب تبدو جرداء... إن الجدلية غير التصارعية بين الحضارات يمكن أن تؤدي إلى التكامل والثراء المتبادل وكثيرا من الأمن الجماعي"<sup>146</sup>.

و إمعانا في التأكيد على تداولية موضوع صراع الحضارات لدى مختلف الأمم نذهب بعيدا إلى اليابان فنجد أنه في سنة 1988 صدر تقرير عن المعهد الياباني لتطوير الأبحاث نيرا (NIRA) بعنوان: "مذكرة يابان التسعينيات" وجاء في مقدمته ما يلي:

" لم يعد ملائما النظر إلى العالم من زاوية القطبية العسكرية، أي السلام الروسي الأمريكي، بل أصبح من الضروري رؤية العالم بشكل مخالف والتخلي عن رؤية النظام العالمي، الذي طالما تم الدفاع عنه وتأسيسه على ترسبات بأوامر من الأمريكيين، ويمكن

---

**143-** المهدي المنجرة، حوار التواصل، مجلة عالم التربية، عدد 1، 2007، ص46 .

**144-** أنور إسكندر عبد الملك (1924- 2012) كاتب صحفي ومفكر يساري مصري . حصل على الدكتوراه في علم الاجتماع ودكتوراه الدولة في الآداب من جامعة السوربون بفرنسا. من أعماله: المجتمع المصري والجيش وترجم تحت عنوان مصر... مجتمع بينيه العسكريون و الفكر العربي في معركة النهضة و لإبداع والمشروع الحضاري و غيرها. انظر: أنور\_عبد المالك/ <http://www.marefa.org/index.php>

**145-** نسبة إلى بروميثوس (Prométhée) الذي حسب الأسطورة اليونانية قام بسرقة النار رمز المعرفة من السماء و حملها للإنسان، و عاقبه زيوس بتقييده في جبل، حيث تأكل النسور كبده التي تتوالد باستمرار و سيقوم هيراقليس بتحريره، و بروميثوس مع فاوست و فرنكنستاين هم رموز للعلم و المعرفة حين تتجاوز كل الحدود من دون اعتبار للشرط الإنساني و بشكل لا يخدم الإنسانية. انظر:

[http://www.arab-](http://www.arab-ency.com/index.php?module=pnEncyclopedia&func=display_term&id=15641&m=1)

**146-** محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة و ثقافة السلام . الطبعة الأولى (لبنان: بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2006)، ص83.

تسميته النظام العالمي الجديد عصر الحضارات المختلفة القائم على انبثاق عصر تعايش حضارات متعددة<sup>147</sup>.

و المتأمل في مقدمة هذه المذكرة، يلحظ بكل وضوح و دون عناء، الدعوة إلى التعايش بين الحضارات، و هاهنا يمكن القول، إن كل هذا الزخم الفكري و الثقافي المتنوع بين الحضارة الغربية و الحضارة الإسلامية و اليابانية، و المتعدد من حيث البعد الديني بين اليهودية و المسيحية و الإسلام و البوذية و الشنتوية(اليابان) ، ليدل دلالة قاطعة على حضور الصراع الحضاري بقوة في واقع المجتمع العالمي، و على تجسده في العلاقات الدولية، قبل أن يكون أفكارا مجردة في أذهان المفكرين و الفلاسفة، أو كلمات مسطرة في أوراقهم و كتبهم.

### المرحلة الثالثة: من سنة 1989 م إلى أحداث 11 سبتمبر 2001 م

لقد كان يوم 09 نوفمبر 1989 اليوم الذي سقط فيه جدار برلين يوما تاريخيا، ليس فقط بالنسبة لألمانيا الذي توحدت فيه من جديد، و لا حتى لأوروبا بأسرها الذي التأم فيه شملها، بل كان تاريخيا لكل الغرب على محور موسكو- واشنطن؛ فهو يوم تصالح الغرب فيه مع ذاته و أنهى حقبة الحرب الباردة، و هو تاريخ بزغ فيه عصر جديد على الساحة الدولية، فمنه أعلن فرنسيس فوكوياما نهاية التاريخ و انتصار الأيديولوجية الرأسمالية، و راح برنار لويس و تلميذه صموئيل هنتنغتون يعلنان عن انبثاق عصر صدام الحضارات و حرب الثقافات، و عشية ذلك التاريخ بدأ عصر هيمنة القطبية الأحادية ليس فقط على العلاقات الدولية، بل على العلاقات الحضارية، وهو ما كشف عنه المنجرة بعد ذلك في الحرب الحضارية الأولى حينما أعلنت أمريكا الحرب على العراق فيما سمي حرب تحرير الكويت، و ذلك ما سنشير إليه تاليا.

يمكن الحديث عن بواكير الأعمال التنظيرية للحرب الحضارية في هذه المرحلة بالمقالة التي نشرها فرانسيس فوكوياما في عام 1989، في المجلة الأمريكية (المصلحة القومية) The National Interest بعنوان "نهاية التاريخ؟"، ثم حولها إلى كتاب عام 1992

147- محمد سعدي، ن م، ص 83.



تحت عنوان "نهاية التاريخ والإنسان الأخير" طور فيه تحليلاته وفرضياته، وعززها بنسق من الأفكار الفلسفية والسياسية لمنح أطروحته مزيداً من الصدقية والواقعية، وقد أثارت فكرة نهاية التاريخ حوارات و سجالات واسعة في الأوساط الفكرية والأكاديمية العالمية بشكل أثار اندهاش فوكوياما نفسه. وهي بمثابة بيان أول تعلنه الليبرالية،<sup>148</sup> وهي تجدد نفسها وتزعم استئناف مشروعها، وحيدة هذه المرة لا ينازعها أي جبار آخر أيديولوجي أو عسكري أو سياسي<sup>149</sup>.

و يذهب الكثير من الدارسين إلى أن أطروحة نهاية التاريخ الفوكويامية هي من أهم الأطروحات التي أذكت روح الحرب الحضارية، إن في مجال التنظير أو مجال الواقع، و ذلك لكونها تنتمي إلى نظريات الصراع في العلاقات الدولية<sup>150</sup>، و لكونها ذات علاقة وطيدة بمؤسسات ودوائر صناعة القرار في أمريكا، فصاحبها ليس بالمفكر المحايد أو الموضوعي، وإن تجلبب بجلباب الأكاديميين.

فلفترة طويلة اعتُبر واحداً من منظري المحافظين الجدد (Néo-Conservatives)، حيث أسس هو ومجموعة من هؤلاء في عام 1993 مركزاً للبحوث عرف آنذاك بمشروع القرن، وقد دعا هو ورفاقه الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون إلى ضرورة التخلص من نظام الرئيس العراقي الراحل صدام حسين. وقد وقع على خطاب مماثل وجه إلى الرئيس السابق جورج بوش في أعقاب أحداث 2001/09/11.

وقد رأى بعض ناقدَي فوكوياما أن هذا الأخير بأطروحته أراد أن يدعم إعلان رئيسه جورج بوش الأب عن النظام العالمي الجديد بالوثيقة الفكرية التي خيل إليه أنها تؤسس شبكة التنظير القادم لعصر ما بعد نهاية النهاية التاريخ<sup>151</sup>.

---

148 - الليبرالية هي الاسم السياسي الذي اتخذته تيارات الفكر المنفعي الذي طبع الثقافة الأنجلوسكسونية منذ منعطف الحداثة حتى أيام التداولية (البراغماتية) انظر: سهيل عروسي، مأزق الليبرالية: نهاية التاريخ - نموذجاً، في:

<http://www.reefnet.gov.sy/booksproject/fikr/15/5-library.pdf>

149 - فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ والإنسان الأخير. ترجمة فؤاد شاهين و آخرون. الطبعة (د)، (لبنان، بيروت مركز الإنماء القومي، 1993، من مقدمة مطاع صفدي للكتاب، ص 6.

150 - جيمس دورتي، روبرت بالستغراف. النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية ترجمة وليد عبد الحي، الطبعة الأولى (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، 1985)، ص 225.

151 - فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ، م س، ص 17.

و غير بعيد عن زمان أو مكان أو المجال الحضاري لفوكوياما، نجد أنه في سبتمبر 1990 كتب المستشرق برنار لويس مقالة تحت عنوان "جذور السخط الإسلامي" «The Roots of Muslim Rage» وجاء فيها ما يلي:

"ينبغي أن يكون واضحا الآن، أننا نواجه شعورا وحركة يتجاوزان كثيرا مستوى القضايا والسياسات والحكومات التي تجسدها، ولا يقل هذا عن كونه صداما بين الحضارات. و إنه رد فعل غير عقلاني ولكنه مرتبط بخضم قديم لتراثنا اليهودي المسيحي، ولما نحن عليه في الحاضر، و ضد توسعها معا. و من جانبنا، من المهم جدا أن لا نسقط أيضا في رد الفعل غير العقلاني والمتأصل في التاريخ ضد هذا الخصم"<sup>152</sup>.

وقد أثارت هذه المقالة ضجة كبيرة في حينها، ويؤكد لويس فيها وفي غيرها من المقالات والمحاضرات والكتب، بأن كراهية المسلمين للغرب سببها الرئيسي هو رفضهم للقيم الغربية بل و اعتبارها خطرا يهدد قيم الإسلام ونمط حياة المسلمين و يؤكد أن غضب المسلمين من أمريكا خاصة، لأنها وريثة الغرب<sup>153</sup>.

ويزعم لويس أن المسلمين يعيشون تحت وقع عدة إحباطات متتالية، تتجسد في فقدانهم للنفوذ العالمي لصالح الغرب (انهيار الإمبراطورية العثمانية) وفي اكتساح القيم الغربية المتزايدة للعالم الإسلامي<sup>154</sup>. كما و يعتقد أن الصراع العربي الإسرائيلي، صراع حضاري<sup>155</sup>. وفي جل كتاباته يركز لويس على فكرة وجود صدام ثقافي بين الغرب من جهة والعرب والمسلمين من جهة ثانية<sup>156</sup>.

وفي عام 1999 يعود برنارد لويس في مقال له، إلى هذا الموضوع "المثير للجدل في الوقت الراهن" على حد قوله، مفصلا و مدققا: "كل من درس التاريخ يعلم أنه قد وجدت حضارات على هذا الكوكب و ما تزال، و كل الناس أو أغلبهم تقريبا يتفقون على

---

152 - محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية - من صراع الحضارات إلى أسنة الحضارة و ثقافة السلام، م س، ص 85.

153- أحمد يوسف أحمد و آخرون، صناعة الكراهية في العلاقات العربية - الأمريكية. الطبعة الثانية(بيروت:مركز دراسات الوحدة العربية. 2004)، ص 33.

154- محمد سعدي، ن م، ص 85.

155- صحيفة هآريئتس 2001/03/22، والقدس العربي 2001/03/23.

156- محمد سعدي، ن م، ص 85.

الاعتقاد أن بينها اختلافات كبيرة، و تدخل أحيانا في صراع. ولكن القول بأن الحضارات تؤدي إلى سياسة أجنبية، وتسبب الحرب و تبرم السلام، يبدو لي مقولة خاطئة. و هذا ما رأيته من استقراء حالة معينة - الصراع بين الإسلام والمسيحية- والتي ألمحت إليها في وقت سابق"157.

و في العالم الإسلامي يعتبر المنجرة من الأوائل الذين تحدثوا عن صدام الحضارات، بعد الحرب الباردة، وذلك في مقابلة مع المجلة الألمانية دير شبيغل (Deir Spiegel) في 11/02/1991، أثناء حرب الخليج الثانية التي يطلق عليها الحرب الحضارية الأولى. وفي هذه المقابلة اعتبر المنجرة أن هذه الحرب هي حرب ذات منحنى حضاري، يتصارع فيها عالمان مختلفان. وفي السنة نفسها نشر كتابا تحت عنوان "الحرب الحضارية الأولى : مستقبل الماضي وماضي المستقبل" والذي ترجم فيما بعد إلى العديد من اللغات، منها الفرنسية والإنجليزية واليابانية. و بذلك فهو من أوائل من وضعوا مصطلح الحرب الحضارية للدلالة على غزو أمريكا للعالم الإسلامي استنادا إلى البعد الثقافي.

وقد أولى المنجرة القيم الثقافية والتواصل الثقافي أهمية كبيرة كمكونات حيوية في العلاقات الدولية، حيث ركز اهتمامه على التفاعلات الثقافية في مضمونها القيمي، ليستخلص تأثيرها الديناميكي في مجالات التاريخ والاقتصاد والسياسة والشؤون الدولية، وبالنسبة إليه فإن رهان التنوع الثقافي هو مفتاح البقاء مستقبلا<sup>158</sup>.

وفي سنة 1991 ظهرت مقالة ذات أهمية بالغة بمجلة (شؤون دولية) الأمريكية للباحث البريطاني بيري بوزان<sup>159</sup> Barry Buzan و هو من الأوائل الذين طرحوا فكرة

157 - انظر موقع: [http://fr.wikipedia.org/wiki/Bernard\\_Lewis#cite\\_note-18](http://fr.wikipedia.org/wiki/Bernard_Lewis#cite_note-18).

158 - محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أئسنة الحضارة وثقافة السلام، ص 82.

159 - Barry Gordon Buzan (1946) أستاذ العلاقات الدولية في كلية لندن للاقتصاد وأستاذ فخري في جامعة كوبنهاغن وجامعة جيلين. رسم بوزان النظرية الأمنية المعقدة في عام 1983 وطبقها على دراسات في وقت لاحق. من مؤلفاته: \*الناس والدول والخوف: الأمن القومي مشكلة في العلاقات الدولية. \* مقدمة للدراسات الاستراتيجية : التكنولوجيا العسكرية والعلاقات الدولية (1987). \* إعادة صياغة النظام الأمني الأوروبي : \*سيناريوهات لحقبة ما بعد الحرب الباردة (1990) \*منطق الفوضى :من الواقعة الجديدة إلى الواقعة الإنشائية (1993) \* الأسلحة الحيوية في عالم السياسة الدولية (1998) مع اريك الرنغة \* النظم الدولية في تاريخ العالم : إعادة تشكيل لدراسة العلاقات الدولية ( 2000) مع ريتشارد ليتل- المناطق والدول : بنية الأمن الدولي ( 2003) - من المجتمع الدولي إلى العالم : نظرية مدرسة اللغة الإنجليزية والهيكل الاجتماعي للعولمة (2004)- الولايات المتحدة والقوى العظمى : السياسة العالمية في القرن 21 (2004) انظر: [http://web.jhu.edu/cognitiveneurology/template\\_assets/images/People/CV/Gordon\\_Barry\\_CV\\_20131021\\_UnderRevision.pdf](http://web.jhu.edu/cognitiveneurology/template_assets/images/People/CV/Gordon_Barry_CV_20131021_UnderRevision.pdf)

الصدام "الحضاري" مع الإسلام في هذه المرحلة ، وذلك في مقال نشره بعنوان " السياسة الواقعية في العالم الجديد: أنماط جديدة للأمن العولمي في القرن الواحد والعشرين" ،<sup>160</sup> ويعرف بيرري بمقالته قائلاً: " هذه مقالة نظرية وهي تحاول أن ترسم الخطوط العامة للنمط الجديد لعلاقات الأمن العالمي التي بدأت تتشكل بعد التحولات الكبرى التي طرأت في عام 1989 و عام 1990 وفي أزمة الخليج، وهي الأزمة الأولى في فترة ما بعد الحرب الباردة، وتحاول المقالة أن تحدد النتائج المحتملة للتغيير الذي حصل في ما كان يسمى علاقات الشرق والغرب وتأثيرها في ظروف الأمن وفي جدول أعمال ما كان يسمى بالعالم الثالث"<sup>161</sup>.

وفي هذه المقالة يقسم بيرري العالم إلى مراكز وأطراف<sup>162</sup> ، ويولي أهمية بالغة لما يسميه بالأمن الاجتماعي في العلاقة بين المراكز والأطراف، ويتعلق الأمر بالأخطار ونقاط الضعف التي تؤثر في أنماط هوية المجتمعات وثقافتها، حيث يعتبر الهجرة والتصادم بين الهويات الحضارية المتنافسة قضيتين حاسمتين في تحديد مستقبل التطورات الدولية وفي هذا يقول: " إذا اجتمع خطر الهجرة وخطر تصادم الثقافات، أصبح من السهل وضع تصور لنوع من الحرب الباردة الاجتماعية بين المركز و جزء من الأطراف على الأقل، ولاسيما بين الغرب والإسلام..."<sup>163</sup> إذن فهو يؤكد على وجود بوادر ما عبر عنه بالحرب الباردة الحضارية بين الغرب والإسلام، وهذه الحرب ستعوض الحرب الباردة بين الشرق والغرب، وستساهم في تعزيز وتقوية الهوية الغربية، وهذه الحرب هي ناتجة حسب الكاتب عن الجوار الجغرافي، والتعارض بين القيم الدينية والعلمانية، والتنافس التاريخي بين المسيحية والإسلام، وعدم قبول المسلمين قوة الغرب<sup>164</sup>.

---

160 - نشر في: New Word realpolitik :New patterns of global Security in the twenty first Century. (International Affaires. Vol 67. No 3. July 1991).

161 - محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر: العولمة - صراع الحضارات - العودة إلى الأخلاق - التسامح - الديمقراطية و نظام القيم - الفلسفة و المدينة، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1997) ص-ص 87-91.

162 - المركز لدى بوزان هو تلك الكتلة من الدول ذات الاقتصادات الرأسمالية المسيطرة على العالم، أما الأطراف فهي مجموع الدول الضعيفة اقتصاديا و سياسيا و المرتبطة بالمراكز. انظر بلخيرة محمد، برديغيات العلاقات الدولية المعاصرة: المركزية الغربية نموذجا. م س، ص 80.

163 - محمد عابد الجابري، م س، ص 90، 91.

164 - محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة و ثقافة السلام م س، ص 85.

وهكذا فبعد أن فرغ الكاتب من تحديد أهم سمات النظام "الأمني" الذي ساد في القرن العشرين خلص إلى أن الصدام "الحضاري" سيكون في نظره، في القرن الحادي والعشرين، "أوضح ما يكون بين الغرب والإسلام"، مبررا ذلك بجملته عوامل : عوامل ثقافية ترجع إلى "وجود تعارض بين القيم العلمانية السائدة في الغرب وبين القيم الإسلامية، ووجود تنافس تاريخي بين المسيحية والإسلام" الخ، وعوامل نفسية مثل "غيرة المسلمين من قوة الغرب"، إضافة إلى عامل جغرافي يتمثل في الجوار وما ينتج عنه من احتكاك واتصال، خصوصا "الهجرة إلى الشمال" في العصر الحاضر... ويأتي صمويل هنتنغتون ليتبنى نفس الأطروحة و يواصل تطوير المشروع الذي بدأه أستاذه اليهودي برنار لويس<sup>165</sup>.

ففي سنة 1993، نشر هنتنغتون مقالته عن صدام الحضارات في المجلة الفصلية الأمريكية الشهيرة " شؤون خارجية". ثم طورها و حولها إلى كتاب صدر عام 1996، حيث قام بتوضيح وتطوير فرضياته وأفكاره، وتدعيمها بمجموعة من المعطيات الجديدة. وقد أثارت أطروحته جدلا كبيرا على المستوى الفلسفي والديني والسياسي، واستقطبت اهتماما متميزا عند الباحثين من خلال مجموعة من الحوارات والندوات والملتقيات.

وبحكم وظيفة هنتنغتون ومسؤوليته على قسم التحليل والاستشراف بمجلس الأمن القومي الأمريكي، واعتياده على تقديم تقارير ودراسات واستشارات إلى الدوائر الرسمية والإستراتيجية في الولايات المتحدة، فإن الدراسة التي كانت نتاج لمشروع معهد أولين (OLIN)<sup>166</sup> حول بيئة الأمن المتغيرة والمصالح الوطنية الأمريكية، جاءت في إطار بناء رؤية مستقبلية للسياسات العالمية لما بعد الحرب الباردة. وهي تعكس بوضوح بعض الاتجاهات داخل دوائر التفكير الإستراتيجي في الولايات المتحدة والغرب بصفة عامة في المرحلة الآتية، والتي اعتبرت أن هذه الأطروحة هي أول محاولة جدية لملء الفراغ النظري الذي يفلسف سياسة ما بعد الحرب الباردة ويقدم إطارا عقائديا لها.

165 - محمد عابد الجابري، الحرب سرطان الحضارة الغربية، في موقعه الخاص:

[http://www.aljabriabed.net/cancerguerre\\_occid.htm](http://www.aljabriabed.net/cancerguerre_occid.htm)

166 - أولين هي مؤسسة للدراسات الإستراتيجية في شؤون الأمن القومي الأمريكي. أنشئت أساسا لتقديم المنح الأمريكية في عام 1953 من قبل جون م أولين، رئيس أولين للصناعات الكيماوية والذخائر. انظر:

[http://www.sourcewatch.org/index.php/John\\_M.\\_Olin\\_Foundation](http://www.sourcewatch.org/index.php/John_M._Olin_Foundation)

وينبغي الإشارة إلى أن كل المساهمات التي سبقت هنتنغتون على الرغم من أهميتها وجدارة بعضها بالريادة والتبني، إلا أنها لم تُثر نفس الاهتمام الذي أثارته أطروحة هنتنغتون. وأسباب ذلك عديدة، منها مكانة صاحبها في مجلس الأمن القومي الأمريكي، ومنها كونها تعكس بعض الاتجاهات داخل دوائر التفكير الإستراتيجي في الولايات المتحدة، وأخيراً وليس آخراً، تسليط الأضواء الإعلامية عليها وعلى صاحبها، حتى إذا ما جاءت أحداث 2001/09/11، صارت تلك الأطروحة بمثابة النبوءة التي لا يجرؤ على تكذيبها أحد، وأصبحت القدر المحتوم الذي لا مناص من الخضوع له.

وقد حظيت هذه الأطروحة بأهمية إستراتيجية كبيرة، حتى أنه تم تشبيهها ومقارنتها بالمقالة الشهيرة لجورج كينان (George Kennan)<sup>167</sup> والتي نشرت بفصلية (شؤون خارجية) في صيف 1947 تحت عنوان مصادر السلوك السوفيتي، والتي شكلت المنظومة المرجعية الأساسية للإستراتيجية الشاملة للولايات المتحدة الأمريكية في إطار ما سمي بسياسة الاحتواء، وذلك أثناء الحرب الباردة ومواجهة المد السوفيتي.<sup>168</sup>

### المرحلة الرابعة: من أحداث 11 سبتمبر 2001 م إلى الآن.

ليس ثمة شك في أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 كانت نقطة تحول مهمة بالنسبة للعلاقات الدولية شغلت الرأي العام العالمي، فقد أعادت الحديث من جديد عن صراع الثقافات و صدام الحضارات الذي حذر منه كثير من المفكرين و السياسيين من مختلف الحضارات، و بشر به لفيف من المنظرين الأمريكيين في مجال العلاقات الدولية و السياسة الخارجية لأمريكا، أمثال برنار لويس و صمويل هنتنغتون و باري بوزان و فرنسيس فوكوياما و غيرهم. كما أن هذه الأحداث كانت محطة تاريخية نادرة للسياسة

---

**167** - جورج فورست كينان George F. Kennan ولد في 1904م و مات في 2005) كانَ ولسنوات عضواً في قسم الشؤون الخارجية للولايات المتحدة. و كُمُططِّ للسياسات الخارجية في أواخر الأربعينيات والخمسينيات، ولقد أعتبر "مهندس" الحرب الباردة بدعوته لاحتواء الاتحاد السوفيتي. أحد أسلافه، جورج كينان، كان مستكشفاً وكاتباً. ترك مؤلفات كثيرة منها: -السياسة الأمريكية من عام 1900 - 1950، (1951)-الواقعية في سياسة أمريكا الخارجية، ( 1954)- روسيا تترك الحرب، (1956) -روسيا، والنزرة، والغرب، (1958)-روسيا والغرب إبان عهد لينين وستالين، (1961)- من براغ بعد ميونخ، أوراق دبلوماسية، من عام 1938 - 1940، (1968)-تراجع نظام بسمارك الأوروبي، والعلاقات الفرانكو-روسية، من عام 1875 - 1890، (1979)-الوهم النووي: العلاقات الروسية-الأمريكية في العصر النووي، (1982)-الحليف الضرورة: فرنسا، وروسيا، وبداية الحرب العالمية الأولى، ( 1984)-التل الصعب: فلسفة شخصية وسياسية، (1993). انظر: <https://www.britannica.com/biography/George-F-Kennan>

**168** - محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة السلام م س، ص 81.

الأمريكية تجاه العالم، حيث عملت إدارة الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش الابن، التي كان يسيطر عليها تيار المحافظين الجدد، على استغلالها وتوظيفها لتعزيز الهيمنة الأمريكية على العالم، وإعادة صياغة النظام العالمي وفق أسس ومبادئ جديدة في العلاقات الدولية تخدم المصالح الأمريكية بالدرجة الأولى، كان أبرزها إعلان حروب وقائية تشنها الولايات المتحدة في أي مكان في العالم ترى فيه تهديدًا لأمنها، حسب زعمها، واستخدام كل الوسائل بما فيها التدخل العسكري وتغيير الأنظمة السياسية القائمة، واستحداث قيم أخلاقية تصنف الدول على أساس الخير والشر، وتكريس قاعدة: "من ليس معنا فهو ضدنا"<sup>169</sup>.

و قد استُغلت تلك الأحداث أيما استغلال من قبل الساسة الأمريكان، واتجه الفكر و السياسة الأميركية نحو إطلاق أحكام أخلاقية ذات طابع ديني، منها على سبيل المثال استخدام بوش الابن مفهوم الحرب الصليبية، وذلك في محاولة لتبرير شن الحرب واستخدام القوة العسكرية، والإصرار على تبرير الحرب على العالم الإسلامي باعتبارها ضرورة أخلاقية تصل إلى مرحلة القداسة الدينية، للرد على العنف والكرهية الذي تمثله القوى الشريرة بزعمهم مثل بن لادن و صدام حسين، وذلك نقيض للفكر الأميركي الذي كان سائدًا قبل أحداث 11 سبتمبر والذي كان يحاول تبرير الحروب على أساس مبادئ الحرية والديمقراطية والمصالح التي تمثل أساس الحضارة الغربية.

وقد توسعت النظرة الأميركية لأهمية الايدولوجيا في حربها على الإرهاب، وبدأ التركيز على ضرورة التدخل في الجوانب الثقافية والتعليمية للشعوب الأخرى، خاصة العربية والإسلامية لمنع ظهور التيارات الدينية التي تقف موقف النقيض من ثقافة العولمة وتعمل على التصدي لفكر الغرب وحضارته<sup>170</sup>.

و عشية أحداث 2001/09/11، صارت أطروحة الصدام الحضاري و الحرب الحضارية متبناة من قبل جماعة من المفكرين والمتقنين ومراكز التفكير Think Tanks

---

169- شاهر إسماعيل الشاهر، أولويات السياسة الخارجية الأمريكية بعد أحداث 11 أيلول 2001. عرض نادية سعد معوض، في موقع: <http://islamtoday.net/nawafeth/artshow-95-130115.htm>  
170- نظام بركات، تداعيات أحداث سبتمبر على النظام الدولي ، <http://www.aljazeera.net> بتاريخ الأحد 2004/10/3.

في الولايات المتحدة وأوروبا، وصار هؤلاء في اتجاه يبشر بالصدام الحضاري والثقافي على أنه أمر حتمي.

و هكذا انتقلت الأطروحات الصراعية ( نهاية التاريخ، نحن و الآخرون/المركزية الغربية، صدام الحضارات، الأناركية/الفوضى) من صفحات الأوراق و بطون الكتب، إلى أروقة السياسة و مخابر الدراسات الإستراتيجية، ثم ما لبثت حتى صارت سياسة متبعة من قبل الدول الغربية و على رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، و أضحت اتجاها في علاقاتها الدولية و الحضارية تجاه العالم الإسلامي.

و لقد بلغ الخطر منتهاه في هذه المرحلة، إذ لم يكتف الغرب بقيادة أمريكا بتبني هذا الاتجاه داخل أروقة وزارات خارجيته، بل فرض هذا التوجه داخل المنظمات الدولية الإقليمية و العالمية<sup>171</sup>، سواء كانت ذات صبغة تشريعية أو تنفيذية أو قضائية، و سواء كان مجال نشاطها سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي. و قد توج كل ذلك بالاستجابة لنصائح خبراءه و توصيات مراكز دراساته، فاحتل أفغانستان و العراق احتلالا كلاسيكيا، و أمعن في إحكام قبضته على فلسطين، و على دعم قواعده العسكرية في العالم الإسلامي، ثم شرع في تنفيذ مشروع الفوضى الخلاقة، بتقسيم السودان و تدمير سوريا و ليبيا و اليمن و مصر، و محاولات زرع الفتن في باقي ربوع العالم الإسلامي، كل ذلك تمهيدا للمشروع الأكبر و هو مشروع الشرق الأوسط الجديد، و هو الطبعة الجديدة لمشروع سايكس بيكو.

هذا و تجدر الإشارة إلى أن هذه المرحلة الحساسة من مراحل رصد تاريخ مصطلح الحرب الحضارية، يمكن إبراز تداول المصطلح فيها في صورتين، الأولى منهما تضم الأشخاص المتخصصين و الخبراء وهم آحاد و مستقلون لا يمثلون إلا أنفسهم على الرغم من تأثيرهم الفعال، و أما الصورة الثانية فتبرز المتخصصين وهم في مراكز للبحوث و مؤسسات للتفكير.

---

171 - محمد ضياء الدين محمد، اتجاهات العلاقات الدولية بعد أحداث 11 سبتمبر 2001م، كتاب الألوكة الإلكتروني، [www.alukah.net/books/files/.../ahdas-11septamer.doc](http://www.alukah.net/books/files/.../ahdas-11septamer.doc)



**الصورة الأولى:** و تضم فئة الأكاديميين المتخصصين في دراسات الشرق الأوسط والعلاقات الخارجية في الجامعات الأمريكية، و فئة الناشطين السياسيين وأصحاب الأيدلوجيات خاصة اليمينية أو المناهضة للعرب والمسلمين، والذين يُقدّمون بوصفهم خبراء في شؤون الشرق الأوسط بناء على مواقفهم السياسية والفكرية المثيرة للجدل<sup>172</sup>.

فطوال سنوات الحرب الباردة على محور موسكو- واشنطن، ظلت الدراسات الروسية تشغل مكانة هامة في الجامعات والمعاهد الأمريكية، ولكن بنهاية تلك الحرب حلت دراسات الشرق الأوسط و شمال إفريقيا(العالم الإسلامي) محل الكثير من برامج الدراسات الروسية.

وقد ارتبطت أسماء المتخصصين الأكاديميين في دراسات الشرق الأوسط لفترة طويلة بحركة الاستشراق<sup>173</sup>، و نظم هذه الفئة عددا كبيرا من الدارسين والمفكرين كخبراء في قضايا ما اصطلاحوا على تسميته الشرق الأوسط، و الجدير بالتنويه أن معظم الجامعات الأمريكية الشهيرة لديها برامج و أقسام عريقة قائمة بذاتها خاصة بدراسات الشرق الأوسط، يعود تاريخ تأسيسها إلى تاريخ تأسيس تلك الجامعات نفسها، وتعود أسباب ذلك الارتباط الحميم بين الأكاديميين و الجامعات، إلى أهمية و سمعة الأبحاث الأكاديمية التي تصدر عن الجامعات لدى الرأي العام الأمريكي باعتبارها أكثر دقة و موضوعية.

ويُعد برنارد لويس الأستاذ الأكاديمي الشهير واحدا من أهم رموز هذا التيار الاستشراقي، و الذي استطاع أن ينشئ نخبة من الأكاديميين على منواله. فقد تولى في جامعة برنستون خاصة وفي أمريكا عموماً قيادة حقل الدراسات الاستشراقية التي يهيمن عليها الصهاينة أو المتصهينين المتمركزين في أقسام ومراكز دراسات الشرق الأوسط، والدراسات الإسلامية بالجامعات الأمريكية، أمثال ليونارد بايندر، وإيلي كيدوري، ودافيد برايس، و دانيال بايبس، ومارتن كريمر، وتوماس فريدمان، ومارتن بيرتز، ونورمان بودو رتز، وجوديت ميلر، و فؤاد عجمي وغيرهم. والأخطر من ذلك أن لويس وأشياعه

---

172 - انظر: ديوان أصدقاء المغرب تقرير واشنطن، من هم خبراء الشرق الأوسط الذين تؤثر آراؤهم في رسم السياسة الخارجية للولايات المتحدة؟ [https://groups.google.com/forum/#!topic/fayad61/jZs6WOB\\_vcl](https://groups.google.com/forum/#!topic/fayad61/jZs6WOB_vcl)

173 - ادوارد سعيد، الاستشراق- المعرفة، السلطة، الإنشاء، ترجمة كمال أبو ديب، الطبعة العربية السادسة (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، 2003)، ص259، 285.

لم يكونوا في حقيقة الأمر أكاديميين فقط، بل كان لهم دور استشاري من خلال عملهم خبراء لدى هيئات ودوائر اتخاذ القرار في الولايات المتحدة الأمريكية<sup>174</sup>.

و ك نماذج من بين هؤلاء الخبراء والمفكرين الناشطين بالكتابة في الدوريات والحديث إلى المؤتمرات والندوات يمكن ذكر البروفيسور فؤاد عجمي<sup>175</sup> الأستاذ بجامعة جونز هوبكنز؛ فقد كان الساسة و الإعلاميون الأميركيون يوظفون مقولاته وأفكاره العدائية فيما يتعلق بالعالم الإسلامي، لتبرير سياساتهم ونظرتهم. وكانت أصول عجمي العربية والمسلمة (شيعي لبناني) تعطي خطابه نوعاً من الشرعية في الدوائر السياسية والثقافية الأميركية، وتستخدم من قبل اليمين و خاصة المحافظين الجدد لتمرير أفكار استشراقية وعنصرية؛ ليظهر فؤاد عجمي "العربي والمسلم" الذي يطالب "بتحرير الشرق من ذاته الكارهة لنفسها والتي تعيش عقد نقص"، وهو جزء من التعميمات التي وصف بها "العرب والمسلمين". على عكس الغالبية العظمى من المفكرين والأكاديميين العرب والمسلمين وغيرهم من الأميركيين الذين كانوا مناهضين لعدوان الغرب على العالم الإسلامي ومناصرين للقضايا الإنسانية والعربية، و على رأسهم إدوارد سعيد<sup>176</sup>.

كما يعتبر برنامج الدراسات العربية المعاصرة بجامعة جورج تاون من أهم تلك البرامج التي تجمع بين الطبيعة الأكاديمية والبحثية، وتضم هيئة التدريس العديد من الأسماء المعروفة في العالم الأكاديمي، فمنهم دانييل برمبيرج الخبير في شؤون إيران والإصلاح بالشرق الأوسط، وجون إيسبازيتو خبير الدراسات الإسلامية، وجون فوول بالإضافة إلى ويفوون حداد أساتذة الدراسات الإسلامية. كما تشمل الهيئة شخصيات من قطاع صناعة القرار السياسي -مثل وزيرة الخارجية السابقة مادالين أولبريت ورئيس

174 - بدران بن الحسن، برنارد لويس ... و صهيئة الدراسات الاستشراقية

<http://217.199.187.67/drbadrane.net/ar/news.php?action=view&id=4>

175 - فؤاد عجمي ( 1945 - 2014 ) هو أستاذ جامعي وكاتب سياسي لبناني أمريكي. من الطائفة الشيعية ساند تيار المحافظين الجدد و إسرائيل، غيّر عجمي هواء السياسي لينقلب، بحسب شهادات ومقالات لعدة أشخاص عرفوه، من مؤيد للقضية الفلسطينية في بداية حياته الأكاديمية إلى مُعادٍ لها ومناصر للصهيونية وعَرّابٍ للحرب الأميركية على العراق واحتلاله. كان أحد مستشاري الرئيس جورج والكر بوش غير الرسميين. وبحسب تقارير إعلامية أميركية، كان عجمي من الذين حثوا بوش على احتلال العراق، إلى جانب المستشرق المعروف بمناصرته للصهيونية برنارد لويس، الذي درّس في برنستون، وربطت عجمي به علاقة وطيدة. انظر: [http://www.nytimes.com/2014/06/23/us/fouad-ajami-is-dead-at-68-expert-in-arab-history.html?\\_r=0](http://www.nytimes.com/2014/06/23/us/fouad-ajami-is-dead-at-68-expert-in-arab-history.html?_r=0)

176 - مازن صلاح مطبقاني، من قضايا الدراسات العربية الإسلامية في الغرب، ص 28، 29. كتاب إلكتروني في موقع صيد الفوائد. <http://www.said.net/Doat/mazin>.

جهاز المخابرات الأمريكي السابق جورج تيننت ورئيس وزراء أسبانيا السابق خوزيه ماريا أزنار ومدير شئون الخليج بمجلس الأمن القومي سابقا كينيث بولاك إلى جانب مسؤولين سابقين بوزارة الخارجية الأمريكية مثل ميشيل دان<sup>177</sup>.

**الصورة الثانية:** و تبرز المتخصصين و الخبراء وهم في مؤسسات للتفكير و مراكز للبحوث (Think Tanks). وهم خليط بين أساتذة الجامعات والمفكرين والمسؤولين السابقين في الإدارات الأمريكية المتعاقبة. ويعتبر كل من هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية الأشهر ودينيس روس المنسق السابق لعملية سلام الشرق الأوسط ومارتن أنديك مدير مركز سابان لدراسات الشرق الأوسط من المرجعيات الأساسية التي يتم استشارتها من قبل صانعي السياسة الأمريكية ولجان الكونجرس عند مناقشة قضية من قضايا الشرق الأوسط خاصة الصراع العربي الإسرائيلي.

و مراكز البحوث يطلق عليها أيضا مخازن الفكر أو التفكير (Think Tanks) أو مخابر الفكر وهي عبارة عن كيان أو مجموعة أو مؤسسة أو معهد أو هيئة (حكومية أو غير حكومية)، وظيفتها القيام بإجراء الدراسات و البحوث العلمية المركزة و المعمقة، و محاولة إيجاد الحلول للمعضلات، المتعلقة بمواضيع ذات طابع اجتماعي سياسي أو قضايا الإستراتيجية السياسية أو القضايا المتأثرة بالتطورات العلمية و التكنولوجية و القضايا العسكرية<sup>178</sup>.

و هي من ابتكارات الولايات المتحدة عن جدارة و تكاد أن تكون ظاهرة أمريكية عن استحقاق، لا تنافسها أي دولة أخرى من ناحية تنوع هذه المراكز أو كثرتها، أو حتى عدم ارتباطها المباشر بنظام الحكم وصناعة القرار و التأثير المباشر على الإعلام، وبالتالي

177 - يحيى عبد المبدي، خبراء الشرق الأوسط في واشنطن، - تقرير واشنطن 2007/9/1. مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات في موقع الزيتونة: <http://www.alzaytouna.net/permalink/5125.html>.

178 - بسمة خليل نامق، مؤسسات مخازن التفكير ودورها في صياغة السياسة الخارجية للدولة الحديثة النموذج الأمريكي، مجلة القادسية للقانون والعلوم السياسية العدد: الثاني المجلد: الثاني كانون الأول 2009، ص 133. وانظر: [http://www.toupie.org/Dictionnaire/Think\\_tank.htm](http://www.toupie.org/Dictionnaire/Think_tank.htm)

على الرأي العام الأمريكي و العالمي، مقارنة بأغلب دول العالم الأخرى التي ترتبط فيها المراكز الفكرية ارتباطاً مباشراً بالنظام الحاكم<sup>179</sup>.

و قد بلغ عددها في سنة 2013م 6826 مركزاً على مستوى العالم، حيث تحوز الولايات المتحدة الأمريكية لوحدها 1828 مركزاً، و تستحوذ العاصمة واشنطن لوحدها على 395 مركزاً<sup>180</sup>.

وقد كان لأحداث الحادي عشر من سبتمبر أثراً واضحاً على المدارس الفكرية والسياسية الأمريكية عموماً، و على مخازن التفكير بوجه خاص، سواء في توصيف الحدث أو مقترحات التعامل السياسي والأمني والعسكري معه<sup>181</sup>. إذ تبني كثير منها مواجهة العالم الإسلامي فكرياً و ثقافياً و حضارياً و خاصة مخازن التفكير ذات التوجه اليميني، التي سارعت إلى تقديم خبراتها في كل المجالات المتعلقة بالإسلام ديناً و حضارة، و تنافست هذه المراكز الفكرية في تقديم النصح للإدارة الأمريكية عن أفضل الطرق لتجسيم الخطر الأخضر الذي يهدد الولايات المتحدة.

وتكاد تنحصر مواقف غالبية مخازن التفكير الأمريكية من الإسلام و العالم الإسلامي و الحضارة الإسلامية، بعد أحداث 11/09/2001م، في كون التهديد الإسلامي شبيه بالتهديد الشيوعي العالمي. و يضاف إلى ذلك أن الإسلام الأصولي هو تفسير أيديولوجي هدفه تحريك المشاعر المعادية لأمريكا و لإسرائيل، و أن المؤامرة الإسلامية تستهدف تدمير الغرب و إسرائيل و القيم الأمريكية، كما يعتقد كثير من الباحثين في المراكز الفكرية الأمريكية أن هناك تصادماً بين قيم و ثقافات كل من الإسلام و الغرب على مدى قرون من

---

179- باسم خفاجي، مفكر دراسة عن مخازن التفكير، في موقع إسلام ديلي، بتاريخ 2015/04/25. الساعة: 18.30  
<http://www.islamdaily.org/ar/scholars/274.article.htm>

180 - **THINK TANKS AND CIVIL SOCIETIES PROGRAM INTERNATIONAL RELATIONS PROGRAM**, UNIVERSITY OF PENNSYLVANIA; GLOBAL GO TO THINK THANK 2013, CLASSEMENT ET RAPPORT, James G. Mc Gann, Ph. D. Directeur, Think Tanks and Civil Societies Program, Université de Pennsylvanie, Philadelphie, Etats-Unis, <http://gotothinktank.com/>, 25/04/2015, 18h.36

181- د. باسم خفاجي، دراسة عن مخازن التفكير بعنوان مفكر، م س. في موقع إسلام ديلي:  
<http://www.islamdaily.org/ar/scholars/274.article.htm>

الزمن. و قد ضخمت هذه المراكز من الخطر الإسلامي، و أعطت للإدارة الأمريكية المبررات الأخلاقية اللازمة للهجمة العسكرية الشرسة على العالم الإسلامي<sup>182</sup>.

و لكن من الموضوعية أن نفرق بين مواقف مخازن التفكير و مواقف و أطروحات التيار الأكاديمي الذين لا يرتبطون بتلك المخازن و لا بالصهيونية أو الصليبية الجديدة إذ يشعر المتابع لهؤلاء الأكاديميين المتخصصين في دراسات الشرق الأوسط والعلاقات الخارجية في الجامعات الأمريكية المشار إليهم في الصورة الأولى أنهم على درجة من الاعتدال الفكري و الموضوعية في الطرح، ولكن يبقى هذا الطرح على وجاهته ضعيف التأثير في الإعلام و في الرأي العام، و بالتالي ليس له من أثر يذكر على صناعة القرار الأمريكي، و لهذا فقد بقي هذا التصور حبيس الجدران الأكاديمية ومحور حديث و نقاش صفوة المثقفين دون أن يؤثر بأي صورة ملحوظة على السياسات الأمريكية تجاه العالم الإسلامي<sup>183</sup>.

---

182 - باسم خفاجي، أثر المراكز الفكرية في السياسة الخارجية الأمريكية . مجلة المستقبل العربي، العدد 369، شهر نوفمبر 2009. انظر موقع المجلة:

[http://www.caus.org.lb/PDF/EmagazineArticles/mustaqbal\\_369\\_39-48%20basim%20koufaja.pdf](http://www.caus.org.lb/PDF/EmagazineArticles/mustaqbal_369_39-48%20basim%20koufaja.pdf)

183 - باسم خفاجي، دراسة عن مخازن التفكير بعنوان مفكر، م س. نفس الموقع:  
<http://www.islamdaily.org/ar/scholars/274.article.htm>

## المطلب الثاني: الأطروحات ذات العلاقة بأطروحة الحرب الحضارية

تبين لنا من خلال الرصد التاريخي لمصطلح الحرب الحضارية أن هذه الأطروحة من منظور فلسفي وأيديولوجي هي ذات علاقة وطيدة بالتصور الغربي العام للعالمين المادي وما وراء المادي، أو للغيب والكون والحياة والإنسان، والمبني أساساً على فكرة الصراع، وبتصوره الخاص عن الآخر، أو ما يسمى بمفهوم الآخر لدى الغرب.

أما من حيث المنظور السياسي والإستراتيجي، فهي ذات ارتباط وثيق بالتنظير للعلاقات الدولية سواء بتفسير الأوضاع الدولية الجديدة أو البحث عن معايير جديدة لتحديد الرؤية المستقبلية لما هو آت.

و قد انعكس ذلك بوضوح مع ظهور النازية فيما بين الحربين العالميتين، لذلك لم يكن غريباً أن يكون المتصدرون من المنظرين والمفكرين والفلاسفة لفكرة الحرب الحضارية، من الغربيين بمختلف أطيافهم على محور موسكو - واشنطن.

ومن ثم يمكن القول، أن فكرة الصدام أو الحرب الحضارية أو الثقافية هي فكرة غربية خالصة نابعة من المرجعيات الدينية والفلسفية والفكرية والأيدولوجية للحضارة الغربية.

و قد تجسدت هذه الفكرة التصادمية عند الألمان في أدبيات Kulture Kampf أي الصراع الثقافي أو الحضاري، وعند أرنولد توينبي في ؟؟؟؟ فرانسيس فوكوياما في نهاية التاريخ والرجل الأخير، وعند بييري بوزان في الحرب الباردة الاجتماعية أو الحرب الباردة الحضارية، وعند برنار لويس وصموئيل هنتنغتون في الصدام الحضاري، وعند روبرت كابلان<sup>184</sup> في الفوضى القادمة... إلخ.

---

**184- Robert David Kaplan** (مواليد 1952) صحفي أمريكي من أصل يهودي متخصص في العلوم السياسية. وهو حالياً من المحررين في مجلة اتلانتيك الشهرية. كتب في الصحف الأميركية الكبرى مثل واشنطن بوست، نيويورك تايمز، وول ستريت جورنال. له العديد من الكتب منها: \* الاستسلام أو الموت جوعاً: ما وراء المجاعة والحروب. \* جنود الله - مع المجهدين في أفغانستان 1990. \* أشباح البلقان - رحلة عبر التاريخ 1993. \* المستعربين - الرومانسية من النخبة الأميركية 1993\* في أقاصي الأرض - رحلة إلى حدود الفوضى، 1997\* الفوضى القادمة - تحطيم أحلام ما بعد الحرب الباردة 2000 \* شتاء البحر الأبيض المتوسط 2004 \* مهمات إمبراطورية - العسكرية الأميركية على أرض الواقع 2005 [http://www.robertdkaplan.com/robert\\_d\\_kaplan\\_bio.htm](http://www.robertdkaplan.com/robert_d_kaplan_bio.htm)

و لم تقتصر فكرة الصدام والصراع في انتشارها على آحاد الناس من المفكرين والفلاسفة والإستراتيجيين الذين لا تجمعهم رابطة، بل أنها انتشرت وتبنتها جماعات ورابطات من المفكرين والمتقنين والفلاسفة و الإستراتيجيين والمستشرقين، ومراكز دراسات وجماعات ضغط و أحزاب ومراكز سياسية في الولايات المتحدة وأوروبا. والأخطر في كل هذا أن هذه الأطروحة اعتبرت لدى هؤلاء حتمية لا مناص منها.

ولذلك فإنه يمكن تلخيص أهم الأطروحات ذات العلاقة بأطروحة الحرب الحضارية والثقافية فيما يلي :

## الفرع الأول: أطروحة نهاية التاريخ

تشكل نظريات النهاية (التاريخ، الدين، الإيديولوجيا...) وجها من الوجوه الكثيرة للحرب الحضارية التي يمارسها الغرب أو الحضارة الغربية على غيرها من الحضارات، وذلك لأن جوهر هذه النظرية وروحها، ينطلق من منظور أن ما رَسَت عليه الحضارة الغربية هو أفضل نموذج وصلت إليه البشرية من التطور والتمدن والتحضر، وأن غيره من النماذج القديمة أو المستحدثة، تشكل تهديدا أو خطرا على البشرية وعلى حضارتها الأخيرة والنهائية.

وبناء عليه فإن أي تطور في غير الاتجاه الغربي وعلى غير نمطه ونموذجه، هو بحسب هذه النظرية ارتكاس وانتكاس، وجب رفضه ومواجهته بكل الطرق والوسائل والأساليب، وهنا مكن العلاقة بين أطروحة الحرب الحضارية وأطروحة نهاية التاريخ.

و نهاية التاريخ "هي عبارة تعني أن التاريخ بكل ما يحويه من تركيب وبساطة، وصيرورة وثبات، وشوق وإحباط، ونبل وخسة، سيصل إلى نهايته في لحظة ما، فيصبح سكونيا تماما، خاليا من التدافع والصراعات والثنائيات والخصوصيات، إذ أن كل شيء سيُرد إلى مبدأ عام واحد يفسر كل شيء (لا فرق في هذا بين الطبيعي والإنساني)، وسيسيطر الإنسان سيطرة كاملة على بيئته وعلى نفسه، وسيجد حولا نهائية حاسمة لكل مشاكله وآلامه"<sup>185</sup>.

ويبدو ولأول وهلة أن أطروحة نهاية التاريخ مناقضة لأطروحة الصدام الحضاري والحرب الحضارية، ولا تلتقي ولا تتوافق معها، لأن الأولى سكونية وخالية من التدافع والصراع، بينما الثانية تقوم على الحركية والصراع والحرب، وهذا غير صحيح، لأن مصطلح نهاية التاريخ ينتمي إلى عائلة كاملة من المصطلحات الأخرى التي تصف بعض جوانب منظومة الحداثة الغربية، والتي تعني انتهاء شيء ما والقضاء عليه، بعد

---

185- المسيري عبد الوهاب، الصهيونية و النازية و نهاية التاريخ- رؤية حضارية جديدة، الطبعة الثالثة (القاهرة: دار الشروق، 2001) ص 258.



الدخول في الصراع والصدام معه. بل إن مصطلح نهاية التاريخ نفسه له معنى البعدية و هي ذات دلالة واضحة على الجدلية والصراع<sup>186</sup>.

وكما سبق القول أن فكرة الحرب الحضارية ذات علاقة بالمرجعيات الدينية والفلسفية الغربية، فإن فكرة نهاية التاريخ أيضا كامنة في الفكر الديني والفلسفي الغربي، وهنا مكنم خطورتها، وقد تحولت هذه الفكرة الإشكالية إلى موضوع أساسي في الحضارة الغربية منذ عصر النهضة. وتعد فكرة نهاية التاريخ فكرة مركزية (centralisme) إذ أنها تقوم على الحلول النهائية والفرديوس الأرضي و اليوتوبيا التكنولوجيا<sup>187</sup>.

كما تكمن خطورة نهاية التاريخ في كونها حلت في جميع الإيديولوجيات الغربية من الشيوعية إلى الليبرالية إلى النازية و... كما أنها دخلت جميع المجالات من السياسة إلى الاقتصاد، بل وتسربت حتى إلى المعارف والعلوم.

فقد تجلت في فكر أوغست كونت Auguste Comte<sup>188</sup> الذي زعم بأن الثورة الفرنسية وضعت نهاية للنظام الإقطاعي و الثيوقراطي<sup>189</sup>، و برزت في الفكر الماركسي لدى حديثه عن المجتمع الشيوعي العادل<sup>190</sup>.

---

186 - ن م، ص 258.

187 - ن م، ص 260، 268.

188 - أوغست كونت Auguste Comte (1798-1857) عالم اجتماع وفيلسوف اجتماعي فرنسي، أعطى لعلم الاجتماع الاسم الذي يعرف به الآن، أكد ضرورة بناء النظريات العلمية المبنية على الملاحظة، إلا أن كتاباته كانت على جانب عظيم من التأمل الفلسفي، ويعد هو نفسه الأب الشرعي والمؤسس للفلسفة الوضعية. يرى أن الفكر البشري قد مر خلال تطوره التاريخي في حالات ثلاث: المرحلة اللاهوتية التي تعلل الأشياء والظواهر بكانتات وقوى غيبية، والمرحلة الميتافيزيقية التي تعتمد على الإدراك المجرد، والمرحلة الوضعية التي يتوقف فيها الفكر عن تعليل الظواهر بالرجوع إلى المبادئ الأولى ويكتفي باكتشاف قوانين علاقات الأشياء عن طريق الملاحظة والتجربة الحسية. ويعتبر كونت أن العلم الذي يتفق مع المرحلة الوضعية ويساعد على فهم الإنسان ويستوعب جميع العلوم التي سبقته هو "علم الاجتماع". و يرى أن إذا كانت الغاية هي تنظيم المجتمعات الحديثة على قاعدة العلم فإن علم الاجتماع هو الذي يسهم في ذلك لأنه علم كلي، يدرس المجتمع برمته في جميع مظاهره ومقوماته. انظر:

<http://www.biography.com/people/auguste-comte-9254680>

189 - روجيه غارودي، الإرهاب الغربي، ترجمة سلمان حرفوش، الطبعة الأولى، (دمشق: دار كنعان، 2007)، ص 173.

190 - المسيري عبد الوهاب، الصهيونية و النازية و نهاية التاريخ، م س، ص 268، 269.

كما أن هيغل<sup>191</sup> وماركس<sup>192</sup> قد وضعوا نهاية للتاريخ، فبالنسبة لهيغل تتجلى تلك النهاية في الدولة الليبرالية، أما بالنسبة لماركس، ففي المجتمع الشيوعي<sup>193</sup>.

"وفي ألمانيا النازية كان الرايخ الثالث هو الترجمة المباشرة للعقيدة الألفية ذات الطابع المشيخاني<sup>194</sup>، الذي يعني نهاية التاريخ و الحل النهائي"<sup>195</sup>. كما أن المجتمعات الاستيطانية مثل البيوريتان (المستوطنون البيض الأوائل في أمريكا) و الصهاينة من أكثر المجتمعات عداء للتاريخ ومن أكثرها طموحا نحو إعلان نهايته<sup>196</sup>.

و الثقافة الغربية في عمومها تقوم على براديجم نهاية التاريخ، فكثير من مفكري الحضارة الغربية، يرون أن في انتصار مسلمات هذه الحضارة نهاية التاريخ<sup>197</sup>.

و تتجسد فكرة نهاية التاريخ بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية موضوع دراستنا و وريثة الحضارة الغربية في أطروحة فرانسيس فوكوياما.

---

**191 - هيغل Friedrich Hegel Georg Wilhelm (1770-1831)** فيلسوف كلاسيكي ألماني. يعتبر أهم مؤسسي حركة الفلسفة المثالية الألمانية في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي. تأثر ب إيبينوزا وإيمانويل كانت وروسو والثورة الفرنسية ولكن الرجعية التي حلت في كل أنحاء أوروبا بعد سقوط امبراطورية نابليون أثرت في طريقة هيغل في التفكير: <https://www.britannica.com/biography/Georg-Wilhelm-Friedrich-Hegel>

**192 - كارل ماركس Karl-Marx (1818 - 1883)**. فيلسوف يهودي ألماني، سياسي، وصحفي، ومنظر اجتماعي. يعتبر مؤسس الفلسفة الماركسية، ويعتبر مع صديقه فريدريك إنجلز المنظرين الرسميين الأساسيين للفكر الشيوعي. شكل معا ما يدعى اليوم بالاشتراكية العلمية. (الشيوعية المعاصرة) <http://www.biography.com/people/karl-marx-9401219#synopsis>

**193 - فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ و الإنسان الأخير**، ص 24.

**194 -** لفظ عبري مشتق من "مُشِيحًا" أي من مسح بالدهن و هو يشير في الكتاب العبري عادة إلى أي كاهن أو ملك أو أي بشر يصطفيه الرب لأداء مهمة خاصة، و في أواخر العصور التوراتية القديمة أصبح ي في التراث اليهودي على مخلص سيرسله الرب لينقذ الشعب اليهودي من عذابه، و المشيخانية مصطلح يشير إلى الإيمان بمجيء مخلص. انظر: جونتان كيرش، **نهاية تاريخ العالم**، ترجمة عبد الوهاب علوب. الطبعة الثانية، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2011) ص342،343.

**195 -** المسيري عبد الوهاب، **الصهيونية و النازية و نهاية التاريخ**، ص 269.

**196 -** روجي غارودي. **الإرهاب الغربي**. م س، ص74؛ المسيري عبد الوهاب، **الصهيونية و النازية و نهاية التاريخ** ص 269.

**197 -** يقول جارودي: "إن الثقافة الغربية المسيطرة منذ خمسة قرون، ظنا منها بأنها الوحيدة المبدعة للقيم و أنها المركز الوحيد للمبادرة التاريخية، ترفع صرحها بصورة جوهرية على مسلمات ثلاث للحداثة:

-في العلاقات مع باقي البشر، مسلمة آدم سميث، "إذا انقاد كل فرد مع مصلحته الشخصية، فإنه بذلك يسهم في الرفاه العام" -في العلاقات مع الطبيعة، مسلمة ديكارت، "أن نجعل من أنفسنا أسياد الطبيعة و مالكيها".

-في العلاقات مع المستقبل، مسلمة فاورست، فمؤلف أول فاورست الكاتب المسرحي الانكليزي مارلو (1563-1593) كتب يقول أيها الإنسان بماغك القادر تحول إلى الإله، المتحكم بالعناصر جميعها و المولى لها" و المسار التاريخي للحضارة الغربية القائمة على هذه المسلمات الثلاث التي رأى بعضهم في انتصارها نهاية التاريخ". انظر في : روجي غارودي، **الإرهاب الغربي**، ص 155.

يذهب المفكر والفيلسوف السوري مطاع صفدي إلى أن أطروحة فوكوياما قد تكون من أهم ما صدر على الصعيد الأيديولوجي في الغرب الأمريكي بعد تفكك الاتحاد السوفياتي، وهي بمثابة بيان أول تعلنه الليبرالية<sup>198</sup>، وهي تجدد نفسها وتزعم استئناف مشروعها، وحيدة هذه المرة لا ينازعها أي جبار آخر، أيديولوجي أو عسكري أو سياسي<sup>199</sup>. غير أنها لا تستند في بنائها الحجاجي إلا على ما تحصل من أمر واقع، وليس على المعالجة الفكرية والحقيقة التاريخية، والذي زادها شهرة هو أن صاحبها نقلها من مستوى الحدث إلى أوسع المفاهيم الفلسفية، وذلك بفلسفة الأمر الواقع.

وبالاعتماد على المصادر الأوروبية وبخاصة في الفكر الألماني وبالتأصيل من الفكر الإغريقي عند أفلاطون، التي اعتبرها بمثابة المقدمات المنطقية الضرورية التي تمتلك حقيقتها في ذاتها، اعتبر فوكوياما أن نهاية التاريخ حقيقة مسلم بها ولا سبيل إلى أي نوع من أشكال مراجعتها والتيقن من دلالتها. وقد حصر المشكلة في العثور على الحدث التاريخي الذي يحقق هذه النهاية<sup>200</sup>.

و من هنا اعتقد أنه بسقوط الأنظمة الفاشية والنازية ثم الأنظمة الشيوعية مع نهاية القرن العشرين يكون الصراع التاريخي بين الليبرالية والماركسية قد انتهى بانتصار الفكر الليبرالي الذي أصبح يشكل الطور النهائي للصراعات الأيديولوجية في العالم، وبالتالي أصبح النموذج والمثال الأكثر جاذبية لكل الفضاءات السياسية والاقتصادية والأيديولوجية، ولهذا يعلن فوكوياما نهاية التاريخ مع الانتصار الكوني والشامل للديمقراطية الليبرالية عبر العالم، باعتبار ذلك يشكل المعنى الأسمى للتاريخ<sup>201</sup>.

---

198 - الليبرالية هي الاسم السياسي الذي اتخذته تيارات الفكر المنفعي الذي طبع الثقافة الأنجلوسكسونية منذ منعطف الحداثة حتى أيام التداولية (البراغماتية)، انظر مقدمة مطاع صفدي لكتاب فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ و الإنسان الأخير ص 6.

199 - فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ و الإنسان الأخير، ص 6.

200 - ن م ص 8.

201 - محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية، م س، ص 50.

و لا يكتفي عند هذا الحد، بل يجعل كل جهده منصبا في جعل التاريخ ينتهي عند أمريكا، وهنا يظهر الفخ الإيديولوجي الذي ينصبه فوكوياما لقراءته<sup>202</sup>، أو تنصبه الحضارة الأمريكية أو الليبرالية الأنجلوسكسونية للعالم بكل حضاراته.

و المتأمل و الدارس أطروحة نهاية التاريخ الفوكويامية يلحظ أنها من ذات طبيعة أطروحة الحرب الحضارية. وهي أطروحة تنتمي إلى نظريات الصراع في العلاقات الدولية.

وأصحاب هذه النظريات، لاسيما علماء الاجتماع و الأنثروبولوجيا والسياسية، يميلون إلى اعتبار الصراع ظاهرة ملازمة وطبيعية لوجود الجماعة، وهو ذو وظائف اجتماعية إيجابية، إذ أنه يؤدي إلى توحيد الجماعة التي تخوض الصراع، ويؤدي إلى بروز هوية خاصة بها، فيحدد لها حدودها، ويساهم في تماسك أفرادها. ويكاد معظم علماء الاجتماع و الأنثروبولوجيا يتفقون على درجة معينة من العداء داخل الجماعة تجاه الجماعات الخارجية، وعندما تكون هناك جماعات متعددة يحاول الباحث السياسي أن يتعرف على سبب اختيار جماعة معينة لتكون في وقت معين هدفا للعدوان<sup>203</sup>.

و مما لا شك فيه أن أطروحة فوكوياما هي ذات علاقة وطيدة بمؤسسات ودوائر صناعة القرار في أمريكا، و فوكوياما ليس بالمفكر المحايد أو الموضوعي، وإن تجلبب بجلباب الأكاديميين و ظهر بسمتهم، فلفترة طويلة اعتُبر واحدا من منظري المحافظين الجدد (Néo-conservatives)، حيث أسس هو ومجموعة من هؤلاء في عام 1993 مركزا للبحوث عرف آنذاك بمشروع القرن، وقد دعا هو ورفاقه الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون إلى ضرورة التخلص من نظام الرئيس العراقي الراحل صدام حسين. وقد وقع على خطاب مماثل وجه إلى الرئيس السابق جورج بوش في أعقاب أحداث 2001/09/11.

202 - فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ و الإنسان الأخير، ص 10.  
203 - جيمس دورتي، روبرت بالستغراف. النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية م س، ص 225.

وقد رأى بعض ناقدى فوكوياما أن هذا الأخير بأطروحته أراد أن يدعم إعلان رئيسه جورج بوش الأب عن النظام العالمي الجديد بالوثيقة الفكرية التي خيل إليه أنها تؤسس شبكة التنظير القادم لعصر ما بعد نهاية النهاية التاريخ<sup>204</sup>.

كما وأن أطروحة فوكوياما ذات ارتباط وثيق بوضع الليبرالية الحرج بعد انهيار المعسكر الشيوعي، فالساسة الغربيون كانوا بحاجة إلى بوصلة أيديولوجية يستندون إليها في تبرير مساراتهم السياسية، المتخذة أصلا العسكريتاريا المتقلبة لإعادة تشكيل العالم بهيمنة أمريكية أحادية، وهنا جاء فوكوياما ليقدّم خدمته، ولينال مقابل ذلك التكريم والإشادة، لدرجة فاقت إمكاناته الفكرية الهزيلة بأشواط. وبما لم يشكل بتصوره أو بتوقعه هو نفسه.

و لهذا جاءت أطروحته بقراءة تبدو جديدة و متميزة تدافع بحماس عن نظرية الدولة الليبرالية الرأسمالية التي ناد بها هيغل واعتبرها نهاية للتاريخ. وكذلك جاءت لتعيد قراءة مقولة نيتشه عن "الإنسان الأخير" ويعطيها أبعادا مختلفة، لكنها جديدة تماما عن تلك السمات التي أشار إليها فيلسوف القوة الألماني نيتشه<sup>205</sup>.

وأريكا بالذات كانت بحاجة إلى دور جديد، و تموضع جديد برايات جديدة وعدو جديد، وتبريرات جديدة للعسكريتاريا والتسلح... وحينها رأى فوكوياما أن إطلاق كتاب نهاية التاريخ سيسدي خدمة جلييلة لليمين الأمريكي المتطرف، والذي مثل امتدادا تاريخيا لليمين الأمريكي الكلاسيكي، ممثلا بالريغانية في الثمانينات<sup>206</sup>.

جاء في مجلة فكر و نقد: " أن هذه الأطروحة كتبت في مناخات الإدارة الأمريكية، وهي تعبر عن العقل الاستراتيجي الأمريكي في زمن تتداول فيه الأوساط فكرة "النظام العالمي الجديد" الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية التي أصبحت مركز القرار والقوة في السياسة العالمية. ففوكوياما، كناطق باسم لسان حال الإدارة الأمريكية، يرى أن

204 - فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ و الإنسان الأخير ، م س ص 17.

205 - عبد السلام السعدي ، جدلية التاريخ والحضارة . مجلة فكر و نقد العدد 34، ديسمبر 2000 انظر في موقع الجابري: [http://www.fikrwanakd.aljabriabed.net/n34\\_09saidi.htm](http://www.fikrwanakd.aljabriabed.net/n34_09saidi.htm)

206 - عصام شكري، فوكوياما واندحار إيديولوجيا اليمين الأمريكي . انظر موقع الحوار المتمدن بتاريخ <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=209343>. 2010/07/18

حدثية التطورات السياسية الأخيرة ليست تعبيراً عن نهاية الحرب الباردة وحسب وإنما عن "نهاية التاريخ" وانتصار النموذج الليبرالي على كل الأنظمة السوسيوسياسية، وأن الشعوب الأخرى التي لم تتوصل بعد إلى تطبيق هذا النموذج الليبرالي ملزمة بحكم "حتمية التاريخ" بتطبيقه سواء عاجلاً أو آجلاً لأنه هو نهاية التاريخ وكمال الحضارة والعقلنة" 207.

---

207- عبد السلام السعيد، جدلية التاريخ والحضارة. م س، ونفس المرجع الإلكتروني.

## الفرع الثاني: أطروحة صدام الحضارات أو صراع الحضارات

مما لا شك فيه أن أطروحة صدام أو صراع الحضارات صارت من أكثر الأطروحات تداولاً بعد الحرب الباردة، وبخاصة عشية أحداث 11/09/2001، و أصبحت تشغل بال الكثير من الإستراتيجيين و صناع القرار في مختلف دول العالم، و كذا المهتمين بالشأن الدولي و بمسألة العلاقات الدولية تحديداً. و باتت هذه الأطروحة تحتل جزءاً كبيراً من المساحات الإعلامية المخصصة لمعالجة القضايا الدولية.

و تعكس أدبيات الصراع ثراءً واضحاً فيما تقدمه من تعريفات لمفهوم الصراع، كما تتعدد أيضاً بؤر الاهتمام، ونقاط التركيز التي يوليها المتخصصون أهمية كبيرة عند تناولهم للمفهوم بالدراسة والتحليل.

و تماشياً مع روح الدراسة و منهجها، فإن التعريف الذي نختاره للصراع هو الذي يتوافق و الدراسات الحضارية، و من ثم فإن الأبعاد الاجتماعية و السياسية و الأنثروبولوجية هي التي نراعيها في صياغة تعريف الصراع.

"يستخدم مصطلح الصراع عادة للإشارة إلى وضع تكون فيه مجموعة معينة من الأفراد - سواء كانت قبيلة أو مجموعة عرقية أو لغوية أو ثقافية أو دينية أو اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو أي شيء آخر - تتخبط في تعارض وراع مع مجموعة أو مجموعات أخرى معينة، لأن كلا من هذه المجموعات يسعى لتحقيق أهداف متناقضة فعلاً أو تبدو أنها كذلك"<sup>208</sup>.

---

208 - جيمس دورتي، روبرت بالاستغراف. النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية، ص140.

و من أشهر التعريفات المتخصصة في هذا السياق تعريف عالم الاجتماع الأمريكي لويس كوزر Lewis Coser<sup>209</sup> الذي عرف الصراع بأنه "تنافس على القيم و على القوة و الموارد، يكون الهدف فيه بين المتنافسين هو تحييد أو تصفية أو إيذاء خصومهم"<sup>210</sup>.

و الصراع في مفهوم كوزر يتبلور في ضوء القيم والأهداف التي تمثل الإطار المرجعي لأطراف الموقف الصراعى. وعلى ذلك يرى كوزر أن الصراع يتحدد في "النضال المرتبط بالقيم والمطالبة بتحقيق الوضعيات النادرة والمميزة، القوة والموارد، حيث تكون أهداف الفرقاء هي تحييد أو إيذاء أو القضاء على الخصوم"<sup>211</sup>.

و على هذا فالصراع عبارة عن تفاعل بين البشر، و لا يشمل صراع الإنسان ضد بيئته الطبيعية. و هذا يعني أنه يتضمن درجة أعلى من مجرد التنافس، فالأفراد قد يتنافسون على شيء نادر دون أن يدركوا أنهم يتنافسون فيما بينهم على ذلك الشيء، أو يتنافسون دون أن يسعى أحدهم إلى منع الآخر من تحقيق أهدافه، و لكن التنافس يرقى ليصبح صراعا عندما تحاول الأطراف دعم مراكزها على حساب مراكز الآخرين، و تعمل على الحيلولة دون تحقيق الآخرين لغاياتهم أو تحييدهم بإخراجهم من اللعبة أو حتى بتدميرهم<sup>212</sup>. لهذا فالصراع طبيعته هي "إحداث أو إلحاق الضرر المادي أو المعنوي بالآخرين إنما يعد هدفاً محدداً للصراع نفسه"<sup>213</sup>.

و يمكن اعتبار نظرية الصراع الحضاري أو الثقافي من نظريات الصراع الكلية في مقابل نظريات الصراع الجزئية<sup>214</sup>، كما يمكن اعتبار الصراع الحضاري ضمن

---

**209** - هو عالم اجتماع أمريكي معاصر ولد في برلين بألمانيا عام 1913م، و توفي في 2003 بكامبريدج بأمريكا. اهتم بالنظرية الوظيفية وقدم مساهمة في نظرية الصراع الاجتماعي، ويعد أول علماء الاجتماع الذين حاولوا الجمع بين النظريتين السابقتين. و كان عمله متمحورا حول وظائف الصراع الاجتماعي. له العديد من الدراسات منها: وظائف الصراع الاجتماعي، 1956.

**210** - أحمد فؤاد رسلان، نظرية الصراع الدولي، دراسة في تطور الأسرة الدولية المعاصرة، الطبعة الأولى ( القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986)، ص18.

**211** - ن م، ص18.

**212** - يختلف الصراع عن التوتر ، فالأخير يشير إلى حالة عداء و تخوف و شكوك و تصور بتباين المصالح أو ربما الرغبة في السيطرة أو تحقيق الانتقام غير أنه يبقى في هذا الإطار دون أن يتعداه ليشمل تعارضا فعليا و صريحا و جهودا متبادلة من الأطراف للتأثير على بعضهم البعض، والتوتر حالة سابقة على الصراع و كثيرا ما رافقت انفجار الصراع. انظر: جيمس دورتي، روبرت بالاستغراف، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية ص140.

**213** - إسماعيل صبرى مقلد ، العلاقات السياسية الدولية - دراسة في الأصول والنظريات ، الطبعة الخامسة، (الكويت: جامعة الكويت ، 1991)، ص-ص. 223- 244.

**214** - جيمس دورتي، روبرت بالاستغراف، م س، ص141.



صراعات القيم في مقابل صراعات العلاقات، وصراعات المعلومات، وصراعات المصالح، والصراعات البنوية و الهيكلية<sup>215</sup>.

و صراعات القيم هي الصراعات التي ترتبط بالقيم، وتسببها المعتقدات القيمة أو النظم العقيدية المتصورة أو الفعلية، وذلك لعدم توافقها أو لعدم التوافق بينها. ولما كانت القيم عبارة عن معتقدات يستخدمها الأفراد لإعطاء معنى لحياتهم ، تشرح ما هو جيد أو سيئ، صواب أو خطأ، عادل أو ظالم، فإنه تنبغي الإشارة إلى أن القيم المختلفة في حد ذاتها لا تشكل صراعا، فالأفراد يمكنهم العيش معا في انسجام مع وجود نظم قيمة مختلفة. بينما الصراعات القيمة تثار عندما يحاول أحد أطراف النزاع فرض مجموعة محددة من القيم على غيره من الأطراف، أو عندما يدعو إلى إتباع نظام قيمي محدد لا يسمح بالاختلافات العقيدية<sup>216</sup>.

من هنا فإن لصراعات القيم أهمية تجعلها من أهم صراعات القرن العشرين، كما أنها استحوذت على قدر كبير من اهتمامات الدارسين في مجالات علم النفس والعمليات الذهنية وذلك بهدف الربط بين حجم الصراع والسلوك المرتبط بحل الصراع. وفي هذا الصدد، فإن فك أو حل الارتباط بين القيم والمصالح، والعمل المشترك على اكتشاف الاختلافات القيمة، والأيدولوجية، والتركيز على إيجاد واستخدام الصيغ التوفيقية والحلول الوسط، تعد من أهم سبل حل الصراعات القيمة<sup>217</sup>.

و إذا كانت فكرة صدام الحضارات موهلة في تاريخ الحضارة الغربية كما سبق الإشارة إليه و ذات علاقة بالمرجعيات الدينية والفلسفية الغربية، فإنه ينبغي التنويه إلى أن الثقافة الغربية في عمومها أسست على فكرة الصراع و الصدام بين الشعوب و الأمم و الحضارات. و قد ورثت الولايات المتحدة الأمريكية كل هذا الموروث الغربي السلبي و أثرته بتجربة ضخمة شملت جميع المجالات و الميادين.

215 - منير محمود بدوي، مفهوم الصراع : دراسة في الأصول النظرية للأسباب والأنواع . مجلة "دراسات مستقبلية" ، العدد الثالث ( يوليو 1997م) مركز دراسات المستقبل - جامعة أسيوط، ج. م. ع. ص75.

216 - Mohammad Abu Nimr, Conflict Resolution, Cairo: National Center for Middle East Studies, 1994:p.5.

217 - د. منير محمود بدوي، مفهوم الصراع، م س. ص 74 .

و قد تجلى ذلك الموروث منذ ما يربو عن العقدين في أطروحة صدام الحضارات لهنتنغتون و كان أكبر عَلمَ على فكرة الصدام. و لقد جعلت هذه الأطروحة من منطقة العالم العربي و الإسلامي بؤرة التوتر الأساسي في خريطة الصراعات الحضارية العالمية<sup>218</sup>، و جعلت من الحضارة وحدة محورية في تحليلها.

و كان لهذه الأطروحة صدى قويا حيث فتحت منذ نشرها صيف 1993م سجلات ثقافية و سياسية و إستراتيجية حادة في أنحاء كثيرة من العالم و أثارت ردودا متباينة تراوحت بين التأييد و التحفظ و الرفض، و ذلك في أجواء شبيهة إلى حد بعيد تلك التي رافقت نظرية نهاية التاريخ لفوكوياما صيف 1989م. و منحت الأطروحة صورة سلبية قاتمة عن العالم العربي و الإسلامي، و جعلت منه المصدر الرئيسي للعنف و الإرهاب في العالم، و المجال الأكثر صدامية و عدااء للغرب و لباقي الحضارات الأخرى<sup>219</sup>.

و الأطروحة اهتمت بشكل محوري بالعالم الإسلامي كمجال حضاري استراتيجي له موقع مركزي في العلاقات الدولية المستقبلية، و حاولت تسويق صورة سلبية عن الإسلام تساير تلك الموجة الفكرية التي أصبحت تسعى جاهدة إلى التماهي بين الإسلام و العنف و الإرهاب<sup>220</sup>.

و جاءت أحداث 2001/09/11م، و أعادت أطروحة صدام الحضارات إلى واجهة النقاشات الفكرية و السياسية في جميع مناطق العالم، و اعتقد العديد من المفكرين بتحقيق نبوءة صدام الحضارات، لكن غالبية الأوساط الفكرية و السياسية العالمية نبهت إلى ضرورة العمل بجد لتحقيق السلام و العدالة في العالم، للحيلولة دون نشوء الشروط المشجعة على حدوث الصراع بين الثقافات.

---

218 - م حمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية، م س، ص 11.

219 - ن م، ص 12.

220 - ن م، ص 13.

## الفرع الثالث: أطروحة الأناركية أو الفوضى أو التمردية

يجب التنويه مسبقاً أن هناك فرقاً كبيراً بين مصطلح الفوضى الخلاقة، و مصطلح الفوضى الذي اعتمد كترجمة للأناركية.

ففي حين تعتبر الفوضى الخلاقة أحد أهم المفاتيح التي أنتجها العقل الاستراتيجي الأمريكي في التعامل مع قضايا العالم عموماً و العالم الإسلامي بوجه خاص، حيث تمت صياغة هذا المصطلح بعناية فائقة من قبل النخب الأكاديمية وصناع السياسة في الولايات المتحدة حتى أصبح من خصائص السياسة الخارجية الأمريكية. و كان الأمريكي مايكل ليدين<sup>221</sup> هو أحد الذين صاغوا مفهوم "الفوضى الخلاقة" أو "الفوضى البناءة" أو "التدمير البناء" في معناه السياسي الحالي عام 2003م، تحت مسمى "مشروع التغيير الكامل في الشرق الأوسط"، وارتكز المشروع على منظومة من الإصلاحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الشاملة لكل دول المنطقة، وفقاً لإستراتيجية جديدة تقوم على أساس الهدم ثم إعادة البناء<sup>222</sup>.

بينما الفوضوية أو الأناركية تيار في الفلسفة السياسية أو حركة فلسفية و سياسية، لها من حيث التطبيق في الواقع مجالان اثنان، مجال داخلي يتمثل في السياسة الداخلية للدول، حيث المجتمع بلا دولة و لا سلطة منظمة، سواء أكانت سياسية أو اجتماعية أو دينية، بحجة أنها غير ضرورية وغير مرغوب فيها ؛ لهذا اعتبر بعض الباحثين أن الترجمة ظلمت المفهوم ؛ إذ تُرجم للعربية "فوضوية" والأقرب هو "مجتمع اللادولة"؛ وبذا أوحى الترجمة بأن المذهب يؤدي للفوضى، وهو اختزال مُخلٌ للفوضوية كمدرسة

---

221 - مايكل آرثر ليدين Michael Arthur Ledeen (ولد في 1941) هو مؤرخ، وفيلسوف، وكاتب أمريكي (حاصل على درجة الدكتوراه في التاريخ والفلسفة). ومستشار سابق لمجلس الأمن القومي الأمريكي، ووزارتي الخارجية و الدفاع الأمريكية هو استاذ باحث في معهد أميركان انتربرايز، وعضو في مجلس مستشاري المعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي. وليدين من المحافظين الجدد و الصقور المتطرفين، ويمارس نفوذاً في أوساط الإدارة الأميركية وهو يحاضر عن الحرب والسلام والشرق الأوسط والسياسة الأميركية. كما انه مستشار الرئيس بوش، وأيضاً كارل روف، مدير الحملة الانتخابية للرئيس.

222 - إباد هلال حسين الكناني، سياسة الفوضى الخلاقة الأمريكية: الأصول الفكرية والأبعاد الدولية والإقليمية . شبكة ضياء للمؤتمرات والدراسات: <http://diae.net/14063>

وفلسفة تراجع مركزية الدولة، وتعلي من شأن الإدارة الاجتماعية القائمة على مركزية الفرد<sup>223</sup>.

و أما المجال الخارجي فيتمثل في السياسة الخارجية للدول و علاقاتها الدولية ضمن المجتمع الدولي، حيث العالم لا يخضع لأي قانون و لا أي سلطة أو أية منظمة سواء أكانت سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو دينية، و بيان ذلك كما يلي:

### أولاً- في السياسة الداخلية:

الأناركية (الفوضوية) تيار في الفلسفة السياسية<sup>224</sup>، ظهر منذ القرن 19 م، و تطور بناء على مجموعة من النظريات و التطبيقات المضادة للسلطة<sup>225</sup>، و قد تأسس على نفي مبدأ السلطة في التنظيم الاجتماعي(الدولة)، ورفض كل القيود التي تفرضها المؤسسات التي نشأت على أساس هذا المبدأ<sup>226</sup>.

و المجتمع الذي تصبو إليه النظرية الأناركية (الفوضوية) يستند على القيم التحررية، حيث يتساوى جميع الناس، من دون هيمنة أحد. و أفراد المجتمع الأناركي يتعاونون بحرية في ديناميكية الإدارة الذاتية<sup>227</sup> .. و الحريات الفردية تشكل أساس التنظيم الاجتماعي والعلاقات الاقتصادية والسياسية.<sup>228</sup>

و هناك من عرفها بأنها حركة فلسفية و سياسية معادية للسلطة و التسلسل الهرمي. وهي تنتقد جذريا جميع المؤسسات القسرية مثل الرأسمالية والجيش والشرطة

223 - هبة رءوف عزت، الفوضوية: الفلسفة التي ظلّمتها الترجمة، في موقع:

<http://www.heba-ezzat.com/2001/07/29/الفوضوية-الفلسفة-التي-ظلّمتها-الترجمة/>

224 - هناك عدة تيارات و أشكال للأناركية فمنها الأناركية العفوية و الأناركية الاشتراكية و الأناركية الشيوعية و الأناركية النقابية و الأناركية الفردانية و الأناركية السلمية و الأناركية البيئية.

225 - Jean Maitron, **Le mouvement anarchiste en France**, Gallimard, coll. «Tel», 1992.

226 - Sébastien Faure, **Encyclopédie anarchiste**, Paris, La Librairie Internationale.

227 - Emmanuel de Waresquiel, **Le siècle rebelle, dictionnaire de la contestation au XXe siècle**, Larousse, coll. «In Extensio», 1999

- Francis Dupuis-Deri "L'anarchie dans la philosophie politique. Réflexions anarchistes sur la typologie traditionnelle des régimes politiques."

Un article publié dans *Les ateliers de l'éthique, La revue du CREUM*, vol. 2 no 1, printemps 2007, pp. 6-17

228 - <http://www.toupie.org/Dictionnaire/Anarchisme.htm>

والأسرة الأبوية والدين... الخ، و خصوصا الدولة، التي لم تكتم بانقاداتها بل دعت إلى اختلافها و زوالها. هذا النقد ينطبق أيضا على جميع أشكال الهيمنة، سواء كانت أخلاقية أو اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو دينية.

و الأناركية فلسفة ترفض الدوغمائية<sup>229</sup>، وتقدم استقلالية الوجدان الأخلاقي. وترفض مفاهيم الخير والشر التي تحددها أي مؤسسة، كما ترفض "التفكير السائد"، أو التفكير المهيمن أو القهري، والإنسان يجب أن يكون حرا معتدا بذاته ومعبرا عنها.

و ذهب آخرون إلى أن الأناركية هي النظام السياسي<sup>230</sup> الذي يهدف إلى التحرر من أي سلطة أو وصاية للحكومة. و النظام الاجتماعي الأناركي (الفوضوي) يستند على الاتفاق الحر بين مختلف مكونات المجتمع. كما أنها تقوم على المساواة بين الأفراد، و على حرية تكوين الجمعيات و التسيير الذاتي، والفكر الجماعي في بعض الأحيان.

و كثيرا ما يستخدم مصطلح الأناركية بشكل سيئ و ازدرائي و تحقيري و ذلك حينما تُنتقد كنظام سياسي مثالي و خيالي، و لا تؤدي في حال تطبيقها إلا إلى مجتمع من دون سلطة أو أوامر و قوانين، أي انعدام الدولة. و أنها تؤدي إلى الفوضى و الارتباك والاضطراب. لهذا يرفض الأناركيون مصطلح الفوضى chaos كترجمة لمذهبهم و يعتبرونه نوعا من اللمز له.

و الحقيقة المنطقية و التاريخية أن انعدام الدولة و مؤسساتها، بل ضعفها و فسادها يؤديان حتما إلى فساد عريض، و هرج و مرج و فوضى و اضطراب، و هذه الحقيقة

---

229 - دوغماتية (أو دوغمائية) هي التعصب لفكرة معينة من قبل مجموعة دون قبول النقاش فيها أو الإتيان بأي دليل ينقضها لمناقشته أو كما هي لدى الإغريق الجمود الفكري. وهي التشدد في الاعتقاد الديني أو المبدأ الأيديولوجي، أو موضوع غير مفتوح للنقاش أو للشك. يعود أصل الكلمة إلى الأصل في اليونانية (dogma) والتي تعني "الرأي" أو "المذهب" "المعتقد الأوحده".

230 - Francis Dupuis-Deri "L'anarchie dans la philosophie politique. Réflexions anarchistes sur la typologie traditionnelle des régimes politiques."

Un article publié dans *Les ateliers de l'éthique, La revue du CREUM*, vol. 2 no 1, printemps 2007, pp. 6-17

ليست محل جدل يستدعي شواهد من الواقع و من التاريخ، إذ يكفي إعمال النظر في المجتمع الدولي أو في بطون كتب التاريخ للإتيان بآلاف الشواهد على ذلك.

و الجدير بالملاحظة، أن النتيجة الحتمية التي يؤول إليها تطبيق الأناركية، من انعدام للدولة و مؤسساتها، و انتشار الفوضى و الارتباك و الاضطراب في المجتمع، قد أصبح في عصرنا الحاضر، بالنسبة للولايات المتحدة أهم أهدافها الإستراتيجية التي تسعى إلى تحقيقها داخل الدول التي تعدها خطرا عليها أو عدوة لها، بل صارت نظرية الفوضى نوعا من الإدارة بالأزمات تدير به أمريكا صراعاتها، و خاصة لما قرنت بلفظة خلاقة. و من المعلوم لدى المختصين أن الإدارة بالأزمات هي علم وفن صناعة الأزمة و افتعالها و إدارتها بنجاح لغرض مصالح محددة. و يترتب على هذا النوع من الأزمات تفكيك للمنظومة المعنية أو المستهدفة، مما يسهل الولوج إلى مكوناتها الأساسية، الأمر الذي يؤدي إلى انهيار كلى للنظام، وإعادة تشكيله بطريقة تعكس تلك المصالح<sup>231</sup>.

و خير مثال على ذلك ما يحدث في العالم الإسلامي من فوضى و اضطراب، لا سيما منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م، و إعلان أمريكا الحرب الصليبية على الإسلام تحت مسمى الحرب على الإرهاب، ليعقب ذلك احتلال أفغانستان و العراق و إقائهما في فوضى عارمة، ليتبع ذلك باستغلال الانتفاضات و الثورات الشعبية في الدول العربية بدءا بتونس و مرورا بمصر فليبيا ثم اليمن و سوريا.

---

231 - إياد هلال حسين الكناني، سياسة الفوضى الخلاقة الأمريكية: الأصول الفكرية والأبعاد الدولية والإقليمية. شبكة ضياء للمؤتمرات والدراسات: <http://diae.net/14063>. و انظر: <http://www.alnoor.se/article.asp?id=232080>

## ثانيا- في السياسة الخارجية أو العلاقات الدولية و المجتمع الدولي

يستخدم مفهوم الأناركية أو الفوضى في نظرية العلاقات الدولية لوصف حالة النظام الدولي.

و لقد اعتبر هذا المفهوم من أكثر المفاهيم أهمية لدراسة العلاقات الدولية، غير أنه كان و مازال مثار خلاف كبير، و خاصة منذ زوال القطبية الثنائية في 1990م؛ و يعود السبب في ذلك إلى كونه أشد المفاهيم صعوبة في تحديدها، فهو مصطلح يصعب إيجاد تعريف مباشر صريح له؛ وذلك لكونه مليئاً بالتناقضات و الغموض<sup>232</sup>.

و يوصف النظام الدولي بالأناركي (الفوضوي) بعكس النظام الداخلي للدول. إذ الأناركية بالنسبة للسياسة الداخلية تبقى مجرد فلسفة مثالية لم تتحقق، و إن تحقق فهو قرين الفوضى و الاضطراب. أما بالنسبة للسياسة الدولية فهي واقع بئس، تحياه الدول و تعيشه الشعوب بكل سلبياتها من فوضى و اضطراب و ظلم و استغلال الخ...

و السبب في ذلك كما ذهب ماكس فيبر،<sup>233</sup> أن المجتمع الدولي يتميز بانعدام أو غياب وجود الهيئة التي تتولى احتكار العنف المشروع. بعكس الدولة التي عرفها بأنها الهيئة التي تحتكر العنف المشروع.<sup>234</sup>

و المذهب الأناركي في السياسة الدولية المعاصرة لا يمكن فهمه، و لا سير أغواره إلا بالرجوع إلى جذوره الفلسفية الأولى، و التي تعود إلى الرواد الأوائل للمدرسة

232 - هبة رءوف عزت، الفوضوية: الفلسفة التي ظلّمتها الترجمة، في موقع:

<http://www.heba-ezzat.com/2001/07/29/الفوضوية-الفلسفة-التي-ظلّمتها-الترجمة>

233 - ماكسيميليان كارل إميل ويبر (Weber Maximilian Carl Emil) (1864-1920) كان عالماً ألمانيًا في

الاقتصاد والسياسة، وأحد مؤسسي علم الاجتماع الحديث ودراسة الإدارة العامة في مؤسسات الدولة، وهو من أتى بتعريف البيروقراطية، وعمله الأكثر شهرة هو كتاب "الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية" حيث أن هذا أهم أعماله المؤسسة في علم الاجتماع الديني وأشار فيه إلى أن الدين هو عامل غير حصري في تطور الثقافة في المجتمعات الغربية والشرقية، وفي عمله الشهير أيضا "السياسة كمهنة" عرف الدولة: بأنها الكيان الذي يحتكر الاستعمال الشرعي للقوة الطبيعية، وأصبح هذا التعريف محوريا في دراسة علم السياسة. درس فيبر جميع الأديان وكان يرى أن الأخلاق البروتستانتية أخلاق مثالية ومنها استقى النموذج المثالي للبيروقراطية والذي يتميز بالعقلانية و الرشادة ومن الصعب تطبيقه في الواقع ولو طبق في التنظيم لوصل لأعلى درجات الرشادة. ماكس\_فيبر [https://ar.wikipedia.org/wiki/ماكس\\_فيبر](https://ar.wikipedia.org/wiki/ماكس_فيبر)

234 - Aron, R., *Qu'est-ce qu'une théorie des Relations Internationales ?* Revue française de science politique, 17e année, n°5, 1967. pp. 837-861.p845.

الواقعية في العلاقات الدولية، على اعتبار أن الأناركية أو الفوضوية هي أحد الأصول الخمس لهذه المدرسة<sup>235</sup>.

و هؤلاء الرواد هم ثيوسيديس<sup>236</sup> بـ (الواقعية المركبة أو المعقدة)، و مكيافيللي<sup>237</sup> بـ (الواقعية الأصولية)، و هوبز<sup>238</sup> بـ (الواقعية البنوية أو الهيكلية)، و روسو بـ (الواقعية الدستورية)<sup>239</sup>.

و قد عُد هؤلاء الأعلام بمثابة الآباء المؤسسين لما يمكن تسميته "جذور رؤية النموذج المعرفي الواقعي لعالم السياسة"، والخلفية الفكرية لأهم العناصر المفاهيمية التي أسست

### 235 - الأصول الخمسة هي :

- 1- إن الدولة القومية هي الفاعل الرئيسي الوحيد في العلاقات الدولية.
  - 2- إن النظام الدولي نظام فوضوي لا نظام ترانبي.
  - 3- إن الهدف الأسمى للدول هو سعيها إلى الحفاظ على بقائها.
  - 4- إن الدول لا تثق في بعضها البعض و لا يمكن إحداها أن تعرف بالتأكد نيات الأخرى.
  - 5- إن الدول في سعيها نحو البقاء تفكر جدياً في تحقيق ذلك ، و هي بالتالي فاعل عقلاني
- انظر: أحمد محمد أبو زيد. كينيث والتز: خمسون عاماً من العلاقات الدولية ( 1959-2009 ) دراسة استكشافية. المجلة العربية للعلوم السياسية عدد 27 صيف 2010، ص 105، 106.
- 236- ثيوسيديس (460 ق.م. - 395 ق.م.) مؤرخ و سياسي إغريقي شهير، صاحب كتاب تاريخ الحرب البلوبونيزية و يعد أول المؤرخين الإغريق الذين أعطوا للعوامل الاقتصادية والاجتماعية أهمية خاصة. و وقع عليه عبء كتابة تاريخ حقبة شاذة من حياة الحضارة التي ترعرع في ربوعها.

<http://www.thucydide.com/presentation/generalites/biothucydide.htm>

237 - نيكولو دي برناردو دي ماكيافيلي، Niccolò di Bernardo dei Machiavelli ( 1469-1527 )، مفكر وفيلسوف و سياسي إيطالي في عصر النهضة. يعتبر الشخصية الرئيسية والمؤسس للتنتظير السياسي الواقعي، والذي أصبح فيما بعد عصب دراسات لعلم السياسة. أشهر كتبه على الإطلاق، كتاب الأمير، والذي هدف منه أن يكتب تعليمات للحكام، وأيد فيه فكرة أن ما هو مفيد فهو ضروري، والتي كانت عبارة عن صورة مبكرة للنفعية والواقعية السياسية. ولقد فصلت نظرياته في القرن العشرين. و المجتمع عنده يتطور بأسباب طبيعية، فالقوى المحركة للتاريخ هي "المصلحة المادية" و "السلطة". وقد لاحظ صراع المصالح بين جماهير الشعب والطبقات الحاكمة، وطالب بخلق دولة وطنية حرة من الصراعات الإقطاعية القائمة، وقادرة على قمع الاضطرابات الشعبية. وكان يعتبر من المسموح به استخدام كل الوسائل في الصراع السياسي، و هو القائل "الغاية تبرر الوسيلة" برر القسوة والوحشية في صراع الحكام على السلطة. وكانت أهمية ماكيافيلي التاريخية أنه كان واحداً من أوائل الأوروبيين الذين رأوا الدولة بعين إنسانية واستنبطوا قوانينها من العقل والخبرة وليس من اللاهوت. وقد ألف العديد من "المطارات" حول الحياة السياسية في الجمهورية الرومانية، فلورنسا، و عدة ولايات.

238 - توماس هوبز (1588-1679) (Thomas Hobbes) كان عالم رياضيات وأحد أكبر فلاسفة القرن السابع عشر بإنجلترا وأكثرهم شهرة خصوصاً في المجال القانوني و ساهم بشكل كبير في بلورة كثير من الأطروحات وعلى رأسها مفهوم العقد الاجتماعي. و لقد كان أحد مؤسسي فلسفة السياسة الحديثة و لقد ظل فهمه للبشر باعتبارهم مادة وحركة تنفذ نفس القوانين المادية مثل أية مادة وحركة أخرى ذات تأثير كبير؛ ويظل اعتباره للطبيعة البشرية باعتبارها تعاوناً مركزه الذات وللمجتمعات السياسية باعتبارها قائمة على "العقد الاجتماعي" أحد أهم الموضوعات في الفلسفة السياسية. عمل سكرتيراً لـ "فرانسيس بيكون"، وتمكن خلال أسفاره أن يلتقي بـ "ديكارت" و "جاليلو". وترجم في شبابه لـ "ثيوسيديس". كان يحبذ النظام الملكي المطلق، لكنه فعل ذلك على أسس طبيعية، وليس بوصفها نظاماً إلهياً. انظر:

<http://www.iep.utm.edu/hobmoral/>

239 - أنور محمد فرج، نظرية الواقعية في العلاقات الدولية - دراسة نقدية مقارنة في ضوء النظريات المعاصرة،

مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية، السلمانية 2007، ص 171. نقل عن:

Michael W. Doyle: **Ways of War and Peace** (New York: .Company, 1997). P. 44  
W.W. Norton &



بدورها لافتراضات نظرية تركز على علاقات القوة والصراع على القوة والمصلحة القومية، والخطوط العريضة لأهم القواعد التفسيرية التي قدمها النموذج الواقعي للسياسة الدولية، وأبرز القضايا التي تسيطر على أفضليات الدول في سياساتها الخارجية<sup>240</sup>.

و على الرغم من هذه الجذور الفلسفية التي ورثتها المدرسة الواقعية من التاريخ الأوروبي في مختلف مراحلها وعصوره من قديم ووسيط وحديث، إلا أن ميلادها كروية جديدة ومن ثم كنظرية منافسة للمثالية، وصولاً إلى بروزها وهيمنتها على حقل دراسة العلاقات الدولية كان من الولايات المتحدة الأمريكية<sup>241</sup>.

و هذه المدرسة هي المسيطرة على نظرة أغلب الساسة الأمريكيين للعلاقات الدولية و للمجتمع الدولي، و الفوضى الدولية في منظورهم لا تعني وضعاً عشوائياً، أو عدم انتظام، بل تعني وضعاً لا يوجد فيه هيكل ذو سيادة يتحكم في الدول القومية و يوجهها.

و في ظل وجود الكثير من الدول ذات السيادة و عدم وجود نظام قانوني إلزامي بينها، فإن كل دولة تواجه شكاويها و طموحاتها طبقاً لقواعدها و رغباتها الخاصة، من هنا يكون حدوث الصراع، الذي يؤدي أحياناً إلى الحرب حتمياً.

.. في وضع الفوضى هذا، لا يوجد انسجام آلي بين الدول، إذ قد يكون بعض البلدان راغباً في استعمال القوة العسكرية لإنجاز غاياته و ذلك بسبب عدم وجود سلطة عليا تمنعه من عمل ذلك. و حتى الدول ذات الميول السلمية يجب أن تتسلح، لأن الطبيعة أو الشر، الاتفاق أو الخلاف بين الدول، قد يؤدي أو لا يؤدي للحرب، و الحرب تقع لأنه لا يوجد شيء قادر على منعها<sup>242</sup>.

---

240 - د أنور محمد فرج، نظرية الواقعية في العلاقات الدولية، م س، ص 171.

241 - ن م، ص 172.

242 - أحمد محمد أبو زيد. كينيث والتز: خمسون عاماً من العلاقات الدولية (1959-2009) دراسة استكشافية. المجلة العربية للعلوم السياسية، عدد 27، صيف 2010، ص 101.

## الفرع الرابع: أطروحة نحن و الآخرون

تعد نظرية "نحن والآخرون" إحدى النظريات التفسيرية لمستقبل النظام العالمي وحركة العالم القادمة، و الفكرة الأساسية التي تقوم عليها في الغرب تتبع من العودة إلى مركزية الثقافة والحضارة الغربية تحت لواء الولايات المتحدة<sup>243</sup>. و تشكل مع الأطروحات الثلاثة السابقة الروافد الأساسية للحرب الحضارية التي تشنها أمريكا على العالم الإسلامي.

وتتميز أطروحة نحن و الآخرون عن تلك الأطروحات السابقة بالأقدمية في الزمن، فالآخر مفهوم تاريخي تطوري انبثق مع الوجود الإنساني، و تطور مع تطور المجتمعات الإنسانية البدائية، و برز مع ظهور الحضارات الأولى في وادي الرافدين ثم في مصر و غيرها من العالم القديم<sup>244</sup>.

كما أنها حين تستعمل في بعدها السلبي أكثر خطورة من نظرية صراع الحضارات، بل و بقية النظريات. و هي أكثر غطرسة وعنصرية، وتعلن اصطفاً صراعياً واضحاً بين الغرب والعالم الإسلامي، وتشير بوضوح إلى الاستخدام البائس للثقافة والحضارة والهوية والدين من قبل السياسة، وليس كما كانت تقول نظرية صراع الحضارات بأن التناقضات ثقافية وحضارية<sup>245</sup>.

و قد عُد مفهوم "نحن و الآخرون" أحد أكثر المفاهيم حضوراً وتداولاً في عالم اليوم، ويجري الحديث عنه في مختلف المجتمعات والثقافات والحضارات، و بات يتصل بالعديد من المجالات والميادين ويتلون بها، بدءاً من الدين و الفلسفة إلى الثقافة و الحضارة و السياسة و الاقتصاد و غيره<sup>246</sup>.

---

243 - باسم الطوباسي، نحن والآخرون. جريدة الغد الأردنية الثلاثاء 19 تشرين أول 2010م. انظر موقع:

<http://www.alghad.com/index.php>

244 - ذاكر آل حبيّل، الآخر بوصفه مفهوماً حول طبيعة تشكل مفهوم الآخر في الوعي الإنساني ، مجلة الكلمة العدد

(40) - السنة العاشرة - صيف 2003م - 1424هـ

245 - باسم الطوباسي، نحن والآخرون. م. س.

246 - زكي الميلاد، مفهوم الآخر، شبكة النبا المعلوماتية- الأربعاء 17/حزيران/2009 - 19/جمادى الآخرة/1430.

"و يرتبط هذا المفهوم ويتداخل بالعديد من الحقول المعرفية كالفلسفة، والدراسات الثقافية و الحضارية، والنقد الثقافي والأدبي، والتحليل النفسي وغيرها، ويدرس و يُعنى به في هذه الحقول؛ ودخل حديثاً في المعاجم الثقافية والأدبية والفلسفية، بوصفه مفهوماً ومصطلحاً له ملامحه وبنيته المفهومية والدلالية والتاريخية<sup>247</sup>.

وفي ظل الانطباعات التي تصور أن العالم بات شديد التداخل والترابط بين أجزائه المتباعدة، وتحول إلى ما يشبه القرية العالمية المتصاغرة مع مرور الوقت، الوضع الذي غير جذريا منظورات الرؤية لمفهوم الآخر، فلم يعد الآخر خارج الأسوار المحصنة، أو ذلك الذي تفصلنا عنه تلك المسافات البعيدة؛ فقد بات الاحتكاك بهذا الآخر يحدث في كل لحظة، وفي كل مكان، وبكثير من الوسائط المباشرة وغير المباشرة، السمعية والبصرية، الشفهية والمكتوبة، وبلغات مختلفة<sup>248</sup>.

و المتأمل في مفهوم الآخر من حيث طبيعته، يلحظ أن له بعداً سلبياً و آخر إيجابياً؛ فالبعد السلبي يستبطن القدر و الذم و الاستنقاص، و في مجال العلاقات الدولية و الحضاراتية، يحدث التباعد و الاستبعاد و الفصل و القطيعة و الإلغاء؛ و الانطباع العام حول المفهوم في هذا المجال يوحي بالطابع السلبي أكثر من الإيجابي، هذا بعكس البعد الإيجابي الذي لا يعني أكثر من التمييز بين الجماعات و المجموعات و الأمم و الثقافات و الحضارات، و هو سنة كونية أشار إليها القرآن الكريم تحت مسمى سنة الاختلاف التي تعنى التنوع و التعدد، و هي تبعث على التعارف و التمازج و التعاون.

و المنحى ذي السمة السلبية لمفهوم الآخر، قد أشار إليه كتاب (دليل الناقد الأدبي)، فبعد تتبع استعمالات هذا المفهوم في دراسات بعض المفكرين الفرنسيين المعاصرين<sup>249</sup>، الذين شاع عندهم مفهوم الآخر أكثر من غيرهم، ينتهي الكتاب بالقول إلى أن المعنيين بأمر هذا المصطلح، يرون أن الآخر في أكثر معانيه شيوعاً يعني شخصاً آخر، أو مجموعة مغايرة من البشر ذات هوية موحدة، وبالمقارنة مع ذلك الشخص أو المجموعة

247 - زكي الميلاد، مفهوم الآخر، شبكة النبا المعلوماتية- الأربعاء 17/حزيران/2009 - 19/جمادى الآخرة/1430.

248 - زكي الميلاد -«صحيفة عكاظ السعودية»- 23 / 4 / 2009 م .

249 - أمثال جان بول سارتر ( 1905 - 1980 ) و ميشال فوكو ( 1926 - 1984 ) Michel Foucault و جاك لاكان Jacques Lacan .- (1901-1981).

يتحدد الاختلاف معه أو معها، وفي مثل هذه الضدية ينطوي هذا التحديد على التقليل من قيمة الآخر، وإعلاء قيمة الذات أو الهوية، ويشيع مثل هذا الطرح في تقابل الثقافات خاصة، و هذا المعنى يكاد أن يكون هو السائد في مقالات الغربيين<sup>250</sup>.

أما الجانب الإيجابي فيتحدد في النظر إلى الطرف المغاير بعيداً عن التسميات والتوصيفات و الكنى والألقاب غير المفضلة وغير المستحسنة، و التي لا يرتضيها هذا الطرف، ولا يقبل بها، وقد يرى فيها قدحاً أو ذماً أو تتابراً بالألقاب. فبدل وصف الطرف المختلف أو المغاير بأوصاف و نعوت و تسميات قد لا يستحسنها، يأتي وصف الآخر بقصد التجرد والتعالي والتنزه عن إطلاق ما قد لا يقبله<sup>251</sup>.

و يرى المفكر السعودي زكي الميلاد، أنه عند النظر في مفهوم الآخر يمكن الفصل والتمييز بين جانبين أساسيين لا بد من الإشارة إليهما، والتأكيد عليهما في تكوين المعرفة بهذا المفهوم، وفي طريقة التعامل معه، وهما الجانب الأخلاقي والإنساني من جهة، والجانب الفكري والثقافي من جهة أخرى.

ففي الجانب الأخلاقي والإنساني ليس هناك ما يسمى بالآخر، ولا ينبغي إطلاق مفهوم الآخر في هذا الجانب، وذلك لأن الطبيعة الإنسانية هي واحدة وثابتة من حيث الجوهر والخلق والتكوين، ولا تختلف أو تتمايز بين جميع البشر، وهذا ما يعرفه البشر أنفسهم، منذ أن وُجد الإنسان على هذه الأرض، ومهما اختلفت ألسنة الناس ولغاتهم و ألوانهم وأعرافهم و مدنيتهم وثقافتهم.

و ليس هناك إنسان (غير)، بين بني الإنسان، فالخلق كلهم عيال الله، فطرهم على فطرته ولا تبديل لخلق الله، وخلقهم في أحسن تقويم، وجعلهم على أحسن صورة. و من هذه الجهة، فإن النظرة الأخلاقية تنفي إطلاق مفهوم الآخر بين البشر على أساس اللون أو العرق أو اللسان، وترفض وتواجه من يقبل أو يتبنى مثل هذه التصورات وهذه الأفكار، ومن يتحدث عنها أو يميل ويشير إليها.

**250-** ميجان الرويلي، سعد البازعي. دليل الناقد الأدبي الطبعة الثالثة، ( المغرب: الدار البيضاء، لبنان: المركز الثقافي العربي، 2002)، ص-ص 21-24.  
**251-** زكي الميلاد، شبكة النبا المعلوماتية- الأربعاء 17/حزيران/2009 - 19/جمادى الآخرة/1430. م.س.

وعند العودة إلى القرآن الكريم نجد أنه استعمل تسمية بليغة جداً وفي غاية الدقة، لا مكان فيها ولا وجود لمفهوم الآخر، ولا تعطي إحاء به على الإطلاق لا من قريب ولا من بعيد، وهي تسمية (الناس) التي وردت مراراً في السور القرآنية المكية والمدنية، وتسمت بهذه التسمية آخر سورة في هذا الكتاب المجيد، وتبوت مكان آخر كلمة فيه، حيث إن آخر كلمة في القرآن هي كلمة (الناس)، في دلالة على أهمية هذه الكلمة، وقيمة حقها الدلالي، وهذا ما لم يُلتفت إليه!<sup>252</sup>

و وجه البلاغة والدقة في كلمة (الناس) التي جاءت تعبيراً عن اسم الجنس البشري، أن هذه الكلمة تختلف وتتمايز عن سائر الكلمات القريبة منها والتي تدور في فلكها، فهي لا تقبل التجزئة أو التثنية أو الإضافة أو التقابل على مستوى اللغة، كما هو حال كلمات الأمة والمجتمع والشعب والجمهور وغيرها، فهي تقبل التثنية و الجمع و الإضافة، بخلاف كلمة (الناس)، والمراد منها الإشارة إلى العموم والاستغراق دائماً، أي الناس كافة دون أي وصف زائد أو إضافة أو تمايز. بمعنى أن كلمة (الناس) هي الكلمة الوحيدة التي تستغرق عموم البشر، فلا مجال فيها لشيء اسمه الآخر، أو للحديث عنه. لهذا جاز القول أن مفهوم الآخر ليس له مجال أو مكان أو اعتبار في الجانب الأخلاقي والإنساني، ولا ينبغي تحكيم هذا المفهوم والتعامل به في هذا الجانب.<sup>253</sup>

من هنا فإن مفهوم الآخر إنما يتحدد في الجانب الفكري والثقافي (و الحضاري)، و يتأطر به بشكل خاص بوصفه المفهوم الذي يشير بصورة أساسية إلى الاختلافات الفكرية والثقافية بين الأفراد أو المجموعات البشرية، الصغيرة أو الكبيرة، وقد تتلون هذه الاختلافات بلون ديني أو بلون سياسي، أو اقتصادي، أو بلون اجتماعي، الخ. وربط مفهوم الآخر بالجانب الفكري والثقافي يستند على خلفية أن هذا المفهوم هو الذي يشير إلى تلك الاختلافات الفكرية والثقافية الفارقة والفاصلة التي تظهر بين المجموعات والجماعات البشرية، ولا يتعلق بالاختلافات البسيطة أو السطحية أو العابرة.<sup>254</sup>

252 - زكي الميلاد، مفهوم الآخر. شبكة النبا المعلوماتية- الأربعاء 17/حزيران/2009 - 19/جمادى الآخرة/1430

253 - ن م ، شبكة النبا المعلوماتية- الأربعاء 17/حزيران/2009 - 19/جمادى الآخرة/1430

254 - ن م ، شبكة النبا المعلوماتية- الأربعاء 17/حزيران/2009 - 19/جمادى الآخرة/

و يكشف عن ذلك طريقة التعاطي بهذا المفهوم بين المجموعات المختلفة، فهو لا يجري التعامل معه عند هؤلاء إلا على أساس الاختلاف الفكري والثقافي الفارق والفاصل بين هذه المجموعات.<sup>255</sup>

ومن هذا المنطلق فإن هذه الدراسة - وتماشيا مع مقتضياتها الموضوعية و المنهجية- اقتصرت و ستقتصر على مفهوم (نحن و الآخرون) من المنظور الثقافي و الحضاري فقط، معرضة عن بقية المناظير.

و على الرغم من أن مفهوم "نحن و الآخرون" يحتمل كلا الوجهين السلبي والإيجابي، إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية في سياستها الخارجية و علاقاتها الحضارية و الدولية، و بخاصة مع العالم الإسلامي قد تبنت الوجه السلبي للمفهوم، مقتفية بذلك أثر سلفها الحضاري (أوروبا)؛ و لا غرو في ذلك، فهي الوريث الفعلي للغرب و ممثله الحقيقي في العصر الراهن.

و للوقوف على مفهوم الآخر في السياسة الأمريكية، يحسن بنا الانطلاق من حقيقة القومية الأمريكية و كيف ينظر غالبية الشعب الأمريكي إلى نفسه و إلى غيره، و من هنا وجب الرجوع إلى مفهوم الآخر في الرؤية المسيحية البروتستانتية و الكاثوليكية على اعتبار أن غالبية الشعب الأمريكي يستمد رؤاه و توجهاته من الإرث الحضاري الأوروبي في أبعاده اليونانية و الرومانية و اليهودية و المسيحية.

و تعود الجذور الأولى لنظرة الأمريكيين للآخر إلى الميثافيزيقا الغربية التي نهضت على تقسيمات تدغدغ الذات و تروي عطشها المزعوم في التفوق، و تؤكد أفضليتها على الآخر، لذا مدّت هذه الذات بجسور مصطنعة تربطها بالإغريق<sup>256</sup>، انطلاقاً من حمى البحث عن ماض عريق و أصول ذهبية؛ و قد تمّت بناءً على ذلك، عملية إعادة كتابة تاريخ اليونان القديمة<sup>257</sup> بشكل يتماشى و أسطورة الغرب المدني و الحضاري. و دعم ذلك

---

255 - زكي الميلاد، مفهوم الآخر. شبكة النبا المعلوماتية- الأربعاء 17/حزيران/2009 - 19/جمادى الآخرة/1430

256 - محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية. ص187.

257 - مارتن برنار: أثينا السوداء، (الجزء الأول) تليفق بلاد اليونان، تر: مجموعة من المترجمين، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، 1997.

النظرية التطورية، التي صنفت الشعوب والأمم إلى أصناف متميزة ومتعارضة، مثل (متوحشون) و(برابرة) و(متمدنون)، وعليها نسج التمرکز الغربي، الذي يجد أصله النظري في التقسيم الأرسطي للعالم القديم إلى إغريق وبرابرة، أو إلى أحرار بالطبيعة وعبيد بالطبيعة<sup>258</sup>.

و في الحقيقة إن الميتافيزيقا الغربية من أفلاطون إلى هيجل هي كلها خطاب المركزية الأوروبية، لأنها تصور العالم باعتباره مركزاً وأطرافاً، حيث الآخر يمثل سكان الأطراف (غير الأوروبيين) الذي يتوجب عليه التبعية الثقافية و الاقتصادية و السياسية، أي قبول الاستعمار، و في النهاية نجد أن التشريح الإبيستمولوجي لصورة الآخر في ذلك الخطاب، يكشف عن النزعة الإمبريالية التي يظهرها منتج هذا الخطاب و إذا ذهبنا مع أطروحة إدوارد سعيد: "الثقافة و الإمبريالية" نكشف أن المشروع الثقافي للغرب برمته يقوم على إلغاء الآخر و أن الآخر هو دائماً موضوع امتلاك و استعباد، و يقوم مقام العبد في جدلية هيجل.<sup>259</sup>

ثم استعاضت المسيحية في العصور الوسطى معيار الفصل التقابلي في ثنائية: (إغريق / برابرة) بمعيار فصل ميتافيزيقي آخر يقوم على ثنائية: (مؤمنون / كافرون)، وهو فصل يعتمد على معيار الإيمان بالمسيحية دون سواها من الأديان، و يتماشى مع الطبيعة التبشيرية للمسيحية، التي شنت الحروب الصليبية على خلفية الصور الميتافيزيقية التي بنتها متخيلات التمرکز اللاهوتي و تعاليمه الكنسية<sup>260</sup>؛ و مع النهضة الأوروبية دُعم التمرکز العرقي، وبرز إلى الواجهة معيار (التقدم) أو (المدنية) لفصل جديد بين الشعوب، حيث بدا الغربي صورة للتفوق و الصفاء و القوة. ثم بدأت في العصر الحديث، حركة الأوربية التي تجلت بإخضاع مجتمعات و شعوب العالم للنموذج الأوروبي، عبر مختلف أشكال الانتداب و الاستعمار و السيطرة، و رأت القوى المسيطرة في الغرب الحديث ضرورة إخضاع الشعوب للنموذج الغربي بوصفه النموذج الأمثل

258- أرسطو طاليس، السياسة. ترجمة أحمد لطفي السيد، (القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، 1979)، ص- ص 94-103.

259- إدوارد سعيد، الثقافة و الإمبريالية، ترجمة: كمال أبو ديب، (بيروت: دار القلم، 1997).

260- عمر كوش، الصور النمطية بين الشرق والغرب.

<http://www.almustaqbal.com/v4/Article.aspx?Type=np&Articleid=55427>

والأصلح لمختلف الشعوب، واحتل الغربي (الرجل الأبيض) فيه القطب الأول في ثنائية: (المتقدم/ المتخلف) التي شكلت جوهر التفكير الميتافيزيقي الفلسفي الغربي الحديث<sup>261</sup>.

كما أن للاستشراق دورا بارزا في بلورة مفهوم الآخر لدى الأمريكيين، كما كان لسلفهم الحضاري (الأوروبيين)، فقد أدى التمرکز الغربي على الذات إلى إنشاء صور نمطية عن الآخر عموما، و عن الشرق خصوصا، وعن العالم الإسلامي بوجه أخص؛ وقد اتسمت هذه الصور بالتشويه المفعم بالأساطير والتصورات المغلوطة، فالفصل الميتافيزيقي بين الغرب والشرق لم يأخذ باصطلاحه المكاني والجغرافي، بل في تأكيد التباين الثقافي والسياسي والأيدلوجي بينهما في انفصامهما، وهكذا تظهر ميتافيزيكا الاستشراق الذات الغربية في زهوة +تفوقها وقوتها وسطوتها، بينما تزيّف ثقافة الآخر الشرقي (خصوصاً الإسلامي) وتحتقر ثقافته ولغته وديانته ووجوده، وتضعه خارج التاريخ، وخارج الفضاء الكوني المشترك الذي يناضل من أجله الجميع، مجردة إياه من القيم الإنسانية المشتركة<sup>262</sup>.

---

261- زيد عباس، ميتافيزيكا الاستشراق وتصور الآخر. في موقع صاحب المقال:  
<http://www.arts.uokufa.edu.iq/teaching/ph/dr.zaid/index.files/page0002.htm>  
262- زيد عباس، ن م .



## المطلب الثالث: بناء و استخلاص مفهوم الحرب الثقافية و الحضارية

من خلال تتبعنا لمفهومي الثقافة و الحضارة و تحليلنا لمختلف عناصرهما، و كذا الوقوف على تاريخ مصطلح الحرب الحضارية و الظروف العامة لانبثاقه، و الأطروحات ذات العلاقة به، يمكن تعريف الحرب الثقافية أو الحضارية الأمريكية بما يلي :

الحرب الحضارية الأمريكية هي عملية الغزو و التفكيك المنهجي للعالم الإسلامي، أو للذات الحضارية الإسلامية كمركب حضاري أو لمكونات الجامعة الإسلامية، الممارسة من قبل أمريكا و حلفائها و أتباعها عبر العالم - باعتبارها الوريث للحركة الكولونيالية اللاتينية - و التي وظفت فيها جميع وسائلها العسكرية والمدنية (الاقتصادية و السياسية و الفكرية و الثقافية و الإعلامية و...)، و هذا التفكيك هو بالنتيجة تفكيك لعناصر القوة التي استندت إليها حركة العالمية الإسلامية سابقا، و تقوم عليها فكرة العالمية الإسلامية التي قد تتبعث و تحي من جديد؛ كل ذلك بهدف التغيير الحضاري للآخر (العالم الإسلامي) و دمج جميع خصوصياته الحضارية في الخصوصية الحضارية الأمريكية، و تغيير أنظمتها و مركباته الحضارية و إبادتها<sup>263</sup> و هذه العناصر و مكونات المركب الحضاري الإسلامي يمكن إبرازها على النحو التالي:

1 - مكون الأصول الحضارية و هي : الأصول العقدية و الأصول التشريعية و الأصول الأخلاقية .

2 - مكون الأركان الحضارية و هي : اللغة العربية و العلماء و الوحدة و الشورى و الرسالية و التجديد و التراث و التاريخ و العدل و الحرية و العادات و التقاليد و الأعراف.

3 - مكون المرتكزات الحضارية و هي: المرتكز الجغرافي (الجيو- سياسي و المرتكز الاقتصادي و المرتكز الإنساني أو البشري<sup>264</sup> .

263 - أحمد العمري، نظرية الاستعداد في المواجهة الحضارية، م س، ص 1، 5، 7.  
264 - ن م، ص 5، 6، 57.

و من هنا يمكن القول أن مكونات الحرب الحضارية و عناصرها الأساسية، هي نفس مكونات الأصول و الأركان و المرتكزات الحضارية، التي تعد عناصر و مكونات المركب الحضاري الإسلامي.

فهي تشمل الحرب على المنظومة العقدية و المنظومة التشريعية أو القانونية و المنظومة الأخلاقية.

كما أنها تشمل الحرب على لغات العالم الإسلامي، و بخاصة اللغة العربية باعتبارها اللغة الجامعة للمسلمين، وكذا الحرب على التراث و التاريخ و العادات و التقاليد و الأعراف، و الحرب على منظومة العلم و العلماء و آليات تجديد الأمة كالوحدة و الدعوة و الرسالية والتجديد و الشورى و العدل و الحرية و غيرها.

و يندرج ضمن مكونات الحرب الحضارية و عناصرها أيضا، العناصر السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و غيرها.

و يمكن اعتبار هذه الحرب خلاصة لمختلف الأطروحات الصراعية الغربية، بدء من الحروب الباردة إلى الحروب الساخنة، مرورا بأطروحة نهاية التاريخ، و أطروحة صدام الحضارات، و أطروحة الفوضى، و أطروحة نحن و الآخرون. و من هنا يمكن القول أن هذه الأطروحة هي بمثابة إستراتيجية شاملة، و طبيعتها و خصائصها هي ذات طبيعة و خصائص الأطروحات الرافدة لها.

فحدوث حرب باردة بعد حرب ساخنة ، ثم حرب حضارية ، كل هذا يدل على أن الغرب لا يعيش إلا في ظل الحروب ، و لهذا فإن ما يحكمه هو منطق الحرب حتى في السلم فنسميها حرب باردة

إن هذه الأطروحة و جميع الأطروحات الصدامية التي تصب في أتون الحرب الحضارية كلها غربية و هي في أغلبها إستراتيجية أكثر منها تحليل لواقع أو استشراف المستقبل، و هي ذات علاقة بالتصور الغربي العام و نظرتة للآخر.

يقول الدكتور رفيق حبيب<sup>265</sup>: " لقد أصبحنا اليوم نواجه إمبراطورية جديدة في أسسها، فهي لا تريد أن تحتل العالم عسكرياً، بل تريد السيطرة على حضارات العالم و عقل العالم، و تريد السيطرة على الأنظمة السياسية و الاقتصادية، هي في الواقع محاولة شاملة لتأسيس أول احتلال حضاري شامل في تاريخ الإنسانية"<sup>266</sup>.

**استنتاج : يستنتج من كل ذلك:**

- أن مصطلح الحرب الحضارية والثقافية لم ينبثق عن الحرب الباردة أو بعدها كما ذهب إلى ذلك بعض المؤرخين المعاصرين للأفكار والمصطلحات، بل هو وليد التنافس الاستعماري الأوروبي زمن الحزب النازي الألماني، مما يوحي أن الغرب الذي كان يعاني من الصراعات الداخلية (صراع الثقافات المحلية فيما بينها) أراد أن ينقل هذا الصراع خارجياً فيما بينه وبين الحضارات الأخرى ليحقق بذلك غرضين اثنين هما:  
الغرض الداخلي: يتمثل في التخفيف و القضاء على الصراع والنزاع الداخليين.  
الغرض الخارجي: يتمثل في إيجاد عدو خارجي.
- إن مبدأ أو فكرة الحرب الحضارية وصراع الحضارات كخيار و إستراتيجية سياسية قديمة قدم الحضارات نفسها<sup>267</sup>.
- أن الصدام الحضاري أو الحرب الحضارية لم ينل الاهتمام الذي هو عليه الآن حتى نهاية الحرب الباردة حين تبنى الغرب ممثلاً بأمريكا هذا الاتجاه في العلاقات الدولية.

---

**265** - رفيق حبيب هو مفكر مصري مسيحي من مواليد القاهرة سبتمبر 1959م، ينتسب إلى الطائفة الإنجيلية وهو نائب رئيس حزب الحرية والعدالة المنبثق من جماعة الإخوان المسلمين يعد أحد المفكرين المعتدلين في مصر ، حصل درجة دكتوراه الفلسفة في الآداب تخصص علم نفس اجتماعي في 1988 عين مستشاراً في الفريق الرئاسي لمحمد مرسي واعتزل العمل السياسي احتجاجاً على موقعة الاتحادية. له مؤلفات كثيرة منها: - الإحياء الديني: ملف اجتماعي للتيارات المسيحية والإسلامية في مصر، القاهرة، الدار العربية، 1991. - تفكيك الديمقراطية، القاهرة، دار الشروق، 1997. - المقدس والحرية، القاهرة، دار الشروق، 1998. - التغيير: الصراع والضرورة القاهرة، دار الشروق، 1999. انظر موقع ويكيبيديا: رفيق\_حبيب/<https://ar.wikipedia.org/wiki>

**266** - رفيق حبيب، حروب الديمقراطية- معارك الإصلاح و الهيمنة، الطبعة الأولى، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2006)، ص 6،5.

**267** - حسين مؤنس، الحضارة: دراسة في أصول و عوامل قيامها و تطورها، م س، ص 61.

• إن الصدام إستراتيجية أمريكية و ليس حتمية طبيعية أو واقعا مفروضا، ولهذا فهو ليس حتمي وجبري وإنما هو خيار إستراتيجي.

### الخلاصة

في ختام هذا الفصل يمكن الخلوص إلى النتائج التالية:

- إن مصطلح الحرب الحضارية و ما يدور في فلكه من مصطلحات مثل الصدام الحضاري و الصراع الحضاري و غيرهما، و كذا البراديغمات الرافدة له، لم تتبثق بنهاية الحرب الباردة بين محور موسكو- واشنطن؛ و ينطبق نفس الأمر على الحرب الحضارية كظاهرة إنسانية، إذ تضرب بجذورها إلى فجر الحضارات الإنسانية.

- إن الحرب الحضارية حتى و إن اعتبرت ظاهرة إنسانية، فهي ليست حتمية تاريخية لا فكاك منها و لا مناص، كما ذهب إلى ذلك كثير من المنظرين و فلاسفة العلاقات الدولية الغربيين و على رأسهم الأمريكيين، بل هي إستراتيجية غربية قديمة و تبنتها الولايات المتحدة في مراكز التفكير و التنظير و في واقع العلاقات الدولية.

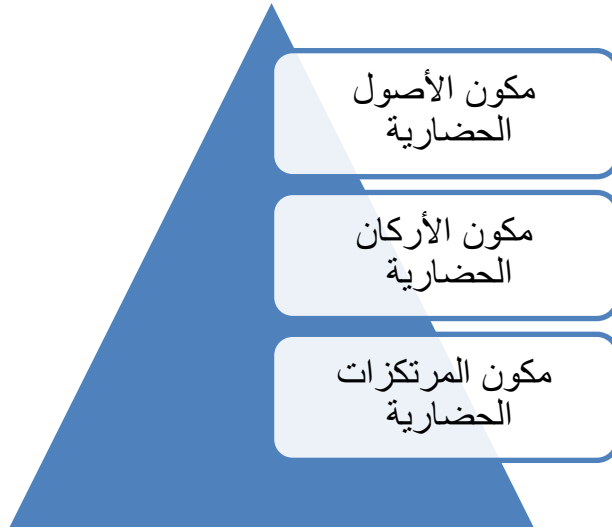
- إن السياق المنهجي لهذه المحاولة البحثية، أفضى إلى أن بناء التعريفات و بخاصة الإجرائية، و كذا بناء المفاهيم في الدراسات الإنسانية و الاجتماعية، يكون أقرب للدقة و الموضوعية حينما يعتمد البحث على الرصد التاريخي للمصطلح و الظروف العامة لانبثاقه، و ذلك لأن التتبع التاريخي للظاهرة منذ انبثاقها يساهم في فهم مختلف مكوناتها و إدراك مراحل تطورها عبر مسارها الزمني، و كل ذلك في ضوء التوجيه الرباني: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ 268 .

- إنه من خلال تتبع الباحث لمفهومي الثقافة و الحضارة و تحليله لمختلف عناصرهما و الوقوف على بعض الأطروحات ذات العلاقة بالمصطلح في دراسة سابقة يأمل نشرها، و من خلال الوقوف على تاريخ مصطلح الحرب الحضارية و الظروف العامة لانبثاقه، أمكن فهم عملية الغزو الثقافي و الحضاري و هو أنها عملية تخضع

لمنهاج منطقي متدرج يبدأ من المرتكزات ثم الأركان ثم الأصول، بينما عملية الدفاع تركز على عكس عملية الغزو، أي أنها تبدأ بالأصول الحضارية ثم الأركان، ثم المرتكزات، و يمكن تبين ذلك من الجدولين التاليين<sup>269</sup>:



جدول 1- عملية البناء و الدفاع الحضاري وفق المكونات الثلاث



جدول 2- عملية التفكير و الهجوم الحضاري وفق المكونات الثلاث

269 - أحمد العمري، نظرية الاستعداد في المواجهة الحضارية للاستعمار: المغرب نموذجا. ص1، 5، 7.

# الفصل الثاني

## أسس الحرب الحضارية الأمريكية و أهدافها الإستراتيجية

### المبحث الأول

أسس الحرب الحضارية الأمريكية

### المبحث الثاني

الأهداف الإستراتيجية للحرب

الحضارية الأمريكية

## تمهيد

تشكل الحرب الحضارية الأمريكية أحادية الجانب على العالم الإسلامي ، متغيرا ذا أهمية كبرى بالنسبة لطرفيها و لمختلف الأطراف الأخرى، سواء الإقليمية منها أو الدولية، بل لكل المعمورة دون استثناء، و من هنا كان تناول هذه الحرب من حيث أسسها و أهدافها الإستراتيجية في غاية الأهمية.

و لهذا كان الهدف العام من هذا الفصل هو محاولة إبراز أن تلك الأطروحة ذات علاقة بالمرجعيات الدينية والفلسفية الغربية، و بمنظومة قيمهم و بعالم أفكارهم.

# المبحث الأول

## أسس الحرب الحضارية

المطلب الأول : الأساس الديني

المطلب الثاني: الأساس الفكري و الفلسفي

المطلب الثالث: الأساس الثقافي الاجتماعي

المطلب الرابع: الأساس السياسي

المطلب الخامس: الأساس الاقتصادي



يُعدّ الكشف عن أسس الحرب الحضارية الأمريكية ، غاية في الأهمية، ذلك أنه يعمق الفهم حول ماهية هذه الحرب و أبعادها الإستراتيجية، و أهدافها الكلية و غاياتها الكبرى، و يبرز عللها و أسبابها، و يساعد على إدراك سننها و نواميسها.

و الأسس التي تركز عليها الحرب الحضارية الأمريكية على العالم الإسلامي كثيرة و مختلفة و متنوعة، فمنها الديني و الفكري و السياسي و الاقتصادي و الاجتماعي و غيره، و هو ما يجعل آثارها لا تتعلق بالعالم الإسلامي و الغربي فحسب بل تمتد إلى كل المعمورة، و هي لا تتعلق فقط بالحاضر، بل تمتد إلى المستقبل البعيد.

و مما ينبغي بيانه بين يدي هذا الفصل أن هذه الأسس ذات علاقة وثيقة بـ نظرية الاستعداد في المواجهة الحضارية للاستعمار " للمفكر المغربي الدكتور أحمد العماري، و التي كشفت أن الغايات الكبرى للاستعمار و الحروب الحضارية ضد العالم الإسلامي هي تفكيك مكونات المركب الحضاري الإسلامي، و التي تم إيرازها في المكونات التالية:

1 - **مكون الأصول الحضارية** و هي : الأصول العقدية و الأصول التشريعية و الأصول الأخلاقية .

2- **مكون الأركان الحضارية** و هي : اللغة العربية و العلماء و الوحدة و الشورى و الرسالية و التجديد و التراث و التاريخ و العدل و الحرية و العادات و التقاليد و الأعراف.

3- **مكون المرتكزات الحضارية** و هي: المرتكز الجغرافي (الجيو- سياسي و المرتكز الاقتصادي و المرتكز الإنساني أو البشري).

و سوف يتبين من خلال المطالب الآتية أن كل عناصر المكونات الثلاثة تتوزع على أسس الحرب الحضارية بطريقة عجيبة تنبئ عن صحة نظرية المفكر المغربي أحمد العماري.

## المطلب الأول: الأساس الديني

لقد أصبحت العلاقة بين الدين و الحياة العامة إحدى أهم قضايا العلاقات الدولية، فمعظم الصراعات و الحروب منذ العقد الأخير من القرن الماضي، أصبح الدين يشغل موقعا محوريا فيها، و قد تحولت العودة للدين إلى ظاهرة اجتماعية، و أصبح عالما المعاصر يشهد بعثا دينيا يؤثر في الحياة العامة، و يعيد تشكيل الدول و المجتمعات و صار الإحياء الديني يبعث شعورا جديدا بالهوية و الانتماء في معظم أنحاء العالم<sup>270</sup>.

كما تزايدت عمليات توظيف الدين و رموزه و تفسيراه و تأويلاته في العلاقات الدولية، لاسيما النزاعات حول الهوية و المصالح و الحدود، و في بناء التحالفات الدولية<sup>271</sup>.

و لقد تبين عند تعريف أطروحة الحرب الحضارية أنها خلاصة لمختلف الأطروحات الصراعية الغربية، وأنها بمثابة إستراتيجية شاملة، و أن طبيعتها و خصائصها هي من ذات طبيعة و خصائص الأطروحات الرافدة لها؛ كما تبين أيضا، أن تلك الأطروحات ذات علاقة بالمرجعيات الدينية والفلسفية، و بللمنظومة القيمية و الفكرية للغرب عامة و للولايات المتحدة بوجه خاص.

و لا ريب أن الأساس الديني، يُعدّ أبرز أسس الحرب الحضارية الأمريكية، لاسيما في ظل أجواء التوجه الديني الذي سيطر على أعضاء الإدارة الأمريكية، قبيل أحداث الحادي عشر سبتمبر 2001م، و بعده بصورة خاصة، و الذي يعم المجتمع الأمريكي بصورة عامة.

جاء في مقال من مجلة ديرشبيجل الألمانية في 17/2/2003 م قبل غزو العراق،

تحت عنوان "حروب الرحمة" بقلم هانز هوينج و جيرهارد شبورل: "واشنطن مدينة تخشى الله. أحد الطقوس الرئيسية في البيت الأبيض هو أن يبدأ الاجتماع بالصلاة، يطلب الرئيس من أحد وزراء مجلسه أن يقول بعض الكلمات التأملية، بينما يخفض كل من

270 - أماني صالح، عيد الخبير عطا محروس. العلاقات الدولية: البعد الديني و الحضاري، الطبعة الأولى، (دمشق: دار الفكر، 2008) ص 84.

271 - ن م، ص 85.

بالغرفة رؤوسهم، و يُطبّقون عيونهم، يطوّقون أيديهم معاً، و يقوم دونالد رامسفيلد المحارب القديم بالتوسل إلى الله<sup>272</sup>.

و جاء في تقرير خاص من مجلة نيوزويك الأمريكية، عدد 10 مارس 2003 قبيل غزو العراق، تحت عنوان "بوش و الله" بقلم هوارد فاينمان: "و يُرضي بوش ضميره بالقول: إن حرب العراق حرب عادلة من وجهة نظر المسيحية، طبقاً لمصطلحات أوجستين في القرن الرابع و توما الأكويني، و مارتن لوثر، و لكن بوش لم يصل إلى تلك النتيجة بالبحث في الكتب أو إجراء مناقشات عن الموضوع، و لكنه قرر أن صدّأماً شر، و أخذ يتصرف على هذا الأساس"<sup>273</sup>.

و يقول الكاتب البريطاني ج. ك. شيبسترون عن أمريكا إنها "أمة بروح كنيسة"، و أن كل رئيس أمريكي يبدو في وقت من الأوقات كراعي الكنيسة، متمم على منبرها، و لكن الأمر احتاج إلى حرب في أفغانستان، و هناك احتمالات حروب أخرى؛ ليتضح أن الإدارة الحالية هي أكثر الإدارات الأمريكية في التاريخ الحديث تأسيساً على عقيدة إيمانية راسخة، فهي إدارة قائمة على و مدعومة و مهدية بالثقة في الله. فإدارة بوش تعي أن المال و القوة العسكرية لهما أهمية قصوى، و لكن في نظر هذه الإدارة يبقى الحل الأمثل للمشاكل المجتمعية في الداخل و لإرهاب في الخارج، هو إعطاء كل الناس في كل مكان الحرية في أن يجدوا الله<sup>274</sup>.

و يتميز الأساس الديني دون غيره من الأسس بطابع خاص، كونه يستند على مرتكزات نابعة من المجتمع الأمريكي وطبيعته وتراثه الديني، ويشكل جزءاً مهماً من الاعتقاد الديني والفكري لدى التيارات والحركات السياسية والدينية أيضاً في الولايات المتحدة الأمريكية، وكذلك فإنّ هذا الأساس أضفى شرعية أكثر على قرار الإدارة

---

272 - عادل المعلم، مقدمة في الأصولية المسيحية في أمريكا و الرئيس الذي استدعاه الله و انتخبه الشعب الأمريكي مرتين، الطبعة الثالثة ( القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2005)، ص 17.

273 - ن م، ص 47.

274 - ن م، ص 40.

الأمريكية لشن حروبها الحضارية على العالم الإسلامي بدءاً من دعم الكيان الصهيوني في احتلال فلسطين ثم غزو أفغانستان و العراق<sup>275</sup>.

و يخطئ من يظن أن حضور القيم ببعديها الديني و الثقافي في إستراتيجية الهيمنة الأمريكية، و النزوع الإمبراطوري لديها هو مجرد وسيلة و ليس غاية، و هو ربما ظرفي و طارئ، قياساً على نمط التوسع الأوروبي، بل إن القيم في النموذج الأمريكي تعد مكوناً أساسياً، و ثالث ثلاثة هي القيم (الدين و الثقافة) و الثروة و القوة، وذلك منذ الحرب الأهلية إلى الآن<sup>276</sup>.

" إن ثلاثية الثروة و الدين و القوة الأمريكية مثلت التصور الحاكم لسلوك الإدارات الأمريكية المتعاقبة، و ذلك بهدف تحقيق المصلحة القومية الأمريكية العليا، و لقد تراوحت السياسة الخارجية الأمريكية منذ ذلك الحين (الحرب الأهلية) و حتى يومنا هذا بين ممارسة هذه السياسة ذات العناصر الثلاثة بشكل مباشر أو تحت لافتة القيم الأمريكية التي يجب أن تسود"<sup>277</sup>.

و إذا كانت الأسس الاقتصادية و السياسية و العسكرية للحرب الأمريكية، ذات أهمية كبيرة بالنسبة للحرب الحضارية، فإن الأساس الديني يشكل جوهر هذه الحرب ولبها، بل يُعدّ نفس هذه الحرب و روحها.

إن للدين في الولايات المتحدة الأمريكية طابعاً متميزاً بالرغم من تعدد الآراء والاتجاهات حول تأثيره في المجتمع الأمريكي<sup>278</sup>، بحيث تعد قضيته واحدة من أهم القضايا في حياة هذا المجتمع عبر مراحل تطوره المختلفة. وبالرغم من تأكيد الدستور الأمريكي على العلمانية وفصل الدين عن الدولة، إلا أنه يمثل عنصراً أساسياً من عناصر

---

275 - مثنى فائق مرعي العبيدي، البعد الديني في الحرب الأمريكية لاحتلال العراق، مجلة جامعة تكريت للعلوم القانونية والسياسية، المجلد: 1 العدد: 4، السنة الأولى 2009، ص 278.

276 - سمير مرقس، الإمبراطورية الأمريكية: ثلاثية الثروة..الدين..القوة من الحرب الأهلية إلى ما بعد 11سبتمبر، الطبعة الأولى (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2003)، ص7.

277 - ن م، ص7، 8.

278 - غريس هالسل، النبوءة و السياسة: الإنجلييون العسكريون في الطريق إلى الحرب النووية، ترجمة محمد السماك، الطبعة السابعة (بيروت: دار النفائس، 2008)، ص11؛ محمد فايز فرحات، أمريكا حمراء أم زرقاء .. الدين و السياسة في أمريكا، تقرير واشنطن العدد 14، 80 أكتوبر 2006، ص1-4، منشور على الموقع الإلكتروني: [www.taqrir.org](http://www.taqrir.org)

خصوصية المجتمع؛ فحياة هذا المجتمع تخضع لنظام من القيم تتفاعل بينها مسافات اجتماعية واتجاهات مذهبية وفكرية تؤكد على هذه التعددية<sup>279</sup>، حتى إن الإحصائيات تشير إلى أن نسبة المنتدبين من الأمريكيين تصل إلى 90%، منهم 40% مرتادون للكنائس بصورة منتظمة. والمثير في الأمر هو ذلك الإيمان المتأصل لدى الأمريكيين بأن بلدهم محفوظ بقدرة إلهية خاصة، وأن 50% منهم يقولون بأن الولايات المتحدة الأمريكية تتمتع بحماية إلهية، لأنها وطن الخلاص للبشرية، باعتبارها (أرض الله) التي سيعرف الإنسان فيها واجبه وحرية وسيعرف بالتأكيد إنسانيته<sup>280</sup>.

و "رغم الاعتراف بمبدأ فصل الكنيسة عن الدولة، فإن هذا الفصل لم يؤد إلى فصل الدين عن السياسة. كما أن تأثير الدين في الحياة الأمريكية امتد ليمتزج بالتعليم و الطب و الأعمال و الفنون و السياسة، و ليس ثمة شيء ينجو من قبضته، و إن جميع الجهود التي تبذل لعزل ناحية من نواحي الحياة عن الكنيسة و نفوذها قد ذهب هباء، فعن طريق الدين يمكن القيام بكل شيء"<sup>281</sup>.

و"على خلاف ما يظنه البعض من أن البراغماتية التي أخذت بها الولايات المتحدة كفلسفة سياسية، قد حدثت من ماضويتها وقطعت صلتها بـ"لاهوت التأسيس"، فقد أفضت التجربة الأميركية، مع نفسها ومع العالم على امتداد أجيال، شغفاً زائداً بالذاكرة. و في كل لحظة تمارس أميركا فيها سياساتها، سنلاحظ جمعاً لافتاً بين الماضي والحاضر، وبين الموروث الديني المركب من عهدَي الكتاب المقدس، والخطب المأثورة للمؤسسين الأوائل، و بالتالي بين الميتافيزيقا السياسية المشحونة بجرعات هائلة عن رسالية الأمة الأميركية، و البراغماتية السياسية شديدة الارتباط بتقنيات ما بعد الحداثة. وبناء على هذا التركيب، تسعى أميركا إلى تكيف العالم مع رحلتها المدوية، وهي بهذا تبدو كأنها تملك الحظ

279 - محمد بوبوش، البعد الديني في السياسة الخارجية الأمريكية ، انظر الموقع الالكتروني:

<http://www.asharqalarabi.org.uk/mushrakat/b-mushacat-472.htm>

وللمزيد من التفاصيل ينظر : برهان الدين المراشحي، تأثير الصهيونية على السياسة الخارجية الأمريكية في الشرق

الأوسط، ص 1 ، بحث منشور على الموقع الالكتروني : <http://www.fursah.net/articles/tatheer.htm>

280 - عادل الجمري، الصقور الأمريكية المحافظة والتمدينة .. تعاليم التوراة بوصفها مالا وآلة، مقال منشور في موقع

الإعلام العربي، انظر الموقع الالكتروني : <http://www.amin.org/Print.php?t=opinion&id=1383>

281 - يوسف الحسن، البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي-الإسرائيلي، الطبعة الرابعة، ( بيروت:

مركز دراسات الوحدة العربية 2005)، ص67.

التاريخي في عمليات التكيف ولو إلى حين. ذلك ما ذهب إليه صامويل هانتنغتون حين وصفها "بأنها مجتمع من الطراز الذي كانت تحكمه أسرة تيودور، إلا أنها قد تحرز نجاحاً في عالم يشبه عصر الملكة إليزابيث الأولى بصورة جديدة، وفيه صراعات شبه دينية، ودولة قبلية، ومغامرون في التجارة، وأساطيل حربية و قتلة"<sup>282</sup>.

و الأساس الديني بصورة عامة في الولايات المتحدة الأمريكية، لم يكن وليد الوقت الحاضر، بل إنه بدأ مع الوثائق التأسيسية للأمة، وتم تعزيزه من خلال الخطب الرئاسية والمظاهر السياسية وما شابه ذلك من أقوال أكدت النظرة الرسمية للأمة نفسها، وقد انعكس وجوده في حياة الأمريكيين انطلاقاً من إعلان واشنطن يوم السادس والعشرين من نوفمبر عيداً قومياً (عيد الشكر)، مروراً بإعلان جورج بوش الأب يوم الثالث من فيفري 1991م عيداً قومياً للصلاة، وكان ذلك خلال حرب الخليج الثانية، التي يطلق عليها المفكر المغربي المهدي المنجرة الحرب الحضارية الأولى. و ابتهل بيل كلينتون إلى الرب مراراً في خطبه ليسبغ نعمته على الولايات المتحدة الأمريكية<sup>283</sup>، ويضاف إلى ذلك أن جلسات الكونغرس الأمريكي بجناحيه (الشيوخ والنواب) تفتتح بدعاء ديني، يفتحه في الأغلب راهب نصراني، وأحياناً أحد زعماء الدين من ديانات أخرى، بل حتى لو عقدت جلسات في يوم واحد، فإن كلتا الجلستين تفتتحان بدعاء ديني<sup>284</sup>.

و يمثل الأساس الديني للحياة الدينية والقومية للمجتمع الأمريكي مجموعة رموز، مثل العلم الأمريكي ونصب الحرية، كما أن له طقوسه المتمثلة بالأعياد القومية التي غالباً ما يتم فيها استحضار المشاعر والعادات الدينية مثل استهلال الجلسات الحكومية بالصلاة<sup>285</sup>، و هناك رموز أخرى ذكرها نوت كينغريتش - الرئيس الأسبق لمجلس النواب الأمريكي - تتجلى بنصب جيفرسون التذكاري، ونصب محاربي فيتنام والبيت الأبيض، ومقبرة أرلنغتون الوطنية، وغيرها من الرموز ذات الدلالة الدينية مضيفاً أن تاريخ الأمة

282 - محمود حيدر، الجذر الديني و الفلسفي للمحافظين الأميركيين الجدد ، مجلة تحولات، العدد الثاني عشر - جوان 2006. انظر: [http://www.tahawolat.com/cms/article.php3?id\\_article=770](http://www.tahawolat.com/cms/article.php3?id_article=770)

283 - مايكل كوربت وجوليا ميتشل كوربت ، الدين والسياسة في الولايات المتحدة الأمريكية ، الجزء الأول ، ترجمة عصام فايز و ناهد وصفي، الطبعة الأولى ( القاهرة: مكتبة الشروق، 2001)، ص 32 .

284 - عارف المشهداني ، عراق المستقبل والبعد الديني للحرب ، ص 3 ، مقال منشور على الموقع الإلكتروني:

[www.albayan-magazine.com/iraq-file.index.html](http://www.albayan-magazine.com/iraq-file.index.html)

285 - ن م، ص 2، 3 .

الأمريكية قائم على إيمان هذا الشعب بالله، وأن الدين قام ويقوم بدور محوري في صناعة سياسة الحكومات الأمريكية المتوالية<sup>286</sup>. وذهبت مادلين أولبرايت وزيرة الخارجية في إدارة كلينتون إلى وصف الدين وأثره في الحياة السياسية الأمريكية بقولها: "غالباً ما أسأل نفسي لماذا لا نستطيع إبقاء الدين بعيداً عن السياسة الخارجية؟ و جوابي هو: أننا لا نستطيع ولا ينبغي لنا ذلك، فالدين جزء كبير مما يحفز الناس ويشكل آراءهم في السلوك العادل والصحيح، ويجب أن يحسب له حساب، لا يمكننا أن نتوقع من قادتنا اتخاذ القرارات بمعزل عن المعتقدات الدينية"<sup>287</sup>.

واحتل الدين موقعاً متميزاً ومتزايد الأهمية في حياة الأمريكيين حتى إن المواطن الأمريكي أصبح يشارك في الحياة السياسية والاجتماعية لا بصفته مواطناً أمريكياً علمانياً، بل بصفته بروتستانتياً أو كاثوليكياً أو يهودياً أو مسلماً، بحيث تؤدي الدوافع الدينية دوراً رئيساً في تحريك الأمريكيين في الكثير من مواقفهم<sup>288</sup>، كقضية دعم إسرائيل والحرب على ما يسمى بـ "الإرهاب" والحرب على العراق، حتى وصل الحد إلى ذكر نماذج التدين الشائع بين الأمريكيين العاديين وربط تدينهم بمواقفهم المؤيدة للحرب على العراق، كونها- بحسب معتقداتهم- حرباً مقدسة لا بد أن يحالفهم النصر فيها<sup>289</sup>، وبذلك حظيت الحرب الأمريكية على العراق بتأييد شعبي كبير وبشكل خاص من قبل معتقي المذاهب البروتستانتية والكاثوليكية التي تشكل القطاع الأوسع من المجتمع الأمريكي<sup>290</sup>، فاستطلاعات الرأي تشير إلى إن نسبة 50% من الأمريكيين أيدوا قرار الحرب على العراق وازدادت تلك النسبة إلى حوالي 60% بعد الاحتلال الأمريكي له<sup>291</sup>.

286 - يحيى عبد المبدي، تقرير واشنطن. تقرير عن كتاب نوت غينغريتش، بعنوان إعادة اكتشاف الله في أمريكا: انعكاسات دور الإيمان في تاريخ أمتنا ومستقبلنا، منشور على الموقع الإلكتروني:

إعادة-اكتشاف-الله-في-أمريكا/ http://www.taqrir.org/index.cfm?pageid/2//id/670/title/

287 - مادلين أولبرايت ، الجبروت والجبار - تأملات في السلطة والدين والشؤون الدولية ، ترجمة عمر الأيوبي ، الطبعة الأولى(بيروت: الدار العربية للعلوم - ناشرون، 2007 )، ص 242، 243 .

288 - محمد بوبوش ، مصدر سبق ذكره ، ص 3-4 .

289 - ميساء شجاع الدين ، فليبارك الرب أمريكا وليذهب العالم إلى الجحيم ، مقال منشور على الموقع الإلكتروني:

www.islamonline.net

290 - مثنى فائق مرعي العبيدي، البعد الديني في الحرب الأمريكية لاحتلال العراق، م س، ص 293 .

291 - منار الشوربجي ، صنع قرار الحرب ضد العراق: الولايات المتحدة الأمريكية من الداخل ، بحث في كتاب : نادية محمود مصطفى و آخرون، العدوان على العراق .. خريطة أزمة ومستقبل أمة ، الطبعة الأولى(لقاهرة: مركز البحوث والدراسات السياسية، 2003 )، ص 277.

و بذلك يمكن القول بأن الدعم والتأييد الشعبين في الولايات المتحدة الأمريكية، شكّل أساساً اجتماعياً مؤيداً للحرب الأمريكية لاحتلال العراق، كون أحد أبعاد هذه الحرب بعداً دينياً يحظى بأهمية كبيرة لدى الشعب الأمريكي.

و لا يقتصر الأساس الديني في الولايات المتحدة في تجلياته على مظاهر الحياة الداخلية للأمة والشعب الأمريكي، و على مؤسسات الدولة و أعمال و أنشطة حكوماتها فحسب، بل نراه بارزاً في سياساتها الخارجية و سلوكياتها الدولية. و لو أن الأمر اقتصر على التزام ذاتي بالدين في السياسة الداخلية و الخارجية لكان الأمر عادياً، أما أن يصبح إقحام الدين بالتدخل في الشؤون الداخلية للدول و الأمم و الشعوب الأخرى، فهذا هو الأمر الخطير و المرفوض، لأنه يؤدي حتماً إلى الصراعات و الصدمات و الحروب الحضارية، بل لقد أدى إلى ذلك فعلاً.

ذلك أن الدين أصبح يستعمل كمسوخ لإلغاء الآخر و إبادته، و انتهاك الحقوق الأساسية للغير وشن الحروب الظالمة عليهم و إضفاء الشرعية على ذلك، ليس فقط أمام غيرهم، بل حتى أمام أنفسهم، لأنه لا أحد يمكنه - سواء كان فرداً أم جماعة أم دولة أم أمة- أن يتحمل لفترة طويلة ارتكاب أفعال إجرامية، كالمجازر الجماعية من دون مسوغات قوية و عميقة، فقد امتلأ اللاهوت السياسي الأميركي بمخزون هائل من المسوغات. كان الدين حاضراً على الدوام للوفاء المطلوب<sup>292</sup>.

و قد برز هذا السلوك في السياسة الخارجية الأمريكية تجاه العالم الإسلامي بعد الحرب العالمية الثانية عامة، و عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر بوجه خاص.

و ينبغي البيان أن البعد الديني "المسيحي" الذي يدفع الغرب بقيادة أمريكا إلى مناصبة الإسلام و عالمه العدا، إنما هو موظف لا في حرصهم على هداية المسلمين إلى الصراط الديني المستقيم، أو الخوف عليهم من أن يُحرّموا في الآخرة من جنات النعيم التي يتصورها نصارى الغرب خاصة بهم، و إنما وظيفة هذا العامل الديني الذي يوجب نيران عداوة الغرب للإسلام و عالمه، هي السعي للحيلولة بين الإسلام و بين إيقاظ أمته و

292 - محمود حيدر، الجذر الديني و الفلسفي للمحافظين الأميركيين الجدد ، مجلة تحولات، العدد الثاني عشر - جوان 2006. انظر: [HTTP://WWW.TAHAWOLAT.COM/CMS/ARTICLE.PHP?ID\\_ARTICLE=770](http://www.tahawolat.com/cms/article.php?id_article=770)



شعوبه، مخافة تأثير هذه اليقظة على النظام الدولي و العلاقات الدولية و الهيمنة الغربية على الشرق الإسلامي؟!..<sup>293</sup>.

و يعد نشر المسيحية و مزاوله النشاط التبشيري في العالم الإسلامي من الأهداف الدينية المهمة التي تبغى الولايات المتحدة الأمريكية تحقيقها، و المعروف أنه كان لها قبل منتصف القرن التاسع عشر- و باعتراف مجلس البعثات التبشيرية - ستين بعثة تبشيرية، و كانت خارطة انتشارها من اليونان إلى إيران و من القسطنطينية إلى سوريا، و تمتد إلى مختلف البلدان الإسلامية و غير الإسلامية، و قد عمل المبشرون على تأمين الغزو الأمريكي للمناطق الإسلامية بأشكاله و تفرعاته جميعها، و في مقدمتها نهب الثروات و التمرکز في المواقع الإستراتيجية بالإضافة إلى غزو الإنسان نفسه و تفرغته من عقيدته و دينه<sup>294</sup>.

و التنصير و نشر المسيحية كان ولا يزال أداة مهمة لدى الولايات المتحدة الأمريكية في سياستها الاستعمارية و في تمهيد سيطرتها على البلدان المحتلة أو ترسيخ نفوذها فيها، و في سبيل هذا الهدف العسكري و السياسي و الاقتصادي ثم الديني، و فرت أمريكا الدعم الدائم للحركات التنصيرية، كما و فرت لها مختلف الوسائل، بل وصلت حتى إلى إشاعة الفاحشة و الترويج للفجور، و قد ظهرت الإدارة الأمريكية بقيادة بوش الابن صادقة تماماً في دعم التنصير<sup>295</sup> و المنظمات التبشيرية في سياق حربها على العالم الإسلامي كأحد أهم الأهداف الدينية لحربها الحضارية.

و كمثل على ذلك لما سئل جيانى ديمديميكليس وزير الخارجية الإيطالي و السياسي البارز و هو رئيس المجلس الوزاري الأوروبي من طرف مراسل مجلة النيوزويك الأمريكية عن مبررات بقاء حلف الأطنطي-الناتو- بعد زوال المواجهة بين المعسكرين الليبرالي و الاشتراكي أجاب قائلاً:

**293** - محمد عمارة، إستراتيجية التنصير في العالم الإسلامي: دراسة في أعمال مؤتمر كولورادو لتنصير المسلمين ، الطبعة الأولى، (مالطا: مركز دراسات العالم الإسلامي، 1992)، ص23.

**294** - مثنى فائق مرعي العبيدي، البعد الديني في الحرب الأمريكية لاحتلال العراق ، مجلة جامعة تكريت للعلوم القانونية و السياسية، المجلد: 1 العدد: 4، السنة الأولى 2009 ، ص 293.

**295** - نجاح شوشة ، كيف نقاوم التنصير في العراق ، موقع مفكرة الإسلام، ص 1، الموقع الإلكتروني: <http://islaammemo.cc/2005/01/26/2815.html>

صحيح أن المواجهة مع الشيوعية لم تعد قائمة، إلا أن ثمة مواجهة أخرى يمكن أن تحل محلها بين العالم الغربي و العالم الإسلامي"، فلما سأله المراسل: "و كيف يمكن تجنب المواجهة المحتملة؟" لم يتردد جيانى في أن يعلن أن الشرط هو تعميم النموذج الحضاري الغربي وقبول المسلمين له و قال: "و إذا فشلنا في تعميم النموذج الغربي فإن العالم سيصبح مكانا في منتهى الخطورة"<sup>296</sup>.

و هذا بمثابة إعلان حرب من الغرب على العالم.. حرب حضارية.. فإما القبول بالنموذج الغربي، و إما أن تتحول المواجهة من قبل الحلف الأطلنطي - التي كانت مصوبة لإمبراطورية الشر الشيوعية- إلى العالم الإسلامي المستعصي على العلمنة، و الرفض للنموذج العلماني الغربي سبيلا للنهضة و التحديث<sup>297</sup>.

و لقد شهد القرن العشرون فيما شهد من مؤامرات أعداء الإسلام، هجمة تنصيرية عاتية سعت إلى تنصير أكبر عدد من المسلمين أو إفسادهم، أنفقت من أجلها أموال طائلة، و بذلت جهود هائلة، و أعدت خطط، و سهرت عقول، و تحركت جيوش من المنصرين للعمل في شتى بلاد المسلمين، و قد عُقدت من أجل ذلك مؤتمرات تنصيرية عالمية كثيرة<sup>298</sup>.

- 
- 296 - فهمي هويدي، من يعادي من؟ الأهرام عدد 17 يوليو 1990 نقلا عن النيوزويك بتاريخ يوليو 1990م
- 297 - محمد عمارة، إستراتيجية التنصير. م س، ص 29.
- 298 - أوردتها الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة الصادرة عن الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض في الطبعة الأولى عام 1409 هـ / 1989م في الصفحة 163 / 164 على النحو التالي:
- مؤتمر القاهرة عام (1906م) وقد دعا إليه زويمر بهدف عقد مؤتمر يجمع الإرساليات التبشيرية البروتستانتية للتفكير في مسألة نشر الإنجيل بين المسلمين، وقد بلغ عدد المؤتمرين (62) شخصاً بين رجال ونساء، وكان زويمر رئيساً لهم.
  - المؤتمر التبشيري العالمي في أدنبرة باسكوتلنده عام (1910م)، وقد حضره مندوبون عن 159 جمعية تبشيرية<sup>(298)</sup> في العالم.
  - مؤتمر التبشير في لكنو بالهند عام ( 1911م) حضره صموئيل زويمر، وبعد انفضاض المؤتمر وزعت على الأعضاء رقاع مكتوب على أحد وجهيها (تذكاري لكنو سنة 1911م) وعلى الوجه الآخر (اللهم يا من يسجد له العالم الإسلامي خمس مرات في اليوم بخشوع انظر بشفقة إلى الشعوب الإسلامية وألهمها الخلاص بيسوع المسيح).
  - مؤتمر بيروت عام (1911م).
  - مؤتمرات التبشير في القدس\*: في 1924م./ ثم في عام 1928م ثم في عام 1935م وقد كان يضم 1200 مندوب.\* ثم في عام 1380 هـ / 1961م.
  - مؤتمر الكنائس البروتستانتية عام 1974م في لوزان بسويسرا.
  - مؤتمر كولورادو في 1978م تحت اسم (مؤتمر أمريكا الشمالية لتنصير المسلمين)
  - المؤتمر العالمي للتنصير الذي عقد في السويد في شهر أكتوبر 1981م تحت إشراف المجلس الفيدرالي اللوثراني الذي نوقشت فيه نتائج مؤتمر لوزان وكولورادو وخرج بدراسة مستفيضة عن التنصير لما وراء البحار بهدف التركيز على دول العالم الثالث.
- ومن مؤتمراتهم كذلك:

وكان أخطر هذه المؤتمرات على الإسلام والمسلمين مؤتمران اثنان: أولهما هو مؤتمر القاهرة 1906م برئاسة القسيس زويمر، ثم مؤتمر كولورادو في 15 أكتوبر 1978م برعاية أمريكية تحت اسم (مؤتمر أمريكا الشمالية لتنصير المسلمين)، حضره (150) مشتركاً يمثلون أنشط العناصر التنصيرية في العالم، استمر لمدة أسبوعين بشكل مغلق وانتهى بوضع إستراتيجية بقيت سرية لخطورتها مع وضع ميزانية لهذه الخطة مقدارها 1000 مليون دولار، وقد تم جمع هذا المبلغ فعلاً وتم إيداعه في أحد البنوك الأمريكية الكبرى.

و يعتبر المؤتمرين الذين التقوا في كولورادو من كبار العاملين في حقل التنصير، و معظمهم من أصحاب الاختصاصات العلمية العالية وبخاصة في العلوم الإنسانية، و قد عكسوا كل خبراتهم التنصيرية و العلمية في أبحاثهم التي قدموا فيها عصاره مهمة لهذا المؤتمر الذي أُعدَّ خصيصاً لمناقشة السبل الكفيلة بتنصير المسلمين في العالم أجمع.

و تعود قصة هذا المؤتمر إلى عام 1974م، في مؤتمر لوزان من أجل التنصير، الذي أوصى بأن تتجه جهود التنصير إلى المسلمين، وكان أن صدر قرار لوزان بأن يكون هذا المؤتمر المقترح القادم مؤتمراً عملياً تنفيذياً يغير سياسة التنصير ووجهته.

• مؤتمر استانبول.

• مؤتمر حلوان بمصر.

• مؤتمر لبنان التبشيري.

• مؤتمر بغداد التبشيري.

• مؤتمر قسنطينة التبشيري في الجزائر وذلك قبل الاستقلال.

• مؤتمر شيكاغو.

- مؤتمر مدارس التبشيري في بلاد الهند، وكان ينعقد هذا المؤتمر كل عشر سنوات.

- مؤتمر بلنيمور بالولايات المتحدة الأمريكية 1942م وهو مؤتمر خطير جداً، وقد حضره من اليهود بن غوريون.

- بعد الحرب العالمية الثانية اتخذت النصرانية نظاماً جديداً إذ ينعقد مؤتمر للكنائس مرة كل ست أو سبع سنوات متنقلاً من بلد إلى آخر.

• مؤتمر أمستردام 1948م - هولندا.

• مؤتمر ايفانستون 1954م - أمريكا.

• مؤتمر نيودلهي 1961م - الهند.

• مؤتمر أوفتالا 1967م - أوفتالا بأوروبا.

مؤتمر جاكارتا 1975م - أندونيسيا، وقد اشترك فيه 3000 مبشر نصراني».

انظر: عبدالرزاق ديار بكرلي، تنصير المسلمين بحث في أخطر إستراتيجية طرحها مؤتمر كولورادو التنصيري، الطبعة الأولى (الرياض: دار النفائس 1410 هـ - 1989م)، ص- ص 9- 15.

وكانت هذه أول مرة في التاريخ ( 15 أكتوبر 1978م) يجتمع فيها هذا العدد الكبير الذي يمثل مختلف الدوائر والهيئات والمناصب التنصيرية في العالم والتي يجمعها هدف واحد هو (كيف السبيل لتنصير المسلمين أينما كانوا)؟.

ومن خلال المداولات والمناقشات برزت الحاجة الماسة لإقامة مركز يكون معهداً للبحوث والتدريب على تنصير المسلمين، ويكون هذا المركز بمثابة جهاز عصبي ينبه إلى كل ما هو ضروري في هذا الصدد، وقد أنشئ هذا المعهد بالفعل، وسمي باسم (معهد صموئيل زويمر) وذلك في شمال كاليفورنيا، وقد اختير (دون ماكري) ليكون مديراً له. و انتهى هذا المؤتمر بعد أن شحن المنصرين بضرورة العمل على تنصير الـ(720) مليوناً من المسلمين، و كان عدد الذين وفدوا إلى هذا المؤتمر (150) مؤتمراً هم من أبرز قادة التنصير في العالم، وقد وفدوا من شتى أنحاء المعمورة ليمثلوا العديد من الشعوب والتقاليد الكنسية المختلفة والتجارب الواسعة، ولقد قدموا ( 40 ) موضوعاً، كل موضوع منها من الأهمية بمكان.

و لقد اعتمدت الولايات المتحدة في حربها الحضارية اعتماداً كبيراً على هذا المؤتمر و على نتائجه، لتحقيق أغراضها و أهدافها تجاه العالم الإسلامي و المتمثلة في:

1. تفكيك و هدم مكون الأصول الحضارية.
2. تفكيك و تقويض مكون الأركان الحضارية.
3. تفكيك و هدم مكون المرتكزات الحضارية.

و يكفي للتدليل على هذا الأمر أن نعرف أن الغرض العام من خطط التنصير و بخاصة في مؤتمر كولورادو هو وراثته الإسلام و أمته و عالمه. و قد رفع المنصرون على لسان "دون ماكري"<sup>299</sup> صاحب الدور البارز في التخطيط و التنفيذ شعاراً للمنصرين مقطوعاً من مزامير داود-(2:8)-: "سلني فأعطيك الأمم ميراثاً لك"<sup>300</sup>.

---

**299-** كان أكبر شخصية في مؤتمر لوزان التنصيري عام 1974م وهو بروتستنتي عمل كمنصر في باكستان عام 1950م مدة عشرين سنة ثم عاد ليواصل دراسته في كلية "فولر" لإرسالية تنصير العالم وتولى إدارة مؤتمر كولورادو 1978م، وبعد هذا المؤتمر أصبح مديراً لمعهد صمويل زويمر الذي يضم إلى جانبه دار للنشر وإصدار الدراسات المتخصصة بقضايا تنصير المسلمين مقرها في كاليفورنيا، وهو يقوم بإعداد دورات تدريبية، لإعداد المنصرين وتأهيلهم للتنصير خطة لغزو العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص03.

**300-** التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي- الخطاب الرئيس ص

و لقد جعلوا تدمير الإسلام رسالة حياتهم، و اعتبروا هذا المؤتمر المغير لمجرى التاريخ، فكتبوا في التصدير لأعمال مؤتمرهم: "يجتمع المؤتمرين في كثير من المؤتمرات، فيتبادلون الرأي و يعلنون بعض القرارات ثم ينفضون، فتصبح مجهوداتهم حبرا على ورق، و مداولاتهم مجرد صدى. و لكن بعض المؤتمرات تغير مجرى التاريخ، و لا ريب أن المؤتمر الذي انعقد في أمريكا الشمالية عام 1978م قد أصبح واحدا من هذه المؤتمرات القادرة على تغيير مجرى التاريخ"<sup>301</sup>.

و إذا كانت أعمال هذا المؤتمر - التحضير و القرارات و التنفيذ - قد جاءت ثمرة لجهود مشتركة، ساهمت فيها كنائس مختلفة، و تخصصات متعددة، و منظمات للتصير يحتاج تعدادها إلى دراسة خاصة، فإن الأمر الواضح و الملموس هو أن الدور القائد في هذا المخطط إنما كان للكنائس الإنجيلية الأمريكية و منظمات التصير التابعة لها و المنبثقة عنها و العاملة بتوجيه منها.

إن أمريكا تقود المواجهة مع الإسلام و أمته و حضارته و عالمه، و على الثغرة الدينية تقف الكنيسة الإنجيلية الأمريكية معها في حربها المعلنة ضد الإسلام. و كما تنزع أمريكا - مستعينة بكل القوى الأخرى - المواجهة الغربية لكسر شوكة الإسلام بالعلمانية، و إلحاق أمته و عالمه بالمركز الغربي، تنزع الكنيسة الإنجيلية الأمريكية - مستعينة بكل قوى التصير الأخرى العالمية و الكنائس المحلية في عالم الإسلام - هذه الحرب الدينية التي أعلنوها على الإسلام.

يقول المفكر محمد عمارة: "إن بحثا من أبحاث هذا المؤتمر، ترد فيه إشارة توحى بأن الكنيسة المشيخية الإنجيلية في أمريكا، إنما تعتبر قيادتها و هيمنتها على هذا النظام العالمي للتصير <للمسلمين>، إنما هو حق إلهي لهذه الكنيسة؟! فنقرأ في هذا البحث: إنه منذ سنوات مضت تحدثت الكنيسة المشيخية العاشرة في فلادلفيا حول المبادرة التالية من الكتاب المقدس: "ها أنا فتحت لك بابا" - (رؤيا يوحنا 3:8) -، إن لدى الكنيسة في أمريكا اليوم فرصة لدعوة المسلمين لم تتوفر سابقا على الإطلاق"؟!.

301 - المصدر السابق-تصدير لـ"و ستانلي مونيهم"- ص 4

فالباب الذي تحدثت "الرؤيا" عن فتحه ليوحنا رآته الكنيسة الأمريكية باب تنصيرها للمسلمين<sup>302</sup>.

و أخطر ما في حركة التنصير هو تحالف نصرانية الغرب مع اليهودية على جبهة فكر الحضارة المسيحية-اليهودية-الغربية، ضد الإسلام وأمته وحضارته وعالمه.. وتحالف مؤسسات الغرب السياسية مع الكيان الإسرائيلي، فالتفسير البروتستانتي - الحرفي - لرؤيا يوحنا ... يشترط لتمام العودة المادية للمسيح:

ا - تنصير العالم، وفي المقدمة منه كل المسلمين.. !

ب - " عودة " اليهود إلى أرض فلسطين.

وفي إطار سعي النصرانية الغربية وخاصة البروتستانتية و كنيستها الانجليزية في أمريكا إلى تحقيق ذلك، كان الحلف الذي أثمر ما يمكن أن يسمى بدين جديد «يهودي-مسيحي»، و في أحد أبحاث مؤتمر كولورادو إشارات ذات معنى واضح على هذا الحلف، تقول واحدة منها: " إنه خلال السنوات العشر الماضية أصبح آلاف من اليهود يهودا - مسيحيين. وتقوم إحدى مدارس اللاهوت الآن بتدريب حاخامات نصارى للعمل في 500 - 1000 كنيس نصراني، خطط لإنشائها خلال السنوات القليلة القادمة في أمريكا. فتتصره كل المسلمين باقتلاع الإسلام من الجذور، وعودة اليهود إلى الأرض الواقعة ما بين النيل و الفرات - عبر فناء المسلمين والعرب في معركة «هرمجدون» وهو التفسير الحرفي - البروتستانتي - لرؤيا يوحنا . قد صنع قواعد هذا التحالف «النصراني - اليهودي» ضد الإسلام والمسلمين<sup>303</sup>.

و يردف عمارة قائلاً: " وإذا كانت بشاعة هذا المخطط الذي تحدثت عنه بروتوكولات قساوسة التنصير ، في مؤتمر « كولورادو » قد فاقت الحدود .. فإن الأمر الذي يزيد من بشاعتها ومخاطرها .. أن أصحابها قد أعلنوا أن ما نشره ليس كل الذي خططوه ؟ .. !فهناك مخططات سرية ، لم يعلنوها ، لأنها تفوق في الخطورة والغرابة والشذوذ هذا الذي أعلنوه !

302 - محمد عمارة، إستراتيجية التنصير في العالم الإسلامي: دراسة في أعمال مؤتمر كولورادو لتنصير المسلمين، م

س، ص 59.

303 - ن م، ص 60.

.. لقد أقام المؤتمرون مؤسسة جديدة لتكون بمثابة العقل والمركز العصبي والقيادة الموحدة لكل أعمال الحرب التصيرية التي أعلنوها على الإسلام .. وأطلق على عليها اسم واحد من أبرز رموز التنصير في العصر الحديث (" زويمر "صموئيل ) (1867-1952) zwemer (معهد زويمر)<sup>304</sup>.

و يتساءل محمد عمارة " إذا كان هذا هو مخطط النصرانية الإنجيلية الأمريكية وحدها، فما آفاق مخططات كل الكنائس النصرانية ومؤسساتها التصيرية في قوميات الغرب ومذاهبه ودوله، التي تواجه الإسلام والمسلمين؟! ثم ما معالم و سمات ووسائل و آليات مخطط هذه البروتوكولات؟! .."<sup>305</sup>؛ ثم يعرض عمارة من خلال أبحاث المؤتمر الثغرات التي يجب اختراق الإسلام من خلالها، وهي حسب تصورهم:

أ - الثغرات الداخلية: بين المسلمين و تتمثل في الثغرات المذهبية و القومية و العرقية و الطبقية و المعرفية الخ؛ و يدعون إلى إستراتيجية خاصة في التعامل مع كل فئة أو جماعة من هذه الجماعات الإسلامية لاكتشاف المفاتيح الخاصة بتنصيرها.

ب - الثغرات الخارجية: التي فتحتها في جدار الإسلام الضغوط الخارجية التي تعرض ويتعرض لها .. من مثل ثغرة التقليد - من فئات مسلمة للغرب ، و ثغرة " الأفكار العلمانية" التي قالوا أنها تسهل لهم تنصير المسلمين، و ثغرة التغييرات الاجتماعية التي نقلت - بسبب الثروة - مجتمعات إسلامية تقليدية إلى نمط استهلاكي ترفي غربي ، خلخل حياتها المرتبطة بقيم الإسلام وفتح فيها للتنصير ثغرات، و ثغرة اغتراب المسلمين في المجتمعات الغربية وهم " مفتقرون إلى الدعم التقليدي الذي توفره المجتمعات الإسلامية فيشعرون بالتمزق ، ويكونون غير واثقين بأنفسهم ويعيشون نمطا من الحياة يختلف عن ذلك الذي يجب عليهم اتباعه .. " فتتفتح عقولهم للتنصير ثغرات ... و ثغرة النزعة العصرية- الغربية - التي زرعت الارتباك في الحياة الإسلامية « وأضعفت من قبضة الإسلام وتأثيره» ؟ أي أنهم -

304 - محمد عمارة، م س، ص60.

305 - ن م ص61.

باختصار قرروا اختراق الإسلام من خلال الأمراض الذاتية لأهله - وهي الأمراض التي كرسها الاستعمار، لتمثل فراغا يستدعي ويقبل التنصير والتغريب .. ومن خلال الثغرات التي أحدثها الغرب الاستعماري في ميادين الفكر و الواقع وأنماط المعيشة بعالم الإسلام<sup>306</sup>.



## المطلب الثاني: الأساس الفكري و الفلسفي

ليس من المجافاة للحقيقة في شيء حين عدَّ الفيلسوف الفرنسي المسلم روجيه غارودي أن الإرهاب الغربي الحديث - الذي تسبب في قتل الملايين في مختلف الحروب الكونية و الإقليمية و الدولية و الأهلية، و تسبب في بؤس الإنسانية و المجاعة و الأوبئة - تمتد جذوره إلى ثلاثة آلاف عام، أي منذ خلق الغرب و ولادته مع الحضارة اليونانية<sup>307</sup>.

و إذا كانت الحرب الحضارية الأمريكية هي واحدة من فروع الإرهاب الغربي، فليس غريباً أن تكون أسسها الفكرية و الفلسفية هي من ذات جذور الإرهاب الغربي، و التي ترجع إلى الفكر الإغريقي - الروماني و تنتشر من الفكر الديني المحرف في اليهودية، القائم على أسطورة شعب الله المختار، و التي أدت بصورة محتومة إلى رفض الآخر؛ و كذا من الديانة المسيحية المحرفة على يد بولس و غيره، و أدت هذه الأسطورة الدموية إلى حروب كثيرة عبر التاريخ، و أوحى إلى البيوريتانيين من إنجلترا لدى وصولهم إلى البرّ الأمريكي بمعاملة الهنود الحمر كمعاملة العمالق (الفلستينيين) فيما مضى<sup>308</sup>.

إن القراءة الفاحصة و التحليل المتعمق لمضمون الأطروحات الرافدة لأطروحة الحرب الحضارية أو الثقافية، أفضى إلى أنها ترتكز على منظومة فكرية كاملة و متكاملة و جدُّ متماسكة، ذات قوة تنظيرية يمكن اعتبارها خلاصة لمجالات معرفية كثيرة و متباينة من فلسفة التاريخ و فلسفة العلوم و الأنثروبولوجيا و العلوم الاجتماعية... الخ<sup>309</sup>.

و الحرب الحضارية الأمريكية في بنائها المنهجي، هي كما سلف خلاصة لمجموعة من الأطروحات الصراعية و الاستراتيجية الشاملة التي تبنتها الولايات المتحدة الأمريكية أثناء الحرب الباردة و بعدها، و بخاصة بعد أحداث 2001/09/11 م، و التي (الأطروحات الصراعية) تم مناقشتها في هذا البحث.

---

307 - روجيه غارودي، الإرهاب الغربي، م س 76.

308 - ن م، ص 74، 73.

309 - محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية. م س، ص 148.

و هذه الحرب على مستوى رؤيتها للعالم، تنتهي إلى ما انتهت إليه أطروحة نهاية التاريخ الفوكويامية، و أطروحة الصدام الهنتغتونية، و أطروحة الأناركية في طبعها الأمريكية، و أطروحة نحن و الآخرون الغربية المتشعبة بالروح اليهودية المسيحية، و كل هذه الأطروحات كما سلف بيانه هي أطروحات صراعية لا تؤمن بالحوار، و لا بالتعاون و لا بالتعارف و لا بالتنافس.

هذا و ممّا سبق يمكن الاستنتاج، أن رؤية أطروحة الحرب الحضارية الأمريكية للعالم فضلا عن كونها صراعية، و تمتاز بالتشابك و التعقيد، فهي من الرؤى الكلية في النظر إلى المعمورة و إلى العلاقات فيما بين الأمم و الشعوب و الدول و الحضارات، و التي تندرج ضمن التصورات الكبرى لعالم الغيب و للكون و للحياة و للإنسان و الاجتماع البشري، مما يتطلب منها خاصة بها في الفهم و التعامل و المواجهة.

و هذا المنهج الخاص المشار إليه، قد أخذه الباحث في الحسبان من خلال تبنيه لـ "نظرية الاستعداد في المواجهة الحضارية للاستعمار" للمفكر المغربي الدكتور أحمد العماري، و التي كشفت أن الغايات الكبرى للاستعمار في شقها الفكري و الفلسفي، تدخل ضمن مكون الأركان الحضارية، و هي اللغة العربية و العلماء و الوحدة و الشورى و الرسالية و التجديد و التراث و التاريخ و العدل و الحرية و العادات و التقاليد و الأعراف.

و قد ترجمت الولايات المتحدة حربها على هذا المكون في مشاريع عظمى و برامج كبرى و متنوعة و متكاملة، و جندت لها وسائل ضخمة و رصدت لها ميزانيات معتبرة، و أعدت لها خططا محكمة لتنفيذها في أرض الواقع، و نبين ذلك من خلال ثلاث مكونات و هي اللغة العربية و العلماء(الفكر) و التاريخ.

فبالنسبة لحربها على اللغة العربية، كانت الولايات المتحدة الأمريكية كغيرها من الإمبراطوريات الأوروبية التي ورثتها، قد أدركت مبكرا أن اللغة هي الوعاء الحاوي للثقافة، و وسيلة من وسائل التفكير تُحدّد من خلالها رؤية العالم و تُرسم بها نوااميسه ، و هي ترتبط ارتباطاً تكوينياً وثيقاً بالبناء الحضاري لأية أمة، و تعبّر عن خصوصية الحضارة التي تمثلها و تحمل سماتها، و قد أدركت أيضا أن اللغة العربية هي عماد الثقافة

العربية والإسلامية و أن لولا هذه الثقافة المشتركة، لما صمدت الهوية العربية الإسلامية حتى الآن<sup>310</sup>.

كما أن الولايات المتحدة على قدم راسخ من العلم بأن احتكاك الحضارات من مقتضياته المواجهة بين اللغات، و أن صراع الحضارات الدموي في الحروب، و ظهور أمة على أخرى، و غلبة حضارة قوم على حضارة غيرهم، يرفع لغاتٍ ويسقط أخرى، و تهيمن لغة الغالب على لغة المغلوب؛ لهذا حرصت مبكرا على التمهيد لهيمنتها بنشر لغتها بالمطبعة و المدرسة و الجامعة و الكنيسة و الإذاعة حتى قال أحد مبشريهم: "من العناية الإلهية العظيمة أن المطبعة الأمريكية، والمدارس الأمريكية في سوريا، كانت وسيلة لإعداد رجال ونساء كثر ليكونوا مواطنين أمريكيين"<sup>311</sup>.

غير أن أكبر ما توصلت به من وسائل لفرض هيمنتها اللغوية على العالم هو قطاع الإعلام و الاتصالات. جاء في كتاب (الاتصال و الهيمنة الثقافية): " و من الضروري أن يتطور قطاع الاتصالات الثقافية في النظام العالمي بما يتسق مع أهداف النظام العام و غاياته و بما ييسر تحقيقها؛ و يمثل تدفق المعلومات في اتجاه واحد إلى حد كبير انطلاقا من المركز إلى المحيط موطن القوة فعلا، و كذلك الأمر فيما يتعلق بترويج انتشار لغة واحدة هي الإنجليزية. و تبذل الجهود من أجل إيجاد و اكتشاف تكنولوجيا اتصالية سريعة و شاملة، يتم استخدامها عن تماثل وثيق مع بنية و احتياجات القوى المهيمنة في مركز النظام"<sup>312</sup>.

و أما بالنسبة لحربها على العلماء و على المنظومة الفكرية فقد تولى كبرها جيش الاستشراق الأمريكي، الوارث للتراث العظيم للاستشراق الغربي بمختلف مدارسه<sup>313</sup>،

310 - ثائر حسن جاسم، صراع اللغات وصراع الحضارات - اللغة العربية في عصر العولمة - موقع معهد الأبحاث و التنمية الحضارية، دراسات شرقية- غربية، بتاريخ 2009/01/08م. [www.alhadhariya.net](http://www.alhadhariya.net).

311 - القول للمبشر الأمريكي هنري جيسب. انظر: مصطفى خالدي و عمر فروخ. التبشير والاستعمار في البلاد العربية - عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي- الطبعة الخامسة(بيروت: المكتبة العصرية، 1973م)، ص 170.

312 - هربرت شيللر . الاتصال و الهيمنة الثقافية ، ترجمة وجيه سمعان عبد المسيح، الطبعة(د)، ( القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2007)، ص21.

313 - محمد الدعيمي بواكير الوعي الأمريكي بالعرب وبالإسلام، موقع الحضارية، معهد الأبحاث و التنمية الحضارية، « دراسات شرقية غربية » <http://www.alhadhariya.net/dataarch/dr-shrgaigarbai/anauen1.htm>

و هو جيش عظيم بمؤسساته و رجاله، و مشاريعه و برامجه، و خطته و ميزانيته، و بتأثيره على مؤسسات القرار الأمريكي و على الرأي العام العالمي.

و قد تجسدت الحرب الأمريكية على العلماء و على المنظومة الفكرية لحضارة الإسلام فيما اصطلح عليه بالحرب الفكرية التي صاحبت الحرب على الإرهاب عقب أحداث 11 سبتمبر 2001م. و أخطر ما في الحرب الفكرية أنها حرب صامتة و ناعمة، و شاملة و دائمة، و عامة الناس من المسلمين لا يكادون يشعرون بخطورتها على الأمة، و الخاصة منهم قلّ منهم من يكتب عن خطرها، و الأخطر من كل ذلك أنها تُواجه بالمجهودات الشخصية لأحاد المفكرين، و يغيب فيها العمل المؤسسي ببعديه الرسمي و الشعبي.

لقد عُدّت (حرب الأفكار) مكمّلة للشق العسكري من الغارة الأمريكية على العالم الإسلامي، و قد وضع أسسها الفكرية (لويس باول) في بداية السبعينيات من القرن العشرين لمواجهة الفكر الشيوعي المناوئ للرأسمالية الغربية، ثم عمل (وليام كروز) على تشغيل هذه الأسس من خلال مراكز بحثية للغرض نفسه<sup>314</sup>.

و بحسب المفكر السعودي زكي الميلاد ف قد ارتبطت هذه المقولة بثلاثة اتجاهات، تعددت فيما بينها منظورات الرؤية، و طرائق الفهم و التحليل، و محددات الأفق و المكان و الزمان.

**الاتجاه الأول:** اتجاه أمني عسكري و عبر عنه وزير الدفاع الأمريكي دونالد رامسفيلد حينما دعا في أكتوبر 2003م، إلى تشكيل وكالة جديدة تساعد على مواجهة ما أسماه حرب الأفكار الخاصة بالإرهاب الدولي.

**الاتجاه الثاني:** و قد عبر عنه الكاتب الأمريكي توماس فريدمان ، و هو ينطلق من نزعة أن أساس المشكلة هي في داخل المجتمعات العربية و الإسلامية، و العلاج بشكل أساسي يأتي من داخل هذه المجتمعات نفسها. لذلك يدعو الغرب لمساعدة هذه المجتمعات

314 - قلم التحرير. حرب الأفكار جولة جديدة، مجلة البيان العدد 290 بتاريخ 2011/08/22 .  
<http://albayan.co.uk/MGZarticle2.aspx?id=1327>

في التخلص من أفكار التطرف والعنف والإرهاب بدعم قوى الاعتدال فيها. و يبشر الغرب بالنصر في هذه المعركة، كما انتصروا في معركتهم الأولى على النازية و في معركتهم الثانية على الشيوعية.

**الاتجاه الثالث:** و قد وعبر عنه الكتاب المشترك الصادر في نيويورك عام 2003م، بعنوان (النضال هو من أجل الديمقراطية.. كيف نربح حرب الأفكار في أمريكا والعالم؟) لمجموعة من الباحثين وبإشراف الكاتب الأمريكي جورج باكير. ويرى هذا الاتجاه بأن الانتصار في حرب الأفكار يبدأ من أمريكا نفسها، ويمتد على مستوى العالم برمته ، يبدأ من أمريكا بإصلاح حضارتها وديمقراطيتها أولاً، وبالنضال من أجل الديمقراطية في العالم ثاني<sup>315</sup>.

و المتأمل في هذه الاتجاهات الثلاثة من حيث تنزيلها على أرض الواقع، يلمس أنها لم تكن مطروحة على سبيل الاختيار و الانتقاء، بل كل اتجاه طرح في مجاله، و قد تم تبني كل تلك الاتجاهات لأن كل واحد منها يكمل الآخر و يعضده.

و الحقيقة التي ينبغي الإشارة إليها أن حرب الأفكار لم تكن خصيصة اختص بها الجمهوريون بزعامة جورج والكر بوش، بل لقد ظلت مستمرة حتى بعد وصول الديمقراطيين للسلطة في أمريكا بزعامة (باراك أوباما)، الذي قال في كتابه (جرأة الأمل): «إن أمريكا تخوض في الشرق الأوسط صراعاً مسلحاً، وتخوض في الوقت نفسه حرب أفكار». وقد أصدرت إدارته تعليماتها ببذل جهود جديدة ومبتكرة في حرب الأفكار ضد «الإسلام المتشدد»<sup>316</sup> ، و هذا يدل على أن هذا النوع من الحروب يدخل ضمن الإستراتيجية الشاملة للحرب الحضارية الأمريكية ضد العالم الإسلامي.

و قد تجسدت حرب الأفكار على العالم الإسلامي بمجموعة من المشاريع و البرامج داخل الولايات المتحدة و خارجها، و خير مثال على ذلك مشروع الشرق الأوسط

---

315 - زكي الميلاد، حرب الأفكار. مجلة النبأ، العدد 84، تشرين الثاني 2006م.:

<http://annabaa.org/nbhome/nba84/003.htm>

316 - قلم التحرير. حرب الأفكار، جولة جديدة، مجلة البيان العدد 290. م س.

الكبير<sup>317</sup>، الذي أعلن عنه في 13/02/2004 م، أي عقب غزو العراق بأقل من سنة. و أصل هذا المشروع هو برنامج الإصلاح العربي الذي أعدته وزارة الخارجية بقيادة كولن باول في اجتماع مغلق في 06/11/2002 م مع خمسين سيدة عربية وأشرفت على تنفيذه اليزابيت تشيني ابنة نائب الرئيس الأميركي ديك، وهو برنامج جاء في إطار المناخ العام الأميركي في تعزيز الديمقراطية ونشرها في منطقة الشرق الأوسط، ومساعدة الدول المعنية في دفع خططها التنموية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والتربوية<sup>318</sup>.

و يمكن القول إن المشروع المذكور هو المبادرة الأساسية لباول التي جاءت كما قال نتيجة مناقشات مع قادة بعض دول العالمين الغربي والإسلامي وعدد كبير من متقفيهم، بمن فيهم الخمسين سيدة عربية اللواتي ذكرهن في سياق مبادرته، معتبراً أن هذه المبادرة هي إصلاحية وشاملة، على الرغم من المسافة الزمنية بينهما (الأولى في 13/2/2004 والثانية في 17/12/2002) وقد تركزت مبادرته على أعمدة ثلاث:

1-العمود الأول هو للتعاون مع القطاعين العام والخاص لردم الهوة في مجال البطالة من خلال الإصلاح الاقتصادي والاستثمار في مجال الأعمال وتركيز القطاع الخاص، وتعزيز الحريات والمجتمع المدني والمشاركة السياسية ورفع صوت النساء.

2-العمود الثاني يربط بين الاقتصاديات المفتوحة وضرورة إيجاد الأنظمة المفتوحة على بعضها وعلى العالم.

3-العمود الأخير وهو الإصلاح التعليمي حيث سيتم التركيز على تعليم البنات وتوفير المنح المدرسية للجميع<sup>319</sup>.

---

317 - تعود الاهتمامات الإستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية بمنطقة الشرق الأوسط إلى نهاية الحرب العالمية الثانية حينما سعت إلى مد نموذج "مونرو" إلى مناطق الشرق الأوسط المنتجة للنفط، وكشفت لبريطانيا عن رغبتها في السيطرة على السعودية، مما أغضب بريطانيا ولكنها أذعن في نهاية المطاف. وهذا ما يفضح السياسة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط كونها مجرد أوهم من أجل السيطرة عليه. انظر على سبيل المثال: ناعوم تشومسكي، أوهام الشرق الأوسط. ترجمة: شيرين فهمي. الطبعة الثانية (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2006م)، ص-ص 7-48.

318 - مشروع الشرق الأوسط الكبير أو المبادرة المستحيلة، مجلة الدفاع الوطني في الموقع الرسمي للجيش اللبناني.

انظر: [http://www.lebarmy.gov.lb/ar/news/?5883#.VXBY7rl\\_Oko](http://www.lebarmy.gov.lb/ar/news/?5883#.VXBY7rl_Oko)

319 - ن م، [http://www.lebarmy.gov.lb/ar/news/?5883#.VXBY7rl\\_Oko](http://www.lebarmy.gov.lb/ar/news/?5883#.VXBY7rl_Oko)

و في حقيقة الأمر فإن العمود الأخير الخاص بإصلاح التعليم ما هو إلا عنوان عام لمشروع كبير يمس بكل مكونات الأركان الحضارية، و هو في حقيقته مشروع ل هندسة المجتمعات الإسلامية، من خلال هندسة تلقي المعرفة، كأنجع السبل لتجفيف منابع الرفض للهيمنة الغربية. و هو مشروع قديم سابق لأحداث 11 سبتمبر 2001 م، فقد كانت مصر و الأردن من الدول التي استجابت للضغوط الأمريكية و طبقت بعض المطالب الغربية<sup>320</sup>، و أما أحداث 2001/09/11 م فلم تكن إلا موجة استغلت لزيادة الضغوط على مجمل دول العالم الإسلامي، التي استجاب الكثير منها لعموم بنود وثيقة الشرق الأوسط الكبير<sup>321</sup>.

و قد امتدت هندسة التعليم في العالم الإسلامي إلى التعليم الجامعي من خلال افتتاح جامعات غربية في العالم الإسلامي تحت مسمى " الجامعات المستقلة"؛ فقد حاول منظمو مؤتمر " الجامعات المستقلة في العالم الإسلامي.. مدخل جديد " الذي نظمه مركز هولينجز للحوار بين الشرق والغرب ( Hollings Centre ) 2005 البحث عن أفضل الطرق والوسائل لنشر الجامعات الغربية والتعليم الغربي بكل قيمه في المجتمع الإسلامي وقد تمت دعوة عدد كبير من أساتذة الجامعات العربية والإسلامية لهذا المؤتمر الذي تمت فيه مناقشة موضوع هو من أخطر الموضوعات على مستقبل تعليم وتربية أبناء المسلمين<sup>322</sup>.

و المكون الثالث الذي نأخذه نموذجاً للحرب الأمريكية على مكون الأركان الحضارية هو التاريخ الإسلامي، فنشويه صورة الإسلام و حضارته بجميع مكوناتها تبدأ من تشويه التاريخ الإسلامي.

---

**320** - محمد منير سعد الدين. الهجمة على مناهج التعليم في العالم العربي والإسلامي في ميزان النقد. انظر: [http://www.almaaref.org/books/contentsimages/books/nadawat/almanahej\\_altarbaweslami/page/lesson4.htm\(\\*\)#ya\\_fe\\_alalam\\_ali](http://www.almaaref.org/books/contentsimages/books/nadawat/almanahej_altarbaweslami/page/lesson4.htm(*)#ya_fe_alalam_ali)

**321** - برنامج أولى حروب القرن، عنوان الحلقة: تغيير مناهج التعليم العربية بطلب أمريكي . تقديم محمد كريشان، بتاريخ 2001/12/17 م. في موقع الجزيرة:

<http://www.aljazeera.net/programs/first-war-of-the-century/2005/1/10>

و انظر: حنان يوسف، الحرب الأمريكية على مناهج التعليم، في موقع: إسلام اليوم.

<http://www.islamtoday.net/nawafeth/artshow-42-2495.htm>

و كمال حبيب، الخطط الأمريكية لتغيير مناهج التعليم في العالم الإسلامي، في موقع اسلام ويب.

<http://articles.islamweb.net/Media/index.php?page=article&lang=A&id=33928>

**322** - اللجنة التربوية، الجامعات الغربية في العالم الإسلامي.. تقرير عن مؤتمر مركز هولينجز \ اسطنبول 2005- الجامعات المستقلة في العالم الإسلامي : مدخل جديد. موقع المسلم. <http://www.almoslim.net/node/84062>

إن التاريخ ذاكرة الأمم ومرآتها فهو الذي يجسّد ماضيها، وهو الذي يعكس شخصية المجتمعات و آله شعوب عقيدة وثقافة وحراراً اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً، ويترجم حاضرها، وتستلهم من خلاله دروس مستقبلها.

ونظراً لأهمية التاريخ في حياة الأمم، فقد لجأ أعداء وأدعياء هذه الأمة - فيما لجؤوا إليه - إلى تاريخها، لتشتيت جمعها، وتفتيت أوصالها، وتهوين شأنها، فأدخلوا فيه ما أفسد كثيراً من الحقائق، وقلب كثيراً من الوقائع، وأقاموا تاريخاً يوافق أهواءهم و أغراضهم، ويخدم مآربهم، ويحقق ما يصبون إليه.

و في غمار الحديث عن المحاولة الأمريكية لتفكيك مكونات المركب الحضاري الإسلامي في أبعادها الثلاثة (الأصول و الأركان و المرتكزات)، يجدر بنا أن نبين أن أكبر مؤسسة تولت كير المشروع التفكيكي هي مؤسسة الاستشراق كما سبق بيانه.

غير أن الاستشراق الغربي في مرحلته الأخيرة بقيادة أمريكا كان أخطر و أشد على المركب الحضاري الإسلامي، ذلك أنه استثمر كل تجارب الاستشراق الغربي بجميع مذاهبه و مدارسه و بخاصة المدرستين الاستعماريتين الفرنسية و البريطانية، و سخر لذلك ترسانته الإعلامية بتفوقه التكنولوجي الباهر، و كذا المؤسسات و المنظمات الدولية التي أنشأتها أمريكا أو ساهمت في إنشائها، و هو ما لم يتسنى للاستشراق القديم.

و قد بين المفكر الكبير إدوارد سعيد<sup>323</sup> أن الحضارة العربية الإسلامية بجميع مكوناتها أصبحت غداة الحرب العالمية الثانية محل اهتمام الولايات المتحدة الأمريكية، و أصبح هذا الاهتمام أكبر و أكثر بروزاً بعد الحروب العربية الإسرائيلية.

**323** - إدوارد وديع سعيد (1935-2003) مفكر و ناقد و مُنظر أدبي فلسطيني أمريكي الجنسية. كان أستاذاً جامعياً للغة الإنكليزية والأدب المقارن في جامعة كولومبيا ومن الشخصيات المؤسسة لدراسات ما بعد الكولونيالية. وصفه روبرت فيسك بأنه أكثر صوت فعال في الدفاع عن القضية الفلسطينية. و هو من الشخصيات المؤثرة في النقد الحضاري والأدب. نال شهرة واسعة خصوصاً في كتابه الاستشراق سنة 1978. وقد ربط دراسات الاستشراق بالمجتمعات الإمبريالية واعتبرها منتجاً لتلك المجتمعات. مما جعل من أعمال الاستشراق أعمال سياسية في لبها وخاضعة للسلطة ، لذلك شكك فيها. وقد أسس أطروحته من خلال معرفته الوثيقة بالأدب الاستعماري مثل روايات جوزيف كونراد، ومن خلال نظريات ما بعد البنوية مثل أعمال ميشيل فوكو و جاك دريدا وغيرهم. أثبت كتاب الاستشراق ومؤلفاته اللاحقة تأثيرها في النظرية والنقد الأدبي. إضافة إلى تأثيرها في العلوم الإنسانية، وقد أثر في دراسة الشرق و بخاصة في تحول طرق وصف الشرق الأوسط جادل إدوارد سعيد نظريته في الاستشراق مع علماء في مجال التاريخ، واختلف العديد مع أطروحته ومن بينهم برنارد لويس. انظر <https://www.britannica.com/biography/Edward-Said>



و لقد تولى المستشرقون الأنجلو- أمريكيون الجدد- الذين نبذوا اسم المستشرق و استبدلوه باسم الخبير الإقليمي<sup>324</sup> - مهمة تشويه التاريخ الإسلامي كي يتسنى لهم صناعة الصورة التي يريدون للإسلام و حضارته و أمته و شعوبه و مجتمعاته، و تستوي في ذلك أعمالهم الجماعية الصادرة عن المؤسسات، كمؤسسة دراسات الشرق الأوسط<sup>325</sup>، أو الأعمال الفردية الصادرة عن أشخاص كأعمال برنار لويس و أضرابه<sup>326</sup>.

فبالنسبة للأعمال الجماعية، نأخذ نموذجا انتقده ادوارد سعيد و هو يحلل الأعمال الجماعية للمستشرقين في تعاملهم مع التاريخ العربي الإسلامي، و يتمثل ذلك في كتاب ذي مجلدين بعنوان " تاريخ كمبرج للإسلام"؛ قال سعيد: " أن نقول عن هذا العمل الذي ألفه عدد من نجوم الاستشراق اللامعين، إنه فشل فكري بأية مقاييس سوى مقاييس الاستشراق هو أن نقول إنه كان يمكن أن يكون تاريخا للإسلام مختلفا و أفضل. و في الواقع كما لاحظ عدد من الباحثين الأكثر فطنة و تقديرا أن هذا النمط كان محكما عليه بالفشل منذ خطط له، و لم يكن بوسعهم أن يكون مختلفا أو أفضل على سعيد التنفيذ، فقد تقبل محرروه عددا كبيرا جدا من الأفكار دون تمحيص، وكان ثمة اعتماد مفرط فيه على مفهومات غائمة، و لم يلق كبير بال إلى المسائل المنهجية) التي تركت على ما لم تنزل عليه في الإنشاء الاستشراقي لقرنين تقريبا)، و لم يبذل من جهد لجعل حتى فكرة الإسلام تبدو شيقة، و علاوة فإن " تاريخ كمبرج للإسلام " لا يخطئ تصور الإسلام و يخطئ تمثيله كديانة و حسب، بل إنه ليفتقر كذلك إلى فكرة موحدة عن نفسه من حيث هو تاريخ. و لا يمكن أن يصدق إلا على قلة من مثل هذه المشاريع الضخمة كما يصدق على هذا المشروع، أن الأفكار و الذكاء المنهجي يكادان يكونان غائبين عنه كلياً"<sup>327</sup>.

324 - إدوارد سعيد، الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء. ترجمة كمال أبو ديب، الطبعة العربية السادسة ( بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، 2003)، ص 285.

325 - ن م، ص 300.

326 - هنالك استثناءات في تناول الموضوعي للإسلام من طرف المستشرقين الأمريكيين كغيرهم من الأوروبيين، كـ رالف والدو إمرسون (1803-1882)، غير أنه مع الصور الإيجابية التي نقلها عن العرب، فقد نقل صورا سلبية كثيرة أيضا، و قد وظف التاريخ العربي الإسلامي من أجل بعث أمريكا كقوة عالمية، و يفسر أيضا موضوعيته النسبية، كون أمريكا إلى ذلك الحين، لم تكن لها أغراض توسعية في العالم الإسلامي لأنها كانت في مرحلة البناء الذاتي. انظر: محمد الدعي. الاستشراق: الاستجابة الثقافية الغربية للتاريخ العربي الإسلامي، الطبعة الأولى، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2006)، ص- ص 165-178.

327 - إدوارد سعيد، الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء. م س، ص 301.

و المتأمل في هذا النقد العلمي للاستشراق، يلحظ دقة سعيد في اعتبار أن الاستشراق الأمريكي ارتأى لنفسه دراسة الشرق من أجل أن تقتفي أمريكا مثل القوى الامبريالية الأوروبية، مما يكشف عن كون النوايا كانت سياسية و ليست علمية بحثية<sup>328</sup>، بل لقد ذهب أبعد من هذا حين قال: "لم أتمكن من العثور على أية فترة من التاريخ الأوروبي أو الأمريكي منذ العصر الوسيط، تم فيها التعامل مع الإسلام أو التفكير به خارج إطار اختلافته العواطف و التحاملات و المصالح السياسية"<sup>329</sup>.

و هذا التحليل يدعم طرح هذا البحث، كون تفكيك المركب الحضاري الإسلامي هو إستراتيجية أمريكية في حربها الحضارية، لهذا كان من دعائم تفكيك مكون الأركان الحضارية تشويه التاريخ الإسلامي من أجل تشكيل صورة مشوهة عن الإسلام تبرر الحرب الحضارية عليه.

و كمثل عن الأعمال الفردية، يمكن أخذ المستشرق برنار لويس، الذي تولى عبر مساره الفكري لعقود من الزمن مهمة تشويه التاريخ الإسلامي جملة و تفصيلا.

و قد قام الباحث السعودي مازن صلاح مطبقاني بدراسة وافية قدمها في رسالة دكتوراه في الاستشراق الحديث والمعاصر تقع في ( 614 ) صفحة و هي موسومة بـ: " منهج المستشرق برنارد لويس في دراسة الجوانب الفكرية في التاريخ الإسلامي " و هي ذات أبواب أربعة، خصص الثالث منها ل موقف برنارد لويس ورؤيته للتاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية والمجتمع، و قد تناول في فصوله موقف لويس من أحداث السيرة النبوية، و موقفه من الخلافة الراشدة، و آراءه و شبهاته حول الفتوحات الإسلامية، و موقفه من التاريخ الإسلامي الحديث، و رؤيته للحضارة الإسلامية.

و قد خلص مطبقاني إلى أن برنارد لويس لم يلتزم بالموضوعية العلمية في دراسته للتاريخ الإسلامي، ابتداء من (السيرة النبوية الشريفة)، حيث راح يستخدم منهج التشكيك

328 - إدوارد سعيد، الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء، م س، ص 293.

329 - محمد الدعيمي. الاستشراق: الاستجابة الثقافية الغربية للتاريخ العربي الإسلامي، م س، ص 184. نقلا عن:

Edward W. Said, Covring Islam: How the Media and the Experts Determine How We See the Rest of the World(New York: Pantheon Books, 1981), p23.

في معطيات سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم كما أنه لم يتبين موقفاً إيجابياً واحداً، تجاه شخصية الرسول الكريم، صلى الله عليه وسلم، مؤكداً بعده عن الموضوعية، بادعائه بل وإنكاره المطلق لوجود وثائق إسلامية يرجع إليها.

كما أثبت أن المستشرق المذكور يعتمد الكذب كأحد دعائم المنطق التحليلي الاستشراقي في دراسته الحوادث التاريخية، و أنه كرس حياته وجهده لتشويه كل ما هو إسلامي، وللنيل من المسلمين تاريخاً وحاضراً وتراثاً، و أثبت أنه أحد نماذج الاستشراق المرتبطة بالصليبية العالمية، والمتخصصة في تشويه تاريخ الإسلام والمسلمين . و أنه ردد شبهات من سبقوه حول الفتوحات الإسلامية والجهاد في سبيل الله حيث حاول متعمداً أن يجعل الجهاد الإسلامي في ما أطلق عليه (النظرية القانونية في الإسلام)؛ إذ يقول (لويس) في هذا الصدد : "تنقسم الإنسانية في الرؤية الإسلامية إلى العالم، بطريقة حاسمة إلى (دار الإسلام) و (دار الحرب)، و أن منطق القانون الإسلامي لا يعترف بالوجود الدائم لأي جماعة أخرى خارج نطاق الإسلام.

و من خلال تناوله لوؤيغ لوييس للخلافة العثمانية و موقفه من الصهيونية العالمية وفلسطين، أثبت (مطبّقاني) تحيز لوييس الواضح للقضايا اليهودية والصهيونية، وتأثير هذا التحيز سلباً في كتاباته عن القضية الفلسطينية، كما طغت نزعة الصهيونية والتحذيرية للغرب الصليبي، في اهتمامه الخاص لإبراز الحركات الإسلامية المعاصرة في أوربا وعالمنا الإسلامي بأنها خارجية ومنحرفة وليست لها جذور ولا هدف ؛ و قد وظف علمه وخبرته لخدمة أهداف الصهيونية العالمية، مؤكداً ب أن المستشرق (برنارد لويس) نفسه صرح بانتمائه الصهيونية في أكثر من موضع ومحل<sup>330</sup>.

---

330 - منهج المستشرق برنارد لويس في دراسة الجوانب الفكرية في التاريخ الإسلامي ، رسالة دكتوراه في الاستشراق الحديث والمعاصر للدكتور مازن صلاح مطبقاني . كلية الدعوة - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمدينة المنورة - رمضان 1414 هـ تحت إشراف أ.د. محمد خليفة حسن أحمد . عرض وتقديم: د. خالد نعيم في موقع: مركز المدينة المنورة لدراسات و بحوث الاستشراق. انظر:

## المطلب الثالث: الأساس الثقافي الاجتماعي

يقصد بالأساس الثقافي - الاجتماعي للحرب الحضارية الأمريكية في هذا المطلب توظيف البعد الثقافي و الاجتماعي في العلاقات الدولية، و خاصة في العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية و العالم الإسلامي، و التي غلب عليها طابع العدوان و إعلان الحرب الحضارية من طرف واحد ( أمريكا )، أكثر من التعارف و التحاور و السلم و التعاون.

و قد تبنى هذا البحث الدمج بين الأساسين الثقافي و الاجتماعي، تماشياً مع نظرية مالك ابن نبي في الثقافة، و التي هي عنده نظرية في السلوك أكثر من أن تكون نظرية في المعرفة، و هذا لا يتسنى عنده إلا بربط الثقافة بالحضارة ربطاً وثيقاً، و هي لا تتحدد من زاوية نظرية فحسب، بل لا بد أن يضاف إليها البعد العملي أو التربوي.

و لقد عالج ابن نبي مشكلة الثقافة من ناحيتين، أطلق على الناحية الأولى تسمية التحليل النفسي للثقافة، و على الناحية الثانية تسمية التركيب النفسي للثقافة.

1- فلما عبارة التحليل النفسي ، فيواد منها الإجابة عن سؤال: كيف نفهم الثقافة؟ أو كيف نحدد فهمنا الخاص والمستقل للثقافة؟.

و محاولة فهم الثقافة يحددها ابن نبي في إطار التاريخ، فالثقافة حسب رأيه ينبغي أن يتصل معناها بالتاريخ، و لا يمكن أن نتصور تاريخاً بلا ثقافة، والشعب الذي يفقد ثقافته يفقد حتماً تاريخه .

و الثقافة بهذا المعنى في اتصالها بالتاريخ هي في نظر ابن نبي تلك الكتلة بما تتضمنه من عادات متجانسة، و عبقريات متقاربة، و تقاليد متكاملة، و أذواق متناسبة، و عواطف متشابهة.

1 - و أما عبارة التركيب النفسي للثقافة ، فيواد منها الإجابة عن سؤال: كيف نطبق الثقافة؟ أو كيف يكون للثقافة واقع فعلي في حياتنا؟

وتطبيق الثقافة يحددها ابن نبي في إطار التربية. ومعنى الثقافة في التربية يتحدد من خلال صياغة هدفها، وما تتطلبه من وسائل التطبيق؛ أما الهدف، فباعتبار أن الثقافة ليست علماً خاصاً بطبقة من الشعب دون أخرى، وإنما هي دستور تتطلبه الحياة العامة بجميع ما فيها من ضروب التفكير والتنوع الاجتماعي.

وتطبيق الثقافة هو بمعنى أن تتحول الثقافة إلى أسلوب حياة في المجتمع، بحيث تؤثر على كافة طبقاته الاجتماعية؛ وهذا التحول في رؤية ابن نبي بحاجة إلى أربعة عناصر مترابطة ومتكاملة فيما بينها، يسميها عناصر أو فصول الثقافة، وهي حسب الترتيب عنده كالتالي:

أولاً: التوجيه أو المبدأ الأخلاقي. وهو الذي يقرر الاتجاه العام للمجتمع بتحديد الدوافع والغايات.

ثانياً: التوجيه أو الذوق الجمالي. فبالذوق الجميل الذي ينطبع فيه فكر الفرد، يجد الإنسان في نفسه نزوعاً إلى الإحسان في العمل، وتوخياً للكريم من العادات.

ثالثاً: المنطق العملي. يقصد بالمنطق العملي الفعالية وهو استخراج أقصى ما يمكن من الفائدة بوسائل معينة.

رابعاً: التوجيه الفني أو الصناعة. ويرى ابن نبي أن المبدأ الأخلاقي، والذوق الجمالي، والمنطق العملي، كل هذه العناصر لا تكون وحدها شيئاً من الأشياء حسب رأيه، إن لم تكن في أيدينا وسائل معينة لتكوينه، والعلم أو الصناعة، كما في تعبير ابن خلدون، هو الذي يعطينا تلك الوسائل، ويكون عنصرها هاما في الثقافة، لا يتم بدونه تركيب عناصرها وتحديد معناها، ويدخل في هذا المفهوم كل الفنون والمهن والقدرات وتطبيقات العلوم<sup>331</sup>.

331 - زكي الميلاد، مشكلة الثقافة عند مالك بن نبي - النظرية، والمنهج، والتطور. في موقع بن نبي:

مشكلة الثقافة عند مالك بن نبي النظرية، والمنهج، والتطور/

<http://www.binnabi.net/infos/detail/9FDiY23I5pY12Ov>

و بناء على نظرية ابن نبي في الثقافة، فإن العناصر التي تدخل ضمن الأساس الثقافي الاجتماعي كأساس من أسس الحرب الحضارية الأمريكية هي:

- التاريخ: بما يحويه من عادات متجانسة، وعقريات متقاربة، وتقاليد متكاملة، وأذواق متناسبة، وعواطف متشابهة.

- التربية: بما تتضمنه من أهداف، و وسائل التطبيق في أرض الواقع.

- أسلوب حياة المجتمع: و يندرج فيه التوجيه الأخلاقي و التوجيه الجمالي و المنطق العملي و التوجيه الفني أو الصناعة.

إن الولايات المتحدة الأمريكية منذ بدأ قرنها في الظهور غداة الحرب العالمية الثانية و انبثاق عصر العولمة، - و الذي أرست له كل ما يتطلبه من مؤسسات دولية في جميع المجالات- ما فتئت توظف البعد الثقافي في علاقاتها و صراعاتها الدولية، و ليس من المبالغة في شيء حينما نعدّ كل الأطروحات المغذية للحرب الحضارية الأمريكية أطروحات ثقافية؛ فأطروحة الأناركية أو الفوضوية، و أطروحة نهاية التاريخ، و أطروحة الصدام، و أطروحة نحن و الآخرون، كلها أطروحات ثقافية بامتياز.

و يبرز جليا توظيف الولايات المتحدة الأمريكية للعوامل الثقافية في صراعاتها الدولية عقب انهيار الاتحاد السوفييتي و انتهاء الحرب الباردة<sup>332</sup>، و بداية حربها الحضارية الأولى أحادية الجانب ضد العالم الإسلامي؛ و قد صار لهذه العوامل دورا كبيرا في تشكيل و بلورة الإستراتيجيات و التفاعلات التعاونية و التصارعية على المستوى العالمي<sup>333</sup>.

332 - أماني محمود غانم، البعد الثقافي في العلاقات الدولية- دراسة في الخطاب حول صدام الحضارات ، م س، ص-ص23-26.

333 - محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة و ثقافة السلام. ص 162.

و هكذا يمكن الخلوصل إلى نتيجة أساسية حول هذه الحرب الحضارية، و هي أنها ذات نزعة ثقافية. و الثقافية (Culturalisme) تيار فكري ظهر في الولايات المتحدة الأمريكية في ثلاثينيات القرن العشرين ، وضمّ عدداً من تلامذة فرانز بواس ( 1858-1942)<sup>334</sup>.

و قد برز مفهوم الثقافية كمفهوم أنثروبولوجي بركيزته التحليلية النفسية على أيدي كل من روث بنديكت و رالف لينتون. وكان مسعى كل هؤلاء هو منح "الأهمية البالغة للتفاعل الثقافي بين الإثنيات والمجتمعات."<sup>335</sup>

وترتكز المقاربة الثقافية على مجموعة من المنطلقات المفاهيمية الفكرية أهمها الحتمية الثقافية و النسبية الثقافية و المنطقة الثقافية و التماسك الثقافي <sup>336</sup>، و هي كلها منطلقات تشكل تهديداً للتعرف و التعاون بين الدول و الشعوب.

و أخطر ما في النزعة الثقافية هو النزوع نحو عولمة القيم الغربية، أو بالأحرى أمركة القيم و عولمة الثقافة الأنجلوأمريكية بالقضاء على الثقافات الأخرى لكي يتلاءم مع العولمة الاقتصادية و السياسية و القانونية و المعلوماتية، و تتحقق الهيمنة الشاملة.

و بحسب المقرب الثقافية فإن الثقافة هي مقياس و محدد للظواهر الاجتماعية الإنسانية، و بالتالي فإن "الثقافة هي العنصر الحاسم في ماضي و حاضر و مستقبل الشعوب أو الكتل البشرية التي تجمع بينها أو اصر ثقافية مشتركة بل أكثر، يرى إلى التاريخ على أنه منقسم إلى جوهر روعي ثابت و إلى زمن مادي هو العنصر الحداثي الطارئ الزائل. و هكذا تصير المفاهيم و التخيلات و العادات و التقاليد هي الثوابت في حياة الكتلة البشرية المعنية و الحدود الفاصلة بينها و بين كتلة بشرية أخرى"<sup>337</sup>.

---

334 - من أبرزهم إدوار سابير (1884-1939) وروث بندليجت (1887-1948) ومرغريت ميد (1901-1978)، فضلاً عن باحثين آخرين أمثال رالف لنتون (1893-1953) وأبرام كاردينر (1891-1981).

335 - أزراج عمر، النزعة الثقافية . جريدة العرب (يومية عربية تصدر في لندن). العدد: 9848، بتاريخ: 2015/03/06م، ص(15). <http://www.alarab.co.uk/?id=46793>

336 - محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أئسنة الحضارة و ثقافة السلام . ص 164، 165.

337 - ن م، ص 163، نقلا عن طرابلسي، "سجال مع صامويل هانتغتون"، ص 10.

و من هنا عمدت الولايات المتحدة الأمريكية في حربها الحضارية ضد العالم الإسلامي على هذا المقرب، لأنه يصيب الخصم في مقتل، فهو باستهدافه الماضي و الحاضر و المستقبل، يقتل الذات الحضارية للأمة، و يزهق روحها بما تحويه من عادات متجانسة، و عبقریات مقاربة، و تقاليد متكاملة، و أذواق متناسبة، و عواطف متشابهة.

و بهذا المقرب الثقافي يتم تفكيك مكونات المركب الحضاري الإسلامي، الذي تقوم على غرسه التربية الإسلامية بما تتضمنه من أهداف، و ما تحويه من وسائل التطبيق في أرض الواقع.

و بهذا المقرب أيضا، يتم القضاء على أسلوب حياة المجتمع الإسلامي بما يندرج فيه من توجيه أخلاقي و توجيه جمالي و منطق عملي و توجيه فني أو صناعي، على اعتبار أن أسلوب حياة أي مجتمع إن هو إلا النتاج الطبيعي لتطبيق الثقافة داخل المجتمع.

و الجدير بالذكر أن المقرب الثقافي ذو ارتباط وثيق بالدين و بمنظومة القيم، و هنا تكمن خطورته، لأن إضفاء الصبغة الحضارية و الثقافية على العدو يزيد من الشعور بخطورته، لأن الثقافة تعني الذات و الأنا و الهوية.

و لتحقيق أهدافها الإستراتيجية ذات البعد الثقافي الاجتماعي، عمدت الولايات المتحدة إلى مجموعة من المشاريع الكبرى و جندت لها مؤسسات عملاقة و رصدت لها ميزانيات ضخمة، و يأتي على رأس هذه المشاريع مشروع الاستشراق الأمريكي.



## المطلب الرابع: الأساس السياسي.

لا يكاد المتفحص لأطروحة الحرب الحضارية الأمريكية يفصل بين أساسها الديني و الفكري، و لا بين أساسها السياسي و الاجتماعي، و لا بين أساسها الديني و السياسي، أو غيرها من الأسس؛ فأسس هذه الحرب و أبعادها تتداخل و تتشابك و تتماهى فيما بينها إلى الحد الذي يصعب فيه الفصل في طبيعة كل أساس على حدة، و هذا راجع إلى أسباب عديدة منها على وجه التخصيص طبيعة الحرب الحضارية نفسها التي تمتاز بالتعقيد.

و يُعدّ الأساس السياسي ذا أهمية كبيرة في الحروب الحضارية عامة، و الحرب الحضارية الأمريكية خاصة، و ذلك نظرا للموقع الإستراتيجي الذي تتبوأه السياسة من جميع أنواع الحروب، و لمكانتها في الدولة الحديثة، و أيضا للمكانة القيادية للولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية.

و على اعتبار أن الحرب الحضارية عدّها الباحث خلاصة لأطروحات عديدة - مثل أطروحة نهاية التاريخ، و أطروحة صراع و صدام الحضارات، و أطروحة الفوضى أو الأناركية، و أطروحة نحن و الآخرون - شكّلت بالتحامها ظاهرة الحرب الحضارية الأمريكية؛ يمكن اعتبار هذه الحرب في حد ذاتها تنظيرا استراتيجيا في السياسة الأمريكية في فترة ما بعد الحرب الباردة، و مشروعا يحاول بلورة رؤية جديدة للعلاقات الدولية، و لموازن القوى و التفاعلات الجيو- إستراتيجية و الجيو- ثقافية، بهدف صياغة تفكير استراتيجي جديد كفيل بمواجهة الرهانات و التحديات المختلفة لمرحلة ما بعد الحرب الباردة<sup>338</sup>.

و مع أن بعض المحللين لا يترددون في وصف الوضع الدولي بعد الحرب الباردة "بالفوضى الدولية"، و اصفين العالم بأنه لم يجد بعدُ معالمه الأساسية، ولم يعد لخطوط تقسيمه الكبرى نفس المعاني التي كانت تعطى لها من قبل، و ربما أصبحت بدون

338 - محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة و ثقافة السلام، م س، ص 184.

معنى<sup>339</sup>؛ إلا أن محللين آخرين يذهبون إلى أن "الفوضى الدولية" لا تعني وضعاً غير متحكم فيه كلية، بل إن وصف الفوضى لا يعدو كونه وضعاً ضمن إستراتيجية شاملة، و هو ما بيّنه الباحث حين الحديث عن المذهب الفوضوي أو الأناركي في السياسة الدولية المعاصرة، الذي تعود جذوره الفلسفية الأولى للمدرسة الواقعية في العلاقات الدولية، على اعتبار أن الأناركية أو الفوضوية هي أحد الأصول الخمس لهذه المدرسة<sup>340</sup>.

و من هنا يمكن اعتبار الفوضى الدولية كمذهب سياسي في المدرسة الواقعية هي واحدة من أركان أربعة تشكل الأساس السياسي الذي تقوم عليه الحرب الحضارية الأمريكية.

و تترجم هذه الفوضى الدولية في السياسة الخارجية للولايات المتحدة بمجموعة من المشاريع الدولية و الإقليمية و الوطنية، و التي تحاول من خلالها أمريكا التحكم في زمام المجتمع الدولي، و إبقاء خيوط تحريك الدمى في أيديها.

و أما الركن الثاني الذي يُكوّن الأساس السياسي للحرب الحضارية الأمريكية فهو نهاية التاريخ الفوكويامية، فالحرب الحضارية الأمريكية على العالم الإسلامي يتلخص مشروعها السياسي في إقصاء غيرها من الريادة و القيادة الحضارية للعالم، على اعتبار أن النموذج الحضاري الغربي في طبيعته الأنجلوأمريكية هو آخر ما رسّت عليه الحضارة الإنسانية، و هو نهاية التاريخ، فهذه النهاية بحسب فوكوياما تتجسد في الديمقراطية و اقتصاد السوق بالنموذج الأنجلوأمريكي، ولم يعد ثمة نموذج آخر للتنمية قابل للاستمرار يجعل العالم يتفاعل بنتائج أفضل من اقتصاد السوق<sup>341</sup>.

---

**339** - زهير بوعمامة، سياسة إدارة الرئيس بيل كلينتون في إعادة بناء نظام الأمن في أوروبا ما بعد الحرب الباردة ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية فرع العلاقات الدولية ، كلية العلوم السياسية والإعلام قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 2008/2007، ص 39.

**340** - انظر: أحمد محمد أبو زيد. كينيث والتز: خمسون عاما من العلاقات الدولية (1959-2009) دراسة استكشافية. المجلة العربية للعلوم السياسية عدد 27 صيف 2010، ص 105، 106.

**341** - إبراهيم القادري بوتشيش، حول مسألة نهاية التاريخ: تأملات في أطروحة فوكوياما . في موقع عابد الجابري: [http://www.aljabriabed.net/n44\\_02butchich.htm](http://www.aljabriabed.net/n44_02butchich.htm)

و قد ألمحنا فيما سبق أن فكرة نهاية التاريخ ولدت من رحم "النظام العالمي الجديد" بعد الحرب الباردة، وهي م حور فلسفة العولمة، وهي تنطوي على الخلفية النظرية الفلسفية التي تستند إليها إيديولوجية العولمة وسياستها الليبرالية في الاقتصاد وفي ممارسة السلطة والحكم وفي الحياة الاجتماعية والفكرية والثقافية عامة ، وهي بيان نظري وخطاب سياسي وإيديولوجي، الهدف منه تبرير توجه العولمة وتمير فرض النظام العالمي الذي تسعى القوى المهيمنة إلى فرضه على العالم أجمع<sup>342</sup>؛ و مازالت متبناة في أروقة صناع القرار في أمريكا؛ فبعد مرور عقد من الزمن على نظريته كتب فوكوياما مقالا صدر عام 1999 عنوانه «عشر سنين على نهاية التاريخ» يطرح فيه أطروحته السابقة ويؤكد عليها، فيقول: لا شيء مما طرأ على السياسة العالمية أو الاقتصاد الكوني مدة عشر سنوات الأخيرة يشكك - حسب نظري - في صحة ما انتهت إليه، ألا وهو أن الديمقراطية الليبرالية واقتصاد السوق المنفذان للوجود بالنسبة إلى المجتمعات الحديثة<sup>343</sup>.

فلقد صرح فرنسيس فوكوياما وهو أحد ممثلي أطروحة نهاية التاريخ الأمريكية و أحد منظري السياسات الأمريكية التي يجب أن تتبثق عنها، قائلا: " لقد حققنا في أمريكا أضخم انتصار مع نهاية القرن العشرين؛ إبادة الشيوعية وسحق العراق، ولا أحد يشك الآن في أن الولايات المتحدة هي زعيمة العالم، نحن الأقوى والأعظم<sup>344</sup>.

وفي نفس الوقت تقريبا؛ أدلى الجنرال كولين باول Colin Powel بحديث إلى صحيفة Herald Tribune ، جاء فيه: "يجب علينا أن ننسى ما كنا نقوم به طوال الأربعين عاما الماضية، وأعني بذلك تخطيطنا المستمر لمواجهة أخطار بعينها، فنحن في الواقع لا نملك الآن رفاهية وجود مثل هذه الأخطار حتى نخطط لمواجهةها. نحن الآن

**342-** جيلالي بوبكر، فلسفة العولمة وبياناتها النظرية - قراءة نقدية - مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية العدد السابع 2012، ص- ص 21- 27 .

<http://www.univ->

[chlef.dz/ratsh/REACH\\_FR/Article\\_Revue\\_Academique\\_N\\_07\\_2012/article\\_03.pdf](http://www.univ-chlef.dz/ratsh/REACH_FR/Article_Revue_Academique_N_07_2012/article_03.pdf)

**343-** فرنسيس فوكوياما .عشر سنين على نهاية التاريخ ، ترجمة المنصف الشنواني، مقال في الثقافة العالمية، المجلس الوطني، الكويت، العدد 98، سنة 2000.

**344-** فرنسيس فوكوياما، نهاية التاريخ وخاتم البشر. ترجمة يوسف جاهاماني. الطبعة الأولى، (بيروت: دار الحضارة الجديدة، 1993) ص7.

الأعظم، نحن اللاعب الرئيسي على المسرح الدولي، و كل ما يجب أن نفكر فيه هو مسؤوليتنا عن العالم بأسره ومصالحنا التي تشمل هذا العالم كله<sup>345</sup>.

وذهب الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون في كتابه "الفرصة السانحة" إلى القول: "نعيش الآن في عالم ليس به إلا قوة عظمى واحدة الولايات المتحدة، وعلينا أن نعيد تشكيل سياستنا الخارجية لكي تتلاءم مع هذا الوضع الجديد<sup>346</sup>".

هكذا يلتقي الأكاديمي، العسكري والسياسي في توصيف الولايات المتحدة بالقوة العظمى الوحيدة في عالم ما بعد الحرب الباردة، وهم مع كثير من الأمريكيين يمثلون الاتجاه الذي يدعو إلى انفراد أمريكي بدور الريادة في السياسة العالمية الجديدة ولعب دور القوة المهيمنة، ليس لأن الولايات المتحدة أصبحت "الإمبراطورية المحورية لتي يدور حولها باقي العالم، وإنما أيضا لأن العالم - في نظر هؤلاء - صار بحاجة ماسة إلى الولايات المتحدة أكثر مما هي بحاجة له<sup>347</sup>.

و الركن الثالث الذي يقوم عليه الأساس السياسي للحرب الحضارية الأمريكية هو تبني أطروحة نحن و الآخرون بمنظورها السلبي<sup>348</sup>، فالأمريكيون أمة و شعبا و دولة و حكومة و سياسيين و عسكريين و متقنين و أكاديميين يشتركون في النظر إلى أن أمريكا في كفة، و كل العالم في كفة. يقول صموئيل هنتغتون تأكيداً لهذا الاعتقاد: "إن عالماً لا تكون فيه للولايات المتحدة مكانة الريادة سيعرف عنفاً وفوضى أكبر، وديمقراطية ونمو اقتصادياً أقل، مما لو أن الولايات المتحدة واصلت امتلاكها لتأثير أكبر على القضايا العالمية الشاملة [...] إن الإبقاء على ريادة الولايات المتحدة أمر هام، ليس فقط بالنسبة

345 - فرانسيس فوكوياما. ن م. ص 8.

346 - زهير بوعمامة، سياسة إدارة الرئيس بيل كلينتون في إعادة بناء نظام الأمن في أوروبا ما بعد الحرب الباردة ، م س، ص 62. و انظر: عارف الآغا ، هل ستعيد الصحوة الروسية التوازن إلى الساحة الدولية ؟؟ في موقع حزب البعث العربي الاشتراكي السوري.

<http://www.baath-party.org/download/monadel360.pdf>. 2015/05/04

347 - ن م، ص 62.

348 - زكي الميلاد، مفهوم الآخر.. بين المعنى السلبي والمعنى الإيجابي . صحيفة عكاظ السعودية. 2009/04 /23 العدد : 2867 - 1:35 م

لمستوى معيشة وأمن الأمريكيين، ولكن أيضا بالنسبة لمستقبل الحرية، الديمقراطية، الاقتصاديات المفتوحة والنظام الدولي<sup>349</sup>."

و أما بالنسبة للركن الرابع و هو أطروحة الصدام الهنتغتونية، فقد تبين لنا من مبحث سابق أنها بعد أحداث 2001/09/11 م صارت استراتيجية سياسية أكثر منها أطروحة تنظيرية و أكاديمية.

كما أن صناع القرار السياسي في أمريكا يجنحون إلى استخدام مفهوم الحضارة لتفسير صراعات سياسية أو تنافس اقتصادي (محلي أو إقليمي)، و قد أثر ذلك على إدارة الصراع، ولا سيما حين يوصف بالحتمية . والتخالف الحضاري قد يشير إلى شهوة الصراع واستساغته أكثر من الأسباب الداعية له والموصلة إليه. و من المؤكد أن نغمة صراع الحضارات تُعجب السياسيين في كثير من الأحيان لأنها تعطي المبرر الأخلاقي لأفعالهم الناشئة<sup>350</sup>.

من كل ما سبق، يتبين بوضوح أن الولايات المتحدة الأمريكية استمرت بعد الحرب الباردة، و بخاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 م في سياستها التدخلية، التي انتهجتها بعد تخليها عن النزعة الانعزالية؛ فأصحاب القرار و صانعوه يرون في أمريكا - بما لها من قيم و قدرات و مصالح - أمة لا تستطيع و لا يمكن أن تنزوي داخل حدودها، وعليها أن لا تكتفي بالمشاركة في السياسة العالمية فحسب، بل يجب أن تتبوأ مكانة الريادة و القيادة العالمية؛ و أصحاب هذه النزعة (التدخلية) يرون أن أمريكا بلد يملك قَدْرًا خاصا، جعله مختلفا عن غيره من حيث أنه يتحمل مسؤوليات ومهمات تجاه كل شعوب الأرض.

و المتفحص في النزعة الانعزالية للسياسة الأمريكية التي قامت على مبدأ تجنب الأحلاف الذي ناد به جورج واشنطن، و على مبدأ جيمس مونرو الذي اعتبر القارة

349- زهير بوعمامة، سياسة إدارة الرئيس بيل كلينتون في إعادة بناء نظام الأمن في أوروبا ما بعد الحرب الباردة ، م س، ص65.

350- مازن هاشم، قيم المجتمع الأمريكي: نحو فهم الآخر. مجلة الرشد الإلكترونية، انظر الموقع:  
<http://www.alrashad.org/issues/13/13-Hashem.htm>

الأمريكية مجالاً مغلقاً أمام أي استعمار أوروبي جديد، و أن الولايات المتحدة الأمريكية لا تنوي التدخل في الشؤون الأوروبية و أنها تحترم نظمها القائمة، و أنها لا تقبل تدخل الدول الأوروبية في شؤونها، المتفحص في هذا الاتجاه الانعزالي، يستخلص أنه ليس مطلقاً، بقدر ما هو اتجاه استعدادي لمرحلة سياسة التدخل.

فمبدأ جورج واشنطن ما جاء إلا لاجتتاب التورط في سياسة الأحلاف والأحلاف المضادة التي طبعت سياسة توازن القوى الأوروبية في تلك الفترة، و الولايات المتحدة أرادت التفرغ لشأنها و النأي بنفسها عن كل ما يشنت قوتها و يبعدها عن مجالها الحيوي الأول و هو القارة الأمريكية.

و أما مبدأ جيمس مونرو فواضح من بنوده التي تهدف في عمومها إلى إبعاد القوى الأوروبية عن المجال الحيوي للولايات المتحدة، بالإضافة إلى أن الولايات المتحدة لم تكن في مستهل القرن التاسع عشر تملك القدرة على التدخل في شؤون دول أوربا، بينما كانت هذه الدول تستطيع التدخل في الشؤون الأمريكية دون أن تستطيع الولايات المتحدة أن تتصدى لها من دون مساعدة إنجلترا.

## المطلب الخامس: الأساس الاقتصادي

لا يماري أحد في كون الاقتصاد يشكل شريان الحياة الإنسانية و عصبها المادي، لأجل ذلك اعتبر علماء مقاصد الشريعة الإسلامية حفظ المال ضمن الضروريات الخمس، و التي رتبها أبو حامد الغزالي<sup>351</sup> على النحو الذي اشتهر بعده، و هو حفظ الدين ثم النفس ثم العقل ثم النسل ثم المال<sup>352</sup>.

و هذا الترتيب هو الذي يميز شريعة الإسلام عن بقية الشرائع، سواء كان مصدرها تعاليم السماء أم تعاليم البشر.

و الحضارة الغربية على النقيض تماما مع الشريعة الإسلامية، فهي تقدم المال على جميع مكونات الحضارة و عناصرها، بل وتجعل من المال و الاقتصاد شريان الحياة و روحها، و تقدمه على غيره من ضروريات الحياة، بل و على الدين و الأخلاق، لهذا لا عجب إن عُدَّ الاقتصاد عصب الحضارة الغربية، الذي تدور في فلكه كل عناصر الحضارة و مكوناتها و موجوداتها.

و لقداسة الأساس الاقتصادي و محوريته ضمن أسس الحضارة الغربية، لم يجد النظام الغربي فكاكا من أخذ هويته و مظاهره المدنية و الثقافية من روح نظامه الاقتصادي، و قد برز ذلك جليا من اسمه الذي استخلصه من رأس المال، فصار يطلق على نفسه النظام الرأسمالي.

لهذا لا غرو أن تكون المصالح المادية و المالية في أدبيات الثقافة الغربية هي الموجه للحياة، و الاقتصاد هو المعيار و الحَكَم عليها؛ و لهذا أيضا ليس غريبا أن يكون الأساس الاقتصادي ذا بعد استراتيجي في الحرب الحضارية الأمريكية على العالم الإسلامي.

---

**351 -** هو أبو حامد محمد الغزالي الطوسي النيسابوري الصوفي الشافعي الأشعري، أحد أعلام عصره وأحد أشهر علماء المسلمين في القرن الخامس الهجري، (450-505هـ/1058-1111م). كان فقيهاً وأصولياً وفيلسوفاً، وكان سنّي المذهب على طريقة الأشاعرة في العقيدة، وقد عُرف كأحد مؤسسي المدرسة الأشعرية السنّية في علم الكلام، وأحد أصولها الثلاثة بعد أبي الحسن الأشعري. انظر موقع الغزالي: <http://ghazali.org/site-ar/index.html>

**352 -** جمال الدين عطية، نحو تفعيل مقاصد الشريعة. الطبعة الثانية (الجزائر: دار التنوير، أمريكا – فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2004) ص35.

فلقد طفت الولايات المتحدة الأمريكية منذ مؤتمر بريتون وودز سنة 1944م<sup>353</sup> في تنفيذ سياستها في الاستحواذ على العالم مالياً و اقتصادياً، و ما إن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها في عام 1945م، حتى وجد المجتمع الدولي المعاصر بدوله و أممه و شعوبه نفسه و هو في غاية الإنهاك في عصر جديد تهيمن عليه قوة صاعدة هي الولايات المتحدة الأمريكية، بأذرع عسكرية و قانونية و سياسية و اقتصادية و اجتماعية و ثقافية، تجسدت في المؤسسات الدولية الممثلة بهيئة الأمم المتحدة و أسرتها، و التي سهرت أمريكا على تسريع تأسيسها قبل أن يعلن عن نهاية الحرب الكونية.

و إذا كانت بداية التنفيذ لسياسة الاستحواذ على العالم بالعولمة قد بدأت عقب الحرب العالمية الثانية مباشرة، فإن بداية التخطيط كانت عقب الحرب العالمية الأولى، حينما دخلت الرأسمالية الأمريكية في غمار كساد معتدل نسبياً، أعقبه أعظم كساد استغرق عشر سنوات (1929-1939)، و لم يتوقف هذا البلاء إلا بحلول حرب أخرى. و قد اضطلع بهذا التخطيط مجلس العلاقات الخارجية (Council of Foreign Relations)، الذي كان الغرض من إنشائه هو استخدامه كمنتدى لبناء الإجماع و التآلف بين رجال الأعمال و الحكومة، التي تقبلت دورها كشريك صغير، لمناقشة و صياغة السياسة الاقتصادية؛ و الخلاصة أن النظام العالمي في صورته الجديدة المنبثقة بعد الحرب العالمية الثانية، و ما اشتمل عليه من رؤية لاقتصاد عالمي و إمبراطورية أمريكية، مدين بالكثير من وجوده لهذا المجلس<sup>354</sup>.

**353 -** اتفاقية بريتون وودز (Bretton Woods) الاسم الشائع لمؤتمر النقد الدولي الذي انعقد من 1 إلى 22 يوليو 1944 في غابات بريتون في نيوهامبشر بالولايات المتحدة الأمريكية. وقد حضر المؤتمر ممثلون لأربع وأربعين دولة. وقد وضعوا الخطط من أجل استقرار النظام العالمي المالي وتشجيع إنماء التجارة بعد الحرب العالمية الثانية. 2009 اتفاقية-بريـتون-وودز <http://www.aljazeera.net/news/ebusiness/2009/3/29> وتهدف اتفاقية بريتون وودز (Bretton Woods Agreement Forex Markets) إلى إيجاد نوع من الثبات في السياسات النقدية وأسعار الصرف بين دول العالم عبر وضع البنية التحتية لتنقل رؤوس الأموال بين الدول كأساس لتسهيل التجارة العالمية، وخرجت حينها وبعدها المؤسسات الدولية (صندوق النقد الدولي والبنك الدولي والأمم المتحدة والاتفاقية العامة للتعرفة الجمركية والتجارة "غات") لتدعم التوجه العام السياسي والاقتصادي للاتفاقية. ورغم مشاركة الاتحاد السوفياتي في أعمال المؤتمر ومناقشاته فإنه لم ينضم إلى عضوية صندوق النقد الدولي لأنه رأى فيه هيمنة واضحة للاقتصاد الأمريكي على النظام المقترح.

وفي مؤتمر بريتون وودز برزت هيمنة الولايات المتحدة وسيطرتها على أعماله، إذ اعتمد المؤتمر في مقرراته اعتماداً أساسياً خطة الأميركي "هوايت" التي تعكس وجهة النظر والمصلحة الأميركيين واستبعد مشروع كينز الذي يمثل مصلحة بريطانية.

بريـتون-وودز <http://www.aljazeera.net/news/ebusiness/2009/3/29>

**354 -** عبد الحي زلوم، نذر العولمة. الطبعة الثانية، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات و النشر، 2000)، ص 91.



و لقد كان من وظائف هذا المجلس إجراء دراسات معمقة عن الحرب و السلام، و قد اتخذ بالاشتراك مع الإدارة الأمريكية مبادرة للإقدام على إجراءات لتحديد و تسويق دراسات "الحرب و السلام"، و حددت هذه الدراسات النظام العالمي في شكله الجديد لفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية؛ و تمت دراسة المؤسسات المالية و السياسية المختلفة الواجب توفرها لتمكين إمبراطورية أمريكية من ممارسة دورها العالمي، و فرض نظام اقتصاد عالمي أيضا، و كان من بين تلك المؤسسات الأمم المتحدة و صندوق النقد الدولي و البنك الدولي<sup>355</sup>.

و هكذا بعد الحرب العالمية الثانية، أفضى نجاح الخطط إلى حلول عصر جديد من الاستعمار، هو استعمار الشركات الاحتكارية، بدل الاستعمار القديم المتمثل في الاحتلال الفعلي، و كان أكثر جشعا و مكرا و استشرءا من القديم؛ و لقد تطلب نجاح هذا الاستعمار، توفر مجموعة من الآليات و المستلزمات التي يمكن تلخيصها فيما يلي:

- 1 -فتح أبواب الأسواق العالمية و التجارة الحرة أمام الشركات العالمية.
- 2 -حرية الوصول إلى المواد الخام العائدة للشعوب و الدول الأخرى، دون ضغوط أو مضايقات، من حيث السعر و الكمية.
- 3 -إطلاق يد الممولين و أصحاب رؤوس الأموال ليستثمروا أموالهم و يجنوا الأرباح دون أية عوائق.
- 4 -ضرورة وجود المؤسسات الدولية و المالية لإدارة هذه الرؤية الجديدة للاقتصاد العالمي<sup>356</sup>.

---

355 - ن م، ص 91، 92.

356 - ن م، ص 92، 93.

يقول في هذا الشأن المفكر الإستراتيجي البروفيسور عبد الحي زلوم<sup>357</sup>: " كانت رؤيا العولمة وليدة دراسات (السلام و الحرب) التي تمت خلال الحرب العالمية الثانية في الولايات المتحدة الأمريكية، و لقد تمّ إيجاد الأمم المتحدة و مؤسسات بريتون وودز (Bretton Woods)، و منها صندوق النقد الدولي كأدوات لتنفيذ هذا النظام<sup>358</sup> (أي نظام العولمة).

" و كان المقصود بذلك إيجاد منتدى للمناقشات بين الدول بغية التوصل إلى إجماع على الصعيدين السياسي و الاقتصادي، و بذلك تقوم هذه الأمم المتحدة بلعب الدور نفسه الذي قامت به الولايات المتحدة سابقا على نطاق النصف الغربي من العالم، لتقوم الأمم المتحدة بهذا الدور نفسه من نيويورك"<sup>359</sup>.

و هكذا يتجلى أن واحدة من أكبر و أخطر تجليات الحرب الحضارية الأمريكية على العالم الإسلامي هي العولمة، التي هي في حقيقتها أمركة، و بخاصة في بعدها الاقتصادي، فلقد ترتب على ذلك انتشار المذهب و النظام الاقتصادي الرأسمالي في البلاد الإسلامية؛ يقول الباحث المغربي أحمد العماري في كتابه (نظرية الاستعداد في المواجهة الحضارية للاستعمار): "... و الصراع و الغزو و الاستعماري انطلق أساسا من خدمة رسالة حضارية، كانت في بدايتها مع مطلع العصر الحديث هي الفكرة الصليبية، و مع الزمن أخذت تتغلف بستار الاتجاه الاقتصادي الممزوج بالفكرة الصليبية، حتى ظهرت الفكرة الليبرالية كرسالة أصبحت تستوعب مضمون الحضارة اللاتينية في صورتها الدينية و المادية الاقتصادية"<sup>360</sup>.

**357 - د. عبد الحي زلوم، مستشار بارز لشؤون البترول منذ أكثر من 45 سنة. أنهى دراسته الجامعية الأولى والعليا في الهندسة والإدارة من جامعات تكساس، لويزيانا، كاليفورنيا، و هارفرد في الولايات المتحدة بعد إنهاء دراسته الثانوية في القدس. عمل في الولايات المتحدة وأوروبا. كما ساهم في الأعمال التأسيسية للعديد من شركات البترول الوطنية العربية في الخليج والعراق وإفريقيا، كما ساهم في كافة مراحل التصميم والإنشاء والتشغيل لأول مشروع في العالم للتحطيم الهيدروجيني للمنتوجات البترولية الثقيلة. كذلك عمل مستشارا لمشاريع هندسية وإنتاجية نفطية للدول السريعة النمو كإندونيسيا والصين. ترجمت كتبه إلى الإنجليزية والألمانية. من أعماله -كتاب "إمبراطورية الشر الجديدة -". كتاب "حروب البترول الصليبية والقرن الأمريكي الجديد". كتاب أزمة نظام الرأسمالية والعولمة في مآزق .. وهو من أوائل من تنبأ وحذر من وقوع أزمة مالية عالمية وله محاضرات موثقة ألقاها في جامعة هارفرد حول هذا الموضوع انظر:**

/ د-عبد-الحي-زلوم/http://www.ektab.com/

**358 - عبد الحي زلوم، نذر العولمة، م س، ص 5.**

**359 - ن م، ص 73.**

**360 - أحمد العماري، نظرية الاستعداد في المواجهة الحضارية للاستعمار. م س، ص 25.**

إن الولايات المتحدة الأمريكية لم تكثف بَعْدَ القضاء على المنظومة الاشتراكية بأن تربعت بالرأسمالية الغربية على عرش المعمورة دون منازع و منافس لها، بل لقد ذهبت إلى أبعد الحدود من ذلك حينما أرادت إقصاء النماذج الغربية-غير الأنجلوأمريكية- نفسها، يقول د زلوم:" و تطمح الرأسمالية المعلوماتية<sup>361</sup> إلى أن تصبح النظام العالمي الاقتصادي المعتمد، و لهذا وجدنا بعد انهيار المنظومة الشيوعية أن الوجوه الأخرى للرأسمالية قد أصبحت أهدافا للهجوم، و كذا الحال بالنسبة للهجوم على الأيديولوجيات الأخرى التي لن تحذو حذو الرأسمالية الأنجلوأمريكية المعلوماتية<sup>362</sup>.

فإذا كانت نماذج للرأسمالية مثل النموذج الياباني و الألماني و الفرنسي، و التي تسمى في المنظومة الغربية برأسمالية الدولة، في مقابل رأسمالية الأفراد (النموذج الأمريكي)، قد تم تهميشها و إقصاؤها، بل و محاربتها، فليس غريبا على أمريكا في خضم حربها الحضارية على العالم الإسلامي، أن تعتمد على العولمة المعلوماتية أساسا اقتصاديا في تفكيك المركب الحضاري الإسلامي في بعده الاقتصادي، " فنمط الرأسمالية الأنجلوأمريكية القائمة على الرأسمالية المعلوماتية، لا يستطيع احتمال المنافسة، سواء من قِبَل أنماط أخرى من الرأسمالية، أو من أيديولوجيات أخرى قد تكون لديها اختلافات في المفاهيم حول القيم و المبادئ الاقتصادية أو الاجتماعية"<sup>363</sup>.

و من المعلوم أن الإسلام بشريعته و حضارته، له نظام اقتصادي قائم بذاته<sup>364</sup>، ضمن منظومة كاملة و متكاملة من النظم في العقيدة و العبادة و الأخلاق و الاجتماع و السياسية و الحكم و القضاء<sup>365</sup>.

---

**361** - هو مصطلح نحتته د زلوم بقوله:" إن أهم دعامتين للعولمة هما المال و الإعلام، و لقد دمجتنا كلمتي المالية و المعلوماتية لينتج عنها مصطلح جديد سميناه بالرأسمالية المعلوماتية ( Infocinancial Capitalism ) و هي الرأسمالية الأنجلوأمريكية نفسها التي يبشر بها النظام العالمي المتعولم. انظر: نذر العولمة، م س، ص 21.

**362** - نذر العولمة، م س، ص 55.

**363** - ن م ، ص 27.

**364** - محمد شوقي الفنجري، مفهوم و منهج الاقتصاد الإسلامي، (دون معلومات النشر) ص 18. و محمد باقر الصدر، اقتصادنا، الطبعة الثالثة، (بيروت : دار الفكر، 1969) ص 9.

**365** - انظر: سلسلة كتب نظام الإسلام . للمفكر محمد عبد القادر المبارك ( 1912 - 1982 ) في موقع إخوان ويكي: محمد\_المبارك <http://www.ikhwanwiki.com/index.php?title=المبارك>

فالنظام الاقتصادي في الإسلام يختلف اختلافا جوهريا عن النظام الاقتصادي الرأسمالي، من حيث المقصد و من حيث المنهج، و من حيث التشريع و من حيث الأساليب والوسائل، و من حيث المقومات و حركة السوق و الملكية.

فمن حيث المقصد، يتمثل هذا النظام في إشباع حاجات الإنسان الأصلية للائتمان، وتوفير حد الكفاية الكريم، لِيَحْيِيَ الناس حياة طيبة رغبة، و لِيُعِينَهُمْ عَلَى تَعْمِيرِ الْأَرْضِ و عبادة الله عز وجل، جامعا بين الإشباع المادي والروحي للإنسان<sup>366</sup>، وأساس ذلك قول الله عز وجل: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾<sup>367</sup>، وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾<sup>368</sup>؛ أما مقصد النظام الاقتصادي الرأسمالي فهو تحقيق أقصى إشباع مادي ممكن وتكوين الثروات، بدون أي اعتبار إلى الإشباع الروحي.

و من حيث المنهج فالنظام الاقتصادي الإسلامي يقوم على منهج عقائدي أخلاقي مبعثه الحلال الطيب والأمانة والصدق والتعاون والمحبة والأخوة مع الإيمان بأن العمل عبادة، وأساس ذلك قول الله عز وجل: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾<sup>369</sup>، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ( ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يديه، وإن نبيي الله داود صلى الله عليه وسلم كان يأكل من عمل يده )<sup>370</sup>. أما النظام الاقتصادي الرأسمالي فهو يقوم على منهج الفصل بين الدين و الحياة، فلا دخل للعقيدة والأخلاق بالاقتصاد.

أما من حيث التشريع فإن النظام الاقتصادي الإسلامي تضبطه مجموعة من القواعد ( الأصول أو الأسس ) المستنبطة من مصادر الشريعة الإسلامية : القرآن والسنة ثم

**366-** محمد شوقي الفنجري، ذاتية السياسة الاقتصادية الإسلامية و أهمية الاقتصاد الإسلامي، الطبعة الأولى: ( مصر - قليبوب: مطابع الأهرام التجارية، 1993 ) ص- ص 47-50.

**367-** سورة هود، الآية 61.

**368-** سورة الذاريات، الآية 56.

**369-** سورة النحل، الآية 114.

**370-** رواه البخاري عن المقدم بن معدي كرب رضي الله عنه في كتاب البيوع باب كسب الرجل وعمله بيده تحت رقم 1966.

الاجتهاد، وتتسم قواعده بالثبات والعالمية والواقعية، وتأتي المرونة في التفاصيل و الإجراءات والأساليب والأدوات والوسائل<sup>371</sup>.

بينما يحكم النظم الاقتصادية الوضعية مجموعة من المبادئ والأسس من وضع البشر، و تتأثر هذه المبادئ بالأيديولوجية التي تنتهجها الحكومة، وعلى ذلك فهي غير ثابتة، بل دائمة التغيير والتبديل، وتتصف كذلك بالتناقض وذلك لأنها وضعية.

و من حيث الأساليب والوسائل، فعلى الرغم من إمكانية التشابه، إلا أن الفارق الأساسي في هذا الأمر هو أن الإسلام يركز على مشروعية الغاية ومشروعية الأساليب والوسائل، بينما لا يعتقد بذلك في النظام الاقتصادي الرأسمالي.

و بالنسبة للمقومات فالنظام الاقتصادي الإسلامي يقوم على زكاة المال وتحريم الربا وكافة المعاملات التي تؤدي إلى أكل أموال الناس بالباطل، كما يطبق التكافل الاجتماعي وغير ذلك من المقومات المشروعة التي تحقق للإنسان الحياة الطيبة ورضا الله عز وجل. بينما النظام الرأسمالي يقوم على نظام الفوائد الربوية مما يسبب خلافاً في المعاملات الاقتصادية، ويؤدي إلى تكديس الأموال في يد حفنة من الناس<sup>372</sup>.

و من حيث الملكية يقر النظام الاقتصادي الإسلامي الملكية المزدوجة الخاصة و العامة في وقت واحد يتوازنان بحيث يكمل كل منهما الآخر، و كلاهما كأصل و ليس استثناء، و كلاهما ليس مطلقاً بل هو مقيد بالصالح العام<sup>373</sup>.

لأجل ذلك، و في غمار حربها الحضارية على العالم الإسلامي، حاربت أمريكا كل ما له علاقة بنظام الاقتصاد الإسلامي، سواء ما تعلق بمقصده أو بمنهجه، أو ما تعلق بتشريعه أو أساليبه ووسائله، أو مقوماته أو حركته في السوق و نمط الملكية فيه.

371 - محمد شوقي الفنجري، ذاتية السياسة الاقتصادية الإسلامية و أهمية الاقتصاد الإسلامي، م س، ص 18، 19.

372 - علي فيصل علي الأنصاري، الفروق الجوهرية بين الاقتصاد الإسلامي و الرأسمالية. في موقع:

[www.kantakji.com/media/5098/r331.doc](http://www.kantakji.com/media/5098/r331.doc)

373 - محمد شوقي الفنجري، مفهوم و منهج الاقتصاد الإسلامي، م س، ص 121. عبد الهادي علي النجار. الإسلام و الاقتصاد - دراسة في المنظور الإسلامي لأبرز القضايا الاقتصادية والاجتماعية المعاصرة، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب- سلسلة عالم المعرفة، العدد 63)، ص-ص 49-54.

# المبحث الثاني

## الأهداف الإستراتيجية للدبلوماسية الأمريكية

المطلب الأول : خلق عدو خارج

المطلب الثاني: شيطنة الإسلام و محاربتة تحت

مسمى الإرهاب

المطلب الثالث: إعاقة الديمقراطية و نشر الفوضى

في العالم الإسلامي

المطلب الرابع: التدخل في الشؤون الداخلية للدول

و تطويق حقول النفط

المطلب الخامس: إستراتيجية الأمن القومي -

التواجد العسكري وسياسة الوصول

يمكن إرجاع الجذور الأولى للحرب الحضارية الغربية ضد العالم الإسلامي إلى قرون بعيدة، و بالتحديد يوم أن حققت العالمية الإسلامية الأولى واحدا من أهم أهدافها الإستراتيجية، و المتمثل في التربع على قمة القيادة العالمية بعد الفتوحات العظيمة لحضارة الإسلام في أصقاع شاسعة من المعمورة<sup>374</sup>؛ حيث بدأت تلك الحرب بالحركة الأوروبية الصليبية اللاتينية الأولى، و التي قامت بمهمة توقيف حركة العالمية الإسلامية الأولى في معركة بلاط الشهداء جنوب غرب فرنسا.

و"هناك على الأقل أربعة أعمدة أو ركائز رئيسية للعقل الغربي، وضعتها الحروب الصليبية ما زالت إلى الآن تعتمد كأسس في أي حراك غربي تجاه الآخر و بخاصة تجاه العالم الإسلامي و تلك الركائز هي:

1- تعريف العنف من جانب الكنيسة على أنه فعل مقدس.

2- تقسيم العالم إلى (نحن) و (هم).

3- إيجاد عدو خارجي.

4- التعبئة ضد العدو الخارجي تؤدي حتما إلى الخوف من الأعداء في الداخل، فأى شخص لا يشارك في الاتفاق الجديد كان يُعدّ خطرا حالا، و صارت الحرب ضد الإسلام في الخارج حربا ضد المخالفين في الداخل"<sup>375</sup>.

ولقد قامت الحركة الصليبية الحديثة (الاستعمار) بمهمة تفكيك المركب الحضاري الإسلامي، و تفكيك مكونات الجامعة الإسلامية، باعتبار ذلك تفكيكا لعناصر القوة التي تستند عليها فكرة العالمية الإسلامية.

وجاءت الولايات المتحدة الأمريكية، لترث أوروبا الصليبية الاستعمارية، ليس فقط في قيادة الغرب، بل لمواصلة الوقوف في وجه الحركة العالمية الإسلامية الثانية، والاستمرار في تفكيك المركب الحضاري الإسلامي، وتفكيك مكونات الجامعة الإسلامية<sup>376</sup>، كل ذلك

---

374 - محمد أبو القاسم حاج حمد، العالمية الإسلامية الثانية- جدلية الغيب و الإنسان و الطبيعة، الطبعة الأولى (بيروت: دار ابن حزم، 1996)، ج1، ص48، 49.

375 - جيمس كارول، الحرب الصليبية - تواريخ حرب ظالمة- تر. د. قاسم عبده قاسم، الجزء الأول، الطبعة الأولى (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2005م)، ص36، 37.

376 - العمري أحمد، نظرية الاستعداد في المواجهة الحضارية، م س، ص2.

تحت شعارات مثل الحداثة وما بعد الحداثة، والليبرالية والديمقراطية، و حقوق الإنسان، والنظام العالمي الجديد و العولمة و غيرها.

وإذا كانت أوروبا الصليبية اللاتينية في حربها الحضارية ضد العالم الإسلامي قد تعاملت مع تلك المكونات الحضارية تعاملًا منهجيًا وعلميًا مدروسًا، انطلق بتفكيك المرتكزات ثم الأركان ثم الأصول<sup>377</sup>، وفق ما يقتضيه الغزو والتغيير من ضرورة منهجية، فإن الولايات المتحدة الأمريكية يمكن القول أيضًا، أنها في حربها على العالم الإسلامي تعاملت بمنهجية علمية مدروسة؛ غير أنها اتبعت إستراتيجية اختلفت عن سابقتها الأوروبية، فهي قد ورثت وضعًا غير الوضع الذي كان زمن التلاحم مع الحركة الصليبية الحديثة (الاستعمار)، و من ثمّ يمكن القول أنها اعتمدت على آخر النتائج التي ورثتها عنها، و التي كانت خلاصتها أطروحة الحرب الحضارية.

و تعد هذه الأطروحة تنظيرًا إستراتيجيًا متكاملًا بامتياز، فهي تحمل و تعكس مجموعة من الثوابت و المتغيرات في التفكير الاستراتيجي الغربي بصفة عامة، و هي تستشرف الخيارات و الأولويات الإستراتيجية للولايات المتحدة في فترة ما بعد الحرب الباردة، و بخاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001م.

و على ما يبدو ، فهي بمثابة خلاصة لمشاريع حاولت و مازالت تحاول تقديم رؤى جديدة للعلاقات الدولية، و لموازن القوى و التفاعلات الجيو-إستراتيجية و الجيو- ثقافية، و التي سبق بيان بعضها<sup>378</sup>، و ذلك قصد صياغة تفكير إستراتيجي جديد كفيل بمواجهة مختلف الرهانات و التحديات بعد الحرب الباردة.

و كخلاصة يمكن القول أن الحرب الحضارية الأمريكية على العالم الإسلامي ، قد حققت لأمريكا بعضًا من الأهداف الإستراتيجية، التي يمكن إيجازها فيما يلي:

---

377 - العمري أحمد، نظرية الاستعداد في المواجهة الحضارية، م س، ص 6.  
378 - في المطلب الثاني من المبحث الثالث : مفهوم الحرب الحضارية تحت عنوان ( الأطروحات ذات العلاقة بالحرب الحضارية) ص 93.



## المطلب الأول: خلق عدو خارجي

"تشير العديد من الدراسات الأنثروبولوجية و السيكولوجية و الاجتماعية و التاريخية إلى أن ظاهرة الحاجة إلى الأعداء، هي ظاهرة قديمة إن لم نقل أنها نسبيًا نزعة طبيعية لدى الأفراد و الجماعات البشرية منذ أقدم العصور. و تجد أسسها النظرية في التصور الخاص لجماعة ما عن العدو في إطار المفهوم التصارعي للوجود و تطبيقاته العملية في العدوانية المتبادلة، و النزوع إلى شيطنة الآخر المختلف ، و رفعه إلى درجة العدو المطلق، و هذا قصد تحقيق التعبئة اللازمة عبر إفراغ الحقد تجاه هذا العدو، ما يخلق إحساسًا بالوحدة والقوة و التماسك لدى الجماعة. و انطلاقًا من النزوع نحو التمرکز الذاتي و التعميم في تحديد العدو، تفجرت عدة حروب مدمرة"<sup>379</sup>.

فلقد كانت الحملات الصليبية جهدًا متعمدًا لجعل أمراء أوروبا يتوقفون عن محاربة بعضهم البعض، و يحاربون العدو في الخارج بدلًا من ذلك؛ و قد نجح ذلك الجهد إلى حد بعيد، و أسست الحملات الصليبية اتفاقًا أيديولوجيًا جامعًا بين المسيحيين، أدى في نهاية الأمر إلى توحيد البنى السياسية و الثقافية. و الواقع أن أوروبا لم تصبح أوروبا حتى عرفت نفسها في مواجهة الإسلام، و ذلك الإنكار يبقى كامنًا في ثنايا فهم الغرب لذاته اليوم<sup>380</sup>.

يقول الجابري: "إن العقل الأوربي لا يعرف الإثبات إلا من خلال النفي، وبالتالي لا يتعرف على الأنا إلا من خلال الآخر، و من هنا فهو لا يستطيع التفكير في مستقبل إلا من خلال "سيناريوهات" يرسم فيه لنفسه الآخر العدو المنتظر"<sup>381</sup>.

فالوجود في العقل الأوربي يُنظر إليه على أنه صراع بين أضداد "مسيحية مقابل إسلام أو غرب مقابل شرق أو شمال مقابل جنوب أو أبيض مقابل أسود أو أو...". ؛ و إذا كان الغرب ينظر لنفسه على أساس أنه الحقّ و الكمال و الخير، فلا بد أن يكون النقيض

379 - محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية، ص 185.

380 - جيمس كارول الحرب الصليبية. م س، ص 37، 36.

381 - محمد عابد الجابري، مسألة الهوية، العروبة والإسلام والغرب، الطبعة الأولى (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1995)، ص 182.

هو الباطل و النقص و الشرّ، و إذا كان لا يستطيع أن يتعرّف على نفسه "الخيرة" إلا من خلال الشرير "الأخر"، فكان لابد من إيجاد من يحلّ مكان الإتحاد السوفيتي السابق الذي انتهى دوره كنفويض لإثبات الذات "... إذا فهي حرب جديدة ضدّ الشرّ. و يجب الإشارة إلى أنّ فكرة الشرّ عند الغرب - كما يشرحها برنارد لويس - هي فكرة لاهوتية، فالشر ليس له تاريخ ولا دوافع، و الاستخدام السياسي للشرّ هو عملية مزدوجة الوجه: الوجه الأوّل هو أنّه لا يستطيع المرء التعايش مع الشرّ. و الوجه الثاني: لا يستطيع المرء أن يغيّره، و بالتالي فالشرّ يجب إزالته، و الحرب ضدّ الشرّ هي حرب دائمة، حرب بلا هدنة<sup>382</sup>.

"إن فكرة خلق العدو والصراع معه لها ما يبررها موضوعيا [في الثقافة الغربية]<sup>383</sup>، وهي فكرة كامنة في جذور الفكر الواقعي الغربي عموما والأميركي خصوصا، حيث يرى هيغل أهمية الحرب وتأثيرها في الشخصية الفردية وفي المجتمع، فهو يؤمن بأنه بدون احتمال الحرب والتضحيات التي تتطلبها سيصبح الإنسان لين العريكة ومستغرقا في ذاته، وسيتهور المجتمع فيصبح مستقعا لإشباع الملذات الأنانية، فتتحل الجماعة وينهار المجتمع نتيجة لذلك. لذلك يأتي خلق تحدٍ من نوع جديد استجابة لمحاولة تجنيب المجتمع الأميركي لحالة الانهيار وتراجع التأثير النسبي المتوقع لمكانة الولايات المتحدة في حالة غياب عدو يساعد على تقوية اللحمة بين أفرادها، هذا من جانب؛ ومن جانب آخر قطع الطريق على أي تفكير لأوروبا في قطع صلاتها مع الولايات المتحدة ومحاولة الانفصال عنها، وذلك من خلال إيجاد مخاطر مشتركة جديدة تهددها وتجعلها بحاجة دائمة لمظلة الولايات المتحدة الأميركية وتفاذي انفرط عقد حلف شمال الأطلسي وإعادة تماسكه بعد تلاشي مبرراته"<sup>384</sup>.

**382** - جلال خشيب، فلسفة الإستراتيجية الأمريكية، مجلة الفكر الحر، العدد 110، جويلية 2012. <http://www.alfikr.org>. و موقع الحوار المتمدن- العدد: 3816 - بتاريخ 11 أوت 2012 انظر:

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=319526>

**383** - يبرز تراث علم النفس السياسي الدور الذي يمكن أن يلعبه التحدي الخارجي في ضمان تماسك الجماعات، ولم يكن غريبا إذن أن تقوم تلك الجماعات بما يطلق عليه صناعة صورة العدو لدفع جماعة معينة للتماسك في مواجهة تحدٍ خارجي. انظر: د. قدرى حفني، صناعة صورة العدو.

<http://www.ahram.org.eg/archive/2006/4/7/WRIT2.HTM>

**384** - د. خالد المعيني، أهمية صناعة عدو في البقاء والاستمرار. مجلة ثقافتنا في موقع:

[www.thakafatuna.info/new/?p=1867](http://www.thakafatuna.info/new/?p=1867)

لهذا ما إن انتهت الحرب الباردة و أُعلن عن انهيار المعسكر الشيوعي، حتى انطلق الحديث في الغرب عن الفراغ الإيديولوجي و الاستراتيجي الذي انتاب الغرب عموماً و أمريكا بوجه خاص، بفعل الحرمان من العدو السوفيتي، و من شتى الوظائف و الأدوار التي كان يؤديها على المسرح العالمي، و ساهمت في انسجام الهياكل العسكرية و الاقتصادية و السياسية للدول الغربية.<sup>385</sup>

لقد أدى انهيار المعسكر الشيوعي بقيادة الاتحاد السوفيتي إلى ما يسمى "فراغ التهديد" و معناه أن النظام الاجتماعي و السياسي الغربي و الأمريكي خاصة، لا يمكن أن يعيش بدون تهديد خارجي يسمح له بالانسجام و التعبئة الداخلية، لهذا سارع الغرب إلى البحث عن أعداء جدد حقيقيين أو وهميين، و ذلك قصد ملء الفراغ الاستراتيجي، و هذا هو الموضوع الذي يشغل بال الدوائر المعنية بالدفاع و السياسة الخارجية و التخطيط للتصنيع الحربي و إرساء التوازنات و التحالفات الدولية في الغرب<sup>386</sup>.

و صناعة العدو الخارجي في الفكر السياسي الأمريكي صناعة قديمة تعود إلى نشأة الولايات المتحدة نفسها، فقد "واجهت السياسة الأمريكية قضية النشوء و إشكالية الاستمرار منذ حروب التحرير (1775 - 1783) ضد الإمبراطورية البريطانية، فالصراع كان في الأغلب صراعاً ان جلوسكسونيا، تطور وفقاً لموجات الهجرة المتلاحقة بعد وصول المهاجرين إلى الأرض البعيدة. غير أن حرب التحرير التي قادها جورج واشنطن (ت 1799) ضد جيش الحكومة البريطانية قد وضعت الشكل النهائي للولايات المتحدة الأمريكية، و منذ ذلك الحين و السياسة الأمريكية تشعر أن عملية الاستمرار و البقاء لا تتحقق إلا عبر الانتصار على الأعداء، في حين أن حرب الاستقلال تفترض بداية التأسيس لدولة تستقر سياسياً و اقتصادياً لتحقيق استمراريتها، فإلى الحرب الأمريكية الأخيرة في العراق تكون الولايات المتحدة قد استعملت جيشها أكثر من ثلاثمائة مرة خلال

385 - محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدولية، م س، ص 184.

386 - ن م. ص 184، 185.

المِائِي السّنة الماضيّة ، مما يعكس الاتجاه العسكري في العقيدة السياسيّة الأمريكيّة باعتبارّه الاتجاه الأوّل لحلّ المشاكّل السياسيّة والصراعات الخارجيّة<sup>387</sup>.

و صناعة العدو الخارجيّ تُعدّ عقيدة في السياسة الأمريكيّة، و هي تقوم على تقديس مبدأ الصراع الذي يتغذى من خلق عدو ذاتيّ حتى لا تسقط الأمة في العطالة، فكل ما هو موجود بحسب هذه العقيدة يخضع لمبدأ الصراع، وحيث لا وجود للصراع والهيمنة هناك تفسخ وانهيار، و بدون الاعتراف بمبدأ الصراع يفقد العقل السياسي تماسكه، وبدون وجود العدو الخارجيّ تصبح الإستراتيجيّة عمياء، فالدور الذي يلعبه (العدو الخارجيّ) هو دور حاسم، و يغذي ديناميكيّة الحضارة الأمريكيّة التي بدون توفره تفقد مبرر وجودها وتعرض للتفسخ والانهيار.

و تحقّق هذه العقيدة الصراعيّة للسياسة الأمريكيّة مجموعة من الأهداف يمكن اعتبارها بعضاً من مقتضيات العقل السياسي الأمريكي في صناعة العدو، و هي كما يلي:

1- توفير الهدف والدافع : فوجود العدو كما يذهب إلى ذلك (هنري كيسنجر) يعمل على تقليل مظاهر الغموض أو التناقض الذي تقع فيه الإستراتيجيّة عندما تفتقد الهدف الذي ينبغي أن تتعامل معه.

2- حفظ التماسك الداخلي: وذلك من خلال الالتحام و التوحد إزاء العدو الخارجيّ في نوع من التعبئة العامّة التي تدعم كيان الدولة الداخلي ، وتشد أجزاءه إلى بعضها إزاء خطر خارجيّ محتمل أو مؤكد ، وبذلك يتحقّق تجاوز التناقضات الداخليّة المهيأة في كل آن للانفجار، لصالح توجيه مسار القوة بما تحمله من تناقضات صراعيّة نحو ذلك الآخر (العدو).

3- تعزيز الأنا ونظامها القيمي: و يتمّ تعيين حدود الأنا وتعزيزها من خلال توصيف الآخر وترسيمه في قالب محدد مما يدعم التمايز عنه قيمياً، فالنظام القيمي الخاص بالأنا يأخذ زخمه وترتسم ملامحه من خلال مجابهة الآخر ورفضه عبر ثنوية سياسيّة يحتلّ فيها

387 - وليد سعيد البياتي ، عقيدة صناعة العدو في السياسة الأمريكيّة: دراسة تحليلية في الاتجاهات الأمريكيّة المعاصرة. انظر موقع صوت العراق:

<http://www.sotaliraq.com/printerfriendly-articles.php?id=32191>. بتاريخ 2009/02/08.

الآخر دائماً رمز إله الظلام. و من حيث المبدأ ، فإن هذا الآخر يتحدد بوصفه العالم الخارجي، العالم غير الأمريكي، الذي يفتقر إلى المعايير والقيم التي تواجه سياسة أمريكا، وهذا العدو مسؤول عن سائر الآثام والشرور التي أصابت أو ستصيب الإنسانية، وعلى أمريكا تكليف نفسها بالتصدي له، وبما أن هذا العدو له طابع تجريدي- تعميمي- مطلق ، فلا بد أن يكون موجوداً في كل مكان، بما في ذلك أمريكا نفسها، ولا بد أن يكون وجوده خفياً، لذلك من غير الجائز اعتباره عدواً سياسياً فقط، بل يجب النظر إليه كعدو أخلاقي أيضاً. و في مواجهة هذا العدو، الحاضر داخل أمريكا وخارجها، إذن لا تفيد سوى القوة العارية ولا مفر من استعمال سائر الوسائل، بما في ذلك المحرمة دولياً أو أخلاقياً على أمريكا نفسها لمواجهته باللغة التي يفهمها، لغة العنف الشامل، المبرر بغايته الأخلاقية السامية: الدفاع عن أمريكا بما هي الإنسانية جمعاء، ومع توفر أدوات الهيمنة الكاملة على وسائل الإعلام العالمية، فبالإمكان فرض ايولوجيا تلقينية تكيف الفرد للقبول والتطابق مع ما تريده حكومته وفقاً لطريقة الاقتران الشرطي البافلوفية ، فتترد في الذهن صورة العدو مقترنة مع أسوأ الصفات وأخطرها مثل الشيوعية في حقبة الحرب الباردة التي وصفت بـأسوأ الشرور على الأرض، و الإسلام الذي وسم بالإرهاب و ربط العراق بـأسلحة الدمار الشامل، الخ<sup>388</sup>.

و من هنا يمكن القول أن الحرب الحضارية كانت و ما تزال إستراتيجية غربية- أمريكية مصطنعة، و هي ليست حتمية طبيعية تتحقق بشكل ذاتي؛ من أجل ذلك يسعى أصحاب هذه الأطروحة لخلق الواقع الذي تنتبأ به، أكثر من سعيهم لفهمها و تفسيرها، لأنها صنيعتهم، و هاهنا يبرز واحد من أبرز أبعادها الإستراتيجية<sup>389</sup>.

388 - سعد سلوم، العقل الأمريكي (تخييل القوة) انظر موقع النبأ:

<http://annabaa.org/nbahome/nba77/005.htm>

389 - ن م . ص 180

## المطلب الثاني: شيطنة الإسلام ومحاربته تحت مسمى الإرهاب

إنّ أهم ملمح في الإستراتيجية الأمريكية بعد خلق عدو خارجي متمثلاً في الإسلام، ليكون بديلاً للشيوعية بزعامة الاتحاد السوفيتي، هو القيام بعملية شيطنته لتبرير محاربته تحت مسمى الإرهاب و محور الشر، إذ لا معنى لعدو لا يُحارب و لا يُستعدّ و لا يُعدّ لمحاربته، و من هنا اقتضى الإعداد والاستعداد عملية تشويه هذا العدو و شيطنته كعملية فكرية و نفسية، تقوم بدور التعبئة وإذكاء نار الحقد تجاهه.

و الحقيقة إن عملية شيطنة الإسلام بالنسبة للأمريكيين، لم تكن وليدة أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م، بل تمتد إلى البدايات الأولى لتأسيس أمريكا نفسها. فقد كانت بواكير الوعي الأمريكي بالإسلام و بالمسلمين و العرب مشبعة بالرؤية الأوروبية الغربية المسيحية الصليبية.

فـ " ليس من قبيل المبالغة أن يرى دارسو الاستشراق الأمريكي، أن أمريكا قد ورثت عن أوروبا كامل أدبياتها وما رافقها من أفكار ومفاهيم و تصورات خاطئة حيال الشرق العربي الإسلامي، تراثه وإنسانه وثقافته، تلك الأدبيات التي تراكمت منذ القرون الوسطى وعبر عصور التنافس والصراعات العسكرية (الفتوحات الإسلامية والحروب الصليبية والأندلسية بخاصة)، حتى وقت اكتشاف أمريكا وما تلاه من هجرة أوروبية واسعة للاستقرار على أراضي القارة الجديدة"<sup>390</sup>.

و يذكر الدكتور محمد الدعي أن أول عمل لتأويخي أمريكي مهم حول الإسلام ظهر عام 1830م بعنوان (حياة محمد) صلى الله عليه و سلم . وقد خطّه رجل دين أمريكي اسمه جورج بوش<sup>391</sup> (Bush)، وهو مؤرخ كان يتبع خطى كاتب السيرة الأوروبي «همفري بريديو»<sup>392</sup>.

390 - محمد الدعي. الاستشراق: الاستجابة الثقافية الغربية للتاريخ العربي الإسلامي، م س، ص 126، 125.  
391 - بوش- الجد الأكبر لآل بوش- (1796م-1859م) طبع كتابه تحت عنوان: محمد مؤسس الإمبراطورية الإسلامية ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الطبعة الثالثة (الرياض: دار المريخ، 2005).  
392 - همفري بريديو (1648 - 1724 م) هو مستشرق إنكليزي اشتهر بكتابه «حياة محمد»، الذي نشر سنة 1697 م

و يلاحظ أن أوائل الكتّاب الأمريكيين قد تأثروا بأفكار نظرائهم من الأوروبيين، وأخذوا بمجمل آرائهم حول العرب و المسلمين، عاكسين بذلك أنماطاً فكرية وذوقية كانت شائعة في أوروبا على جمهور القراء الأمريكيين<sup>393</sup>.

و قد عرف الأمريكيون الإسلام و المسلمين و العرب و حضارتهم عبر عدد من الكتب التي كانت متاحة في عدد من المكتبات الأمريكية، مثل ترجمات القرآن الكريم ونسخ من كتاب (ألف ليلة وليلة) و (المعجم التاريخي) لبابل ( Bayel ) و(تاريخ الجزائر) لمورغان (Morgan) و(تاريخ العرب) لأوكلي (oakley)، فضلاً على تاريخ الحملات الصليبية لتشارلس مل (Mill) و التاريخ الكوني لمؤلف مجهول. ومع هذا ينبغي عدم تجاهل تأريخات عامة شاملة تناولت الماضي العربي الإسلامي في سياق كوني عام، منها كتاب غيبون (انحطاط وسقوط الإمبراطورية الرومانية) الذي تناول الفصل الخامس عشر منه شخصية الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وأحوال العرب قبل ظهور الإسلام وبعده. ومن ناحية أخرى، كانت كتابات كبار المستشرقين الأوروبيين ترد إلى أمريكا تبعاً على طباعتها، حيث وجدت كتب دي ساسي ( De Sacy ) وهامر برغستال (Hammer Purgstall) طريقها إلى أيدي القارئ الأمريكي في وقت مبكر من القرن التاسع عشر<sup>394</sup>.

كما عرف الأمريكيون الإسلام و المسلمين و العرب عن طريق سفرائهم وتجارهم إلى بلاد المغرب الإسلامي، بل وحتى عن طريق جنودهم، حيث جرت أحداث ما يسمى بـ «حروب الساحل البربري» (شمال أفريقيا، 1785م - 1815م) التي تركت آثاراً نفسية واعتبارية عميقة في الذهنيّتين الرسميّة والشعبية في أمريكا وقتذاك<sup>395</sup>.

393- محمد الدعيمي. الاستشراق: الاستجابة الثقافية الغربية للتاريخ العربي الإسلامي، م س ، ص 126 .

394- ن م ، ص 127، 128.

395- بذريعة تعرض «القراصنة»، كما يسمونهم، للسفن التجارية الأمريكية عبر سواحل شمال أفريقيا، اضطر الكونغرس إلى تأليف لجنة مهمتها التفاوض مع الحكام المحليين للمناطق الساحلية من شمال أفريقيا للتوصل إلى اتفاقيات تدفع الولايات المتحدة بموجبها مبالغ من المال لهم مقابل تعهد الحكام المحليين بحماية السفن الأمريكية من غارات القراصنة. و لكن لأن الأمر لم يكن مجرد «قرصنة»، كما كان يُخيل للإدارة الأمريكية حينذاك، فشلت هذه اللجنة في عقد اتفاقات مع بعض الحكام المحليين، في الوقت الذي نجحت فيه مع بعضهم الآخر. ونظراً إلى هذا الإخفاق في كسب ود حكام الجزائر وليبيا بخاصة، عمدت الحكومة الأمريكية إلى تأسيس وإطلاق قوة بحرية خاصة من ست سفن (لم يزل الأسطول الأمريكي في البحر المتوسط يسمى بـ «الأسطول السادس» نسبة للسفن الست لحماية الأنشطة البحرية

إن كل ما سبق ذكره يبين بوضوح أن الاهتمام الأمريكي بالعرب والمسلمين وبالإسلام بدأ مبكراً، و ليس مع بداية القرن العشرين كما ذهب إلى ذلك بعض الدارسين، وكأن الوعي الأمريكي بالعرب قد ظهر فجأة، متبلوراً بلا جذور مع تبلور المصالح الأمريكية المعاصرة عبر البحار، وبخاصة بعد الحرب العالمية الثانية. و من هنا يُعلم، أن الخطوط الأساسية لصورة الإسلام و المسلمين والعرب في الذهنية الأمريكية، قد خُطت في الزمن الذي كان للمسلمين دولة كبرى هي الدولة العثمانية بجناحيها، الشرقي في الباب العالي، والغربي في الجزائر و ليبيا، و أن هذه الصورة التي رُسمت، هي ذات ملامح لعدو قوي، يجب الخوف و التخويف و الحذر و التحذير منه، أكثر منها صورة للآخر الغريب الذي يحسن التعرف إليه و التحاور و التعاون معه.

و قد تزايد الاهتمام الأمريكي بالعرب بعد اضمحلال الإمبراطوريات الأوروبية العتيقة (الفرنسية والبريطانية بخاصة)، وبعد تدهور التهديد الألماني. و يلاحظ أن هذه المتغيرات الدولية التي ترافقت مع تعاظم المصالح الأمريكية عبر البحار جاءت مترادفة مع بداية و اشتداد الصراع العربي - الصهيوني، الذي كان محكاً مهماً في تشكيل السياسة الأمريكية الرسمية، وفي تكوين صورة العرب في الذهنية الشعبية وفي الثقافة الشائعة في الولايات المتحدة.

و من ثم يمكن القول، إن عملية شيطنة الإسلام و العرب و المسلمين عموماً في المخيال الأمريكي، قد بدأت مع فجر الاستقلال عن التاج البريطاني، كموروث غربي في الوليد الجديد، و تعاظمت هذه العملية مع تماهي المصالح الصهيونية الأمريكية بعد إعلان دولة إسرائيل و الشروع في حروب الاغتصاب للأراضي العربية ؛ و لا غرابة في ذلك ، طالما أن المكون اليهودي في الحضارة الغربية صار من البديهيات التاريخية<sup>396</sup> ، و ذلك ما سيتبين لاحقاً.

---

الأمريكية في هذه المناطق. و قد حدثت مناوشات عسكرية قرب السواحل الليبية بين هذه السفن والملاحين المحليين: وتعد هذه الاحتكاكات أول حرب تخوضها الولايات المتحدة الأمريكية في تاريخها خارج حدودها الإقليمية عام 1801م. انظر: د. محمد الدعيمي م س، ص 129.

**396** - انظر كتاب: المكون اليهودي في الحضارة الغربية لسعد البازعي، الطبعة الأولى، (لبنان بيروت، 2007)، و كتاب: من أجل صهيون- التراث اليهودي المسيحي في الثقافة الأمريكية لفؤاد شعبان، دار الفكر ، دمشق.



و قد ازدادت ضراوة عملية الشيطنة عقب الحرب العالمية الثالثة الموسومة بالحرب الباردة بين المعسكر الغربيّ والمعسكر الشرقيّ في نهاية 1989م، وما أن تنفس الغرب الصعداء مبهتجاً بانتصاره الباهر على الخطر الأحمر الذي نازعه وناقسه عقوداً عديدة، وما أن انهارت أسوار برلين، وافرقت جيوش الطابور الخامس، فإذا بالأنظار الحاقدة والأفكار الماكرة تلهث - بعمق ودقة متناهيين - باحثّة عن عدوّ جديد قديم قادم، وعن خطر وشيك داهم لا يقلّ - في خلداهم وظنّهم - ضراوة وشراسة عن ذلك العدوّ الأحمر الذي انتصروا عليه عشية الانهيار المفاجئ للاتحاد السوفيتي، لا يقلّ ذلك العدوّ الجديد وما يحمله من قيم ومبادئ وأفكار خطيرة عن ذلك الخطر الأحمر الذي زال من دنياهم إلى الأبد. ولقد كان العدوّ الجديد القديم هو الإسلام الذي احتكوا به منذ قرون عديدة، وأما الخطر الذي يحمله فإنه يتملّ في تلك القيم الناجعة والمبادئ المناقسة التي يتمسك بها، ولا يقبل التنازل عنها بأي حال من الأحوال، ولهذا العدوّ الجديد شعار جديد، وهو الهلال الأخضر، وهذا الهلال بديل حضاريّ وجيه للصليب الأحمر<sup>397</sup>.

و لأجل تحقيق عملية شيطنة الإسلام و العرب و المسلمين أغراضها المنوط بها في مشروع الحرب الحضارية أحادية الجانب، المعلنة من الغرب بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، راح دهاقنة الغرب يعملون على زرع مرض إيديولوجي في المجتمع الغربي، و هو الإسلاموفوبيا، و امتطوا هذا المرض في صراعهم و حربهم على الإسلام و المسلمين و حضارتهم.

397 - قطب مصطفى سانو، في ظاهرة الإسلاموفوبيا المواجهة الآتية والمستقبلية. مجلة الكلمة العدد (60) السنة الخامسة عشرة - صيف 2008 / 1429 هـ. انظر: <http://www.kalema.net/v1/?rpt=846&art>

يقول الدكتور قطب مصطفى سانو<sup>398</sup>: «.. إنَّ الإسلاموفوبيا كعَرَضٍ هي.. من نوع العُصاب الذي يمكن علاجه عكس الذَّهان كمرضٍ نفسيٍّ.. وهي ضرب من ضروب الضلال الأيديولوجيِّ الضابط لإيقاع فكرنا وعصرنا والمحتوم زواله باجتهاد الإبداع والتنوير.. إنَّ هذا الخوف المرضيِّ من الإسلام قد تمَّ استخراجُه من دهاليز تاريخ غابر لتوظيفه في الحاضر.. وكما وقع تأسيس وإشاعة الإسلاموفوبيا ضمن عمل مؤسَّساتيِّ مبرمج، ومناهج، تم تشكيلها عبر القنوات والمسارب والآليات الأحدث والأكثر حضورًا وفعاليَّة ونفوذًا في الغرب المتعدد.. فإنَّ عمليَّة التفكير والتخطيط البنيويِّ والعقلانيِّ الشموليِّ للحدِّ من تأثيرها ثم الشروع في معالجتها.. لا بدَّ أن يخضع للشروط نفسها، وبروح العمل المؤسَّساتيِّ المقنن نفسها..»<sup>399</sup>.

إنَّ العالم الإسلاميَّ أصبح بعد الحرب الباردة بوجه عام و بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر بوجه خاص هدفا واضحا لدعاة الصدام والصراع بين الحضارات، و أمسى المسلمون هدفا لجميع أشكال التهم والإدانة سواء اقتترفوا جريمة أم لم يقترفوها، إمعانا في تعميق الكراهية والبغضاء بين العالم الإسلاميِّ والعالم الغربيِّ، وسعيا إلى إشعال مزيد من الحروب والفتن بين أتباع الحضارتين الإسلامية و الغربية.

إن الأصل في العلاقة بين المسلمين وغيرهم هو التعارف و السلم، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾<sup>400</sup> ، و لقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾<sup>401</sup> ، والإسلام هو دين الرحمة والموَدَّة والسماحة مصداق قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾<sup>402</sup> ، و هو يقوم

**398** - من مواليد مدينة كوناكري بجمهورية غينيا كوناكري سنة 1966، بروفسيور الفقه المقارن وأصول الفقه والمالية الإسلامية بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا ، نائب رئيس مجمع الفقه الإسلاميِّ الدوليِّ المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلاميِّ بجد ، مستشار لمجلس التخطيط الاقتصادي الوطني لمكتب رئيس الوزراء بماليزيا ، وكيل الجامعة لشؤون الابتكارات العلمية والعلاقات الدولية ، و المشرف العام على المراكز الاستراتيجية للإبداع والابتكار بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، و هو عضو في مجالس و مجتمعات علمية كثيرة عبر العالم. انظر الموقع التالي:

<http://www.quraniclife.org/Item/140>

**399** - قطب مصطفى سانو. ن م.

**400** - سورة الحجرات، الآية 13.

**401** - سورة البقرة، الآية 208.

**402** - سورة الأنبياء، الآية 107.

على الانفتاح على الآخر والاعتراف به وبدينه وثقافته ومنهج حياته، وأسلوب تفكيره؛ لهذا لا تعدو ظاهرة الخوف أو الرُّهاب من الإسلام (الإسلاموفوبيا) أو من أتباعه أن تكون خوفاً مرضياً لا بدّ من مواجهته وإزالته؛ ولئن كان ذلك مسلمة في الإسلام و لدى المسلمين، فإنه ينبغي أن يصير كذلك لدى الآخر الغربي حتى يسهل القضاء على هذا المرض الإيديولوجي الخطير.

و هذا الرُّهاب لا يعدو أن يكون عرضاً لمرض عمل منظرو و منفذو حرب الحضارات و صدام الثقافات و صراع الديانات من أجل غرسه و استتباته و رعايته و تثبيته، و بخاصة بين أتباع الديانات السماوية الثلاث، ليستقر في رُوع البشرية أن التعايش السلمي بين الناس أمر مستحيل، و أن الحرب و الصراع و الصدام أمور حتمية بين بني البشر.

و قد استغل هؤلاء المنظرون و المنفذون جهل السواد الأعظم من أتباع مختلف الديانات و الحضارات و الثقافات بعضهم بعضاً، فلا يكاد أبناء ملة أو نحلة أو دين أو ثقافة أو حضارة يعرف عن غيره دينه أو تاريخه أو منهج حياته أو أسلوب تفكيره أو حياته، مما مكّن هؤلاء الأشرار من تنفيذ مشاريعهم و تحقيق مآربهم، و هذا الجهل لهو من الأسباب الوجيئة التي جعلت ظاهرة الإسلاموفوبيا تشق طريقها في أوساط العامّة والخاصّة.

و بفضل ما لدى هؤلاء من مؤسسات و مراكز للدراسات و البحوث، و خاصة ما تعلق منها بالدراسات الإستراتيجية و المستقبلية المدعومة مادياً من قبل أصحاب المصالح الرأسمالية المعلوماتية، تمكنوا من تحقيق نقلة نوعية في بناء جدار للفصل بين الديانات و الحضارات و الثقافات و الأمم و الشعوب، و استطاعوا تغيير تلك النظرة الإيجابية النسبية لدى السواد الأعظم من الغربيين إلى الإسلام و المسلمين، "حيث تمكنوا من إقناع أولئك البسطاء بكون الإسلام و المسلمين العدوّ الجديد الذي حلّ محلّ العدوّ الأحمر، كما أنّ التصرفات الرعناء الصادرة عن سفهاء المسلمين في ديار الغرب و خارجها أسهمت بصورة كبيرة في التعجيل بإحداث ذلك التغيير النوعي الذي قصدته المؤسسات الفكرية منذ عقود، فلم يكن من عجب أن تمضي تلك المؤسّسات في إثارة المزيد من القلاقل و الأزمات و المواقف

التاريخية البائدة بين العالمين من خلال رسم سياسات وخطط تزيد الفجوة والجفوة بين الغرب والشرق، كما لم يكن من غريب أن يتسلل - بالمقابل - سفهاء المسلمين إلى عقول البسطاء للتأثير فيهم وفي موقفهم الإيجابي من الغرب عامّة، والزجّ بهم وبفلذات الأكباد في أتون صراعات دموية أليمة مع الغرب وكلّ ما هو غربي.

و لقد كان من أثر هذا المرض الفكري و الإيديولوجي الرّهّاب من الإسلام (الإسلاموفوبيا)، أن استغلت تلك المؤسسات والمراكز التي تنتشر ثقافة الصدام وتعظّم من عقليّة الصراع والمواجهة، وسائل الإعلام والتأثير المتاحة تحت سيطرتها، من أجل تقديم صور مشوّهة عن المسلمين ومناهج حياتهم وأساليب تفكيرهم، كما أنها لا تخلج من تزوير الحقائق التاريخية، وتلفيق التهم الفكرية، و وصف الإسلام والمسلمين بأبشع الأوصاف وأعمقها في الفجور والدجل سعياً إلى تعميق ثقافة الكراهية وترسيخ نظرة العداة والخصام بين العالمين: الإسلامي والغربي<sup>403</sup>.

و لقد ظهر ذلك التشويه لصورة الإسلام و حضارته في مناهج التعليم الغربية في مختلف الأطوار، و تجسد في وسائل الإعلام في ما يكتبه الساسة و رجال الإعلام، و في الصور الكاريكاتورية المسيئة للإسلام، و في الأفلام بأنواعها و في المسلسلات و غيرها<sup>404</sup>.

و ثمة عوامل عديدة تتعلق بخلفية هذه القوالب الذهنية السلبية عن الإسلام و المسلمين و عن الحضارة الإسلامية، لدى الغربيين عموماً و لدى الأمريكيين بوجه خاص، و هي تتجاوز أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م، بل و تتجاوز جميع الحروب العربية ضد الكيان الإسرائيلي منذ 1948م. فقد تكونت هذه الصورة النمطية على مدى فترة طويلة في كتب المستشرقين، ظهر فيها العرب و المسلمون بأشكال شتى، كمتعصبين يقاتلون الصليبيين، و كأبطال للحكايات الرومانسية الخيالية كالذين في ألف ليلة و ليلة، أو في كتابات لورنس العرب<sup>405</sup>.

403 - قطب مصطفى سانو. م س.

404 - ميخائيل سليمان، صورة العرب في عقول الأمريكيين. ترجمة عطا عبد الوهاب، الطبعة الثانية (لبنان، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية 2000م)، ص 29، 49، 65، 83، 97.

405 - ن م، ص 84.

غير أن محاربة الإسلام تحت مسمى الإرهاب - باعتبار ذلك هدفا استراتيجيا لحرب أمريكا الحضارية- يعود إلى وثيقة صادرة من وزارة الخارجية الأمريكية في أبريل عام 2001، أي قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر، و قد كان موضوعها (الإرهاب في العالم)، و الوثيقة تعكس وجهة النظر الأمريكية في قضية الإرهاب و تعريفه و طريقة التصدي له، كما تتعرض للتنظيمات الإرهابية في العالم و معلومات حول العمليات التي تمت في السنوات الأخيرة أي قبل صدور الوثيقة<sup>406</sup>.

و قد اعتبر المحافظون الجدد الحرب على الإرهاب هي الحرب العالمية الرابعة، لأنهم يعدّون الحرب الباردة التي انتصروا فيها على المعسكر الاشتراكي هي الحرب العالمية الثالثة.<sup>407</sup>

و يذهب المفكر الإستراتيجي الفرنسي باسكال بونيفاس<sup>408</sup> إلى أن الحرب على الإرهاب لا تعود إلى أحداث 11 سبتمبر كما ذهب إلى ذلك الكثير من الدارسين و المحللين، و إنما تعود إلى فترة انهيار الاتحاد السوفيتي و تحطيم جدار برلين، و ذلك حين شرع الغرب بقيادة أمريكا في البحث عن عدو جديد يملأ به الفراغ الذي كان ينهض به العدو السابق أمام معسكر العالم الحر<sup>409</sup>.

بل و قد ربط بونيفاس بين الحرب على الإرهاب و الأطروحات الفكرية المصاحبة لذلك مثل نهاية التاريخ و صدام الحضارات، و حذر من أن الحرب على الإرهاب التي تخوضها أمريكا تعزز الإرهاب أكثر مما تحاربه، و أن هذه الطريقة من الحرب

---

406 - محمود المراغي، حرب الجلباب و الصاروخ: وثائق الخارجية الأمريكية حول الإرهاب، الطبعة الأولى (القاهرة: دار الشروق، 2002)، ص7.

407 - باسكال بونيفاس، الحرب العالمية الرابعة، ترجمة أحمد الشيخ، الطبعة الأولى (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2006)، ص6.

408 - Pascal Boniface كاتب و صحفي و جامعي فرنسي (مواليد 1956)، دكتوراه دولة في القانون الدولي العام يرأس معهد العلاقات الدولية و الإستراتيجية، و أستاذ بمعهد الدراسات الأوروبية بجامعة باريس الثامنة، و هو عضو اللجنة الاستشارية لدى الأمين العام للأمم المتحدة في قضايا نزع السلاح، له الكثير من المؤلفات المتعلقة بالقضايا الدولية و الإستراتيجية منها: حروب الغد، دروس 11 سبتمبر، تحديات العالم العربي. انظر:

[http://www.ecssr.com/ECSSR/print/prf.jsp?lang=ar&prfid=/Profile/Profiles\\_1594.xml](http://www.ecssr.com/ECSSR/print/prf.jsp?lang=ar&prfid=/Profile/Profiles_1594.xml)

409 - باسكال بونيفاس، م س، ص6

يستشعرها العالم الإسلامي على أنها موجهة ضده، و أن هذا الأمر قد يفضي بالفعل إلى صدام حضاري حقيقي<sup>410</sup>.

و هكذا لم تكد الحرب الباردة أو الحرب العالمية الثالثة- بحسب ما يروجه المحافظون الجدد- تنتهي حتى بدأ الحديث أولاً عن خطر الجنوب ثم وصف العالم الإسلامي، قبل أن يتم تصحيح التسمية و الاتجاه نحو تجريم ما يسمونه الحركة الإسلامية الراديكالية ثم أخيراً الإرهاب الإسلامي<sup>411</sup>. و قد صرح بهذا كثير من ساسة الغرب و مفكريه و قادته العسكريين، و كمثل على ذلك يذكر بونيفاس ما صرح به ويلي كالاس الأمين العام لحلف شمال الأطلسي لمجلة ألمانية بأن "الأصولية الإسلامية تشكل خطراً كما كان مع الشيوعية، و لا يمكن أن تتوافق الأصولية مع الديمقراطية، غير أن حلف الأطلسي يمكنه المساهمة في محاصرة الخطر الذي يمثله التطرف الإسلامي، لأن الحلف يتضمن ما هو أكثر بكثير من حلف عسكري"<sup>412</sup>.

و مما يجدر لفت الانتباه إليه حين الحديث عن الحرب الأمريكية على الإرهاب أن أمريكا هي أكثر الدول حديثاً و اهتماماً بموضوع الإرهاب، و هي أكثر الدول اتهاماً للآخرين بالإرهاب وكأنها بعيدة عنه، و لا علاقة لها بنشره و اتساع نطاقه على المستوى العالمي، و هي دائماً تتصرف كوصي على العالم، و سرعان ما تصدر عنها قرارات تصنيف الآخرين و وصفهم إما بالإرهابيين أو الداعمين للإرهاب، و من خلال نشاطها تحاول أميركا إيصال رسالة إلى العالم بأنها هي البريئة و الآخرون هم المجرمون.

و إذا كان تعريف الإرهاب على الساحة الدولية ما زال مثار جدل كبير، فإن واحداً من أهم الأسباب هو محاولة أميركا دائماً الاستئثار بتعريفه لكي تبقى هي صاحبة المزاج السياسي المهيمن على العالم، و هي إلى ترفض عقد مؤتمر دولي للتوصل إلى تعريف مقبول دولياً، و قد عملت دول عربية مثل العراق في عهد صدام حسين و سوريا إبان عهد

---

410 - ن م، ص6.

411 - ديفيد راي جيرفين، بيتر ديل سكوت. الحادي عشر من سبتمبر و الإمبراطورية الأمريكية- المفكرون يتحدثون، ج 1، الطبعة الأولى (القاهرة: نهضة مصر للطباعة، 2008)، ص 151.

412 - ن م، ص19، نقلاً عن Nouvelles atlantiques عدد 2692، 8 فيفري 1995.

حافظ الأسد الدفع باتجاه عقد ذلك المؤتمر، لكن أميركا كانت دائما ترفض خشية أن يشمل التعريف سلوك دول وعلى رأسها إسرائيل و أمريكا<sup>413</sup>.

" ومنذ عام 1983، تستخدم الحكومة الأمريكية نفس التعريف للأغراض التحليلية الإحصائية، وهو تعريف الإرهاب الوارد في العنوان 22 من قانون الولايات المتحدة، القسم 2656 f (د). و يقول هذا التعريف: مصطلح "الإرهاب" يعني العنف بدوافع سياسية، ومع سبق الإصرار، الذي يرتكب ضد أهداف غير قتالية من قبل جماعات ثانوية أو عملاء سريين. ويتم تفسير مصطلح "غير قتالية"، الذي يشير إليه USC 2656f 22 (د) (2)، على أنه يعني بالإضافة إلى المدنيين، العسكريين (سواء كانوا مسلحين أو لا) الذين ليسوا منتشرين في منطقة حرب أو في وضع الاستعداد للحرب"<sup>414</sup>.

و لقد كان من نتائج تبني هذا التعريف المنحاز و غير الموضوعي لظاهرة الإرهاب من قبل الإدارة الأمريكية أن تفاقمت ظاهرة الإرهاب بشكل كبير، من حيث عدد الهجمات وفتكها، فضلا عن حجم المنظمات الإرهابية، وارتفع عدد الهجمات بنسبة 35 %، من 9707 هجمات في عام 2013 إلى 13463 في 2014. وكانت هناك 17981 حالة وفاة في عام 2013، وازداد هذا الرقم بنسبة 81 % ليصل إلى 32727 في عام 2014.

فقبل عشر سنوات فقط، لقي 725 شخصا مصرعهم نتيجة الإرهاب في جميع أنحاء العالم. وفي السنة الأولى للرئيس باراك أوباما في منصبه، أي في عام 2010، كان هذا العدد قد أصبح 13186. أي وبعبارة أخرى، ارتفعت الوفيات نتيجة الإرهاب بأكثر من 4000% منذ عام 2002، وبنسبة 160 % في السنوات الأربع الماضية فقط.

---

**413-** عبد الستار قاسم، الإرهاب لا يغادر أهله، انظر موقع الجزيرة:

الإرهاب-لا-يغادر-أهله/ <http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2014/9/22>

**414-** تقرير فورين بوليسي: الإرهاب يزدهر في كل مكان تقريبا ما عدا أمريكا. انظر:  
فورين-بوليسي-الإرهاب-يزدهر-في-كل-مكان-ت/<http://altagreer.com/>

بالرغم من هذه الاتجاهات المتفاقمة، لا يزال الإرهاب يمثل جزءاً صغيراً فقط من الوفيات الناتجة عن العنف. وقد كان العدد السنوي للوفيات الناجمة عن العنف في جميع أنحاء العالم هو 508000 شخص. وهو ما يعني بعبارة أخرى، أن أقل من 7 % فقط من الوفيات العنيفة جاءت كنتيجة لأعمال الإرهاب.

و المتفحص للأرقام و الإحصائيات حول ضحايا الإرهاب في العالم و في أمريكا، يتبين له بوضوح لماذا تتبنى الولايات المتحدة التعريف السابق للإرهاب؛ فالإرهاب يشكل تهديداً صغيراً للغاية للولايات المتحدة ومواطنيها. فعدد الأمريكيين الذين قتلهم الإرهاب لدولي خلال عام 2014 لم يتجاوز 24 شخصا خارج أمريكا، أما في الداخل ف لم يمت مواطن أمريكي واحد نتيجة للإرهاب<sup>415</sup>.



## المطلب الثالث: إعاقة الديمقراطية و نشر الفوضى في العالم الإسلامي

لا يمكن الحديث عن حقيقة إعاقة أمريكا للديمقراطية في أغلب دول العالم و العالم الإسلامي بوجه خاص، و نشر الفوضى في ربوعه، دون الحديث عن المعنى الإجرائي للديمقراطية و الذي سوف يعتمد في هذا الموضوع من البحث، و كذا الحديث عن كون أمريكا توصف ببلد الديمقراطية و مهدها و حاميتها و ناشرتها في المعمورة، و البلد الأول الذي عرف الثورة العظمى سنة 1776م، و التي انبثق منها أول الأنظمة الجمهورية في العالم، و منها انطلق إلى أرجاء العالم.

أما المعنى المعتمد للديمقراطية التي تعيقها أمريكا، فنعني بها تلك لا تتماشى مع الديمقراطية الغربية في طبيعتها الأمريكية، كنظام سياسي متكامل، و تمثل التعبير السياسي عن الحضارة الغربية، و هي مرجع للعمل السياسي، و بمعنى آخر فإن الديمقراطية التي تسمح بها أمريكا في العالم العربي و الإسلامي، هي ديمقراطية تتبع النموذج الغربي، و تكون تابعة لمركز إدارة الإمبراطورية العالمية الجديدة في البيت الأبيض، و بمقتضى هذا المعنى، على الحكومات العربية و الإسلامية الجديدة يقع عبء تغيير الإطار الحضاري المرجعي للأمة، بتعديل القيم و النظام العام للحياة، و تغيير المناهج الدينية و الخطاب الديني، و تغيير الأوضاع الاجتماعية، فالمطلوب من هذه الحكومات المزمع تصنيعها أن تقوم بعملية منظمة للإبادة الحضارية الشاملة لاستئصال الحضارة العربية الإسلامية<sup>416</sup>.

إن الديمقراطية ذات طبيعة مزدوجة، فهي قيم و آليات، فأما طبيعتها القيمية، فتعني أنها جزء من تصور سياسي متكامل نابع من الحضارة الغربية، و لهذا تقوم الديمقراطية في الغرب على عدد من القيم الأساسية و منها- و هو الأهم- سيادة العقل البشري كمرجعية مطلقة للفعل الإنساني، و هو ما يميز النظام العلماني الغربي، الذي يقوم فيه الحق على اختيارات العقل الإنساني، و ليس على المرجعية الدينية، و كذلك تقوم الديمقراطية الغربية على التفويض الشامل من الجماهير للنخب السياسية، مما يعطي الحق للنخبة السياسية في ممارسة السلطة دون الرجوع للجماهير، أي أنها تحوز على تفويض

416 - رفيق حبيب، حروب الديمقراطية- معارك الإصلاح و الهيمنة، م س، ص46، 52.

غير مشروط، و هناك قيم أخرى مثل الحرية الفردية و حقوق الإنسان، و حقوق المرأة و الطفل، و حقوق الأقليات، و غيرها<sup>417</sup>.

و أما طبيعتها الآلية، فهي تعني جملة الأساليب المستخدمة في التجربة السياسية الغربية، كالانتخابات و الاحتكام لأصوات الناخبين في الممارسات السياسية الحرة، و منها كذلك التعددية السياسية، و التنافس السياسي الحر، و منها أيضا تداول السلطة بين التيارات و الأحزاب السياسية، طبقا لوزنها النسبي بين الجماهير، و يتواكب ذلك بالطبع مع مناخ يتسم بحرية التعبير، و حرية امتلاك أدوات الإعلام بمختلف أنواعها<sup>418</sup>.

و الولايات المتحدة بعد سقوط الاتحاد السوفييتي و انفرادها بحكم العالم، أصبحت تهدف إلى تحقيق نصر غير مسبوق لقيمتها على مجمل قيم الحضارات الأخرى، خاصة الحضارة العربية الإسلامية، و من هنا صارت تملّي شروطها على كل الأنظمة العربية و الإسلامية، و التي تتطلب منها تغيير تكوينها و التحول إلى النظام و القيم الغربية، فهي تخشى أن تكون الديمقراطية طريقا لوصول قوى و تيارات لا تناسبه، لأنها تريد أن تصل إلى تصنيع حكومات تمثلها أكثر من كونها تمثل شعوبها من خلال المشهد الديمقراطي، و من هنا يمكن أن نفهم لماذا تقوم بالعمليات الانقلابية حتى على الحكومات و الأنظمة المنتخبة<sup>419</sup>.

هذا عن المعنى الإجرائي للديمقراطية، أما الحديث عن كون أمريكا توصف ببلد الديمقراطية، فقد تم تسويق هذه الأسطورة التي مفادها أن الولايات المتحدة تقوم على مجموعة من المبادئ الأساسية، من جعلتها دعم الديمقراطية و حقوق الإنسان في العالم كسياسة تعكس المصالح و المبادئ الأمريكية، و أن تشجيع الديمقراطية يوسع من نفوذ و مصداقية الولايات المتحدة عالميا، على اعتبار أن مصالح الولايات المتحدة الأمريكية سوف تكون أكثر أمنا في عالم يحترم الحقوق السياسية و اقتصاديات السوق الحر<sup>420</sup>.

417 - ن م، ص 51.

418 - ن م، ص 50، 51.

419 - ن م، ص 42، 62.

420 - أشرف عبد الله محمد ياسين، السياسة الأمريكية تجاه الإصلاح السياسي في الشرق الأوسط، المجلة العربية للعلوم السياسية (المجلة الإلكترونية)، العدد 26، أبريل 2010. انظر الموقع:

[http://www.caus.org.lb/Home/electronic\\_magazine.php?emagID=181&screen=0#](http://www.caus.org.lb/Home/electronic_magazine.php?emagID=181&screen=0#)

و يتم عادة الدعاية لهذه الأسطورة بقَدَم رسوخ قَدَم الولايات المتحدة في دعم الدول و الشعوب في تقرير مصيرها، و أن هذا الأمر ليس وليد انتهاء الحرب الباردة، أو حتى انتهاء الحرب العالمية الثانية؛ إنما الأمر يعود إلى أبعد من ذلك، انطلاقاً من تأسيس الجمهورية في عام 1776 إلى الزمن الراهن.

فبحسب أصحاب تلك الأسطورة و من شايهم، عُرف هذا المبدأ من إعلان جيمس مونرو عام 1823م، الذي ادعى فيه دفاع أمريكا عن شعوب القارة الأمريكية، في حين كان هذا المبدأ بمثابة سايكس- بيكو أمريكية، كما ذهب إلى ذلك روجيه غارودي<sup>421</sup>.

و قد عُرف ذلك المبدأ أيضاً من خلال إعلان الرئيس ولسون الذي أعلن أن الولايات المتحدة الأمريكية سوف تدخل الحرب العالمية الأولى لكي تجعل العالم أكثر أماناً للديمقراطية، و جاءت المبادئ الأربعة عشر لتؤكد تلك الأسطورة، و دخلت الولايات المتحدة الأمريكية الحرب العالمية الثانية تحت شعار مواجهة النظم الفاشية و الديكتاتورية<sup>422</sup>، غير أن الحقيقة غير ذلك، وفي هذا الصدد يقول الدكتور جاد محمد طه أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بقسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة عين شمس: "الولايات المتحدة اشتركت في الحرب متأخرة في عام 1917 ودخلت بكل قوتها بعد أن تخلخت القوى المشاركة في الحرب، بمعنى أنها اشتركت لتجني ثمار النصر"، ثم أشار: "إلى أن هناك بعض المؤرخين يقولون أن الولايات المتحدة لم تدخل الحرب إلا بعد وعد بلفور الذي منح اليهود الأحقية بأن تكون لهم دولة في فلسطين"، وتابع: "بعض هؤلاء المؤرخين يقولون أن الثمن الذي دفعته الولايات المتحدة لتمير وعد بلفور هو دخولها الحرب ، فاليهود وراء دخول أمريكا الحرب ، فهي دخلت متأخرة كي تجني ثمار النصر كما فعلت في الحرب العالمية الثانية"<sup>423</sup>.

421 - روجيه جارودي و آخرون ، الإمبراطورية الأمريكية ، (مقال روجيه غارودي، الأساطير المؤسسة للسياسة الأمريكية) ج2، ص 177.

422 - محمد كمال، الديمقراطية على الأجنحة الأمريكية، القاهرة: مجلة الديمقراطية، السنة الرابعة العدد 13، (يناير 2004)، ص27.

423 - محمود أيوب في شبكة الإعلام العربية: خبراء لمحيط. « بعد الحرب العالمية الأولى » أمريكا تبنت تفكيك الدول العربية إلى دويلات. انظر:

[http://moheet.com/2014/08/11/2119869/html#.VYc9DPkn\\_Gc](http://moheet.com/2014/08/11/2119869/html#.VYc9DPkn_Gc) خبراء-لمحيط-بعد-الحرب-العالمية-الأول/

و في مواجهة الشيوعية، اعتمدت أمريكا على أسطورة الديمقراطية و حقوق الإنسان لبناء تحالف من الدول الديمقراطية، ليقف في مواجهة إمبراطورية الشر بقيادة الاتحاد السوفيتي، و يعمل على احتوائها<sup>424</sup>.

و ادعى أنصار أسطورة نصره أمريكا للديمقراطية و حقوق الإنسان في العالم، أن الرئيس الأمريكي كارتر تمسك بتلك المبادئ، لأن نشرها يتماشى مع القيم و المصالح الأمريكية، وأنه يؤدي إلى تعزيز الأمن الأمريكي؛ و استدلوا بما أنشأته إدارة ريغان في إطار مواجهة العالم الحر للكتلة الشيوعية [المؤسسة الوطنية للديمقراطية]، و كذا [المعهد الديمقراطي الوطني]، و [المعهد الجمهوري الدولي] لتقديم المساعدات الفنية و المادية لبرامج الديمقراطية في الخارج؛ و اعتبر الرئيس بيل كلينتون أن توسيع الديمقراطية في العالم، يمكن أن يحل محل سياسة الاحتواء، كإستراتيجية بديلة و حاکمة للسياسة الخارجية الأمريكية في مرحلة ما بعد الحرب الباردة؛ كما و دعموا أسطورتهم بما اعتبره بوش الابن، بأن غياب الديمقراطية في الشرق الأوسط، يشكل تحديا كبيرا للإدارة الأمريكية، و خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، و ربط انتشار الإرهاب بغياب الديمقراطية<sup>425</sup>.

و لتثبيت هذه الأسطورة، تعمل حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بتناغم شبه تام مع وسائل الإعلام الرئيسية بإعلان نفسها المدافعة الأولى في العالم عن الديمقراطية و الحرية و حقوق الإنسان، بل و تلجأ أمريكا بانتظام إلى فرض العقوبات تحت ستار عقاب من ينتهكون حقوق الإنسان، فمن بين 116 حالة من حالات فرض العقوبات منذ 1945، تم 80% منها بمبادرة منها وحدها، و يتم ذلك عادة بعد قيام وسائل الإعلام التي تسيطر عليها بشيطنة ضحاياها<sup>426</sup>.

---

424 - باكينام الشرقاوي، الديمقراطية في المفردات الأمريكية، القاهرة: مجلة الديمقراطية، السنة الرابعة العدد 13، (يناير 2004)، ص42.

425 - أشرف عبد الله محمد ياسين، السياسة الأمريكية تجاه الإصلاح السياسي في الشرق الأوسط، المجلة العربية للعلوم السياسية (المجلة الإلكترونية)، العدد 26، أبريل 2010. ص 76. انظر موقع مركز وحدة الدراسات العربية:

[http://www.caus.org.lb/Home/electronic\\_magazine.php?emagID=181&screen=0#](http://www.caus.org.lb/Home/electronic_magazine.php?emagID=181&screen=0#)

426 - رامزي كلارك و آخرون، الإمبراطورية الأمريكية، (مقال ضمن الكتاب بعنوان: الولايات المتحدة.. و حقوق الإنسان) ج1، ص91، 113.

و لقد انبرى العديد من المفكرين الغربيين بوجه عام، و الأمريكيين بوجه خاص، لكشف حقيقة أسطورة الديمقراطية و حقوق الإنسان في الولايات المتحدة الأمريكية، سواء في سياستها الداخلية تجاه مواطنيها، أو في سياستها الخارجية تجاه شعوب المعمورة في مختلف دول العالم. ففي داخل أمريكا يُذكر من هذا التيار النقدي مفكرون أمثال هربرت شيللر و ناعوم تشومسكي و رامزي كلارك و المؤرخ هووراد زين و الأكاديمي الفلسطيني الأصل إدوارد سعيد و نجل زعيم الحقوق المدنية مارتن لوثر كينغ و الناشط اليساري المخضرم كلارك كيسنجر ، و خارج أمريكا يُذكر منهم الكثير أيضا، أمثال الفيلسوف الفرنسي روجيبه جارودي، و مراد هوفمان و باسكال بونيفاس.

فبحسب كثير من هؤلاء المفكرين فإن سجل الولايات المتحدة الأمريكية في مجال الديمقراطية و حقوق الإنسان - منذ تأسيسها- حافل بالانتهاكات الصارخة و الممنهجة، و التي لا تكاد بقعة من أرضها و لا أرض المعمورة تخلو منها، فيكفي مثلا أن الغرب الذي أنهكته الحروب الطاحنة و التي كان آخرها الحرب العالمية الثانية، حينما أنهى حربه الساخنة، افتتح عهدا جديدا من الحروب سماها باردة، و قد كانت باردة بالنسبة إليه، و ساخنة و دموية في أرجاء كثيرة من العالم؛ و حينما توج نهاية حربه بتأسيس الأمم المتحدة و إصدار الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، راحت المحاكم الأمريكية ترفض التقيّد ببنود هذا الإعلان على أساس أنه ليس معاهدة أو اتفاقية ملزمة قانونا، بحجة أنه إعلان فقط، متجاهلة حقيقة أن القانون الدولي يعترف ببنود الإعلان، و يعتبر أنها قد أدمجت بالقانون الدولي و الذي هو ملزم لجميع الدول<sup>427</sup>.

و قد كانت الحروب و العقوبات الاقتصادية التي فرضت على شعوب بأكملها هي أكثر الانتهاكات جوهرية و خطيرة، فقد حاصرت الولايات المتحدة أحد عشر مليون كوبي ضاربة عرض الحائط قرار الجمعية العامة الذي صدقت عليه 137 دولة شجبوا حصار كوبا مع معارضة الولايات المتحدة و إسرائيل؛ كما انتهكت أمريكا حقوق شعب العراق بأكمله و أزهدت أرواح مليون و نصف مليون عراقي، أغلبهم من الرضع و الأطفال و ذوي الأمراض المزمنة و الشيوخ، و رغم هذا التدمير القاسي لأغلب حقوق

الإنسان و حرياته الأساسية لشعب العراق بأكمله <sup>428</sup> .. قامت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بالتنسيق المحكم مع وسائل إعلامها الثقيلة بإعلان نفسها المسؤولة و المدافعة الأولى في العالم عن الحرية و حقوق الإنسان، و الأمر نفسه كان مع ليبيا و السودان و إيران و أفغانستان <sup>429</sup> .

و المستعرض للتاريخ الأمريكي يخلص إلى أن الأمريكيين يقبلون الديمقراطية داخل الولايات المتحدة و داخل إسرائيل و الغرب عموماً، و لكن لا يتصور قبولها من العرب و المسلمين عموماً، بل العكس هو واقع الأمر و هو دعم الديكتاتورية و الانفرد بالقرار، لأن أمريكا تعلم علم اليقين أن الديكتاتور المستبد حينما ينفرد بالقرار، يكون مكشوفاً للضغوط بأنواعها <sup>430</sup> .

و تاريخ الولايات المتحدة في إعاقة الديمقراطية في العالم الإسلامي، يعود إلى البدايات الأولى للحرب الباردة، و قد كان هذا الهدف الاستراتيجي يندرج ضمن مشروع وراثة تركة الرجلين المريضين [بريطانيا و فرنسا] المنهكين من حربيين عالميتين، لم يعمر السلام بينهما إلا ربع قرن، فكان الهدف هو الاستحواذ على مناطق نفوذ الإمبراطوريتين الضخمتين اللتين أصيبتا بالهرم.

فقد ذكر الكاتب الإيراني و مستشار وزير الثقافة سابقاً محمد صادق الحسيني، و هو يستعرض تاريخ العلاقات الإيرانية الأمريكية، أن المرحلة الثالثة من تلك العلاقات تمتد من سنة 1941 إلى 1953 و هي مرحلة تصاعد النفوذ السياسي الأمريكي و استحواذه و قد توجت بقلب نظام حكومة الدكتور محمد مصدق على يد المخابرات الأمريكية في سنة 1953م <sup>431</sup> .

---

428 - جون بيليجر، حكام العالم الجدد، ترجمة إسماعيل داود، الطبعة (دون) (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2008)، ص 102، 103.

429 - ن م، ص 91.

430 - روجيه جارودي و آخرون، الإمبراطورية الأمريكية، (مقال د حسن محمد وجيه بعنوان: مفاوضات العم سام- حالة العرب و أمريكا ) ج2، ص 112، 115؛ فنسان الغريب، مأزق الإمبراطورية الأمريكية، الطبعة الأولى (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2008)، ص 62، 63.

431 - روجيه جارودي و آخرون، الإمبراطورية الأمريكية، ج2، م س، ص 406.

و محمد مصدّق (1882-1967) كان رئيس وزراء إيران في بداية خمسينيات القرن العشرين، و هو من أوائل المناضلين الكاريزميين المعادين للاستعمار في عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية. و كانت إيران قد غُزيت في 1941 غزواً مزدوجاً من جانب الاتحاد السوفييتي شما لا وإنجلترا جنوباً، وأُجبر رضا خان، ذو الميول الألمانية القوية، على التنازل عن العرش لولي عهده الشاب محمد رضا بهلوي والذهاب إلى المنفى. و اتفق السوفييت والإنجليز على الإبقاء على هيكل الدولة الاستبدادية التي أسسها رضا شاه؛ حفظاً للأمن وضماناً للاستقرار، كما أن هذا سيضمن استمرار إمدادات النفط الإيراني الرخيص لقوات الحلفاء وخاصة القوات البريطانية في هذه المرحلة الخطيرة من مراحل الحرب العالمية الثانية.

و بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، كانت إيران ذات أهمية بالغة لدى الولايات المتحدة وبريطانيا؛ إذ كانتا تعتبران النفط الإيراني مصدر رئيساً لهما لإعادة البناء الاقتصادي في فترة ما بعد الحرب. بالإضافة إلى أن رياح الحرب الباردة قد بدأت بالهبوب (مع معاهدة يالتا، وستار تشرشل الحديدي، ومبدأ ترومان) حيث ساد الخوف من تحول إيران إلى منطقة نفوذ سوفيتي. و كانت تلك فترة عودة "محمد مصدّق" إلى ممارسة الحياة السياسية في إيران، و عند وصوله للحكم، كان معادياً للشاه والبريطانيين المتحالفين معه، ومُصيراً على صيغته المزدوجة لتحرير إيران: الاستقلال الخارجي، وكان التحكم في النفط أهم دلائله، وديمقراطية برلمانية قوية في الداخل، مع الدعوة لأن يكون الشاه ملكاً على النمط الإنجليزي، يملك ولا يحكم. و كان تأمين النفط وإيقاف الامتياز البريطاني في قطاع النفط هو المشروع الأهم في برنامجه، لهذا تم الانقلاب عليه في 19 أوت 1953، و الذي لخصته عبارة إحدى وسائل الإعلام الأمريكية بجملة: "Iranian oil may again flow westward"<sup>432</sup>.

432 - خالد بشير، تلخيص كتاب [هو ما كاتوزيان (عالم اجتماع، ومؤرخ، واقتصادي، إيراني. مختص في الدراسات الإيرانية، ومدرس للتاريخ الإيراني في جامعة أوكسفورد )، مصدق و الصراع على السلطة في إيران، ترجمة الطيب الحصني، الطبعة الأولى (بيروت: جداول للطباعة و النشر و التوزيع، 2014)] انظر: /محمد-مصدق-في-الحكم-الحرب-الباردة-في-الس/http://altagreer.com/

و يتكرر نفس الأمر في تركيا، إذ قامت أمريكا بتدبير انقلاب عسكري بقيادة رئيس أركان الجيش التركي «جمال جورسيل» وهو أحد أخلص تلاميذ أتاتورك وخدم تحت قيادته أيام الحرب العالمية الأولى، ووقع الانقلاب على حكومة «مندريس» في 2 من ذي الحجة سنة 1379هـ الموافق 27 مايو 1960م، وألقى القبض على «مندريس» وأعدم مع اثنين من وزرائه وهما وزير الخارجية «فاتن رشدي»، ووزير المالية «حسن بولاد»، أما رئيس الجمهورية «محمود بايار» فقد حكم عليه أيضاً بالإعدام ثم خفف بالسجن المؤبد لكبر سنه، وبذلك حققت أمريكا أهدافها من هذا الانقلاب، فقضت على المحاولة الخافية لإحياء الإسلام، وضربت التنظيمات الشيوعية والاشتراكية وقضت على آخر بقية باقية للنفوذ الإنجليزي بتركيا<sup>433</sup>؛ و بتاريخ 12 سبتمبر 1980 يعاد السيناريو نفسه، و يتلقى الرئيس الأمريكي جيمي كارتر رسالة من ممثل وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية في أنقرة "بول هينز" تقول: "أولادنا فعلوها"، وذلك حسب ما نقله الصحفي "مهمت علي بيراند"، الذي نشر تسجيلاً صوتياً لمحادثة دارت بينه وبين "بول هينز" حول الانقلاب العسكري الذي عاشته تركيا في سنة 1980، والذي قاده الجنرال كنعان إيفران للإطاحة بالائتلاف الحكومي الذي كان يشارك فيه الزعيم الإسلامي ونائب رئيس الوزراء آن ذاك "نجم الدين أربكان"<sup>434</sup>.

و غير بعيد في الزمان عن انقلاب تركيا الأول (1960)، تقوم أمريكا بالإعداد للانقلاب في إندونيسيا سنة 1965، ينفذه وزير الدفاع آنذاك الجنرال سوهارتو على رئيسه سوكارنو، فقد كان سوكارنو أول رئيس لإندونيسيا وساهم في تحرير بلاده من الاحتلال الياباني، وكان سوهارتو واحداً من جنرالاته، وتولى وزارة الدفاع في آخر أيامه، واستثمر ثورة الشيوعيين ضده ليزيد من دور الجيش في الحياة السياسية، ويزيح الرئيس ويتولى الحكم بعد إجباره على التنازل عن السلطة. لم يكن سوهارتو من القادة المعروفين عندما تسلم السلطة في العام 1965 بعدما سحق محاولة انقلاب مزعومة من قبل ضباط يساريين، و اتهم الحزب الشيوعي بمحاولة الانقلاب الفاشلة، و لاحق بعدها الشيوعيين

433 - راغب السرجاني، الانقلاب العسكري الأول في تركيا. انظر موقع: قصة الإسلام.

الانقلاب-العسكري-الاول-في-تركيا/ar/http://islamstory.com/ و http://islammemo.cc/print.aspx?id=1375

434- نون بوست، بأي ثمن سمحت أمريكا لعسكر تركيا بالانقلاب في 1980؟ http://turkpress.co/node/4544



واعقل منهم الآلاف، وقتل منهم ما يقارب المليون، و حكم إندونيسيا لمدة 32 سنة تحت مظلة أمريكا<sup>435</sup>.

يذكر كريستوفر هيتشنز في كتابه الموسوم: "محاكمة هنري كيسنجر" الصادر في لندن عام 2001 عن توحش الحرب الباردة ودعم واشنطن لاندونيسيا حيث لعبت وكالة الاستخبارات الأمريكية (CIA) دورا في إدارة الانقلاب العسكري ضد أحمد سوكارنو، لأن الأخير كان من مؤسسي حركة عدم الانحياز ومن أشد أعداء الولايات المتحدة آنذاك. ودعمت واشنطن سوهارتو ووقفت خلفه مقابل ولائه لها ، ليقبض ثمناً سياسياً مجزياً لقاء ذلك، وهو إطلاق يده في تيمور الشرقية. وكان كيسنجر الغطاء الدبلوماسي الذي حماه ووفر له الأجواء السياسية العالمية للمضي في سياسته . وقال الرئيس الأمريكي السابق ريتشارد نيكسون ذات مرة إن اندونيسيا كانت بمثابة "الجائزة الكبرى في آسيا." وبالرغم من موجة العنف وإراقة الدماء التي سادت البلاد إلا أن العالم الغربي أعلن مساندة سوهارتو في أجواء الحرب الباردة<sup>436</sup>.

و قد كشفت الصحيفة الأمريكية المحققة كاثي كادين سنة 1990 عن مدى التواطؤ السري الأمريكي في مذابح 1965/1966، و التي تمكن سوهارتو من خلالها أن يستولي على السلطة، فبعد سلسلة من اللقاءات مع مسؤولين أمريكيين سابقين كتبت: "لقد قاموا بشكل منظم بتجميع قوائم شاملة بأسماء النشطين الشيوعيين، و قد قام الأمريكيون بتزويد الجيش الإندونيسي بما يصل إلى خمسة آلاف من أسماء هؤلاء"<sup>437</sup>.

و قد أكد جوزيف لازار سكاى نائب الرئيس المقيم لفرع المخابرات المركزية الأمريكية في جاكرتا أن التأكيدات الخاصة بعمليات القتل كانت تأتي مباشرة من مقر قيادة سوهارتو. يقول: "كنا نتلقى معلومات كاملة من جاكرتا عن الذين تم القبض عليهم" .. "أبلغنا سوهارتو و مستشاريه بأننا إذا أردنا الإبقاء عليهم أحياء فإن علينا أن نتولى إطعامهم" .. "هذا بالإضافة إلى أن السفير الأمريكي في جاكرتا هو مارشال جرين، الذي

435 - فتحي عطوة، سوهارتو بين المشروع الإصلاحى و القبضة الحديدية. جريدة عكاظ السعودية، الأربعاء 30 يناير 2008 العدد: 2418 <http://www.okaz.com.sa/okaz/osf/20080130/Con20080130169528.htm>

436 - فتحي عطوة، ن م.

437 - جون بيليجر، حكام العالم الجدد، م س، ص-ص 52-61.

كان معروفًا في وزارة الخارجية الأمريكية بأنه (سيد الانقلابات) وقد وصل مصحوبًا بسمعه بأنه كان العقل المدبر للإطاحة بالزعيم الكوري سينجماي زي<sup>438</sup>.

و يكاد نفس السيناريو يتكرر في باكستان، فقد عرفت الانقلابات العسكرية مبكرًا، فبعد الاستقلال عن الهند في سنة 1947 لم تكد تستقر البلاد وتهدأ أوضاعها المضطربة، حتى أقدم محمد أيوب خان، القائد العام للجيش الباكستاني، على الاستيلاء على السلطة بعد انقلاب عسكري قام به في 1958، وأطاح بحكومة الرئيس إسكندر ميرزا المنتخبة، وبعد توليه الرئاسة بدأ بالمعالجة الشكلية لإظهار برنامج الإصلاح، ثم أصدر دستوراً جديداً للبلاد عام 1962، ليتوالى عليها الجانب السلبي المعهود دائماً من التسلط العسكري، فقام بحظر قيام الأحزاب السياسية، ومنح نفسه صلاحيات مطلقة، فجعل رئيس الجمهورية هو القائد الأعلى للدفاع، وهو الذي يختار الوزراء من خارج الجمعية الوطنية، ويحق له حلها، وجعل السلطة التنفيذية في كل إقليم في يد الحاكم المعين من قبل رئيس الجمهورية، الأمر الذي جعل القوى السياسية تتوحد ضده وأخذت شعبيته في الانهيار، ليأتي عام 1969 نهاية لهذا الديكتاتور المتسلط باسم العسكرية؛ فقامت المظاهرات ضده، وشاعت الفوضى، ولم يكن أمام "أيوب خان" إلا أن يترك منصبه، فقدم استقالته، لكنه سلم السلطة إلى "يحيى خان"<sup>439</sup>، رئيس هيئة أركان الجيش، ليستمر الحكم العسكري، لكن بصورة أشد سوءاً. وفي عهده وقعت العديد من الحوادث الضخمة مثل الحرب مع الهند، ثم انفصال باكستان الشرقية «بنجلاديش» والاضطرابات العرقية والطائفية الكبيرة، وبموجب اتفاقية تأمرية قام "يحيى خان" بتسليم الحكم إلى "ذو الفقار علي بوتو"<sup>440</sup> سنة 1971، ورحل هو إلى منفاه الاختياري بإيران.

غير أن بوتو لم يعرف الاستقرار في سنوات حكمه السبع إلا قليلاً؛ بسبب ولاءه الشديد للغرب، ومحتده الباطني، وسياساته تجاه ملفي كشمير وبنجلاديش، وانتهى الأمر به على أعواد المشانق بعد انقلاب عسكري قاده الجنرال ضياء الحق سنة 1977، وسار ضياء الحق على درب الانقلابيين العسكريين؛ ففرض الأحكام العرفية، وألغى المجالس

438 - ن م، ص 58، 59.

439 - "يحيى خان من الطائفة الشيعية الجعفرية

440 - وكان شيعياً إسماعيلياً

النيابية، وأقال حكومات الأقاليم، وشكل مجلساً عسكرياً لإدارة شؤون البلاد، لكنه في الوقت نفسه قام بعدة خطوات من أجل جلب تأييد الشعب الباكستاني والتيارات الإسلامية، حيث شرع في تطبيق جزئي لأحكام الشريعة الإسلامية، لكن ذلك لم يخفف من حدة المعارضة ضد حكمه العسكري، وحاول ضياء الحق أن يسير في اتجاهين متضادين ليضمن استمراره في السلطة؛ الاتجاه الأول: التقارب مع أمريكا لضمان حصوله على السلاح، وإضعاف موقف الهند في الصراع التاريخي بين البلدين، والاتجاه الثاني: التقارب مع الإسلاميين بتطبيق جزئي للشريعة وإقامة علاقات قوية مع أمصار العالم الإسلامي. وهذه السياسة جلبت عليه عداوة الكثيرين داخل وخارج باكستان، فقرر في أواخر حياته التركيز على الاتجاه الثاني، فدفعت حياته نتيجة هذا التغيير، إذ قامت وكالة المخابرات الأمريكية بتفجير طائرته في أوت 1988، فمات ضياء الحق إثر ذلك.

و تستمر باكستان بعد هذه الفترة الطويلة تحت حكم العسكر «30 سنة» بدا لأهلها أنه لا سبيل للفساد من هيمنة العسكر على الحياة السياسية، ولكن بصورة غير مباشرة، أو بغطاء مدني من سياسة وأحزاب مدنية هزيلة وفسادة، وخلف الستار يتحكم العسكر في المشهد كله. و دائماً يتباين رد فعل الولايات المتحدة بين التنديد في البداية إلى التفهم بعد ذلك ثم إصدار موقف تتظاهر فيه أنها تأمل في أن يؤدي هذا الانقلاب إلى إعادة الاستقرار بباكستان<sup>441</sup>.

أما بالنسبة للدول العربية في شبه الجزيرة العربية، فقد عملت الدول الغربية منذ مؤامرة سايكس بيكو و اكتشاف النفط إلى إكمال المشروع الاستعماري- الذي بدأ باحتلال الجزائر- و ذلك باقتسام تركة الباب العالي، و حل نظام الخلافة الإسلامية؛ و تم تقسيم أرض الجزيرة إلى مناطق للنفوذ البريطاني و الفرنسي، و أسست دول بأنظمة ملكية تابعة و حليفة للإمبراطوريتين الصليبيتين؛ حتى إذا وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها،

441 - شريف عبد العزيز الزهيري ، صور من سجل الانقلابات العسكرية المعاصرة ، مجلة البيان، العدد 314 2015/06/26م انظر: [www.albayan.co.uk/MGZArticle2.aspx?ID=3050#sthash.cvLX55jr.dpuf](http://www.albayan.co.uk/MGZArticle2.aspx?ID=3050#sthash.cvLX55jr.dpuf) وانظر : [http://archive.aawsat.com/details.asp?section=4&article=483442&issueno=10857#.VY1qcxt\\_Oko](http://archive.aawsat.com/details.asp?section=4&article=483442&issueno=10857#.VY1qcxt_Oko)

تسلمت الولايات المتحدة الأمريكية راية القيادة من الإمبراطوريتين المتهاويتين، و راحت تشرف على إكمال مؤامرة سايك بيكو بطبعتها الأنجلو أمريكية<sup>442</sup>.

و ما إن بزغ عصر أمريكا، و انكشف قرنهما، حتى عمّت قواعدها العسكرية كثيرا من بلاد العالم<sup>443</sup>، ومنها بلدان العالم الإسلامي بمختلف أنظمتها، سواء كانت ملكية أو شمولية ذات تمظهر جمهوري، و ما لم يكن من نصيبها كان من نصيب حلفائها الغربيين، أو من نصيب منافسها من نفس محور (موسكو - واشنطن)، ممثلا في الاتحاد السوفييتي؛ و توجد اليوم القواعد العسكرية الأمريكية في كل من السعودية و الكويت و قطر و الإمارات و عمان و البحرين و الأردن و جيبوتي و العراق و مصر<sup>444</sup>، وكذا في المغرب وتركيا وأفغانستان وباكستان و قرغيزي<sup>445</sup>.

ومع انطلاق الحرب الباردة، لجأ كل من القطبين في صراعه مع الآخر على أرض العالم الثالث إلى الوسائل غير المباشرة، مثل الدبلوماسية و الدعاية الاقتصادية و إقامة الأحلاف و دعم نظم الحكم الموالية و العمل على إسقاط نظم الحكم المعادية عن طريق إثارة القلاقل و الثورات و تدبير الانقلابات و الاغتيالات، كل ذلك تجنباً للاحتكاك المسلح المباشر بينهما<sup>446</sup>.

يقول الأستاذ منير شفيق: " منذ أن بدأت الدول الغربية الاستعمارية تبسط نفوذها على الكرة الأرضية وتتوسع في الهيمنة على المستعمرات في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ،

---

**442** - محمد فاروق النبهان، سايس بيكو.. والمشرق العربي .. حديث تاريخي (محاضرة) في مقر الأكاديمية الملكية المغربية في الرباط يوم الخميس 19 مارس 2015. انظر موقع النبهان:

سايس-بيكو-المشرق-العربي/ <http://www.dr-mfalnbhan.com/>

**443** - تنتشر القواعد العسكرية الأميركية (حوالي 1000 قاعدة) في 130 بلدا حول العالم تقريبا، ويزيد عددها عن الألف وفق بعض المصادر العسكرية، وتتراوح مهماتها بين القيام بالعمليات العسكرية والتدريب المشترك مع قوات الدول المتواجدة بها والمشاركة في عمليات حفظ السلام، كما سعت أميركا إلى عقد الاتفاقات الأمنية مع العديد من الدول حول العالم. و استخدمت تلك القواعد في فرض الأمن والقيام بعمليات نوعية ضد ما أسمته "الإرهاب" وبصفة خاصة في فترة ما بعد أحداث 11 سبتمبر / أيلول 2001، وما تمخضت عنه من احتلال لكل من الأراضي الأفغانية والعراقية عامي 2001 و 2003 على التوالي. ويصل عمر بعض هذه القواعد إلى حوالي 50 عاما، مثل تلك الموجودة في اليابان وألمانيا وكوريا الجنوبية، في حين أنشئت قواعد عسكرية حديثة نسبيا، كذلك التي شاركت في عملية غزو العراق انظر:

<http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/577162f9-7b5a-4f8d-9fbf-b31a0216fe00>

**444** - ن م، <http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/577162f9-7b5a-4f8d-9fbf-b31a0216fe00>

**445** - انظر: المنتدى العربي للدفاع و التسليح. <http://defense-arab.com/vb/threads/49608>

**446** - تقديم كتاب: إيناس سعدي عبد الله، الحرب الباردة.. تاريخ العلاقات الأمريكية الروسية ، الطبعة (؟)، الأردن عمان: أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، (2015)، انظر:

<http://www.amwaj-pub.com/old/index.php/seyyasah/112-harb-bareda>

قام التناقض بين الديمقراطية المطبقة في مجتمعات المراكز الاستعمارية ، والأنظمة التي راحت تلك المراكز تفرضها على مستعمراتها . ففي الغرب خدمت الديمقراطية في تعزيز الإجماع الداخلي، وإن كانت هي من ثمراته، وأمّنت أوسع تعبئة للمجتمع لتأدية أغراض تثبيت الهيمنة العالمية، والمحافظة عليها، ولاسيما التبعثان العسكرية والإنتاجية. أي تهيئة مناخ الحرية الذي يجعل هاتين التبعثتين تعملان في الحد الأقصى من الطاقة . أما في المستعمرات فكان لابد من إقامة أنظمة تخدم السيطرة على البعد المعني وإفقاده كل مقومات قوته أو قدرته على النهوض والاستقلال. وكان من بين هذه الإجراءات إقامة نظام احتلال عسكري مباشر في أغلب الحالات وتعيين حاكم عسكري، أو حاكم عام، يقوم مقام رأس الدولة ، و عندما كان لابد من إعطاء استقلال شكلي في بعض البلدان كانت تُعَيَّر من حيث الشكل رأس السلطة ومؤسساتها، ولكن مع التحكم بالقرار العسكري والسياسي والاقتصادي والثقافي. وهذا ما جعل أغلب دول الاستقلال الشكلي ترتبط بمعاهدات استعمارية مع إبقاء القواعد العسكرية<sup>447</sup>.

ففي العراق تم تنصيب ملك ألعوبة و هو فيصل، و أخذ البريطانيون في القضاء على الحركة الاستقلالية، كل ذلك من أجل أن يبقى العراق مصدر أعلى أنواع النفط العالمي جودة مستعمرة بريطانية، حتى غزو السويس عام 1956. و عقب ذلك بعامين يتم الإطاحة بالنظام الملكي في انقلاب قاده عبد الكريم قاسم عام 1958 و الذي سرعان ما تحول بدوره إلى ضحية لصراعات مدمرة. و نظرا لتخوف شركة النفط الامبريالية من خطر تأميمها عام 1963، بادرت القوة الامبريالية الجديدة، الولايات المتحدة إلى التخطيط لإنجاز ما وصفته وكالة مخابراتها المركزية بأنه الانقلاب المفضل. و في هذا يقول صالح سعدي الأمين العام لحزب البعث: " لقد جننا إلى السلطة في قاطرة تقودها المخابرات المركزية الأمريكية" و هي من أوصلت حزب البعث و مجموعة صدام حسين إلى قمة السلطة عام 1979م، و هي من قدمت المساعدات في حربه ضد إيران و توفير الحماية له من الانقلابات الداخلية لقيامه بتوفير الحماية للدول العربية التابعة لها من انتشار فيروس

447 - منير شفيق، الغرب والديمقراطية في العالم الإسلامي والآفاق المستقبلية، في موقع الإسلام اليوم: انظر: [http://www.islamtoday.net/files/w\\_e\\_di/P\\_7.htm](http://www.islamtoday.net/files/w_e_di/P_7.htm)

الثورة الإيرانية، و استمر هذا التحالف حتى غزو العراق للكويت و ابتداء الحرب الحضارية الأولى في 1991م<sup>448</sup>.

و يكاد الأمر أن يكون ذاته في مصر و سوريا و السودان و الجزائر و ليبيا و تونس و موريتانيا في إعاقة الديمقراطية و الاستقرار الاجتماعي بالوسائل المشار إليها سلفاً، و هي الدبلوماسية و الدعاية الاقتصادية و إقامة الأحلاف و دعم نظم الحكم الموالية و العمل على إسقاط نظم الحكم المعادية عن طريق إثارة القلاقل و الثورات و تدبير الانقلابات و الاغتيالات.

و لا يقتصر التلاعب بالديمقراطية و انتهاك حقوق الإنسان من طرف المنتفذين في أمريكا على غير الأمريكيين في أصقاع المعمورة، بل إن هذا التلاعب و ذلك الانتهاك ثابتان حتى في داخل أمريكا و في حق مواطنيها أنفسهم.

يقول رامزي كلارك: "قامت الولايات المتحدة في نفس الوقت بتوسيع صناعة سجونها بالغة الضخامة، و التي بها أكثر من مليون سجين، تتضمن 40% من ذكور الأفارقة الأمريكيين الذين تبلغ أعمارهم بين 17 و 27 عاما في ولاية كاليفورنيا"<sup>449</sup>. بل إنه بحلول عام 1998 وصل عدد نزلاء السجون الفيدرالية و سجون الولايات و السجون المحلية إلى ما يقرب 1,7 مليون سجين، تشكل جرائم المخدرات النسبة الأعلى، و يشكل ذوو الأصول الإفريقية الغالبية منهم<sup>450</sup>.

و يورد ناعوم تشومسكي ما يلي: "في الولايات المتحدة التي تعرضت لسياسات مماثلة، عانى ثلاثون مليون شخص من الجوع بحلول عام 1990، بزيادة قدرها 50% عن عام 1985، متضمنين 12 مليون طفل حرموا من الغذاء الكافي للنمو و التطور(قبل الركود الاقتصادي عام 1991)، بتعبيرات هذه المؤشرات الاجتماعية الرئيسة، تقف الولايات المتحدة في مستوى أقل من أي دولة صناعية أخرى، و تقف بجوار كوبا التي

448 - جون بيلجر، حكام العالم الجدد، م س، ص 108، 109.

449 - رامزي كلارك و آخرون، الإمبراطورية الأمريكية، م س، ص 92.

450 - ن م، ص 121.

عانت سنوات طويلة من الهجوم الإرهابي و الحرب الاقتصادية القاسية على أيدي القوة العظمى في نصف الكرة الأرضية<sup>451</sup>.

و قد بيّن هيربرت شيللر من خلال الكثير من مؤلفاته و على رأسها > المتلاعبون بالعقول < زيف الديمقراطية في أمريكا نفسها، و فضح أساطيرها التي قامت على التضليل الإعلامي، و الطمس على العقول من أجل صناعة إجماع يخدم طبقة الأقلية من صانعي القرار هناك. و هو ما تم تفصيله في مبحث مستقل من هذا البحث<sup>452</sup>.

لأجل ذلك ليس غريبا أن يعدّ أحد عمالقة ناقدتي الحضارة الغربية المعاصرين، و هو الفيلسوف الفرنسي روجيه جارودي، أن الولايات المتحدة الأمريكية تأسست على أساطير هي أبعد من أن تتضمن الديمقراطية باعتبارها انتصار لحكم الأغلبية، و أبعد عن أبسط معاني حقوق الإنسان و الحريات العامة. يقول جارودي: " هذه إذن هي أول أسطورة في السياسة الأمريكية، و هي الأكثر دموية: نحن > شعب مختار <. و على هذا الأساس، استغلت ذلك مسوغا لكل الابتزاز القومي و الاستعماري، فقامت ببناء طبقة بين الأعراق السامية و تلك الأدنى، مع الاحتفاظ للأولى بـ <الحق > في الهيمنة، و مع الادعاء بأن ذلك ما هو إلا تكليف إلهي فوق كل القوانين الدولية (على سبيل المثال قرارات الأمم المتحدة) التي تنبثق من الرغبات الإنسانية فحسب<sup>453</sup>.

و أما الأسطورة الثانية و التي ينسف جوهرها كل معاني الديمقراطية و حقوق الإنسان فهي وحدانية السوق، يبين جارودي ذلك بقوله: " الأساس الثاني للفكر الأمريكي، هو ذلك الذي انبثق من إعلان الاستقلال و تفسيره المباشر الذي قام به أول وزير لخزانتها الذي اختاره واشنطن: ألكسندر هاملتون. هاملتون كان في أساسه تلميذا لآدم سميث، يرى أن الملكية حق مقدس للإنسان، و أن في السوق تتقابل المصالح الخاصة، تقودها

---

451 - ن م، ص 105، 106.

452 - انظر الفصل الرابع - المطلب الثاني (نموذج تطبيقي عن أهم نظريات الإعلام المعتمدة في حروب أمريكا الحضارية- نموذج هيربرت شيللر)، ص- ص 341- 358 من هذه الرسالة.

453 - روجيه جارودي و آخرون، الإمبراطورية الأمريكية. م س، ص 169.

<اليد الخفية> بدون علمها، فتندمج مع <المصلحة العامة>..هكذا يكون السوق هو المنظم الوحيد للعلاقات الاجتماعية<sup>454</sup>.

ثم يستدل جارودي بتشومسكي قائلاً: " ناعوم تشومسكي أعطى تفسيراً دقيقاً للهدف الأساسي للسياسة الخارجية الأمريكية التي تدافع عن < الديمقراطية >، أي < المجتمعات المفتوحة > فقال: " السياسة الخارجية الأمريكية وضعت من أجل خلق - و الحفاظ على - نظام دولي تستطيع شركات الولايات المتحدة أن تزدهر من خلاله، عالم من < مجتمعات مفتوحة >، أي مجتمعات مفتوحة أمام الاستثمارات، تعمل على توسيع أسواق التصدير و على سهولة انتقال رؤوس الأموال، و أيضا على قيام الشركات الأمريكية و الشركات المحلية التابعة لها، باستغلال الثروات الإنسانية و المادية، إن تعبير < المجتمعات المفتوحة > يعني في تفسيره الحقيقي، المجتمعات المفتوحة أمام التحكم الاقتصادي و السياسي للولايات المتحدة،"<sup>455</sup>.

---

454 - ن م، ص170.

455 - ن م، ص170، 171.



## المطلب الرابع:التدخل في الشؤون الداخلية للدول و تطوير مناطق المواد الخام

يُعد التدخل في الشؤون الداخلية للدول لأغراض توسعية و أطماع اقتصادية ليس فقط من الأهداف الإستراتيجية للحرب الحضارية الأمريكية ضد العالم الإسلامي، التي بدأت عقب الحرب الباردة أو ما يسميه المحافظون الجدد بالحرب العالمية الثالثة، بل يشكل هذا التدخل أحد المبادئ الأساسية التي حكمت السياسة الخارجية الأمريكية منذ إعلان الاستقلال، كما ذكر ذلك الأستاذ الأمريكي مكدوجال<sup>456</sup> في كتابه "أرض الميعاد و الدولة الصليبية"، و تلك المبادئ هي على النحو التالي:

- 1 -الحرية المسماة الاستثنائية.
- 2 -الأحادية المسماة الانعزالية.
- 3 -النظام الأمريكي المسمى مبدأ مونرو.
- 4 -التوسعية المسماة المصير المبين.
- 5 -الامبريالية التقدمية.
- 6 -مبدأ ويلسون المسمى العالمية الليبرالية.
- 7 -الاحتواء.
- 8 -تحسين العالم.

فقد قسم ماكدوجال السياسة الخارجية الأمريكية إلى عهدين، و استعار المصطلح الديني ليشي إلى دور العامل الديني في السياسة الخارجية الأمريكية، و يركز على التمايز بين العهد القديم للسياسة الخارجية الأمريكية، و الذي استهدف الحرية في الداخل، و العهد الجديد الذي حاولت فيه أمريكا توسيع دورها في العالم و قيادته.

" ففي العهد القديم الأمريكي، اعتبر مؤسسو أمريكا أنها إسرائيل الجديدة التي هاجروا إليها من أجل الحرية، و أرسوا قواعد السلوك الأمريكي الخارجي من أجل أن ينعموا

---

456 - هو **Walter Allen McDougall** مؤرخ أمريكي و أستاذ العلاقات الدولية في جامعة بنسلفانيا مواليد 1946م في واشنطن. له مؤلفات منها: " السماوات و الأرض: تاريخ سياسى لعصر الفضاء" حصل به على جائزة بولتزر، و " لنترك البحر يصدر ضوضاءه" و تاريخ شمال المحيط الهادي من ماجلان و حتى مالو آرثر. انظر صفحة غلاف كتابه "أرض الميعاد و الدولة الصليبية، و موقع ويكيبيديا: [https://en.wikipedia.org/wiki/Walter\\_A.\\_McDougall](https://en.wikipedia.org/wiki/Walter_A._McDougall)

بالحرية في الداخل؛ و في العهد الجديد الأمريكي بعد عام 1898م (عام اكتمال الاستيطان حتى الساحل الغربي) تحرك الأمريكيون من أجل تشكيل العالم وفق تصورهم، من خلال قواعد جديدة للساسة الخارجية الأمريكية، يأتي ضمنها تبرير التوسع و استخدام القوة في شكل أقرب للحملة الصليبية لتحضير العالم على الطريقة الأمريكية<sup>457</sup>.

إذن فإن عملية تدخل الولايات المتحدة الأمريكية في الشؤون الداخلية للدول و منها الإسلامية، ليست بالجديدة و لا هي وليدة أحداث الحادي عشر من سبتمبر أو نهاية الحرب الباردة، بل ليست وليدة حتى لنهاية الحرب العالمية الثانية، كما يسوق لذلك الساسة الأمريكيون؛ فإعلان "ترومان" في 1945/8/9م عن حق الولايات المتحدة في التدخل في الشؤون الداخلية للبلدان الأخرى، وتطبيق حقول النفط في الشرق الأدنى بـ (شبكة قواعد عسكرية)، وإعلان قيام الكيان الصهيوني في فلسطين بوعد بلفور المشؤم في أواخر عام 1948م، مع سرعة اعتراف إدارة ترومان بهذا الكيان بعد عشرة دقائق فقط من إعلانه، و انخراط الولايات المتحدة في أحلاف عسكرية خارج حدود أوروبا في البلدان النامية<sup>458</sup>، لم تكن إلا سياسات ما بعد الحرب العالمية الثانية، ضمن إستراتيجية عليا وشاملة انتهجتها منذ إعلان الاستقلال، و هي إستراتيجية التدخل في الشؤون الداخلية للدول.

و لا يتجلى التدخل في الشؤون الداخلية للدول من خلال مبدأ واحد فقط من المبادئ التي ذكرها مكدوجال، بل من خلال المبدأ الثالث و حتى الثامن، أي أن أغلب مبادئ السياسة الخارجية الأمريكية تأسست على عقيدة التدخل في شؤون الآخرين.

فالمبدأ الثالث المسمى مبدأ مونرو "النظام الأمريكي" ، على الرغم من أن ظاهره لا يعني سوى عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول، كحق للدول و واجب عليها، و الذي بموجبه ترفض أمريكا الانتقال إلى أوروبا و التورط معها في نزاعاتها الداخلية؛ إلا أن حقيقة المبدأ هو الحرص على عدم انتقال القوى الأوروبية إلى أمريكا، لأنها إن فعلت ذلك

---

457 - والتر ألان مكدوجال، أرض الميعاد و الدولة الصليبية: أمريكا في مواجهة العالم منذ 1776 ترجمة رضا هلال، الطبعة الأولى (القاهرة: دار الشروق، 2000م)، ص7، 8.

458 - المتغيرات في الإستراتيجية الأمريكية المعاصرة، إعداد مركز صقر لدراسات الإستراتيجية. انظر الموقع: <http://www.sqrcenter.net/?page=3048>

ستهدد بلا شك المصالح الأمريكية التي بدأت تتوسع في القارة الأمريكية، و من ثم كان على الولايات المتحدة الأمريكية أن تصوغ - على قدر محدودية وسائلها آنذاك - نظاما عالميا أمريكيا فريدا، و قد تجلى هذا المبدأ في الرسالة التي وجهها الرئيس الأمريكي جيمس مونرو إلى الكونجرس عام 1823، و أعلن فيها أن الأمريكتين لم تعودا محلا لاستعمار جديد<sup>459</sup>.

و بالنسبة للمبدأ الرابع فهو التوسعية و المسماة المصير المبين، فهو أشد ارتباطا بمنظومة العقائد الأمريكية أكثر منه ارتباطا بمنظومة السياسة. و إذا كان التوسع قرين التدخل في شؤون الغير، بل و قرين الحلول و الاحتلال في أرض الغير، فهو من بين كل تقاليد السياسة الخارجية الأمريكية الأقل احتياجا إلى تبرير نظري أو عقائدي من السياسة، إذ هو مبدأ يطالب به الشعب بتلقائية عفوية<sup>460</sup>، مما يجعل من التوسعية مبدأ أصيلا في الثقافة و الحضارة الأمريكيتين أكثر منه في السياسة.

لقد كان هذا المبدأ واضحا جدا لدى الأمريكيين منذ بواكير التأسيس، سواء لنخبتهم أو عامتهم، و قد عبر عنه في إيجاز محرر مجلة "ديموكراتيك ريفيو" عام 1839م السيد جون أوسوليفان فقال: "... إن المستقبل البعيد و غير المحدود، سيكون عصرا للعظمة الأمريكية. و في مجالها العظيم: الزمان و المكان، فإن أمة العديد من الأمم، قدر لها أ، تبين للجنس البشري عظمة المبادئ السماوية، و أن تؤسس على الأرض أ، بل معبد تم بناؤه لتسييح و عبادة الأعلى و الأقدس و الحق، و سوف تكون أرضه عبارة عن نصف الكرة الأرضية، و سقفه السماء المرصعة بالنجوم، و حشوده من المصلين عبارة عن اتحاد من جمهوريات عديدة تضم مئات من ملايين السعداء؛" و يعلق ماكوجال على هذا الكلام بما يلي: ما أقوى تلك المادة و أجزها!.. فهذه الفقرات الموجزة لجون أوسوليفان استعاد فيها مبادئ التطهيريين و بين و جيفرسون، و شبّه أمريكا بالكنيسة الحق، و ألقى على عاتقها مهمة تقدمية تتعلق بالجنس البشري، و لمح إلى التوسعية و الأحادية و سريان نظام مونرو الأمريكي على نصف الكرة الغربي، و توج كل ما سبق بأن معبد سليمان هذا

459 - والتر ألان مكوجال، م س، ص93، 95.

460 - ن م، ص 119.

قدر له أن يشمل قارة بأكملها. و أخذاً بحقيقة أن العقد التالي أثبت أنه الأكثر توسعية في التاريخ الأمريكي، فلا عجب أن أوسوليفان حظي بشرف أنه المفسر الجازم لتقليد الساسة الخارجية، بنفس مستوى تكريم و تمجيد واشنطن و مونرو<sup>461</sup>.

و لقد اعتبر مواطنو الولايات المتحدة الأمريكية الحواجز و القيود على التوسع هجوماً على حريتهم، لا يمكن التسامح فيه، و قد أعطت التجارة زخماً قوياً للتوسع مع تضاعف السكان و الصادرات و الزراعة ثلاث مرات بين عامي 1815م و 1848م، و فتحت حرب الأفيون بين بريطانيا و الصين (1839-1842) أسواقاً جديدة في آسيا<sup>462</sup>.

و لقد حدد المؤرخ الأمريكي ألبرت كي. وينبرج ثمانية عوامل غذت إيديولوجية التوسع نوجزها فيما يلي:

العامل الأول: الحق الطبيعي. و الحقوق الطبيعية في اعتقاد الأمريكيين، مستمدة من القانون الطبيعي الذي أوحى به رب الطبيعة، فهم يعتقدون أن الرب رهن أمريكا الشمالية لتكون لهم أرض الميعاد.

العامل الثاني: الحتمية الجغرافية. فأمريكا القارة، هي امتداد طبيعي للولايات المتحدة الأمريكية.

العامل الثالث: النمو الطبيعي. و يطرح هذا المبرر عدة تساؤلات من قبيل : ماهي تلك الحدود الطبيعية للولايات المتحدة ؟ و أين هي النهاية التي سيتوقف عندها ضم الأراضي؟

العامل الرابع: قانون الجاذبية السياسية. و هو وصف آدمز بقوله: هناك قوانين للجاذبية السياسية كما للجاذبية الطبيعية، و تتبأ بأنه متى تحررت كوبا من إسبانيا، فإنها سوف تنجذب نحو اتحاد أمريكا الشمالية.

---

461 - ن م، ص 120.

462 - ن م، ص 122.

العامل الخامس: فضيلة الصناعة. و هي التي أعطت الولايات المتحدة تلك القوة الجاذبة، و هذه الفضيلة هي التي تجيب عن السؤال التالي: ما الذي صنعه الأمريكيون ليكسبوا معروف الطبيعة و معروف رب الطبيعة؟ و الجواب بالطبع هو فضيلة الصناعة.

العامل السادس: الحرية. فقد عد الأمريكيون توسعهم في القارة نشرا لمبادئ الحرية، و اعتبروا النمو الأمريكي بحكم الواقع، يعني مزيدا من الحرية، برغم من أن جلب الرقيق السود من إفريقيا يفضح هذا الزعم، إلا أن سياستهم التبريرية حاضرة دائما.

العامل السابع: المصير المبين. فقد كتب أوسوليفان : إن الوصف الحقيقي لأورجون يقع في "الحق المتعلق بمصيرنا المبين في أن ننتشر و نتملك كل القارة التي وهبتنا إياها العناية الإلهية لتطوير التجربة العظمى للحرية و الحكومة الذاتية الفيدرالية التي عهد إلينا بها".

العامل الثامن: تجديد الثقافات الأخرى. فالغزو ليس بهدف الاستعباد، و لكنه لمنح الحرية و إظهار التسامح و المساواة و حماية كل الأديان<sup>463</sup>.

و بالنسبة للمبدأ الخامس الذي ذكره ماكدوجال فهو الإمبريالية التقدمية، و يكفي للتدليل على علاقتها بالتدخل في الشؤون الداخلية للغير مسماها، فما إن حل عام 1898م حتى أصبحت الولايات المتحدة قوة استعمارية (غزو جزر الفيليبين، بورتوريكو، جويام، هاواي)، إذ صارت قوة عالمية في الجيل الذي تلا الحرب الأهلية، فعدد سكانها تزايد بأكثر من الضعف بفضل الهجرة (71 مليوناً في 1900) لتفوق أي أمة أوروبية فيما عدا روسيا، و نضجت الثورة الصناعية متجاوزة ما وصلت إليه أوروبا؛ كل ذلك أدى بالصناعيين و الممولين و السياسيين للبحث عن منافذ خارجية للطاقت و السلع الأمريكية، مما أغرى المؤرخين بالمقابل بترجمة الظم الإمبريالي في عام 1898 كبحث يتطلع في استئثار إلى حدود جديدة. كما كان للتغيرات الخارجية الأثر البارز في اختبار تقاليد السياسة الخارجية الأمريكية، فقد ركبت جل القوى الأوروبية و كذا اليابان موجة جديدة من الإمبريالية، فقسمت إفريقيا و قسما كبيرا من آسيا و المحيطات إلى مستعمرات و

محميات، و هكذا لم يترك التحول في سياسات العالم-الذي شكلته الإمبريالية- الأمريكيين إلا و قد ترك بصماته عليهم<sup>464</sup>.

و يتجلى التدخل في الشؤون الداخلية للدول أيضا، من خلال المبدأ السادس و هو مبدأ ويلسون من خلال مسماه أيضا و هو العالمية الليبرالية، و بمقتضى هذا المبدأ يحلو للأمريكيين أن ينظروا لبلادهم كمثل أعلى يُحتذى، و دولة صاحبة رسالة عالمية لتحضير (الحضارة) البشرية و تحريرها على النهج الأنجلوساكسوني<sup>465</sup>.

و لقد كانت البذرة الأولى للعالمية الليبرالية الويلسونية من خلال خطابه الشهير في ماي 1916م، و في إشارة إلى الحرب الأوروبية(العالمية الأولى) قال إنه ليس مهتما بأسبابها و أهدافها، و لكن برؤية السلام يأخذ شكل الدوام في إثرها، و هو من قاد الولايات المتحدة في الحرب التي وصفها بأنها حملة صليبية لجعل العالم سالما من أجل الديمقراطية. و قال: "إننا مشاركون- سواء أردنا أو لم نرد- في حياة العالم، و مصالح الأمم كلها هي مصالحنا أيضا؛ غير أن أمريكا قدر لها أن تذهب إلى ما هو أبعد من المشاركة، إلى القيادة في عالم يعتمد فيه السلام من الآن فصاعدا على دبلوماسية جديدة و صحيحة أكثر.. لذلك أعتقد بإخلاص في تلك الأشياء-التي أثق بأنني أُعبر عن عقل و أمل شعب أمريكا- عندما أقول إن الولايات المتحدة راغبة في أن تصبح شريكا في أي جمعية ممكنة للأمم تتشكل لتحقيق تلك الأهداف و جعلها آمنة من الانتهاك، و ليمنحنا الرب فجر ذلك اليوم الذي يتحقق فيه التعامل الصريح و السلام المستقر و التوافق و التعاون بحيث يكون في متناول اليد"<sup>466</sup>.

ثم إنه في سنة 1918م تجلت العالمية الليبرالية الأمريكية في خطاب ويلسون ذي النقاط الأربع عشر، حيث دعا فيه إلى السلام القائم على الدبلوماسية المفتوحة، و حرية البحار، و المساواة في حرية الوصول إلى المواد الخام(الباب المفتوح)، و خفض التسلح، و الحكم الاستعماري فقط لمصالح الشعوب الخاضعة(الإمبريالية التقدمية)، و تقرير

464 - ن م، ص-ص 151-158.

465 - مركز دراسات قناة النيل الثقافية، بنية العقل الأمريكي: دراسة في جذور و تكوين الوعي الأمريكي المعاصر، الطبعة(د)، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2003)، ص82.

466 - والتر ألان مكوجال، م س، ص 179، 180.

المصير (للأوروبيين)، وجمعية عامة للأمم لتأكيد الاستقلال السياسي، و احترام الحدود للدول العظمى و الصغرى كذلك<sup>467</sup>.

و الجدير بالملاحظة أن هذه الليبرالية العالمية لم تتحقق لأمریکا كما خططت لها إلا بدخولها الحرب العالمية الثانية، عقب ضرب ميناء بيرل هاربر في ديسمبر 1941م من طرف القوات اليابانية، و بانخراطها في أتون الحرب العالمية الثانية انتهت الانعزالية الأمريكية إلى غير رجعة، و انغمست بقوة في العالم، و صارت اللاعب الرئيس في معظم قضاياها، والسبب الرئيس في ذلك التأخر يعود إلى دخول أمريكا إلى انعزالية دولية نسبية، بعد رفض أعضاء مجلس الشيوخ الجمهوريون التصديق على معاهدة فرساي عقب الحرب العالمية الأولى.

كما يبرز التدخل في الشؤون الداخلية للدول أيضا، من خلال المبدأ السابع و هو مبدأ الاحتواء. و الاحتواء سياسة بلورها جورج ف كينان لمواجهة المد الشيوعي العالمي الآخذ في الظهور، و قد حظيت بإجماع أمريكي منقطع النظير.

فقد أدرك كينان الثمن الذي دفعه الحلفاء مقابل امتناعهم عن الرد على هتلر إبان الثلاثينيات، كما ارتاب في سياسة ستالين التوسعية، فأقنع الرئيس ترومان و مؤسسة السياسة الخارجية التابعة له بوجود طريق ثالث قابل للحياة بين الاسترضاء و الطموح الخيالي إلى تحقيق السيطرة الأمريكية على البيئة الأمنية العالمية. و شكل الاحتواء مبدأ معقدا اتخذ أشكالا متنوعة لم تحظ كلها بموافقة كينان. و قد شكل المشروع المركزي لسياسة الاحتواء مسعى إلى الأمن القومي لا يتطلب مواصلة للتفوق العسكري العالمي و لا صيانة له، و هو يستند إلى فهم خاص للمصالح الأمنية الأمريكية. ف" المطلوب ليس إعادة تركيب العالم على صورة الولايات المتحدة، بل الحفاظ على تنوعه و حسب في مواجهة إعادة تركيبه على صورة الآخرين"<sup>468</sup>.

---

467 - ن م، ص 180.

468 - إيان شابيرو، نظرية الاحتواء: ما وراء الحرب على الإرهاب، الطبعة الأولى (بيروت: شركة المطبوعات للنشر و التوزيع، 2012) ص 53،54.

و قد بنى كينان و غيره من مهندسي الاحتواء نظريتهم على إرث فكري مفاده، أنه على مدى قرون، و دون استثناء، كانت الإمبراطوريات التي تمددت بإفراط، تنهار حتمياً، لهذا اقتنع هؤلاء المهندسون بأن الاحتواء بتأن طويل و حازم، للميول التوسعية السوفيتية، سيكون في النهاية بانهييار السوفييت لأنهم سيفقدون القدرة على تحمل طموحاتهم الاستعمارية؛ و سيتفكك الاتحاد و ستساهم أمريكا في إحداث تصدعات في الدول الدائرة في الفلك السوفييتي، دون أن تتحمل أمريكا مسؤولية ذلك، و حينما يحصل الانفصال النهائي لن تكون أمريكا متورطة تورطاً مباشراً في مقارعة الهيبة السوفيتية<sup>469</sup>.

و هكذا بسياسة الاحتواء زمن الحرب الباردة، اضطرت الكثير من الدول المناهضة للمد الشيوعي العالمي للاحتواء بالمظلة الأمريكية، و استغلت أمريكا هذا الوضع لإملاء شروطها عليها، و التدخل في كثير من شؤونها و فرض سياستها عليها دونما حاجة لقوة السلاح و الجيش؛ و هذه السياسة هي المنتهجة مع كثير من دول العالم الإسلامي بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م للسيطرة على منابع الثروة أو محاصرة ما تسميه أمريكا إرهاباً، لكي تحقق الأهداف الإستراتيجية لحربها الحضارية على العالم الإسلامي.

و آخر و أخطر مبادئ ماكدوجال التي يبرز فيها تدخل أمريكا في الشؤون الداخلية للدول، هو المبدأ الثامن، و هو تحسين العالم. و فكرة تحسين العالم هي ببساطة التعبير الاجتماعي و الاقتصادي و السياسي و الثقافي أو الحضاري عن رسالة أمريكا لجعل العالم مكاناً أفضل، و قد تأسست على افتراض أن الولايات المتحدة يمكن و سوف و يجب أن تصل إلى جميع الأمم لمساعدتها لكي تشاركها الحلم الأمريكي<sup>470</sup>.

و تكمن خطورة هذا المبدأ في بعده الثقافي و الحضاري و الذي سبق تفصيله في مباحث سابقة من هذه الدراسة، و سيأتي بيان تفصيلات أخرى في مباحث لاحقة، و نبينه هاهنا من خلال الأفعال " يمكن و سوف و يجب"، فهي كما يقول ماكدوجال تلمح في المقابل إلى أن الافتراضات بأن النموذج الأمريكي صالح عالمياً، و أن الأخلاقية التي تفرض على الولايات المتحدة المساعدة، يحاكيها الآخرون، و أن التجربة الأمريكية ذاتها

469 - ن م، ص 55.

470 - والتر ألان مكوجال، م س، ص 248، 249.



في النهاية تعتمد على الأمم الأخرى الهاربة من المجاعة و القهر. و يتساءل ماكدوجال: متى بدأ الأمريكيون يتعرفون- وفق الاعتقاد- بأن لهم رسالة لتحويل المجتمعات الخارجية؟ و يجيب قائلاً: أعتقد أن ذلك كان في عام 1819م، عندما قرر المجلس الأمريكي للإرساليات الخارجية، تحويل جزر الساندوتش (هاواي) إلى الإنجيلية. هؤلاء الأبرشيون المخلصون أُرشدوا مرسلتهم " ألاّ يستهدفوا شيئاً " أقل من تغطية تلك الجزر بالحقول المثمرة و الآبار العذبة و المدارس و الكنائس، و الارتفاع بكل الناس إلى حالة صاعدة من الحضارة المسيحية، و أن يجعلوهم عارفين بالحرف و يعطوهم الكتاب المقدس و المهارة لقراءته، و يحولوهم من مجرياتهم و عاداتهم البربرية، و أن ينشروا بينهم الفنون و المؤسسات و عادات الحضارة و المجتمع<sup>471</sup>.

إنها المحاولة الدائبة لتحويل الثقافات الأجنبية و إخضاعها للنموذج الأنجلوساكسوني، لذا لم يكن مستغرباً أن فكرة براءة مثل تحسين العالم اتخذت غطاء للحرب الوحشية التي شنتها الولايات المتحدة في فيتنام. و يحلو للمنظرين الأمريكيين ضرب المثل بما حصل في ألمانيا و اليابان بعد احتلالهما عقب الحرب العالمية الثانية، و بمشروع مارشال الذي ساعد أوروبا على النهوض بعد دمار الحرب<sup>472</sup>.

و لكن السؤال الذي ينبغي طرحه هاهنا،- و نحن نتتبع سياسة التدخل الأمريكي في الشؤون الداخلية للدول، من خلال معظم المبادئ الأساسية التي حكمت السياسة الخارجية الأمريكية منذ إعلان الاستقلال- هو:

هل حققت هذه السياسة أغراضها و أهدافها التي كانت تصبو إليها، و بخاصة تحسين العالم، أو إعادة تشكيله و إجباره على التوافق مع نمط الحياة الأمريكية؟

و يجيبنا عن هذا السؤال الأستاذ فنسان الغريب في كتابه "مأزق الإمبراطورية الأمريكية" أن ليس ثمة إجماع لدى الخبراء و المفكرين حول رأي بعينه، سواء بالإثبات أو بالنفي، و سواء في الأوساط الأمريكية أو في الأوساط غير الأمريكية.

471 - ن م، ص 249، 250.

472 - مركز دراسات قناة النيل الثقافية، بنية العقل الأمريكي، م س، ص 86.

فالمثبتون لنجاح المشروع الأمريكي، يستندون لما تحقق لأمريكا في التسعينيات من القرن الماضي على مستويات كثيرة، ومنها الاقتصادي و السياسي و الثقافي الحضاري:

فعلى الصعيد الاقتصادي شهد الاقتصاد الأمريكي يقظة حقيقية أعادته إلى موقع الريادة في مجالات حيوية عدة(النمو، و التنافسية، و الانتاج).

و على الصعيد السياسي، شهدت أمريكا استعادة لزعامتها على العالم و تفردها به بشكل لا سابق له، و خاصة مع انهيار الاتحاد السوفيتي و حرب الخليج الثانية.

و على الصعيد الثقافي و الحضاري فتحت العولمة آفاقا جديدة للنموذج الأمريكي كي ينتشر بشكل أكبر، و كي تسيطر الشركات الأمريكية في مجالات المعلومات و الإعلام و الاتصال.

و قد استدل الأستاذ فنسان على هذا الرأي بمجموعة من الخبراء و الباحثين و أصحاب القرار، منهم أمريكيون و منهم غير أمريكيين<sup>473</sup>.

و أما النافون لنجاح سياسة التدخل الأمريكي في الشؤون الداخلية للدول في تحقيق أغراضها و أهدافها، و خاصة تحسين العالم، و إعادة تشكيله و إجباره على التوافق مع نمط الحياة الأمريكية ، فهم أيضا يستندون إلى مرتكزات اقتصادية وسياسية و ثقافية حضارية.

فبالنسبة للمركز الاقتصادي، يشير أصحاب هذا الرأي إلى أن هناك أزمة متعاطمة تصيب الاقتصاد الأمريكي، على الرغم من بقائه الاقتصاد الأقوى على الصعيد العالمي، إلا أن قوته هذه المستندة إلى الموقع المهيمن للدولار على مستوى العالم، و جذب الأسواق المالية الأمريكية للرساميل الخارجية، قد لا تحميه من مخاطر الأزمات البنوية التي يتعرض لها. فالاقتصاد الأمريكي يعاني من مشكلات خطيرة تتلخص في ثلاث عناصر رئيسية و هي المديونية العالية، و اختلال الميزان التجاري، و اختلال في الميزانية<sup>474</sup>.

473 - فنسان الغريب، مازق الإمبراطورية الأمريكية، الطبعة الأولى(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2008)، ص 53، 54.

474 - ن م، ص- ص 154- 176.

و يدعم هذا الرأي الأستاذ أندرو باسيفتش أستاذ التاريخ والعلاقات الدولية بجامعة بوسطن من خلال كتابه ذي الأهمية (حدود القوة.. نهاية الاستثنائية الأمريكية)، الذي ظهر في دور الكتب في أوت 2008، وقد تَقَصَّى فيه أبعاد الأزمات الثلاث الاقتصادية ، والسياسية، والعسكرية، التي تواجه الولايات المتحدة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، وقد قادت تلك الأزمات أمريكا منذ مطلع القرن الحادي والعشرين إلى حرب كونية افتقدت فيها وضوح الرؤية وأهدرت فيها - ومازالت - مصادر الثروة والقوة معا، وكشفت عن تواضع وحدود القوة الأمريكية في إعادة تشكيل العالم وإجباره على التوافق مع نمط الحياة الأمريكية<sup>475</sup>.

و يحلل باسيفتش أبعاد الأزمة الأمريكية وخاصة الاقتصادية ، و يرجعها إلى نمط الحياة الأمريكية، الذي جاء في ثلاثية توماس جيفرسون في وثيقة إعلان الاستقلال عام 1776، بعناصره: الولع بالحياة، والحرية الفردية، والسعي الدائم للسعادة، فقد ترجم الأمريكيون هذه العناصر إلى ممارسات وأخلاق قائمة على إمتاع الذات، وهي التي قادت إلى الثغرة الحادثة اليوم بين احتياجات الإمتاع الذاتي للشعب الأمريكي وبين قيود الموارد المتاحة لتأمينها ، وهو ما يمكن أن يوصف بدقة ، بأزمة الإسراف الأمريكية التي تدفع الولايات المتحدة دوما إلى التطلع خارج حدودها لتأمين الموارد الكفيلة بتحقيق ذلك النمط. و التاريخ الأمريكي كما وصفه الرئيس تيودور روزفلت عام 1899، "كان تاريخاً للتوسع" سعياً وراء سد تلك الثغرة . فالتوسع في نظر زعماء و قادة أمريكا، يأتي بالوفرة في المواد، والوفرة ستنجح للشعب ممارسة حريته. و لقد كانت ذروة العلاقة التبادلية بين التوسع وبين الوفرة والحرية في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، و هذا قاد أمريكا إلى الاعتماد المتصاعد على موارد الخارج، خاصة النفط، مما جعلها تتورط في كثير من دول العالم و منها دول العالم الإسلامي، و تعلن حرباً كونية مفتوحة بلا نهاية في أركان هذا العالم باسم محاربة الإرهاب<sup>476</sup>.

---

[http://bohothe.blogspot.com/2010/05/blog-post\\_20.html](http://bohothe.blogspot.com/2010/05/blog-post_20.html) - 475

[http://bohothe.blogspot.com/2010/05/blog-post\\_20.html](http://bohothe.blogspot.com/2010/05/blog-post_20.html) - 476

و قد كان من أثر هذه السياسة أن تم احتلال أفغانستان، لتف نضح بذلك أمريكا التي كانت تدعي دعم الأفغان للتححرر من الروس، ثم احتلال العراق في 2003 لمنع تكرار "الصدمات النفطية" وضمان تدفق دائم له، يؤمن مطالب الإسراف الأمريكي في الداخل. ثم جاء ركوب أمواج ما سمي بالربيع العربي، فتدخلت أمريكا بالحلف الأطلسي في ليبيا، و عملت على إذكاء نار الفتنة في اليمن و سوريا، و عملت على تأييد الانقلاب على الشرعية في مصر، و ساهمت قبل ذلك بفعالية في انشطار السودان إلى كيانين، كل ذلك في إطار مشروع أكثر طموحاً، هو إعادة تشكيل العالم الإسلامي أو على الأقل ما أصبحت تشير إليه الإدارة الأمريكية بالشرق الأوسط الكبير.

و أما بالنسبة للمركز السياسي، فيذهب أصحاب الرأي النافي لنجاح سياسة التدخل الأمريكي في الشؤون الداخلية للدول، إلى أنه على الرغم من أن أمريكا استعادت زعامتها على العالم و تفردت بالهيمنة عليه بشكل لا سابق له، إلا أن ذلك قد بني على مبادئ واهية لا يمكن أن تثبت مع الزمن، مثل مبدأ الإيمان بأولوية تحقيق المصلحة الأمريكية على حساب مصالح القوى الأخرى- و المصلحة هنا بحسب المفهوم الأمريكي تعني الانفرادية الاستعلائية بحجة أن ما هو صالح لأمريكا هو صالح لباقي العالم، و هذا مبدأ متهافت و هو محل تنازع مع القوى التي رفضته مثل روسيا و الصين و البرازيل و الهند و جنوب إفريقيا و التي اجتمعت في مجموعة (بريكس - BRICS)؛ و مبدأ بناء السياسة الخارجية على فكرة التدخلية الإجبارية التي تقوم على الإيمان بأن العالم الخارجي ليس سوى مجال حيوي وفناء خارجي للولايات المتحدة؛ والمبدأ الذي يتركز حول اعتماد منهج السيوالة أو عدم الاعتماد على شكل محدد و ثابت في التعاطي مع الآخر، و هذه المبادئ في غاية الضعف و التهافت<sup>477</sup>.

و أما المركز الثالث و هو الثقافي الحضاري، فعلى الرغم مما حققته العولمة من فتح آفاق جديدة للنموذج الأمريكي كي ينتشر بشكل أكبر، و كي تسيطر الشركات الأمريكية في مجالات المعلومات و الإعلام والاتصال، إلا أن الكراهية تجاه الأمريكيين (السياسة

---

477 - فنسان الغريب، مأزق الإمبراطورية الأمريكية، ص 188.

الأمريكية)<sup>478</sup> قد اتسع نطاقها ليس في العالم الإسلامي فحسب، بل في مناطق شاسعة من العالم، و هذا أكبر مؤشر على الإخفاق الأمريكي في نشر النموذج الأمريكي و عولمته، و هو أكبر دليل على فشل سياسة أو مبدأ تحسين العالم و جعله مكانا أفضل كما ادعت الولايات المتحدة. و بالنسبة للعالم العربي و الإسلامي كانت السياسة الأمريكية المنحازة للكيان الإسرائيلي منذ نشأته في 1948 أكبر عامل في تحول الانبهار العربي و الإسلامي بالحلم الأمريكي إلى رفض، ثم إلى كراهية و عدااء ثم تحول إلى فجوة و هوة واسعة و سحيقة يصعب ردمها أو مد جسور على حافتيها<sup>479</sup>.

---

478 - أندرو همند، كيف ينظر العرب لأمريكا؟ بحث في أسباب الكراهية، ترجمة مصطفى عبد الرزاق، الطبعة الأولى(القاهرة: مركز دراسات الإسلام و الغرب، 2011) ص123، 124، 250، 263، 302.

479 - أحمد يوسف أحمد و آخرون، صناعة الكراهية في العلاقات العربية-الأمريكية. م س، ص21، 22

## المطلب الخامس: إستراتيجية الأمن القومي-التواجد العسكري وسياسة الوصول

منذ ميلاد و نشأة الأمة الأمريكية، هناك علاقة جدلية وثيقة بين إستراتيجية حروب أمريكا الحضارية، و إستراتيجية أمنها القومي؛ لهذا ليس غريباً أن تُعدّ إستراتيجية الأمن القومي أهم أهداف إستراتيجية حروب أمريكا الحضارية، و أن تُعدّ إستراتيجية تلك الحروب أهم أهداف إستراتيجية الأمن القومي.

و لقد قامت المصلحة القومية العليا لأمريكا على مرتكزات ثلاثة و هي الإمكانيات والموارد الهائلة، و القيم والمعتقدات الإيديولوجية، و القوة. و قد أدى تحالف السياسة ورجال المال ورجال الدين إلى رسم الخلفية الفكرية الحاسمة للمصلحة القومية العليا للولايات المتحدة، التي أثرت بشكل مباشر على سياساتها الخارجية ودورها في العلاقات الدولية.

و تعكس الكثير من النصوص الواردة على لسان رجال الدين والسياسة والمال الرغبة الجامحة في الهيمنة الاقتصادية والعسكرية وحتى الدينية على العالم، فمهمة أمريكا بنظر مؤسسيها، هي أن تدل بقية العالم على طريق التوبة والتطهير الكبير، والإصلاح الاجتماعي، وتراكم الثروة بثتى الطرق. وعليه فان النظرة الأمريكية نظرة "رسالية" و "فوقية" تجاه العالم. و الرسالة الأمريكية هي مصلحتها القومية، وتحقيق المصلحة القومية إنما يحقق الرسالة الأمريكية القائمة على القيم والدين والقوة والتجارة؛ إنها استعادة للثلاثية الأوروبية: العسكري والتاجر والمبشر<sup>480</sup>.

و قد كانت الولايات المتحدة - منذ خطواتها الأولى نحو ال توسع الدولي - تعبيراً عن حالة قوة مطلعة ذات أبعاد إمبراطورية خارج لعبة التوازن الدولي، وهذا ما استقرت عليه - بشكل عام - رؤيتها للعالم على مدى قرنين تقريباً، و الإمبراطوريات - بحسب وزير الخارجية الأميركي الأسبق هنري كيسنجر - لا تهتم بأن تدير شئونها في إطار نظام دولي؛ لأنها تطمح إلى أن تكون هي ذاتها النظام الدولي. غير أن هذه الرؤية القيادية للعالم، لم يتم الإفصاح عنها بنبرة صريحة أو بلهجة شديدة، إلا بعد صدمة أحداث 11

480 - خليل حسين، الإستراتيجية الإمبراطورية في وثيقة الأمن القومي الأمريكي. في موقعه الخاص، انظر:

[http://drkhalilhusein.blogspot.com/2008/02/blog-post\\_1585.html](http://drkhalilhusein.blogspot.com/2008/02/blog-post_1585.html)

سبتمبر 2001م، حيث ظهرت دعوات صريحة لضبط العالم وتحكيم السيطرة عليه من أجل الحفاظ على أمن الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا يتطلب حسب رأي البعض أن تتحول أمريكا إلى قوة إمبراطورية. وفي هذا النطاق كتب ريتشارد هاس عضو المجلس القومي الأمريكي ومدير التخطيط السياسي بوزارة الخارجية الأمريكية، كتب دراسة في نوفمبر 2001م بعنوان ( أمريكا الإمبراطورية ) أشار فيها إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية لكي تتجح في هدفها بتحقيق السيطرة العالمية، سيكون من الضروري على الأمريكيين إعادة التفكير بدورهم ليس في إطار الدولة – الأمة بل في سياق قوة إمبراطورية<sup>481</sup>.

و لكي يشعر الأمريكيون بالخطر الخارجي، كون مصدره ليس فقط قوى كبرى، و إنما من دول ضعيفة(كدول العالم الإسلامي) و منظمات صغيرة و شبكات دينية متطرفة، و لكي يقتنعوا بضرورة التربع على عرش العالم، و استخدام القوة العسكرية باسم حماية مصالح الولايات المتحدة في البنية المتغيرة للسياسة العالمية، فقد تم تضمين هذه المخاطر في "وثيقة إستراتيجية الأمن القومي" الصادرة عام 2002 و التي جاء فيها: " إن الولايات المتحدة الآن ليست مهددة من قبل دول منتصرة و غازية بمقدار ما هي مهددة من جانب دول مفلسة و مخففة، لسنا مهددين بالأساطيل و الجيوش بمقدار ما نحن مهددون بواسطة تكنولوجيا كارثية تقع بأيدي حفنة من الساخطين"<sup>482</sup>.

و نظرا لارتباط مصير الأمم بأمنها القومي، فإن إستراتيجية الأمن القومي الأمريكي من الناحية الفعلية والعملية يشارك في صياغة وثيقة الأمن القومي العديد من فئات وشرائح المجتمع الأمريكي، بدءا من السلطتين التنفيذية والتشريعية مرورا بالفئات الأكاديمية والإعلامية، والمجمع الصناعي- العسكري وانتهاء بالنخبة الإستراتيجية. وهذا ما يعكس عمليا تجنيد طاقات وخبرات هائلة في رسم السياسات العامة الإستراتيجية التي تتطلب إحاطة شاملة لكافة المسائل، نظرا لتشابك وتوسع المصالح الأمريكية على الصعيد

---

481 - زكي الميلاد، نزعة الإمبراطورية.. أمريكا وبقية العالم. جريدة عكاظ - الأربعاء 2 شوال 1424 هـ / 26 نوفمبر 2003م، العدد 13605

482 - فنسان الغريب، مازق الإمبراطورية الأمريكية، م س، ص 252، 253.

العالمي<sup>483</sup>. يقول الأستاذ فنسان الغريب: " واشنطن ليست عبارة عن مجلس شيوخ و كونجرس و رئيس حكومة و أجهزة فيدرالية، بل شركات كبرى لها ممثلون في الكونجرس و الأجهزة الفيدرالية، و هي التي ترسم الخطط، ليس لسياسة خارجية للدولة، بل لسياسة ربحية لشركاتهم تقوم الدولة بتنفيذها. أما دور المحرك العقائدي في السياسة الخارجية الذي يكثر الحديث عنه اليوم تحت عنواني المحافظين الجدد و المسيحيين المتهودين فهو من ضرورات التوسع الإمبراطوري المتمثلة من جهة بتوفير التعبئة الروحية و المعنوية و الأكاديمية لقوى الدولة، و إيجاد غلاف عقائدي جذاب لرسالة الأمة من جهة ثانية"<sup>484</sup>.

وتظهر الصياغة الرسمية الأكثر تكاملاً ووضوحاً لإستراتيجية الأمن القومي الأمريكي في التقرير الذي يصدره البيت الأبيض كل خمس سنوات، وذلك بموجب القسم رقم 603 من قانون إعادة تنظيم وزارة الدفاع، المعروف بقانون جولد ووتر – نيكولز لعام 1986.

و من حيث المبدأ لا تختلف أهداف الأمن القومي الأمريكي عن الأهداف المماثلة لاستراتيجيات معظم دول العالم، لا سيما الكبرى منها، فهذه الاستراتيجيات تتركز في مجملها حول أهداف الأمن و الرفاهية و المكانة الإقليمية و الدولية، غير أن قدرات الدول على تحقيق تلك الأهداف تختلف حسب ما يتاح لها من الإمكانيات و القدرات الشاملة و الموارد القومية الحيوية. و في حالة الولايات المتحدة، تركز إستراتيجية الأمن القومي على كل ما من شأنه الحفاظ على مكانة الولايات المتحدة كقوة عظمى و حيدة في عالم ما بعد الحرب الباردة، من خلال التركيز على ثلاثة أهداف رئيسة تتمثل في:

1- الحفاظ على الأمن الداخلي والخارجي:

2- تحقيق الرفاهية الاقتصادية:

3- تشجيع الديمقراطية و حقوق الإنسان:

---

483 - خليل حسين، الإستراتيجية الإمبراطورية في وثيقة الأمن القومي الأمريكي. في موقعه الخاص،، م س انظر:

[http://drkhalilhussein.blogspot.com/2008/02/blog-post\\_1585.html](http://drkhalilhussein.blogspot.com/2008/02/blog-post_1585.html)

484 - فنسان الغريب، مأزق الإمبراطورية الأمريكية، م س، ص 250.



هذا و يمكن الإشارة إلى أن التهديدات التي رصدت في الإستراتيجية الأمريكية للأمن القومي بعد أحداث 11 سبتمبر 2001م هي إجمالاً على النحو التالي:

1\_ تهديدات من دول وأقاليم معادية: قد سمت الإدارة الأمريكية عدة بلدان تقع في هذا الإطار كالعراق وإيران وكوريا الشمالية.

2\_ التهديدات العابرة للقومية: وتنشأ من قوى تعمل عادة خارج نطاق الدولة القومية وتؤدي إلى الإضرار بالمصالح الأمريكية والمواطنين الأمريكيين داخل الولايات المتحدة وخارجها، و مثال ذلك الإرهاب والمخدرات والجريمة المنظمة وتجارة السلاح والرقيق والنساء والأطفال؛ كذلك التهديدات الموجهة إلى بنية الولايات المتحدة الأساسية والمعلوماتية من خلال التخريب الإلكتروني لنظم المعلومات والأنظمة المسيطرة عليها.

3\_ انتشار التكنولوجيات الخطرة ذات الاستخدامات العسكرية: مثل أسلحة الدمار الشامل، والتكنولوجيا العسكرية المتقدمة، وتسربها إلى الدول الأخرى ذات النوايا العدوانية، ومجموعات الإرهاب والجريمة المنظمة.

4\_ انهيار النظام في الدول:

فبرغم كل الجهود الدولية من المتوقع أن تتعرض بعض الدول لانهيار النظام العام فيها، مما يؤثر سلباً على أوضاعها الداخلية، ومن الممكن أن يكون لهذه الاضطرابات إذا حدثت امتدادات خارجية، الأمر الذي يهدد الأمن والسلم الإقليميين لبعض المناطق المفترضة أو المرشحة لهذه الانهيارات.

5\_ أعمال المخابرات المعادية: و بخاصة من الدول المنافسة كروسيا و الصين أو دول البريكس، أو دول معادية مثل كوريا و إيران

6\_ التهديدات البيئية والصحية: مثل مشكلة التلوث و الاحتباس الحراري و التصحر الأوبئة و الأمراض<sup>485</sup>.

---

485 - خليل حسين، الإستراتيجية الإمبراطورية في وثيقة الأمن القومي الأمريكي. في موقعه الخاص، انظر، م س:  
[http://drkhalilhusein.blogspot.com/2008/02/blog-post\\_1585.html](http://drkhalilhusein.blogspot.com/2008/02/blog-post_1585.html)

كما أنه ينبغي الإشارة إلى أن أزمة سبتمبر كان لها أيضا انعكاسات على أولويات الدفاع والأمن القومي، فقد أصبحت أمريكا تركز على دور القوات المسلحة كمرتكز بالغ الأهمية في إستراتيجية أمنها القومي، إلى جانب الوسائل الدبلوماسية والاقتصادية والعلمية والتكنولوجية والثقافية والتعليمية؛ وقد شهدت إستراتيجية الأمن القومي في ظل إدارة جورج بوش تحولات ذات شأن نذكر منها:

1- التركيز على زيادة القدرات العملياتية للقوات المسلحة.

2- التركيز على برنامج الدفاع الصاروخي.

3- إعطاء أهمية متميزة لمسرح العمليات في آسيا بسبب النفوذ المتزايد لكل من

الصين والهند.

4- تعديل السياسة النووية.

5- تعديل أسس بناء القوات المسلحة الأمريكية<sup>486</sup>.

و لقد كان نصيب العالم الإسلامي من إستراتيجية الأمن القومي بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر نصيبا عظيما، يكفي لذلك دليلا أن الحرب على الإرهاب قد أخذت الحظ الغالب من تلك الإستراتيجية، و معلوم أن تلك الحرب لم تكن إلا غطاء للحرب على الإسلام و على العالم الإسلامي<sup>487</sup>، فقد رأى المحافظون الجدد القادمين مع جورج و لكر بوش، و الذين كانوا قد وضعوا خططهم التوسعية منذ تسعينيات القرن العشرين، أن الأوان قد حان، في ظل ظروف دولية متغيرة أحدثها الفراغ الناشئ عن انهيار الاتحاد السوفيتي، للبدء بالتمدد خارجيا في المناطق ذات الأهمية الإستراتيجية بالنسبة إلى المصالح الأمريكية في العالم، بدءا بالشرق الأوسط الموسع حيث يوجد أكبر مخزون احتياطي للنفط في العالم، من خلال خلق عدو جديد سمي بالإرهاب الإسلامي المههد -بزعمهم- للمصالح الأمريكية للعالم<sup>488</sup>.

486 - خليل حسين، الإستراتيجية الإمبراطورية في وثيقة الأمن القومي الأمريكي. في موقعه الخاص، انظر، م س:

[http://drkhaliilhussein.blogspot.com/2008/02/blog-post\\_1585.html](http://drkhaliilhussein.blogspot.com/2008/02/blog-post_1585.html)

487 - ديفيد راي جيرفين، بيتر ديل سكوت. الحادي عشر من سبتمبر و الإمبراطورية الأمريكية- المفكرون يتحدثون،

ج 1، الطبعة الأولى (القاهرة: نهضة مصر للطباعة، 2008)، ص 151.

488 - فنسان الغريب، مأزق الإمبراطورية الأمريكية، م س، ص 88.

و في الحقيقة فإن مشروع احتلال مناطق النفط يعود إلى أزمة 1973م، و قد تجسد لإستراتيجية على يد كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية الأسبق والمنظر للسياسة الخارجية الأمريكية، وقد ترجمت عبر مذكرة الأمن القومي 200 لعام 1974 وصدقها الكونغرس الأمريكي عام 1975، وقد نصت على ضرورة احتلال منابع النفط في الخليج، ومنع العرب من استخدام النفط كعنصر تأثير في السياسة الدولية، والعمل على فرض سيطرتها العسكرية والسياسية على كامل منابع النفط في المنطقة العربية، وجرى تقرب انسيابي، وعبر ثلاث فترات زمنية قيمتها الزمنية عقد من الزمان وطبقت عبر ثلاث عقود من وقت المصادقة في الكونغرس، وقد كثفت الولايات المتحدة الأمريكية من تواجدها العسكري بشكل غير مسبوق معلنة إستراتيجيتها أن الخليج (منطقة المصالح الحيوية الأمريكية) ونقطة انطلاق هامة للصراع ضد الاتحاد السوفيتي وتشير المخططات الأمريكية فيما يخص سياسة التواجد العسكري ضمن سياسة الوصول كانت كما يلي:

المرحلة الأولى - حرب الخليج الأولى.

المرحلة الثانية - حرب الخليج الثانية.

المرحلة الثالثة - حرب غزو العراق<sup>489</sup>.

و في سبيل مواجهة هذا العدو "الإرهاب الإسلامي" الذي اتخذته أمريكا ذريعة للرد على العدوان عليها في أحداث 11 سبتمبر 2001م، و جعلت منه محركاً لإستراتيجية أمنها القومي، شرعت أمريكا في غزو العالم الإسلامي بدءاً من احتلال أفغانستان، ثم راحت تتشر قواتها في مناطق مختلفة من العالم في موازاة الحرب على أفغانستان، فأدخلت قواتها إلى باكستان وآسيا الوسطى، تحت عنوان ملاحقة قواعد "القاعدة" ومقاتليها أينما كانوا، ولما أنجزت الترتيبات أصبح عنوان الانتشار رسمياً "مهمات تدريب" لإعداد قوات

---

489 - مهند العزاوي، إستراتيجية التواجد العسكري الأمريكي سياسة الخنق والقضم. انظر: انظر موقع اللجنة العربية لحقوق الإنسان: <http://www.achr.eu/art460.htm>

لمكافحة الإرهاب، فانتشرت قواتها من الفيليبين إلى كولومبيا ومن جورجيا إلى اليمن، ومعها تدفق المال والأسلحة في كل اتجاه لتثبيت قواعد جديدة في العالم<sup>490</sup>.

و هكذا انكشف الأمر، و هو أن مكافحة الإرهاب لم يكن غاية، بل وسيلة لترسيخ السيطرة على العالم بتطويق قوى كبرى وإقليمية للتحكم بمصادر الطاقة . و لإكمال مشروعها في العالم الإسلامي، عملت أمريكا على إضعاف الحكومات المركزية التي يمكن أن تعمل على تحقيق مصالح روسيا و الصين و الدول المنافسة الأخرى، و كذا تجزئة القرار الوطني، و بعثرة مراكز القوى، و محاولة خلق دويلات جديدة، كل ذلك من أجل ألا تتفرد قوة أو أكثر بالقرار؛ و خير مثال على ذلك إسقاط النظام العراقي الذي كان يتمتع بمركزية القرار على الصعيد الداخلي، و بقوة عسكرية مهمة، و كان يسعى نحو تحقيق المصالح النفطية الروسية و الصينية على حساب المصلحة الأمريكية، إضافة إلى قرار بيع النفط باليورو بدل الدولار<sup>491</sup>.

و لقد كانت عبارة "الحرب على الإرهاب" الأكثر قبولا وربما الألف لمد الهيمنة الأميركية على العالم وتمدها إن بنشر أساطيلها أو حاملات طائراتها أو إقامة قواعد عسكرية جديدة أو نشر جنودها "خدمة" للدول المضيفة.

---

490 - خليل حسين، الإستراتيجية الإمبراطورية في وثيقة الأمن القومي الأمريكي. في موقعه الخاص، م س:

[http://drkhalilhussein.blogspot.com/2008/02/blog-post\\_1585.html](http://drkhalilhussein.blogspot.com/2008/02/blog-post_1585.html)

491 - فنسان الغريب، مأزق الإمبراطورية الأمريكية، م س، ص 275.

# الفصل الثالث

## ماهية الإعلام الأمريكي

المبحث الأول: فلسفة الإعلام

الأمريكي و أسسه

المبحث الثاني: طبيعة الإعلام

الأمريكي وخصائصه

## تمهيد

إن الغاية من هذا الفصل هو محاولة بيان أن الإعلام الأمريكي من حيث فلسفته و أسسه، و كذا طبيعته و خصائصه ، هو نتاج طبيعي للبنية الثقافية و الحضارية و الاجتماعية للمجتمع الأمريكي منذ تأسيسه، لهذا تناول هذا الفصل من خلال مبحثه الأول " فلسفة الإعلام الأمريكي و أسسه"، و بيّن أن تلك الأسس التي قام عليها ذلك الإعلام و تأسست عليه فلسفته، هي نابعة من أصول العقل الأمريكي نفسه و تطبيقاته، و تناول من خلال مبحثه الثاني " طبيعة الإعلام الأمريكي و خصائصه"، و ذلك انطلاقاً من البدايات الأولى لاستقلال الولايات المتحدة و التي اتسم فيه الإعلام بالخضوع شبه التام للحكومة و الشركات الاقتصادية، و خدمة الأقلية بدل خدمة المجتمع، و الانطباع بالانحياز و غياب المصداقية و الموضوعية، و استعماله سلاحاً في الحروب الثقافية و الحضارية، و تهريب و تهميش المعارضين و المخالفين في الداخل و الخارج، و بيان ذلك كما يلي:

# المبحث الأول

## فلسفة الإعلام الأمريكي و أسسه

المطلب الأول : التسخير لخدمة مصالح الأقوياء

المطلب الثاني: تقديس القوة و العنف

و الإرهاب و الصراع

المطلب الثالث: تمجيد الملكية الخاصة

و المتعة و الاستهلاك

المطلب الرابع: تقديس الذات و رفض الآخر

المطلب الخامس: التحرر من الأخلاق و القيم

إن الكشف عن الأسس التي يقوم عليها الإعلام الأمريكي و الوقوف عليها، كفيل بالإجابة على أسئلة جوهرية كثيرة حول ماهية هذا الإعلام، من حيث فلسفته، و طبيعته و خصائصه، كما أن هذا الكشف يعد من الأدوات الفعالة في تفسير مظاهر السلوك و السياسات الإعلامية الأمريكية في الماضي و الحاضر و المستقبل.

و إذا كانت الظاهرة الإعلامية تصنف في السلوك الاجتماعي، فإن إدراك كنهها و سبر أغوارها يقتضي الرجوع إلى أصولها العقدية و الفكرية و الإيديولوجية في المجتمع الذي نشأت فيه، إذ القاعدة أن أي سلوك مصدره المعتقدات و الأفكار، و من هنا لكي نستخلص أسس الإعلام الأمريكي، باعتبار الإعلام سلوكاً، فإنه وجب الانطلاق من الأصول العقدية و الفكرية للعقل الأمريكي.

و لقد عالج المفكر التربوي الأردني ماجد عرسان الكيلاني<sup>492</sup> تلك الأصول في كتاب له بعنوان (أصول العقل الأمريكي وتطبيقاته الاقتصادية والسياسية)، و فيه تناول المقصود بأصول العقل الأمريكي بأنها المنطلقات والمنابع التي ينطلق منها هذا العقل ويبدأ عمله ، أما التطبيقات فهي المسارات التي يتخذها ، والممارسات التي يقترفها في ميادين الحياة المختلفة، ثم بيّن أن الوقوف على هذين الأمرين أمر في غاية الأهمية، لأنه يساعد على تفسير مظاهر السلوك والسياسات الأمريكية في الماضي والحاضر، والتنبؤ بما سيصدر عنها من ممارسات فردية وسياسات جماعية في المستقبل<sup>493</sup>.

وقد صنف الكيلاني تلك الأصول إلى خمسة، و هي على النحو التالي:

---

492 - (1932 - 2015) مفكر ومؤرخ وتربوي من الأردن. حاصل على شهادة ماجستير في التاريخ الإسلامي من الجامعة الأمريكية في بيروت، وشهادة ماجستير في التربية من الجامعة الأردنية، وشهادة دكتوراه في التربية من جامعة بتسبرغ في بنسلفانيا في الولايات المتحدة الأمريكية من أعماله : - هكذا ظهر جيل صلاح الدين و هكذا عادت القدس- تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية - الفكر التربوي عند ابن تيمية - أهداف التربية الإسلامية - مقومات الشخصية المسلمة - الأمة المسلمة- فلسفة التربية الإسلامية- الخطر الصهيوني على العالم الإسلامي - صناعة القرار الأمريكي - الدور اليهودي في التربية المعاصرة. انظر: الدكتور ماجد عرسان الكيلاني/ <http://mawdoo3.com/>

493 - انظر ماجد عرسان الكيلاني، أصول العقل الأمريكي وتطبيقاته الاقتصادية والسياسية، الطبعة (د)، (الأردن عمان: دار الفرقان، 2005) كتيب اليكتروني على النت، على موقع:

<http://maaon.blogspot.com/2010/09/blog-post.html>



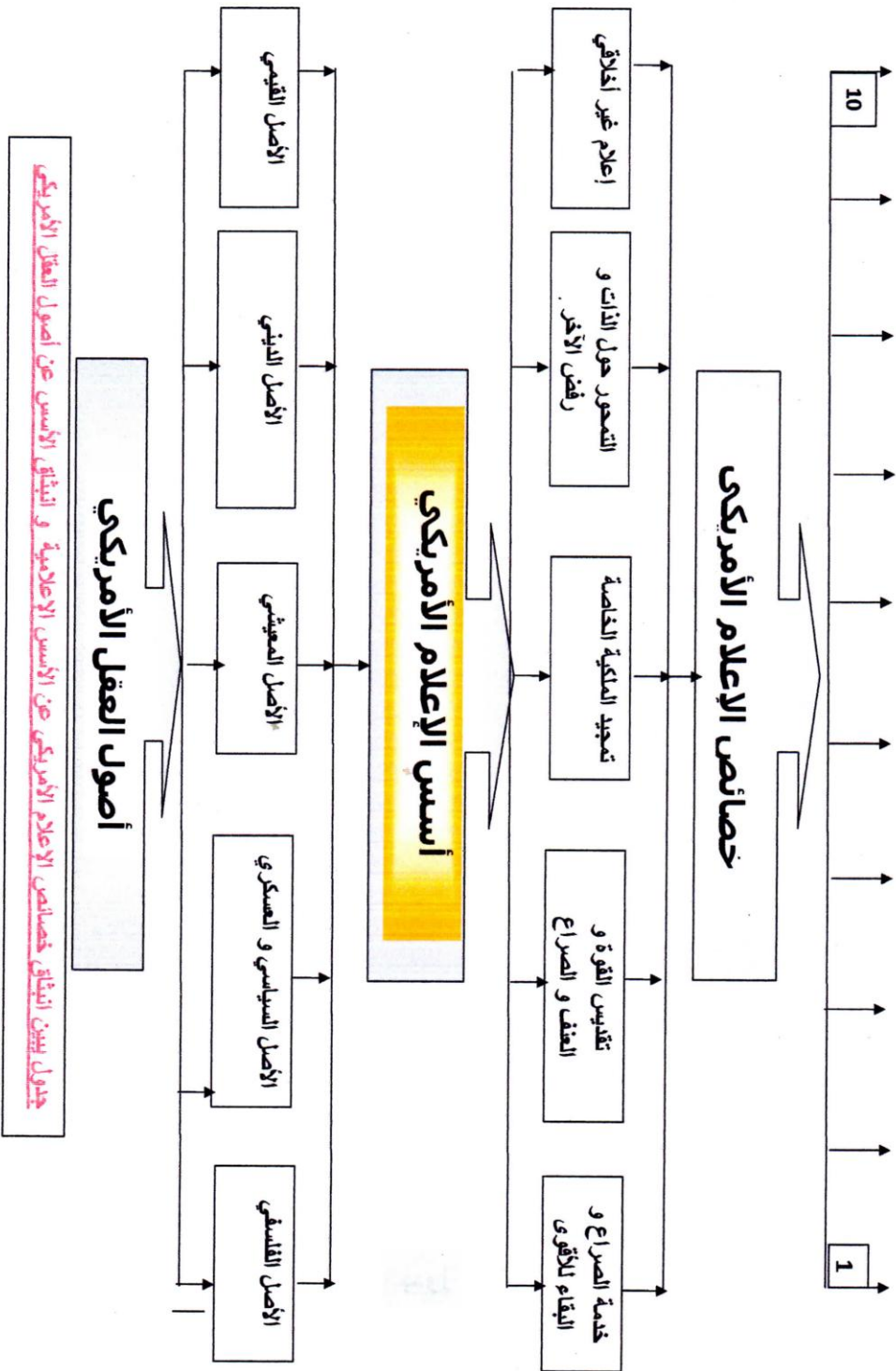
أولاً: الأصل الفلسفي وتطبيقاته. و خلاصته أن العقل الأمريكي تأرجح في تصوره لعلاقة الإنسان بالإنسان بين (علاقة الصراع والبقاء للأقوى) و (علاقة المصالح المتبادلة).  
ثانياً: الأصل السياسي والعسكري. و جوهره يتمثل في تقديس العقل الأمريكي للقوة و العنف و الإرهاب و الصراع.

ثالثاً: الأصل المعيشي أو مفهوم الحياة: و يتمحور حول تمجيد العقل الأمريكي للملكية الخاصة والمتعة و الاستهلاك.

رابعاً: الأصل الديني: و يدور حول تقديس العقل الأمريكي للذات و رفض الآخر.

خامساً: أصل القيم: و ركيزته هي تحرير العقل الأمريكي من الأخلاق و القيم.

و لقد انطبع الإعلام الأمريكي كغيره من المسارات و الممارسات المقترفة في ميادين الحياة المختلفة بتلك الأصول العقلية، فصارت له بمثابة الأسس، و صار كل أصل من تلك الأصول الخمسة، له مخرجاته في ميدان الإعلام؛ فانطبع الأصل الفلسفي للعقل الأمريكي على الإعلام فأصبح هذا الأخير م تأرجحاً في تصوره لعلاقة الإنسان بالإنسان بين (علاقة الصراع والبقاء للأقوى) و (علاقة المصالح المتبادلة)؛ و انطبع الأصل السياسي و العسكري للعقل الأمريكي على الإعلام فأضحى يُقدس القوة و العنف و الإرهاب و الصراع؛ و انطبع الأصل المعيشي أو مفهوم الحياة في العقل الأمريكي على الإعلام فغدا يُجدد الملكية الخاصة والمتعة و الاستهلاك؛ و انطبع الأصل الديني للعقل الأمريكي على الإعلام فأسمى يدور حول تقديس الذات و رفض الآخر؛ و انطبع أصل القيم في العقل الأمريكي على الإعلام فبات متحرراً من الأخلاق و الفضائل و القيم. و من هنا يمكن القول، أن أسس الإعلام الأمريكي قد انبثقت و نبعت من أصول العقل الأمريكي نفسه (انظر الجدول المرفق أدناه)، و نبرز هذه الأسس فيما يلي:



## المطلب الأول:التسخير لخدمة مصالح الأقوياء

خلص المفكر الكيلاني في دراسته عن أصول العقل الأمريكي إلى أن العقل الأمريكي يتأرجح في تصوره لعلاقة الإنسان بالإنسان بين حدين اثنين: حد أدنى، وحد أعلى، وتشكل علاقة (الصراع والبقاء للأقوى) الحد الأدنى، وهي علاقة يمارسها الأمريكي في الظروف العادية وتشتد حدتها في حالات العداة والشحناء؛ بينما تشكل (علاقة المصالح المتبادلة) الحد الأعلى، وهي علاقة هشة ضعيفة، موقوتة، يضطر إليها الأمريكي في حالات العجز عن حسم الصراع لصالحه، ويطلبها بطلاء الغيرة على حقوق الإنسان والمساواة، ممتطيا صهوة الإعلام، متحيا الفرصة السانحة لاستئناف علاقة الصراع و العنف و الحرب من أجل الهيمنة على الغير. و تعود جذور هذه العلاقة ( الصراع والبقاء للأقوى) في العقل الأمريكي إلى كل من التراث اليوناني و الروماني، و الفكر اليهودي و المسيحي المحرفين، و إلى نظريات الاستعمار، التي شكلت المجتمعات الأوروبية، و انتقلت إلى غزاة أمريكا، و التي اشتدت و تجذرت في العقل الأمريكي بظهور الدارونية البيولوجية، و الدارونية الاجتماعية<sup>494</sup>.

و لقد تدعمت الدارونية كمذهب سائد في العقلية الأمريكية مع بروز المذهب البرجماتي على يد جون ديوي<sup>495</sup>، و في هذا يقول ريتشارد هوفز تادتر<sup>496</sup>: "إن الصلة بين البرجماتية عند جون ديوي- أبرز فلاسفة البرجماتية - وبين تطور الكائنات الحية عند دارون صلة قوية، ذلك أن ديوي قال: إن العقل أو الفكر هو أداة التطور في العالم،

**494 -** أي نظرية دارون Darwin في أصل الأحياء، ويمكن القول أن لفلسفة الفكر الأمريكي الدور الأكبر في بلورة هذه العلاقة التي تعد الإنسان لدخول معترك ما أسموه بـ (الدارونية الاجتماعية Social Darwinism). إعادة صياغة الدارونية الاجتماعية نظرية اجتماعية تقوم على أفكار تشارلز داروين في تحقيق التطور عن طريق الاصطفاء الطبيعي وتطبيقها على حقل علم الاجتماع. فحسبها الاصطفاء الطبيعي لا يفسر تطور الأحياء البيولوجية فقط، بل يمكن تطبيقه لفهم تطورات وتغيرات التجمعات الاجتماعية البشرية. دارونية اجتماعية <http://www.marefa.org/index.php>

**495 -** جون ديوي 1859 - 1952 ( John Dewey ) هو مربي وفيلسوف وعالم نفس أمريكي وزعيم من زعماء الفلسفة البراغماتية ويعتبر من أوائل المؤسسين لها. ويقال انه هو من أطال عمر هذه الفلسفة واستطاع ان يستخدم بلياقة كلمتين قريبتين من الشعب الأمريكي هما "العلم" و "الديمقراطية". تلقى تعليمه في جامعة فيرمونت ثم انتقل إلى جامعة جون هوبكنز فحصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة عام 1884. وفي عام 1894 انتقل ديوي إلى جامعة شيكاغو التي كانت قد تأسست وقتئذ وعين فيها رئيسا لقسم الفلسفة وعلم النفس والتربية. <http://dewey.pragmatism.org/>

**496 -** Richard Hofstadter (1916-1970) مؤرخ و مفكر أمريكي من أعماله الأكثر أهمية: الدارونية الاجتماعية في الفكر الأمريكي، 1860-1915 (1944)؛ التقليد السياسي الأمريكي (1948)؛ عصر الإصلاح (1955)؛ المناهضة للفكر، في الحياة الأمريكية (1963).

<https://www.britannica.com/biography/Richard-Hofstadter>

وهو عملية بيولوجية تحدث داخل الطبيعة - ولا تأتي من خارجها - وهدفها تطوير البيئة لتأمين بقاء الإنسان وتوفير الكفايات الاستهلاكية، و من هذا المفهوم يجب أن تستمد المفاهيم الدينية والأخلاقية محتوياتها وتكسب قيمتها"<sup>497</sup>.

كذلك ناقش جون ديوي أفكار لاستروارد<sup>498</sup> و أفكار بنيامين كد<sup>499</sup>، واتفق معهما في الأهداف التي تقرر أن التقدم يحدث من خلال الصراع والحروب، وأضاف أن للفكر دوره في عملية الصراع والحروب من أجل البقاء والاستمتاع، وبدون الفكر تبقى عملية الصراع مستمرة ولا تصل إلى أهدافها.

ولقد تبني فلاسفة البراجماتية هذه الآراء وترجموها إلى مؤسسات ومناهج وبرامج تربوية في مختلف الميادين كالتعليم والإعلام والسياسة والاجتماع والاقتصاد وغيرها، أفرزت إنساناً يؤمن ويعيش من أجل الصراع والبقاء.

و هكذا تضافرت الفلسفات التربوية وتطبيقاتها مع فلسفة دارونية الاجتماعية في أمريكا، وصار عملها إعداد الأفراد لعملية الصراع وانتصار الأقوى. ولقد انتقلت هذه المفاهيم من النظرية إلى التطبيق، في ساحات الحضارة الغربية كلها، في أوروبا وأمريكا، بل و منذ انفجار ظاهرة العولمة، تسعى أمريكا وحلفاؤها سعياً حثيثاً لعولمة هذه المفاهيم لتشمل كافة الشعوب والحضارات<sup>500</sup>.

و في عملية التآرجح بين هذين الحدين، لا يعدو الإعلام الأمريكي إلا أن يكون ظلاً تابعا لهذا التصور في العلاقات الدولية والحضاراتية، و الأمثلة على ذلك كثيرة جداً،

---

**497 -** ماجد عرسان الكيلاني، أصول العقل الأمريكي وتطبيقاته الاقتصادية والسياسية، الطبعة (د)، (الأردن عمان: دار الفرقان، 2005) كتيب اليكتروني على النت.

**498 -** Lester Ward عالم أميركي في علم النبات والحفريات، و علم الاجتماع (1841-1913). شغل منصب أول رئيس للجمعية الأميركية لعلم الاجتماع. كان من الرواد الذين روجوا إدخال دورات علم الاجتماع في التعليم العالي في الولايات المتحدة. وأكد وارد على أهمية القوى الاجتماعية لتحقيق التقدم الواعي.

<https://www.britannica.com/biography/Lester-Frank-Ward>

**499 -** Benjamin Kidd عالم اجتماع بريطاني. (1858-1916) لم يكن مشهوراً حتى نشر مقالة بعنوان التطور الاجتماعي سنة 1894 طبعت مرات كثيرة و ترجمت للغات عالمية كثيرة منها العربية سنة 1913. انتقد نظريات كلا من هربرت سبنسر و كارل ماركس و اعتبر أن استمرار الصراع هو شرط أساسي لأي كائن إلى التطور بدلاً من تفسير دارون بتأثير الانتقاء الطبيعي. و يرى في المسيحية عاملاً رئيسياً في نجاح العالم الغربي.

<http://www.cambridge.org/dz/academic/subjects/philosophy/political-philosophy/benjamin-kidd-portrait-social-darwinist?format=PB&isbn=9780521107358>

**500 -** ماجد عرسان الكيلاني، أصول العقل الأمريكي وتطبيقاته الاقتصادية والسياسية، م س.

نكتفي بما له علاقة بموضوع الدراسة و هو الحرب الحضارية الأمريكية على العالم الإسلامي، فقبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م، كان الإعلام الأمريكي يصور إيران و العراق و أفغانستان كأكبر أعداء أمريكا في العالم الإسلامي، وما إن أتاحت فرصة الغزو تحت ذريعة محاربة الإرهاب، حتى تم غزو أفغانستان ثم العراق، لتتجلى العلاقة في حدها الأدنى، وهي علاقة الصراع، و التي تبين أنها علاقة دائمة و رئيسية و إستراتيجية في العقل الأمريكي؛ في حين تم التعامل سياسيا و إعلاميا مع إيران بالأسلوب الناعم الذي يمثل العلاقة في حدها الأعلى، و هي علاقة المصالح المتبادلة و التي لا تقيمها أمريكا إلا اضطرارا، و هي علاقة مؤقتة تلجا إليها اضطرارا في حالات العجز عن حسم الصراع بالقوة الخشنة حتى تسنح لها الظروف لتعود لطبيعتها الغالبة.

بل إن علاقة المصالح المتبادلة ألجأت أمريكا إلى نوع من التحالف مع إيران في غزو العراق و احتلاله، مستغلة بذلك عداوة سياسية و مذهبية و طائفية بين بلدين مسلمين، مستفيدة بذلك من إستراتيجية الاحتواء<sup>501</sup> التي تدخل ضمن الأساليب الناعمة في التعامل مع الخصوم.

كما تتجلى علاقة المصالح المتبادلة، أو العلاقة في حدها الأعلى سياسيا و إعلاميا، في العلاقة مع القوى الكبرى المنافسة للولايات المتحدة، مثل الصين و روسيا و الهند و اليابان و أوروبا، و هي التي تشكل أخطارا حقيقية ضدها، و السبب في ذلك كما سبق بيانه يكمن في العجز عن حسم الصراع بالقوة، مما يحملها على التعامل الناعم معها<sup>502</sup>.

---

**501 -** "سياسة الاحتواء" أو نظرية الاحتواء Theory of Containment هي مفهوم من مفاهيم الحرب الباردة، كان قد صاغه وبلوره، المؤرخ والدبلوماسي "جورج كينان"، المتخصص في الشؤون السوفيتية و نفذتها حكومة الرئيس هاري ترومان في أواخر عقد الأربعينيات، في مقال شهير له نشر بمجلة "الشؤون الدولية" تحت عنوان "مصادر السلوك السوفيتي" تعد هذه النظرية من النظريات الأولى لإستراتيجية الأمريكية في عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية ، و تعني في نظر صاحبها التعهد الشامل لمقاومة الشيوعية أنى وجدت و يراها العالم الاشتراكي مخططا لسيطرة العالمية أعدته الامبريالية الأمريكية و تفويضا من النظام الذي انبثق عن الحرب العالمية الثانية الذي يقوم على توازن في العالمي ن الرأسمالي و الاشتراكي و نيزهما للحرب و تأكيدهما على مبادئ التعايش السلمي. و جاء تعبير الاحتواء لأول مرة في مقالة كتبها جورج كيان في مقالة نشرت في مجلة الشؤون الخارجية foreign affairs لسنة 1947 و جاءت في وقت حل التوتر في العلاقات الأمريكية السوفيتية محل التحالف ، فكانت الحاجة لإعادة تقويم السياسية التي يجب على الولايات المتحدة الأمريكية إتباعها إزاء الاتحاد السوفيتي سابقا. انظر:

<http://www.libya-watanona.com/adab/mberween/mb22089a.htm>

**502 -** يحي الجياوي، القوة الناعمة؛ أو في التظاهرات الجديدة للتسلط . مجلة المستقبل العربي، العدد 369، نوفمبر 2009، ص 29. انظر موقع مجلة المستقبل العربي:

[http://www.caus.org.lb/Home/electronic\\_magazine.php?emagID=159&screen=11](http://www.caus.org.lb/Home/electronic_magazine.php?emagID=159&screen=11)

و الحقيقة إن المزوجة بين التعامل الحاسم و التعامل الناعم أسلوب قديم في السياسة الأمريكية، فلطالما كانت الرسالة الأمريكية إنما هي في المحصلة رسالة مصلحتها القومية، و هي تتحقق بالدين و بالقيم و بالقوة و بالتجارة، و هي صورة طبق الأصل للثلاثية الأوروبية (العسكري و التاجر و المبشر)<sup>503</sup>. و لقد زادت قناعة الولايات المتحدة منذ منتصف القرن الماضي، و خاصة مع اندلاع الحرب الباردة، "أن القوة الخالصة وحدها غير كافية لبناء الإمبراطورية، أو ضمان هيمنتها أو سيطرتها على العالم، فهي بحاجة إلى قوة ناعمة تبررها و تمهد لها و تفسح لها في المجال، إذا لم يكن لتطويع العالم و دفعه إلى القبول بالقيم الأمريكية فعلى الأقل لضمان عدم مناهضته لهذه القيم أو السير على النقيض من الدافعين بها"<sup>504</sup>.

و لقد اعتمدت السياسة الأمريكية اعتمادا كبيرا على الإعلام في تحريك و تبرير و تزيين هذا التآرجح بين حدي العلاقة المذكورة (علاقة الصراع و البقاء للأقوى و علاقة المصالح المتبادلة)، معتمدة في ذلك على ما رست عليه النظريات العلمية في العلوم الإنسانية و الاجتماعية عامة، و في ميداني العلوم السياسية و علوم الإعلام و الاتصال خاصة، و من ذلك نظريات تأثير وسائل الإعلام، و على رأسها نظرية التأثير المعتدل لوسائل الاتصال الجماهيرية<sup>505</sup>، و التي تتكون من عدة نماذج فرعية، مثل مدخل ترتيب الأولويات أو الأجندة، و مدخل التنقيف أو الغرس الثقافي، و مدخل الاعتماد على وسائل الاتصال.

و تشترك النماذج المنفرعة عن نظرية التأثير المعتدل في قدرة وسائل الإعلام على تشكيل المعاني و المعتقدات و الصور الرمزية، و على توجيه الرأي العام، و التأثير على المدى الطويل في تشكيل اهتماماته حول قضية ما من القضايا الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية، و ذلك من خلال التركيز عليها في هذه الوسائل حتى تستحوذ على اهتماماته و انتباهه، و الخطير أن النموذج الثالث و هو مدخل الاعتماد على وسائل الاتصال، يتناول

---

503 - ن م، ص30.

504 - ن م، ص30.

505 - هي نظرية لا تتبالغ في تصوير قوة وسائل الاتصال الذي اعتمده نظرية التأثير القوي ، ولا تقلل من شأن هذه القوة أو تنفيها كما فعلت نظرية التأثير المحدود، انظر: حلمي خضر ساري. صناعة الخوف في المؤسسة الإعلامية - الحرب على العراق نموذجا. في: <http://www.etudiant-dz.com/vb/showthread.php?t=39151>

وسائل الاتصال باعتبارها أنظمة اجتماعية (Social Systems)، ذات طبيعة تفاعلية مع الأنظمة الأخرى، الموجودة في المجتمع (كالنظام الاقتصادي والسياسي)<sup>506</sup>.

و هنا ينظر إلى العلاقة التفاعلية بين هذه الأنظمة، ففيما يتصل بعلاقة النظام السياسي بالمؤسسة الإعلامية، فهو في الواقع، يلجأ إليها لتساعده في نشر سلطته، وفرض هيمنته، والترويج لأفكاره ومبادئه في المجتمع؛ في حين نجد أن النظام الاقتصادي يلجأ إليها لدوافع أخرى تكمن في قدرتها على الترويج لمشاريعه الضخمة والإعلان عنها. ولا توجد مؤسسة أخرى، كما يقول دوفلور، ويؤيده في ذلك الباحث هربرت شيلر، بمقدورها القيام بهذا الدور بفاعلية كالمؤسسة الاتصالية، التي لا تستغني هي الأخرى عن دعم هذين النظامين لها، وحمايتهما السياسية والمادية لها في ترويجها ونشرها لمنتجاتها الثقافي والمعرفي<sup>507</sup>.

و من هنا يمكن الوقوف على العلاقة الجدلية بين المؤسسة الاتصالية- باعتبارها نظاما اجتماعيا- و النظامين السياسي و الاقتصادي، و احتياج كل نظام لبقية الأنظمة. و إذا ما أخذنا في الحسبان هيمنة طبقة الرأسمالية المعلوماتية على أغلب الأنظمة الاجتماعية أمكننا فهم ظاهرة التآرجح التي يخضع لها الإعلام الأمريكي بين خدمة (الصراع والبقاء للأقوى) و خدمة (المصالح المتبادلة)، و تسخيرها لخدمة مصالح الأقوياء، فهو يقوم بالدور الطبيعي له و المنوط به، باعتباره نظاما من الأنظمة الاجتماعية المتفاعلة في مجال ثقافي و حضاري منبثق منه، و منسجم معه، و هو الثقافة و الحضارة الغربية في نسختها الأنجلوساكسونية أو الأمريكية.

---

506 - بلقاسم بن روان، وسائل الإعلام و المجتمع- دراسة في الأبعاد الاجتماعية و المؤسساتية-، الطبعة الأولى، ( الجزائر: دار الخلدونية للنشر و التوزيع، 2007)، ص 96، 97.

507 - ن م، نقلا عن: Defleur, M, and Ball – Rokeach, S.(1989) Theories of Mass Communication., و عن هربرت شيلر في كتابه: المتلاعبون بالعقول. longman: New York. Fifth Edition.

## المطلب الثاني: تقديس القوة و العنف و الإرهاب و الصراع

يُعدّ هذا الأساس ذا علاقة وطيدة بالذي سبقه، و يمكن إرجاع ذلك إلى أصول العقل الأمريكي في بعده السياسي و العسكري، و هو عقل مقدس للقوة و العنف، و مولع بالإرهاب و الصراع، و هو عقل يجنح للحرب أكثر من جنوحه للسلم.

ففي كتابه النفيس "الإرهاب الغربي" يخلّص رجاء غارودي إلى أن الإرهاب الغربي الحديث الذي تسبب في قتل الملايين في مختلف الحروب الكونية و الإقليمية و الدولية و الأهلية ... و تسبب في بؤس الإنسانية و المجاعات و الأوبئة و الأمية ... تمتد جذوره إلى ثلاثة آلاف عام قبل ميلاد المسيح، و بالتحديد منذ ولادة و خلق الغرب نفسه، أي الحضارة اليونانية ووريتها الرومانية و البيزنطية، كما أنه يتشرب من الفكر الديني المحرف في اليهودية ، و القائم على أسطورة شعب الله المختار - و التي أدت بصورة محتومة إلى رفض الآخر، و عدم الاعتراف به إلاّ كعدوٍّ و جب محاربتة و القضاء عليه-، وكذا الديانة المسيحية التي بدأ تحريفها مع بولس ؛ و قد أدت هذه الأسطورة الدموية إلى حروب كثيرة عبر التاريخ و أوحت للبيوريتانيين<sup>508</sup> من إنجلترا لدى وصولهم إلى البر الأمريكي بمعاملة الهنود الحمر كمعاملة العماليق (الفلستينيين)<sup>509</sup>.

و يذهب نعوم تشومسكي و هو يؤرخ لعنف الإمبراطورية الأمريكية في كتابه القيم ذي العنوان المميز في دلالاته "سنة 501 الغزو مستمر"، أنه منذ 1492م - و هو تاريخ غزو أوروبا للعالمين الجديد و القديم -، و الغزو الغربي العنيف للعالم مستمر ، لم يتوقف أبداً، و في ذلك يقول ما نصه:

---

**508 -** البيوريتانية أو التطهيرية (Puritanism أو Puritan)، هي مذهب مسيحي بروتستانتي يجمع خليطاً من الأفكار الاجتماعية، السياسية، اللاهوتية، والأخلاقية. ظهر هذا المذهب في إنجلترا في عهد الملكة إليزابيث الأولى وازدهر في القرنين السادس والسابع عشر، و نادى بإلغاء اللباس و الرتب الكهنوتية. تأثرت الحركة التطهيرية في نشأتها بمبادئ العقيدة البروتستنتية و لاسيما بتعاليم كالفن و تسفنغلي و بولينغر حتى أطلق بعضهم على البيوريتانية اسم الكالفينية. و للحروب الدامية التي شهدتها إنكلترا عملت الملكة إليزابيث الأولى على حل هذا الصراع المرير و تبني المذهب الأنجليكاني، و سميت الكنيسة بـ «الكنيسة الأنغليكانية» و مقرها كانتربري، وهي بروتستنتية في مبادئها و أقرب إلى الكاثوليكية في مظاهرها، و هذا ما أثار عداوة من عُرف بالمتطهرين، الذين تعرضوا لاضطهاد المجلس الأعلى للكنيسة الذي تأسس عام 1583، فدفع عدداً كبيراً منهم إلى الهجرة. انظر: /البيوريتانية/ <http://alencyclopedia.com>

**509 -** روجيه غارودي، الإرهاب الغربي، م س، ص-ص 51-91.



" بحلول الحادي عشر من أكتوبر 1992م ينتهي العام 500 من عمر النظام العالمي القديم، و الذي يُدعى أحيانا بالحقبة الكولومبية من تاريخ العالم... كانت المواجهة العالمية بين الغزاة و ضحايا الغزو، الموضوع الأول لهذا النظام العالمي القديم"<sup>510</sup>.

و تحت الفصل الأول المعنون بـ"العمل العظيم في الإخضاع و الغزو" جاء عنوان فرعي مثير و هو: "قطع الأشجار و الهنود" للدلالة على عقلية الاستئصال العرقي لدى الغزاة الأوروبيين المؤسسين الأوائل للحضارة الأمريكية<sup>511</sup>.

و حتى الآن ما زالت الولايات المتحدة الأمريكية تنزع إلى القوة و العنف و الإرهاب، ففي خريف 2002م أعلنت عن نيتها الحفاظ على هيمنتها ، سواء من خلال التهديد بالقوة المسلحة، أم باستعمالها فعلا، و هو بُعد من أبعاد السلطة و السلطان؛ و هو ما ترجم في الصياغة الخطابية الرسمية لإستراتيجية الأمن القومي(NSS) أن "قواتنا يجب أن تكون قوية بما فيه الكفاية لثني الخصوم المحتملين عن مواصلة بناء قوة عسكرية، بأمل مضاهاة القوة الأمريكية أو تجاوزها"<sup>512</sup>. و تؤكد الإستراتيجية الإمبريالية الكبرى على حق الولايات المتحدة في اللجوء إلى شن "حرب وقائية" على هواها، أقول(و القول لتشومسكي) وقائية و ليس استباقية، لأن الحرب الاستباقية قد تتدرج داخل القانون الدولي<sup>513</sup>.

و لقد كان من نتائج المرجعيات سالفة الذكر و النظريات الاستعمارية و بخاصة - الدارونية الاجتماعية وتطبيقاتها التربوية - أن صارت القوة عند الأمريكي جمالاً وزينة، و صار يُسحر بجمال القوة و يُعجب بالأقوياء، إلى الدرجة التي تعميه عن قيم الرحمة و العدل و الإنسانية و بشاعة الظلم و العدوان. ولذلك يصفق الأمريكي - كسلفه الروماني- للمنتصر ويلوِّح له بيده بإشارة النصر، ويسخر من المنهزم ويشير إليه بإشارة الهزيمة، و هو يفعل ذلك في كل حلقات الصراع و ميادين التنافس المختلفة<sup>514</sup>.

510 - يذهب تشومسكي إلى أن النظام العالمي القديم ما زال مستمرا إلى الآن، انظر: نعوم تشومسكي، سنة 501 الغزو

مستمر، ترجمة مي النبهان، الطبعة الأولى 1996، سوريا: دار المدى ، ص 9، 10.

511 - ن م، ص 38. و كل الكتاب جدير بأن يرجع إليه كمرجع على عقلية العنف و الإرهاب لدى الأمريكيين

512 - نعوم تشومسكي، الهيمنة أم البقاء- السعي الأمريكي للسيطرة على العالم - ترجمة سامي الكعكي. الطبعة (د) 2004 بيروت : دار الكتاب العربي، ص 19.

513 - ن م، ص 20.

514 - ماجد عرسان الكيلاني. أصول العقل الأمريكي وتطبيقاته الاقتصادية والسياسية. م س.

وانطلاقاً من هذا التقديس المفرط للقوة، وجدت المؤسسات السياسية والعسكرية التي قادت حركة التوسع والاستعمار في فكر دارون مبرراً لعمليات الإبادة والقتل التي رافقت هذا التوسع، والذي كان من نتائجه إبادة سبعين مليون من الهنود الحمر، لم يبق منهم سوى عشرين ألف يعيشون الآن - لأغراض سياحية- في مناطق الاستيداع. يقول البروفيسور ريتشارد هوفز تادر: "إن أول عمل يقوم به منشئ المستعمرات هو تنظيف الأرض من الحيوانات المتوحشة، وأكثر هذه الحيوانات إفساداً هو الإنسان المتوحش"<sup>515</sup>.

ومن فلاسفة الدارونية الذين استعملوها لتبرير الاستعمار جون فسك ( John Fiske )<sup>516</sup> الذي كتب يقول: "إن العنصر الأنجلو- سكسوني هو أصلح الأجناس البشرية، وإنه في المستقبل سوف ينتشر هو ولغته وثقافته في أربعة أخماس الكرة الأرضية، وسوف يحيل أفريقيا إلى بلد متقدم مليء بالمدن الحديثة والمزارع ومظاهر التكنولوجيا، ولقد كرر هذه الآراء في عدد من المؤلفات"<sup>517</sup>.

ولقد ساندت نظم التربية هذه المفاهيم الدارونية الاجتماعية في ميادين السياسة والاستعمار، وبعد الحرب العالمية الأولى دخلت دراسة القوة القائمة على أساس الدارونية الاجتماعية - أي بطش القوي بالضعيف - ميدان البحوث العلمية في الجامعات الأمريكية، وصارت تدرس فلسفة الدارونية الاجتماعية في العلوم السياسية والعلوم العسكرية و أصول التربية والقانون. وفي هذه الدراسات برز عالم السياسة الشهير مورغنتاؤ<sup>518</sup> كرائد كبير يفصل في نظرية القوة ويرسي دعائمها، وفي مدرسته اشتهر وزير الخارجية الأسبق

---

515 - ن م. كتاب إلكتروني غير مرقم.

516 - John Fiske فيلسوف ومؤرخ وعالم اجتماع أمريكي ولد في 1842، وتوفي في 1901، تأثر بفلسفة هيربرت سبنسر التطورية أكثر من تأثره بنظريات داروين. انظر: جيرار ديلودال، الفلسفة الأمريكية. تر د جورج كتورة و د إلهام الشعراي. الطبعة الأولى (بيروت: المنظمة العربية للترجمة 2009)، ص 95، 96.

517 - ماجد عرسان الكيلاني. أصول العقل الأمريكي وتطبيقاته الاقتصادية والسياسية. م س. على النت غير مرقم.

518 - Hans J Morgenthau هانز يواخيم مورغنتاؤ (1904م - 1980م) من عائلة يهودية ولد في ألمانيا وهاجر إلى الولايات المتحدة عام 1937م و هو أحد رواد القرن العشرين في مجال دراسة السياسة الدولية. فقد كانت له إسهامات بارزة تتعلق بنظرية العلاقات الدولية، فضلاً عن دراسة القانون الدولي، بالإضافة إلى ذلك، كتب مورغنتاؤ الكثير من المقالات بشأن السياسة الدولية والسياسة الخارجية الأمريكية في مجلات تحظى بانتشار عام.

هنري كيسنجر<sup>519</sup> الذي بدأ حياته السياسية عام 1945م سكرتيراً لمجلة الشؤون الخارجية (Foreign Affairs)، التي يصدرها مجلس العلاقات الخارجية وأحد المؤسسات التي ترسم إستراتيجية السياسة الأمريكية، ومثله بريجنسكي<sup>520</sup> الذي ما زال أحد مصادر نظرية القوة في أمريكا . ولقد عمل الثلاثة - وكلهم يهود - على توجيه نظرية القوة وتطبيقاتها خلال الحرب الباردة التي اشتدت بعد الحرب العالمية الثانية.

و مع نهاية حقبة الحرب الباردة برز العشرات من المختصين في العلوم السياسية والعسكرية والقانون وأصول التربية الذين عملوا- وما زالوا يعملون - على تطوير نظرية القوة من أجل تبرير غطرسة أمريكا وهيمنتها على العالم كله ، و من هؤلاء يذكر صاموئيل هنتغتون مع أستاذه برنار لويس، الذين أكملوا المسيرة في تبني نظرية القوة، و كانا مع فيالق من الباحثين و الخبراء وأغلبهم من اليهود أو الصهاينة هم من حملوا لواء الحرب الحضارية أحادية الجانب ضد العالم الإسلامي ، و قد تصدروا قائمة المنظرين للمحافظين الجدد ؛ كما يذكر في هذا الشأن البروفيسور ألفين توفلر ( Alvin Toffler ) باعتباره المفكر الأعمق أثراً في صانعي الإستراتيجية السياسية، و هو المحاضر الأشهر لمجموعة المستقبلين (Futurists) في الكونغرس و الإدارة الأمريكية، و هو الذي يتلمذ على يديه صانعو القرار في أمريكا بسماع محاضراته شهرياً، ويتلقف الباحثون ومدرسو الجامعات والطلبة مؤلفاته بنهم كبير، و قد بلغ عدد توزيع كتاب واحد من كتبه بعد صدمة المستقبل (Future Shock) 27 مليون نسخة، مقسمة على تسعة شهور ، كل شهر بثلاثة ملايين نسخة، ابتداءً من جانفي عام 1978 حتى سبتمبر من نفس العام.

---

**519 - Henry Kissinger** هنري ألفريد كسنجر (1923 في ألمانيا) باحث سياسي أمريكي وسياسي. هاجر هو وأهله في عام 1938 إلى الولايات المتحدة الأمريكية خوفاً من النازيين. التحق بمعهد جورج واشنطن في نيويورك، حصل على الجنسية الأمريكية عام 1948 والتحق بالجيش في نفس العام . شغل منصب وزير الخارجية الأمريكية من 1973 إلى 1977. وكان مستشار الأمن القومي في حكومة رينشارد نيكسون. لعب دوراً بارزاً في السياسة الخارجية للولايات المتحدة مثل سياسة الانفتاح على الصين وزيارته المكوكية بين العرب وإسرائيل والتي انتهت باتفاقية كامب ديفيد عام 1978. عينه الرئيس ريغان في 1983 رئيساً للهيئة الفيدرالية التي تم تشكيلها لتطوير السياسة الأميركية تجاه أميركا الوسطى. و عينه جورج بوش رئيساً للجنة المسؤولة عن التحقيق في أسباب هجمات الحادي عشر من سبتمبر 2001.

**520 - Zbigniew Brzezinski** زبيغنيو بريجنسكي في وارسو بولندا، في عام 1928. مفكر جيو- استراتيجي، ومؤلف للعديد من الكتب، وباحث في مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية و هو واحد من قدامى عرابي السياسة الخارجية الأكثر احتراماً وتأثيراً في واشنطن. كان مستشار الأمن القومي في عهد الرئيس جيمي كارتر ما بين 1977 و1981. كان من أشد المعارضين للرئيس الأمريكي جورج بوش و"حربه على الإرهاب"، وواحد من أقرب مؤيدي ترشح السيناتور باراك أوباما إلى الرئاسة. خلال فترة أوباما الأولى، انتقد في بعض المناسبات سياسة الرئيس الخارجية واقتارها إلى إستراتيجية وتساهلها مع إسرائيل.

و لقد عمل توفلر على تطوير النظرية الأمريكية للقوة بعد انهيار و تفكك الاتحاد السوفييتي بما يخدم النظام العالمي الجديد، وأصدر العديد من المؤلفات أشهرها تحول القوة (Power Shift)، و الحرب و ضد الحرب (War And Anti - War). وما زال يتفاعلا في عقول الذين يرسمون استراتيجيات السياسة و صنع القرار الأمريكي، وتبرز تطبيقاتها الميدانية على المسرح الدولي مطابقة للفكر التنظيري على أيدي من ينفذون هذه السياسة و بخاصة مع مجيء إدارة بوش الابن<sup>521</sup>.

و إذا كان الخطر الكامن في نظرية ألفين توفلر اعتباره أن المعرفة ( Knowledge ) صارت تحتل مركز المحور في ثلوث القوة (التي تتكون من: المعرفة و العنف و المال)، فإن ما هو أعظم خطرا هو تبريره ل لقوة و العنف -الذين بحسبه يقودان للحصول على الثروة- على أنهما يُعدان قانون الحياة، و كذا تبريره استخدام جميع أنواع المعرفة الصادقة و الكاذبة، بل المتناقضات و أفكار التخلف، و تنمية ذلك في حياة الشعوب و الأمم المستهدفة، لتكريس الانقسام فيها و إبقائها عاجزة مستسلمة. وفي ذلك يقول توفلر: " ليس من الضروري أن تقتصر المعرفة على معرفة الحقائق، وإنما المقصود بالمعرفة التي هي أسمى مراتب القوة تشمل معرفة كل شيء: معرفة الوقائع و الأكاذيب و الحقائق و الزيف ، فكلها أشكال لعتاد سلاح المعرفة، و سوف تصبح قوة المستقبل معتمدة على توزيع المعرفة بين الأمم، و من يحتكر المعرفة أكثر فستكون له الغلبة"<sup>522</sup>.

إن هذا التنظير الذي يكشف لنا عن المنطلقات و المنابع التي ينطلق منها العقل الأمريكي في بعده السياسي و العسكري، ليؤكد لنا ما تم استنتاجه في المطلب السابق، من ترابط بين منظومة الإعلام - باعتبارها نظاما اجتماعيا- و الأنظمة الاجتماعية الأخرى، كالنظام السياسي و الاقتصادي و غيرهما؛ كما يقودنا إلى التساؤل عن مكانة الإعلام ضمن نظرية القوة في السياسة الأمريكية الراهنة؟.

و لقد تجلت تلك المكانة واضحة باعتبار المعرفة - و هي أس الإعلام - هي مركز المحور في ثلوث القوة، و هي أقوى سلاح، و سوف تصبح قوة المستقبل معتمدة على

---

521 - ماجد عرسان الكيلاني، أصول العقل الأمريكي وتطبيقاته الاقتصادية والسياسية. م.س. كتاب إلكتروني غير مرقم.  
522 - ن.م.

توزيع المعرفة بين الأمم، ومن يحتكر المعرفة أكثر فستكون له الغلبة ؛ و من هنا يتجلى لنا كيف صارت القوة و العنف من أهم الأسس التي تأسس عليها الإعلام الأمريكي، إذ أنه و منذ نشأته إلى الآن، و بخاصة مع انبثاق القرن الأمريكي و هيمنة نظرية القوة، كان سلاحا فتاكا في إستراتيجية الهيمنة ضمن ثلوث القوة.(مجتمع المعرفة و مجتمع الإعلام)

لهذا ليس غريبا أن يَعُدَّ الإستراتيجيون - والأميريكيون منهم على وجه الخصوص - سلاحَ الإعلام كسلاح مواز للسلاح النووي، وأسلحة الحرب الإلكترونية، وكذلك للأسلحة التكنو- اقتصادية بأنواعها المختلفة، و ذلك لما عاينوه بدقة من تأثيره العظيم و العجيب في الأفراد و الجماهير، و في الجماعات و المجتمعات، و خاصة منذ حرب الخليج الثانية، الأمر الذي جعل عالم الاجتماع الفرنسي جان بودريار<sup>523</sup> يكتب مقالته الشهيرة ذات العنوان اللافت في لا معقوليته "حرب الخليج لن تقع"، على الرغم من أن تلك الحرب قد وقعت و أوشكت على نهايتها مع صدور المقالة، فقد أوّل تلك الحرب كما رآها وسمعها من مصادر الخبر المرئي و المسموع، فقال: "حين يراقب العالم الحرب على شاشة التلفزيون يشعر أنّ الحرب لا توجد في الواقع، بل فقط على تلك الشاشات ، مضيّفا " إننا في خوفنا من أي شيء قد يبدو ممعنا في واقعيته، توصلنا إلى اختراع مكان تتمثل الحرب فيه، لأننا فضلّ ما هو افتراضي على ما هو واقعي، أي على ذلك الواقع الذي أضحي التلفزيون مرآته الكونية". ثم يمضي بودريار في تأويله الفلسفي السوسيولوجي للإعلام ليلاحظ " أنّ التلفزيون أصبح أكثر من مرآة: لقد أصبح هو وأخباره ميدان المعركة نفسه". و من هذا التأويل نفسه، انبري عدد كبير من الخبراء فيما بعدُ ليقولوا إنّ حرب الخليج الثانية حسمتها كاميرا الـ(س.ي.إن.إن- CNN)، فالحرب هنا تخطّت أمكنتها المحدودة والواقعية، لتصير حرباً بالصورة والصوت، ثمّ تفعل فعلها المدوّي في حركة الاستقطاب الدولي وفي تبديل التحالفات، وفي اتخاذ القرارات الكبرى المتعلقة بالحرب والسلم<sup>524</sup>.

---

523 - Jean Baudrillard (1929 - 2007) منظر ثقافي وفيلسوف، ومحلل سياسي، وعالم اجتماع، و هاوي تصوير فوتوغرافي. تصنف أعماله بشكل أساسي ضمن مدرسة ما بعد الحداثة وما بعد البنيوية. من أعماله: - نظام الأشياء، - في ظلال الأغلبية الصامتة، - روح الإرهاب و سقوط البرجين التوأمين، و هو أحد أهم من اشتغلوا بتحليل الخطاب الإعلامي العالمي وأثر هذا الخطاب على الأفراد وله أطروحات شهيرة في هذا المجال منها "المصطنع والاصطناع" انظر: [https://ar.wikipedia.org/wiki/جان\\_بودريار](https://ar.wikipedia.org/wiki/جان_بودريار)

524 - محمود حيدر، استراتيجيات الإعلام الأميركي بعد 11 أيلول- إمبريالية الصوت والصورة . انظر موقع الإمام الصدر. <http://www.imamsadr.net/News/news.php?NewsID=4537>

لقد تطورت الظاهرة الإعلامية تطورا مذهلا بفعل ثورة المعلومات و تكنولوجيا الاتصالات، و خصوصا من حيث تأثير الإعلام في تسعير النزاعات و إدارة الحروب و حجب الحقائق و ترجيح موازين القوى، و من حيث الدور الحاسم في صوغ الاستراتيجيات العليا الغربية والأميركية للقرن الحادي والعشرين ، و لقد تأكد هذا الدور للظاهرة الإعلامية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م، فالمُعَاين لما جرى بعد تلك الأحداث يجد الأثر البين، بل و الحاسم لتلك الظاهرة في صنع الحدث السياسي، و تحديد أبعاده الجيوسياسية و الإستراتيجية و النفسية.

و لقد كان لتلك الأحداث الفضل الكبير في فضح الحياد المزعوم للإعلام الغربي عموما و الأمريكي بوجه خاص، بعد أن بنى بعض علماء الاجتماع في الغرب رؤيتهم لوظيفة الإعلام - ضمن مجتمع الإعلام العالمي - في كونه الوسيلة المثلى للهيمنة، كونه يوفر البيئة النادرة التي لا يكون فيها المسيطر كائنا مرئيا في مواجهة المسيطر عليه، إذ بحسب هذه الرؤية سيكون أحد أفضل أنواع السيطرة هو ذلك النوع الذي يكون المسيطر عليه غافلا عما هو فيه ، و بذلك تتحقق ما يسميه ناقدو "الميديا المعولمة" بالإمبريالية الناعمة<sup>525</sup>.

إن كل ما سبق، يبين بما لا ريب فيه، كيف أن الإعلام الأمريكي مثله مثل العقل الأمريكي، مقدس للقوة و العنف، و مولع بالصراع، و هو إعلام يجنح للحرب أكثر من جنوحه للسلم، ذلك أنه بأنواعه المختلفة، بما في ذلك الصناعة السينمائية، لم يكن حالة عارضة على الأمن القومي الأميركي القائم أساسا على ثلاثي: الإمكانيات و الموارد الهائلة، و القيم و المعتقدات الإيديولوجية، و القوة، و المرتبط جدليا بإستراتيجية حروب أمريكا الحضارية<sup>526</sup>. فهو في الأساس يندرج ضمن أولويات الإستراتيجية العليا، ليُنزَلَ بعد ذلك ويتوزع على استراتيجيات الحرب و الاقتصاد و الأمن و الاجتماع الداخلي و أنظمة الأمن الإقليمية و الدولية .

---

525 - محمود حيدر، استراتيجيات الإعلام الأميركي بعد 11 أيلول- إمبريالية الصوت والصورة. انظر موقع الإمام الصدر. <http://www.imamsadr.net/News/news.php?NewsID=4537>  
526 - انظر: المطلب الخامس: إستراتيجية الأمن القومي ضمن المبحث الثاني من الفصل الثاني من هذا البحث. ص222.

و قد تجلت نزعة القوة و تقديس العنف في الإعلام الأمريكي مبكرا من خلال الكم الهائل من الأدبيات الإعلامية المكتوبة و المسموعة و المرئية، و جلها احتفاء و تمجيد و مباركة لهذا المسلك تجاه الآخر و تشويه صورته، و هذا الأمر ليس بالغريب على السياسة الأمريكية، فالولايات المتحدة لها ما يزيد على المائتين عام من التجارب الواسعة في التسويق الإعلامي لسياسات إدارتها في الداخل و الخارج<sup>527</sup>، فعلى سبيل المثال، على مدار مائة عام أنتجت هوليوود ما يقارب ألف فيلم احتوت على صور ومشاهد سلبية عن العرب والمسلمين والإسلام<sup>528</sup>، و مثلها و أكثر عن الهنود الحمر، السكان الأصليين لأمريكا الذين تم إبادةهم<sup>529</sup>، فقد تكفلت السينما الأمريكية بإنتاج مئات أفلام الـ (western) التي قامت بالترويج والتبرير السياسي والفكري لغزو العنصر الأوروبي لأراضيهم في أمريكا الشمالية، واستطاعت تلك الأفلام أن تحول تلك الإبادة و البشاعة الإجرامية في أذهان المشاهدين إلى بطولات العنصر الأبيض وشجاعته ودوره الحضاري في مواجهة تلك القبائل البدائية الجاهلة التي لم تستطع المواجهة والصمود أمام أسلحة الرجل الأبيض الحديثة، فاستحقت أن تباد ليحل محلها ذلك العنصر المتفوق الذي يستحق الحياة<sup>530</sup>.

و كان للإعلام الدور البارز في دخول الولايات المتحدة للحربين العالميتين، ففي الحرب الأولى، تولت عملية الدعاية الإعلامية التي أسندت للجنة كرييل<sup>531</sup> عام 1916م بإقناع الشعب لمساندة الدخول للحرب، فقد كان المواطنون الأمريكيون مسالمين إلى درجة كبيرة، و يرون ضرورة عدم تدخل الولايات المتحدة في حروب أوروبية بالأساس، في

---

527 - محمود حيدر، استراتيجيات الإعلام الأمريكي بعد 11 أيلول- إمبريالية الصوت والصورة. انظر موقع الإمام

الصدر. <http://www.imamsadr.net/News/news.php?NewsID=4537>

528 - *Reel Bad Arabs: How Hollywood Vilifies a People*, Jack Shaheen; New York: Olive Branch Press, 2001. 574 pages.

529 - منير العكش، حق التضحية بالآخر- أمريكا و الإبادة الجماعية، الطبعة الأولى (بيروت: رياض الريس للكتب و النشر، 2002) ص 18.

530 - جمال بن زروق، القيم السياسية و الثقافية المنقولة عبر الصورة السينمائية- دراسة نظرية و تحليلية لفلم أكاذيب حقيقية True lies. مجلة البحوث و الدراسات الإنسانية لجامعة سكيكدة، العدد 5، السنة 2010، ص 394. انظر موقع المجلة: [http://www.univ-skikda.dz/doc\\_site/revues\\_SH/article72\(2\).pdf](http://www.univ-skikda.dz/doc_site/revues_SH/article72(2).pdf)

531 - نسبة إلى جورج كرييل George Creel (1876 - 1953) هو صحفي تحقيقات و سياسي أمريكي، اشتهر برئاسته للجنة الأمريكية للدعاية. انظر موقع ويكيبيديا: [https://en.wikipedia.org/wiki/George\\_Creel](https://en.wikipedia.org/wiki/George_Creel).

حين كان على إدارة الرئيس ويلسون<sup>532</sup> التزامات اتجاه الحرب، تنفيذاً لأجندات المتنفذين في الإدارة، وكان عليها فعل شيء ما حيال الرأي العام، فقامت بإنشاء لجنة للدعاية أطلق عليها "لجنة كريل" للدعاية الحكومية، والتي نجحت خلال ستة أشهر في تحويل المواطنين الأمريكيين المسالمين إلى مواطنين تمتلكهم هستيريا الحرب، والرغبة في تدمير كل ما هو ألماني لإنقاذ العالم!. و قد " كان هذا الأمر بمثابة إنجاز هائل، و قد قاد بدوره لإنجاز آخر، ذلك أنه بعد وضعت الحرب أوزارها، تم توظيف ذات التكتيك لإثارة هستيريا ضد الرعب الشيوعي- كما كان يطلق عليه- و قد نجحت إلى حد كبير في تدمير الاتحادات العمالية و القضاء على المشكلات الخطيرة، مثل حرية الصحافة و حرية الفكر السياسي، و كان هناك تأييد قوي من قبل وسائل الإعلام، و كذلك من قبل مؤسسة رجال الأعمال التي نظمت بل و شجعت جل هذا العمل، و كان بصفة عامة نجاحاً عظيماً"<sup>533</sup>.

و في الحرب العالمية الثانية كان الإعلام خير حليف للسلطة، إذ بعد أشهر قليلة من الهجوم الياباني على القوات الأميركية في ميناء بيرل هاربر عام 1941، شنت أمريكا حملة دعايات واسعة عبر سلسلة أفلام أشرف عليها مكتب "الدعاية والمعلومات الحربية"، و كانت وزارة الحرب تتفق سنوياً مبلغ 50 مليون دولار- وهذا مبلغ كبير جداً في ذلك الوقت - على إنتاج الأفلام أثناء الحرب العالمية الثانية من أجل ترويج الدعايات الحربية التي ترغب بها المصالح الأميركية داخل الولايات المتحدة وخارجها، و قدم الإعلام والصحافة والنشر في ذلك الوقت كل خدماته لصالح تلك الحرب وأهدافها بشكل لم يسبق له مثيل<sup>534</sup>.

---

**532 -** وودرو ويلسون Woodrow Wilson (1856-1924) الرئيس الثامن والعشرون للولايات المتحدة الأمريكية بالفترة من 1913 إلى 1921 كان أكاديمياً في مقتبل حياته حتى صار رئيساً لجامعة برنستون الثالث عشر ( 1902-1910)، ثم الحاكم ولاية نيو جيرسي من عام 1911 إلى 1913 م. و هو ثاني رئيس ديمقراطي يحكم لمدتين متواليتين بالبيت الأبيض بعد أندرو جاكسون. تولى الرئاسة بعد فوزه في انتخابات عام 1912 مرشحاً عن الحزب الديمقراطي ضد كل من الرئيس ويليام هوارد تافت والرئيس السابق ثيودور روزفلت. انظر موسوعة ويكيبيديا:

وودرو ويلسون [https://ar.wikipedia.org/wiki/وودرو\\_ويلسون](https://ar.wikipedia.org/wiki/وودرو_ويلسون)

**533 -** نَوم تشومسكي، السيطرة على الإعلام- الإنجازات الهائلة للبروباغوندا، ترجمة أميمة عبد اللطيف، الطبعة الأولى ( القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2003) ص 8،7.

**534 -** محمود حيدر، استراتيجيات الإعلام الأميركي بعد 11 أيلول- إمبريالية الصوت والصورة. م س. موقع الإلكتروني.



كما كان الإعلام خير خادم لحروب أمريكا بجميع أنواعها بعد الحرب العالمية الثانية، و ازداد هذا الدور الخطير تجليا في الحرب الباردة، فعلى سبيل المثال تم استخدام الأفلام بكفاءة عالية في الترويج لإدارة تلك الحرب ضد المنظومة الشيوعية الاشتراكية، من خلال تقديمها للحياة الأمريكية ونقلها للقيم المختلفة، و قد عجلت بتداعي الأنظمة الشيوعية في الاتحاد السوفيتي السابق وأوروبا الشرقية، حين قدمت لمواطني هذه الدول حلما لا يمكن الحصول عليه إلا بتحطيم أنظمتها، وكذلك تلك الأفلام التي أنتجت حول حرب فيتنام، كلها مجتمعة تقوم بتبرئة أمريكا لحربها التي فشلت فيها في الواقع... لكنها استطاعت أن تحوله إلي نجاح عظيم في السينما ، و قد استمرت أمريكا على نفس النهج بعد الحرب الباردة في اعتمادها على الإعلام، و بخاصة السينما، و تؤكد الأمر بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م، حيث صرح الرئيس جورج بوش الابن: " نحتاج إلى خيال سينمائي لنقول أن الحرب أعلنت على الولايات المتحدة الأمريكية من داخلها"<sup>535</sup>.

و قد كانت السينما الأمريكية سريعة الاستجابة لهذا النداء، فجاءت موجة من الأفلام الممجدة للحرب بأبعادها الدينية و الثقافية و الحضارية، و في هذا الصدد يؤكد مايكل تشوسدوفسكي<sup>536</sup> أستاذ الاقتصاد بجامعة أوتاوا ومدير مركز أبحاث العولمة ، أن ثلث أفلام هوليوود المنتجة بعد 11 سبتمبر 2001، هي أفلام حرب تُصورّ العرب و المسلمين على أنهم مجموعة من الهمج، ذوي الطباع القاسية، لا يهتمهم سوى النساء و جمع المال ، بل الأدهى من ذلك أنه قد " تم إنتاج أكثر من 500 شريط سينمائي عن الإرهاب في تاريخ السينما الغربية، كان من بينها 128 شريط بين عامي 1918 و 1988، في حين أنتج 372 بين سقوط جدار برلين و عام 2006، يتمحور أغلبها حول ما أسماه الغرب "الإرهاب الإسلامي"<sup>537</sup>.

---

535 - جمال بن زروق، القيم السياسية و الثقافية المنقولة عبر الصورة السينمائية ، م س، ص 394.

536 - Michel Chossudovsky (1946) كاتب و اقتصادي كندي من أصول يهودية روسية، له العديد من الكتب منها: - هل انطلق الاقتصاد الكندي على نفسه. - اشتراكية الصين بعد ماو. - عولمة الفقر. - الحرب و العولمة، الحقيقة وراء 11 سبتمبر. انظر موقع ويكيبيديا: [https://en.wikipedia.org/wiki/Michel\\_Chossudovsky](https://en.wikipedia.org/wiki/Michel_Chossudovsky)

537 - رانية عبد الرحيم المدهون، الإسلام في الغرب بعد 11 سبتمبر، موقع شبكة الأخبار العربية: <http://anntv.tv/new/showsubject.aspx?id=14323#.Vk2jZdlvfs0>

إن مواكبة السينمى للحروب الأمريكية تمخض عنها ظاهرة إعلامية سميت بسينما الحرب، و فى هذا تقول الكاتبة السعودية سهام القحطاني: "إن سينما الحرب كما تسميها ميريل ديفيز ترمي إلى شرح الهدف الذى كانت القوات تقاتل من أجله، مُثل أمريكا، الدفاع عن هذه المثل و نشرها فى طول كوكب الأرض و عرضه، و تتفق سينما الحرب مع بنوية الخطاب الأمريكى من حيث أنها تعبر عن ثنائية الخير و الشر، الأصدقاء و فكرة البرابرة التى بدأت بالهنود الحمر لتشجيع الأمريكى الأبيض على المشاركة فى إبادة الهنود، و لذلك اعتمدت السينما الأمريكية فى بدايتها بالتعبير عن قيمة "محاربة عدو يتصف بالقسوة، بانعدام الوجدان و بالبربرية، و فى هذا السياق لا تلبث الفضيلة أن تصبح أداة الخير و الشرف"<sup>538</sup>.

واللافت فى تلك الموجة من الأفلام .. أن الحرب ليست تجسيدا لقيم الفروسية أو النبلى، وإنما تروج للحرب بمعنى القوة و التفوق العسكرى كوسيلة للحفاظ على الحرية و القيم الأساسية و حماية النفس و العالم من الشرور ، و هذا يدعم خطورة القوة الناعمة من إعلام و تعليم و وسائل ترفيه، التى تعمل بشكل غير مباشر على إقناع أو جذب الآخرين لتبنى أو تحقيق الأهداف "الأمريكية" من خلال رسائل غير مباشرة تحتوى عليها الرسائل الإعلامية أو التعليمية، و هى تختلف عن القوة المادية التى تقوم بالأساس على الإكراه ، و يؤدى استخدام تلك الأدوات إلى ما يسمى بـ"صناعة الموافقة" أو التأييد، و هو جانب معنوي لا غنى عنه لأية قوة عالمية فى ممارستها لدور فعال ، أو لتقليل كلفة تحقيقها لأهدافها، من خلال تعزيز مصداقيتها أو زيادة مشروعية أهدافها باعتبارها أهدافا عالمية مشتركة<sup>539</sup>.

و هذا يجعلنا نكرر أن الأساس السياسى و الفكر الليبرالى الذى قامت عليه الولايات المتحدة الأمريكية، هما اللذان يحددان مرتكزات و توجهات الإعلام الأمريكى، و هو ما أكد

---

538 - سهام القحطاني، العداء و الرب: قراءة فى الخطاب السياسى الأمريكى ، الطبعة الأولى، (القاهرة: دار الفضيلة للنشر و التوزيع و التصدير، 2007 ) ص 86.

539 - زهير محفوظ، صناعة السينما و دورها فى التأثير على الراى العام الأمريكى ، انظر: المكتب السورى للبحوث الإستراتيجية:

[https://www.facebook.com/permalink.php?story\\_fbid=642917842400379&id=640014296024067&stream\\_ref=10](https://www.facebook.com/permalink.php?story_fbid=642917842400379&id=640014296024067&stream_ref=10)

عليه نعوم تشومسكي في كتابه " السيطرة على الإعلام " أن المتقنين والسياسيين الأمريكيين يعلنون الرأي العام وحسب توجهاتهم في السياق الذي يتوافق مع توجهات الإدارات الأمريكية<sup>540</sup>.

و نخلص إلى ما خلصت إليه الدكتورة سولافا الزغبي من أن " الإعلام الأمريكي يعتمد على أسس منهجية واحدة في مخاطبة الجمهور قائمة على اعتبار الرأي العام استهلاكياً يخدم الخطط الرأسمالية، وقوة اجتماعية محركاً للتاريخ تسهم في دفع دولاب النظام الرأسمالي، وأن هذه الأسس تتبع من التكوين الفكري والإيديولوجي للنظام الرأسمالي، ويمكن إيجاز هذه الأسس بالآتي:

- (1) تعد جميع الوسائل والأساليب الدعائية جيدة ومقبولة وصحيحة، إذا ما أدت إلى التنفيذ الناجح للمهمة المطلوبة.
- (2) التوجه إلى المواطن وليس إلى العقول، عن طريق استغلال الانفعالات البشرية، باستعمال المعارف السيكولوجية لاكتشاف النفسية الاجتماعية من الظواهر والأحداث ، وإثارة الانفعالات الأكثر بدائية عند الجمهور بالاعتماد على المبدأ القائل (الاستغلال المصطنع للعواطف) باستخدام الأنماط المقبولة الوهمية.
- (3) التركيز على الثانوي في المظاهر ، وجعله رئيسياً ، وإهمال المسائل المهمة وجعلها ضعيفة الأهمية، [انطلاقاً] من مبدأ أساسي و هو (تحويل بؤرة الاهتمام).
- (4) استخدام التحليل المعنوي الدلالي ، لتغطية غياب الأفكار والمبادئ الجذابة للجماهير وإخفاء الحقيقة الموضوعية، وصار من أساليب الإعلام الأمريكي إعطاء الكلمات الاعتيادية معنى مختلفاً بالحذف والتحايل من أجل الحصول على معان خاصة أو التخفيف من وقع الألفاظ على المتلقي<sup>541</sup>.

---

540 - سلافة فاروق الزغبي، فلسفة الإعلام الأمريكي والشبكات الفضائية. مجلة الباحث الإعلامي، كلية الإعلام، جامعة بغداد. العدد الثامن، مارس 2010م، ص 130.

541 - ن م، ص 130.

## المطلب الثالث: تمجيد الملكية الخاصة والمتعة و الاستهلاك

ينبغي الإشارة في مفتح هذا المطلب، أن ليس غريبا على إعلام تَخَلَّق في رحم الرأسمالية الأنجلو- أمريكية، أن يكون من أسسه التي يقوم عليها هو التمجيد و التقديس للملكية الخاصة و المتعة و الاستهلاك، ذلك أنه ما أنشئ إلا ليبشر بالرأسمالية و يدافع عنها، و ما جُعَل إلا ليكون لسانها الناطق باسمها و المنافح عنها، و هو الذي سُخِّر منذ ميلاده لتسويق بضاعة الرأسمالية بعوالمها الثلاث: عالم الأفكار و عالم الأشخاص و عالم الأشياء، و مُحَضَّ للدعاية لها و الإعلان عنها.

فالمجتمع الأمريكي منذ تأسيس نظام ه السياسي الجمهوري هو مجتمع برجوازي تسوده التقاليد الرأسمالية، التي تتناسب مع تغيرات الأحوال السياسية والاقتصادية ؛ و الأمريكيون- عموما- يلتزمون التزاما قويا بمفهوم الملكية الخاصة ، و كذا بالأنظمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقانونية التي تنبثق من هذا المفهوم و تجسده، لذا فهم يحرصون على ضمان حقوق ومصالح الأفراد و الجماعات والشركات و المؤسسات الحكومية، والحفاظ عليها؛ و هذا الأمر هو الذي حمل الأفراد والجماعات على اتخاذ وسائل وطرائق من شأنها العمل على صيانة مصالحها، وقد أدت هذه التدابير إلى ظهور (كتل ذات نفوذ) - كما تعرف في الولايات المتحدة الأمريكية - تدافع عن المصالح الفردية أو الجماعية ، وتُعدّ هذه الكتل القوة الحقيقية الخفية التي تُسيّر شؤون الدولة الأمريكية، ومن ضمنها كتلة أو (كارتل) الإعلام ، وهي التي تُقرّر في الواقع رسم السياسة الخارجية والداخلية ، وتشريع القوانين ، وإعداد الخطط ، وحتى إقرار أحوال الحرب والسلم<sup>542</sup>.

من هنا نستطيع أن نفهم الأسس التي قام عليها الإعلام الأمريكي وفلسفته ، و من ضمنها تقديس الملكية الخاصة و تمجيدها، والتي هي انعكاس لفلسفة المجتمع الأمريكي نفسه، وهو أنه مجتمع تجاري رأسمالي يسعى لحماية مصالحه، حيث تعتبر مصالحه في المرتبة الأولى قبل أي اعتبارات أخرى، سواء على الصعيد الداخلي أو على الصعيد

542 - سلافة فاروق الزغبى، فلسفة الإعلام الأمريكي والشبكات الفضائية، م س، ص 129.

الخارجي،" فالنظام الاقتصادي الأمريكي، ومن ورائه النظام السياسي والاجتماعي، تتأثر جميعها وبشكل كبير وترتبط بمفهوم الدعاية في الوسط الأمريكي ، وتسود الروح التجارية والرأسمالية بقوة التأثير الشخصي والتأثير في الآخرين ، إلى الحد الذي يكاد يمحو عنصر الفردية<sup>543</sup>.

و يعود سبب تمجيد الأمريكي للملكية الخاصة و تقديس المتعة و الاستهلاك إلى مفهوم الحياة لدى الفرد الأمريكي، و إلى تصوراته الكلية عنها، فالعلاقة التي تقيّمها الفلسفات الأمريكية المعاصرة بين الإنسان والحياة هي علاقة المتعة النهمّة، و الشهوة الشرهة والاستهلاك الفاحش، فلأمريكي يُسرّ بلذّة الاستهلاك إلى درجة العمى عن الإثم والفحشاء، ولذلك يتجاوز في سبيل البحث عن اللذة و الشهوة كل الضوابط الأخلاقية و الدينية<sup>544</sup>.

و قد بيّن المفكر التربوي الأردني ماجد عرسان الكيلاني كيف أثر هذا التصور على مؤسسات التنشئة في أمريكا فقال: " و نتيجة لهذا التصور تكاملت مؤسسات التربية والإعلام والسياسة في إخراج الإنسان المنتج - المستهلك، وصارت شبكة علاقاته الاجتماعية في الداخل، وشبكة علاقاته الإنسانية مع الخارج ، محكومة بهذه النظرة؛ ومع أن التربية الأمريكية قد نجحت إلى حد كبير وغير مسبوق في رفع كفاءة الفرد الإنتاجية والاستهلاكية، إلاّ أنها - وهي تعمل لتوفير المتعة المنشودة له - خلقت له بدلها مشكلات اجتماعية، وأخطارا بيئية وصحية وسياسية ، تنذر بتدمير البيئة المحيطة به وتدمير حياته<sup>545</sup>.

---

543 - سلافة فاروق الزغبى، فلسفة الإعلام الأمريكي والشبكات الفضائية. مجلة الباحث الإعلامي، كلية الإعلام، جامعة بغداد. العدد الثامن، مارس 2010م، ص 130.

544 - ماجد عرسان الكيلاني، أصول العقل الأمريكي وتطبيقاته الاقتصادية والسياسية. م.س. كتاب إلكتروني غير مرقم.

545 - ن.م.

كما يمكن إرجاع السبب في تمجيد الإعلام الأمريكي للملكية الخاصة، كونها أحد العوامل الجوهرية للعقيدة الأمريكية و القومية المدنية الأمريكية، التي يعددها المفكر البريطاني أناتول ليفن<sup>546</sup> في العوامل التالية: "الإيمان بالحرية و الدستور و القانون و الديمقراطية و الفردانية و المساواة الثقافية و السياسية، و قد بقيت في جوهرها على ماهي عليه طوال أغلب تاريخ أمريكا، و هي تجد جذورها بشكل أساس في عصر التنوير، فضلا عن كونها مشتقة من التقاليد البريطانية (فلسفة جون لوك الليبرالية)<sup>547</sup>.

و يقصد بالعقيدة الأمريكية لدى الأمريكيين ، الأيديولوجية الأمريكية، و هي مجموعة مقترحات و مسائل بشأن أمريكا ، تقدمها الأمة لنفسها و للعالم الخارجي، و قد كتب رالف والدو إيمرسن عن الالتزام بالمبادئ الأمريكية للحكم على أنه شكل من أشكال اعتناق الدين ؛ هذه الأطروحة أو العقيدة، بما يرافقها من أساطير قومية تشكل الأساس الذي بنيت عليه القومية المدنية الأمريكية، و تجعل من الوجه العلني للولايات المتحدة الأمريكية نموذجا للقومية المدنية بامتياز<sup>548</sup>.

و يرى صموئيل هنتنغتون أنه " من الممكن التحدث عن مجموعة من الأفكار السياسية التي تشكل الأمركة ( Americanism )، بمعنى لا يمكن أبدا التحدث به عن النزعة البريطانية (Britishism)، أو الفرنسية (frenchism)، أو الألمانية (Germanism)، أو اليابانية (Japaneism). فالأمركة بهذا المعنى يمكن مقارنتها بالأيديولوجيات و الأديان الأخرى، بمعنى أن رفض الأفكار الأساسية لهذه العقيدة يجعلك غير أمريكي... هذا

---

**546 - Anatol Lieven** كاتب و صحفي و محلل سياسي بريطاني ولد عام 1960م، حاصل على درجة البكالوريوس في التاريخ ودرجة الدكتوراه في العلوم السياسية من جامعة كامبريدج ببريطانيا. شغل منصب رئيس العلاقات الدولية ودراسات الإرهاب في قسم دراسات الحرب في كينجز كوليدج في لندن. وهو زميل أول في مؤسسة أمريكا الجديدة بواشنطن العاصمة. وتشمل مجالات خبرته الإرهاب الإسلامي والتمرد ، و الأعمال الحربية المعاصرة. والولايات المتحدة والاستراتيجية الغربية، ودول الاتحاد السوفييتي السابق، ومشروع الشرق الأوسط الكبير، وخاصة باكستان وأفغانستان وإيران. بين عامي 2000-2007، عمل أناتول ليفن أولاً في واشنطن العاصمة كباحث مشارك أول في مؤسسة كارنيجي للسلام الدولي، ثم كباحث أول زميل في مؤسسة أمريكا الجديدة. له العديد من الكتب، من بينها: ثورة البلطيق: أستونيا ولاتفيا، والطريق إلى الاستقلال (منشورات جامعة ييل 1993)، والشيشان: أهي شاهدة قبر القوة الروسية؟ (منشورات جامعة ييل عام 1998)، وأوكرانيا وروسيا: صراع ودي (معهد الولايات المتحدة للسلام، 1999). يكتب أناتول ليفن كثيراً حول الإعلام العالمي

ليفن/Anatol\_Lieven و موقع ويكيبيديا: <https://qatar.sfs.georgetown.edu/ar/profile/> .  
<https://en.wikipedia.org/wiki/>

**547 - أناتول ليفن، أمريكا بين الحق و الباطل- تشريح القومية الأمريكية** . ترجمة د ناصرة السعدون، الطبعة الأولى ( بيروت : المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية،2008) ص 130،129.  
**548 - ن م، ص127.**

التماهي للقومية مع العقيدة أو القيم السياسية يجعل الولايات المتحدة عملياً فريدة من نوعها<sup>549</sup>.

و لهذا حيثما يوجد تمجيد للعقيدة الأمريكية و تمجيد نموذج الحياة الأمريكية، فهو متضمن لتمجيد جميع عناصر القومية الأمريكية بما فيها الملكية الخاصة و المتعة و الاستهلاك؛ و حيثما تم تمجيد الملكية الخاصة و المتعة و الاستهلاك فهو تمجيد لأسس من أسس العقيدة الأمريكية.

و لقد تجلى تقديس الرأسمالية و تمجيد الملكية الخاصة بقوة في منظومة الإعلام الأمريكي بكل مظهراتها، سواء في قطاع الصحافة المكتوبة أو قطاعي السمعي و السمعي البصري، أو في فضاء الإعلام الجديد أو في ميدان العلاقات العامة؛ و قد برز ذلك أكثر جلاء من خلال الكم الهائل من الأفلام السينمائية و المسلسلات و البرامج التلفزيونية، و الأفلام الوثائقية و أفلام الكرتون، و كذا من خلال صناعة الإعلان و الإشهار التي صارت صبغة ثقافية للرأسمالية الغربية.

إن آلاف أفلام الغرب الأمريكي و أفلام دعم الحرب الباردة و أفلام سينما الحرب و الأفلام السياسية و الإيديولوجية، و غيرها من المنتجات الإعلامية، لم تخل من التوظيف الإيديولوجي و السياسي بأسلوب مباشر أو غير مباشر، و هي المادة الدسمة في الحروب الثقافية.

و إن الأفلام الأمريكية التي أنتجت عن حرب الخليج الثانية و حرب فيتنام و الحرب السوفيتية في أفغانستان ، و أفلام تشي جيفارا و أفلام جدار برلين و أفلام غواصات الحرب الباردة و أفلام الحرب الكورية و أفلام الحرب الهند الصينية الأولى لم تخل من خدمة الإيديولوجية و العقيدة و القومية المدنية الأمريكية<sup>550</sup>.

549 - ن م، ص132.

550 - تصنيف أفلام الحرب الباردة في موقع ويكيبيديا: تصنيف:أفلام\_الحرب\_الباردة/  
<https://ar.wikipedia.org/wiki>

ففي زمن الحرب الباردة بين المعسكر الشيوعي بقيادة الاتحاد السوفيتي، و المعسكر الرأسمالي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، و الذي أنتجت فيه عشرات الأفلام بمختلف أنواعها<sup>551</sup>، كان يكفي أن تظهر ثلاجة ممثلة بالطعام في فيلم أمريكي، لكي تُفسَّر على أنها نوع من الدعاية السياسية لنموذج الحياة الأمريكية و الغربية الرأسمالية بالنسبة للمشاهد السوفيتي، فالثلاجة الممثلة بشير إلى الوفرة الرأسمالية في مقابل سياسة التقشف الشيوعية<sup>552</sup>.

و من الأمثلة الصارخة بخدمة الإيديولوجية، التي يشير إليها توني ماك كيبين، أفلام جيمس بوند، و في هذا يقول: "إننا إذا تحدثنا عن الإيديولوجية المعلنة، فإلى نماذج كثيرة للإيديولوجية المتضمنة سوف تبرز لنا، وسوف يدّعي البعض بأن النقاد يقرؤون كثيرا في دلالات هذه الأفلام، إن أفضل مثال هو أفلام جيمس بوند، ودعونا نطرح-جانبا ولو هلة- إن العديد من هذه الأفلام كان بمثابة إيديولوجية معلنة وخاصة تلك التي ارتبطت بالحرب الباردة، إن أفلام جيمس بوند لا تفرق بين العدو، سواء كان ذلك القابع في الكرملين أو كان يعيش لاهيا في منزل منيف في الباهاما ولا شأن له بالسياسة، إن ما يهمننا في هذه الأفلام هو ما يدافع عنه جيمس بوند، وإن هذا الدفاع يبدو أنه موجه لأسلوب الحياة المليئة بالرفاهية أكثر من أنه يدافع عن قيم العالم الحر، وإذا عدنا إلى أول مشاهد فيلم "الأصبع الذهبي" فإننا سنلاحظ حجم البذخ، حيث يبدأ الفيلم بلقطة تأسيسية من السماء لميامي، عندئذ نرى لقطات قريبة متوسطة لجيمس بوند يتسلم خطابا، فالشيء الذي يتم التأكيد عليه هو مستوى الرفاهية، ولعلنا نعود إلى مثال الثلاجة الممثلة الذي سبق وعرضناه، فالأمر مشابه تماما... إن أفلام بوند تحتوي على فخامة وحيارة رغبة، وسيارات غالية وملابس جميلة، وسفريات في أركان العالم الأربعة، ويأتي تبشيره بالحرية بشكل أساسي من خلال

---

551 - ن م. تصنيف: أفلام الحرب الباردة/ [https://ar.wikipedia.org/wiki/الحرب\\_الباردة](https://ar.wikipedia.org/wiki/الحرب_الباردة)

552 - توني ماك كيبين، الإيديولوجية السينمائية والنظرية السياسية. ترجمة: ممدوح شلبي. موقع سينما تك:

[http://www.cinemattechaddad.com/Cinemattech/WICinema/WIC\\_17087.HTM](http://www.cinemattechaddad.com/Cinemattech/WICinema/WIC_17087.HTM)

المصدر:

[.http://tonymckibbin.com/course-notes/film-ideology-and-political-theory](http://tonymckibbin.com/course-notes/film-ideology-and-political-theory)



استقطابه للمشاهدين الذين ينبهرون بالمتع التي يشاهدونها على الشاشة، وهذا أكثر من المثال الذي سقناه بخصوص الثلاثية المليئة<sup>553</sup>.

كما أن هذا الأمر ينطبق على أفلام أمريكية كثيرة، مثل فلم ( أضواء النهار الحية / The Living Daylights )، و فلم ( حرب تشارلي ويلسون / Charlie Wilson's War )، و ( رامبو3/3 Rambo ) و ( عداء الطائرة الورقية / The Kite Runner )، و ( 30 دقيقة بعد منتصف الليل )، و ( الرجل الحديدي / Iron Man )، و ( قناص أمريكي / American Sniper )، و ( الناجي الوحيد / Lone Survivor )، و ( شفرة المصدر / Source Code )، التي أنتجت عن الحرب السوفيتية في أفغانستان و حرب احتلال أفغانستان؛ و مثل فلم ( ثلاثة ملوك / Three Kings )، و ( خزانة الألم / The Hurt Locker )، و ( الدرع البشري / The Human Shield )، و ( فريق النخبة / The A-Team )، و ( كتلة أكاذيب / Body of Lies )، و ( مدفون / Buried )، و التي أنتجت عن حرب احتلال العراق<sup>554</sup>؛ و كذلك الأفلام التي أنتجت بعد احتلال العراق إلى ظهور ما سمي زورا بتنظيم الدولة الإسلامية (داعش).

فالمشترك بين هذه الأفلام، بل المشترك بين جُلِّ الأنواع و المنتجات الإعلامية، هو تمجيد الملكية الخاصة و تقديس المتعة و الاستهلاك، من أجل خدمة العقيدة الأمريكية، و تقديم نموذج الحياة الأمريكية للبشرية لاتِّباعه و الاقتداء به، لهذا لم يكن غريباً على الأمريكيين أن يتشياً الإنسان، و تُسلِّع الثقافة و الإعلام، إذ هذا الأمر نابع من طبيعة الرأسمالية، و تطور مع الرأسمالية المعلوماتية الأنجلوأمريكية.

---

553 - ن م، في نفس الموقع.

554 - انظر موسوعة ويكيبيديا: تصنيف:أفلام\_حرب\_أمريكية/ [https://ar.wikipedia.org/wiki/تصنيف:أفلام\\_حرب\\_أمريكية](https://ar.wikipedia.org/wiki/تصنيف:أفلام_حرب_أمريكية)

إن "تسليع الثقافة" - كما يقول الدكتور نصر الدين العياضي<sup>555</sup> - مسألة قديمة طرحتها مدرسة فرانكفورت<sup>556</sup> منذ الأربعينيات، وشكلت مدخلا لنقد "الثقافة الجماهيرية" أو إيدانتها. وقد كان منطلق النقد و الإدانة الرفض الضمني لفكرة تصنيع الثقافة التي تسلب منها كل تجارب أصيلة ومتميزة، أكثر من استنادها لرفض نمط الإنتاج الرأسمالي للثقافة، ثم يردف العياضي: أعتقد أن الجديد في هذه المسألة الذي ندرجه في هذه الفرضية يتمثل فيما يلي :

- إن إرادة "تسليع" المواد الثقافية لم تأت نتيجة للتطور المنطقي لنمط الإنتاج السائد في هذا البلد أو ذلك فقط، بل بدأت تفرضه تلك الإرادة السياسية التي تمارس الضغوط على المنظمات مثل المنظمة العالمية للتجارة وعلى الدول لفرض قوانين السوق على الأفلام السينمائية، وبرامج التلفزيون، والصور، والأشرطة السينمائية، لقد استهجننا الكثير من الأوساط هذه الضغوط وسعت وتوسعت لمقاومتها، خاصة تلك التي تحمل حنين للماضي الذي يربط بين الثقافة والخدمة العمومية، الحنين المشبع بالرؤية الطوباوية التي تجمع بين الثقافة والتحرر أو التي تخشى على مستقبل المواد الثقافية" الوطنية" جراء إخضاعها عنوة لقوانين السوق .

-إن "تسليع" الإعلام الذي بدأ نتيجة ميلاد وكالات الأنباء العالمية، وتدويل الصورة التلفزيونية بدءا من الخمسينيات، قد تعمق بشكل لا نظير له على المستوى القاعدي وفق بعدين أساسيين :

**555** - جزائري المولد و الجنسية أستاذ جامعي و باحث في علوم الإعلام و الاتصال محاضر بكلية علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر 3 منذ سبتمبر 2014. عمل أستاذا مشاركا بكلية الاتصال، جامعة الشارقة، من 2008 إلى 2014، و بمعهد الإمارات الدبلوماسية، ومنسق الهيئة العلمية له الكثير من الدراسات منها: - الاتصال والإعلام والثقافة: عتبات التأويل. - هوامل الحديث عن الميديا . - مقدمة في نقد التلفزيون .- ثورة الصورة: المشهد الإعلامي وفضاء الواقع(بالاشتراك).- شذرات الكلام في نقد وسائل الإعلام. - إعداد شبكة البرامج في القنوات التلفزيونية العربية بين جدلية التصور والفعل. - التعامل مع وسائل الإعلام: الأسس والأدوات . - وسائل الإعلام والمجتمع: ظلال وأضواء . - وسائل الاتصال الجماهيري والثقافة، القاعدة والاستثناء .-اقترابات نظرية من الأنواع الصحفية. - مبادئ أساسية في كتابة الخبر الصحفي.مسألة الإعلام.- التلفزيون، البرمجة، المشاهدة: آراء ورؤى. انظر موقعه الخاص: <http://nlayadi.com/>

**556** - تطلق هذه التسمية على مجموعة من الباحثين الألمان في مجال الفلسفة و علم الاجتماع. وقد بدأوا بالتجمع عام 1923 في معهد الأبحاث الاجتماعية الذي أسس في فرانكفورت على يد ماكس هوركهايمر .وكانت غايتهم وضع نظرية نقدية تستند إلى الفكر الماركسي؛ فقد كانوا يعتقدون في ذلك الحين أن واقع تجاوز المجتمع الرأسمالي بات وشيكا. لكن هذا الأمل سرعان ما أثبت عدم صحته مع انتصار النازية أولاً (ما دفع معظم باحثي هذا المنحى، وكانوا من أصول بورجوازية يهودية، لأن يهاجروا بدءاً من عام 1933)، ولأن الرأسمالية ترسخت في الولايات المتحدة ثانياً (هناك وجد المعهد ملجأ له في نيويورك ولم يعد إلى فرانكفورت حتى العام 1950)، وأيضاً بسبب نفس تلك الاشتراكية كما "طبقت" على أرض الواقع - وقد اعترف هوركهايمر عام 1968 أنها لا تتفق مع تلك التي كانوا يحملون بها . انظر:

<http://www.maaber.org/philosophy/frankfurt.htm>

**البعد الأول:** الإجماع شبه التام بدور الإعلان في تمويل المؤسسة الإعلامية المعاصرة حتى تلك التابعة للقطاع العام والتي تضطلع بدور الخدمة العمومية ، لكنه يضعف الإرادة السياسية في تقنين الإعلان والحد من تأثيره السلبي في مضمون المادة الإعلامية وفي بنيتها وفي شكل تقديمها.

**البعد الثاني:** محو الحاجز الفاصل بين الإعلان والإعلام بسبب الطفرة التكنولوجية الحديثة، ففي شاشة الكمبيوتر يتعايش النص الإعلاني بجانب النص الإعلامي، ونرى أن المادة الإعلامية لا توجد سوى لمرافقة المادة الإعلانية المتحركة في الشاشة المذكورة، وهذا ما أدى إلى الإجهاز على كل الجهود الثقافية والقانونية التي بذلت للفصل بينهما منذ أزيد من قرن. فمن باب الحرص على احترام حق الجمهور في الإعلام والمعرفة ولحمايته من التضليل، الذي يمكن أن يمارسه " القفز " المفاجئ من الإعلام الذي يمثل الواقع إلى الإعلان الذي يحمل قدرا من الخيال أو التحايل على الواقع، كان الإلحاح القانوني على إخطار الجمهور بأن هذا إعلان وذلك إعلام<sup>557</sup>.

و هناك ظاهرة أخرى، كانت من نتائج تمجيد الملكية الخاصة و المتعة و الاستهلاك، و هي لا تقل خطورة عن تشيئ الإنسان و الفكر، و تسليع الثقافة و الإعلام، و هذه الظاهرة هي التداخل بين الترفيه و الإعلام و الثقافة ، حتى أصبح من الصعوبة بمكان الفصل بينها؛ فقد أصبح التعليم و التنقيف يقدم عبر الشاشة الصغيرة في قالب ترفيهي ولهوي يشجع من هم خارج الركح التلفزيوني على الالتحاق بالبرامج من خلال استخدام الهاتف أو شبكة الانترنت. كما أن " صفحة الواب " قد وفرت للمستخدم القيام بعدة أشياء في الوقت ذاته، كان القيام بها يتم بشكل منفصل منذ حوالي قرن من الزمن ( قراءة آخر الأخبار، الاستماع إلى الموسيقى أو إلى برامج الإذاعة، والبحث في الموسوعة عن مصطلح أو مفهوم، والمشاركة في لعبة من الألعاب)<sup>558</sup>.

557 - نصر الدين لعياضي، إشكاليات الإعلام في عصر العولمة. في موقع:

<http://communication.akbarmontada.com/t902-topic>

558 - ن م.

## المطلب الرابع: تقديس الذات و رفض الآخر

سبق البيان في مطلب بعنوان ( الأطروحات ذات العلاقة بأطروحة الحرب الحضارية) ضمن الفصل الأول من هذه الدراسة<sup>559</sup> إلى أن مفهوم الآخر في الثقافة الأمريكية يكاد ينحصر في العدو و الغريب و المتوحش و البربري و الإرهابي، و ما إلى ذلك من الأوصاف السلبية، و قد حاولت الدراسة بيان أن هذه النظرة قد انعكست على ال سياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية، و على علاقاتها الحضارية و الثقافية و الدولية، و خاصة مع العالم الإسلامي؛ لهذا لا غرابة في أن تتعكس تلك النظرة السلبية على الإعلام الأمريكي باعتباره نظاما اجتماعيا كغيره من الأنظمة، و أن يكون تقديس الذات و رفض الآخر أو الغير من الأسس التي تقوم عليها منظومة الإعلام الأمريكي.

و تقديس الذات و رفض الآخر في الإعلام الأمريكي، يجدان جذورهما في مكونات العقيدة و القومية الأمريكية التي بيّنا عناصرها في مبحث سابق، و غالبية الشعب الأمريكي ينظر إلى نفسه و إلى غيره بمنظور الرؤية المسيحية البروتستانتية والكاثوليكية، على اعتبار أن تلك الغالبية تستمد رؤاها الكلية و توجهاتها الكبرى من الإرث الحضاري الأوروبي في أبعاده اليونانية و الرومانية و اليهودية و المسيحية.

و ترتبط العقيدة الأمريكية ارتباطا وثيقا بفكرة الشعب المختار، ذي المهمة الخاصة تجاه الإنسانية بطريقة متفردة، و في هذا الشأن جاء في كتاب (أمريكا بين الحق و الباطل): "جميع الأمم ... اتفقت منذ أمد بعيد على أنها هي شعب مختار، فكرة القدر الخاص قديمة قدم القومية نفسها، مع ذلك ليس ثمة أمة في التاريخ الحديث تهيمن عليها فكرة أن لها مهمة خاصة في هذا العالم مثل الولايات المتحدة"، و هذه المهمة هي "إنقاذ العالم من خلال الفعل المباشر، ذلك أن ما كان بالقوة نفسها، و ما كان أكثر شيوعا تاريخيا، هو الإيمان بأن مهمة أمريكا تجاه الإنسانية تشمل قبل كل شيء تقديم النموذج<sup>560</sup>.

و يعزو الدارسون هذا الأمر إلى أصل كبير في بنية العقل الأمريكي، و هو الأصل الديني، فمنذ أن وطأت أقدام المحتلين الأوروبيين الأوائل أمريكا، ودخولهم في صراع

559 - انظر ص 114 من هذه الدراسة.

560 - أناتول ليفن، أمريكا بين الحق و الباطل- تشریح القومية الأمريكية، م س، ص 134، 166.

دموي مريم مع الهنود الحمر سكان القارة الأصليين، وجد رجال الدين أنفسهم في خدمة الحرب الجديدة. وعندما انطلقت دعوة الدارونية الاجتماعية، وجدت الكنيسة فيها مبرراً لهذه الخدمة العسكرية رغم معارضتها لها من الناحية العقائدية. و كان من بين رجال الدين الأمريكيين الذين اعتنقوا الدارونية الاجتماعية عدد غير قليل، من هؤلاء مثلاً الكاهن جوسيا سترونج<sup>561</sup>، الذي قال: "إنه طبقاً لصراع وتفوق النوع الأنجلو-سكسوني، يظهر في أمريكا نوع من الناس كبار الأجسام أقوىاء فارعي الطول. وقال: إن العنصر الأمريكي سوف يملأ القارة، ويزحف نحو الأقطار الأخرى في أمريكا الجنوبية وإفريقيا وما وراءها، وستكون نتيجة هذا الزحف تفوقه والقضاء على الأجناس الأخرى لأن البقاء للأصلح"<sup>562</sup>.

ولقد تطور الفكر الديني- الداروني الأمريكي في كل مرحلة تاريخية حسب تطور سياسات الدولة، فصارت البعثات التبشيرية وجهودها التعليمية جزءاً من القوة الأمريكية الغازية، وما زالت الكنيسة الأمريكية تتطور بتطور سياسات الدولة في الداخل والخارج، ففي الداخل أصدرت الكنيسة المراسيم التي تبرر جميع الممارسات التي يقرها التشريع الحكومي حتى الاعتراف بالشواذ جنسياً. وفي الخارج حينما يوجد لأمريكا مطامع سياسية واقتصادية تكون البعثات التبشيرية إحدى أدواتها التي تستر جرائمها الدموية بالمساعدات الإنسانية، كما حدث في الجزر الإندونيسية ويحدث الآن في شمال العراق وأفغانستان وجنوب السودان وغيرها<sup>563</sup>.

كذلك انعكست فكرة التطور الاجتماعي الداروني على محتويات الدين نفسه، فصارت المسيحية الأمريكية تطور نصوصها ومصطلحاتها طبقاً للأهداف العلمانية - الدنيوية المتطورة. وكان من ثمار هذا التطور ظهور ما يُسمى (بالكتاب المقدس الأمريكي)

---

**561-** جوزيا سترونج Josiah Strong (1847- 1916) رجل دين أمريكي مسيحي بروتستانتي وهو منظم، و محرر ومؤلف. وكان زعيم حركة الإنجيل الاجتماعي، دعا إلى العدالة الاجتماعية ومكافحة الآفات الاجتماعية. يؤيد العمل التبشيري بحيث يمكن تحسين جميع الأجناس والرفق وبالتالي تقديمهم إلى المسيح. انظر:

[https://fr.wikipedia.org/wiki/Josiah\\_Strong](https://fr.wikipedia.org/wiki/Josiah_Strong)

**562-** في ماجد عرسان الكيلاني، أصول العقل الأمريكي وتطبيقاته الاقتصادية والسياسية. م س. كتاب إلكتروني غير مرقم. نقلاً عن: Josiah Strong, Our Country: Its York: The American Home Missionary possible Future and its present Crisis, (New Society, 1885, p8.174-175.

**563-** ن م، كتاب إلكتروني دون ترقيم.

The American Bible الذي جرى تعديله بناءً على طلب الحركة النسائية التي تقول بالصراع بين الجنسين، والتي احتجت بالقول أن اسم الإله في الكتاب المقدس اسم مذكر، هذا إلى جانب احتجاج الشاذين والشاذات جنسياً الذين طالبوا بحذف النصوص التي تدين هذا الشذوذ. وكان من نتائج تطبيق فكرة التطور الدارويني على الدين أن اعترف القضاء الأمريكي بتطور الأسرة الشرعية إلى أربعة أنواع من الأسر، وكان من نتيجته أيضاً أن صار في أمريكا الآن حوالي ألفي مذهب، بعضها يعلن عن حفلة راقصة قبيل الصلاة جذباً للشباب والشابات، وبعضها يدعو لعبادة الله عراة في الكنيسة، لأن الإنسان برز إلى هذه الدنيا عارياً<sup>564</sup>.

على أن أبرز الجماعات المسيحية العاملة على الساحة السياسية في أمريكا هي التي تسمى - الأكثرية الأخلاقية ويرأسها الكاهن الشهير - جيرى فللوي<sup>565</sup> و هو مذهب يشتغل بالسياسة وينتسب إليه غالب قيادات الحزب الجمهوري ومنهم الرئيس ريجان، والرئيس بوش الأب، والرئيس بوش الابن. ويركز نشاطاته الدينية حول توفير التبريرات الدينية للسياسات الداعمة لإسرائيل التي يسميها فولول (إسرائيل المعجزة)، و خلاصة معتقدات هذا المذهب حسب ما جاء في كتاب - اسمي يا أمريكا - Listen America كالآتي: من أكبر المعجزات في العصر الحديث هي فعل الإله المتجسد في نصرته للشعب الصغير (شعب إسرائيل) الذي يقف منارة ديمقراطية في منطقة مظلمة بالتخلف والتوحش والأنظمة التعسفية المتعطشة للبطش بإسرائيل.

و من يقرأ الكتاب المقدس يجده مليئاً بالتحريفات التي صيغت على شكل تنبؤات متعلقة بإسرائيل، والتي يقول بعضها: [بعد شتات دام حوالي 500 عام سيعود اليهود من أقطار الأرض ويؤسسون دولتهم في فلسطين.] و [لا توجد أمة اضطهدت اليهود إلا

---

564 - والتر راسيل ميد، بلد الله - الدين في السياسة الخارجية الأمريكية، ترجمة حمدي عباس، الطبعة الأولى (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2007)، ص 20، 21؛ ماجد عرسان الكيلاني، أصول العقل الأمريكي و تطبيقاته السياسية و العسكرية، م س. كتاب اليكتروني.

565 - جيرى فالويل (1933-2007) (Jerry Falwell) قس أمريكي مسيحي أصولي، ولد بولاية فرجينيا، أسس كنيسة توماس رود المعمدانية في لينشبرغ، وكذلك جامعة ليبرتي، كما أسس منظمة الأغلبية الأخلاقية، كانت لديه آراء متشددة في مواضيع مثل المثلية والإجهاض والعلمانية، كانت لديه مواقف مؤيدة لدولة إسرائيل ومعادية للإسلام، حيث وصف الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بالإرهابي" و طالت الهجمات الكلامية التي أطلقها خلال مشوار حياته الطويل قطاعات واسعة من ليبراليين ويهود ومسلمين وسود ومثليين و نشطاء المرأة وتنظيمات للحقوق المدنية. انظر موقع ويكيبيديا: جيرى فالويل [https://ar.wikipedia.org/wiki/جيرى\\_فالويل](https://ar.wikipedia.org/wiki/جيرى_فالويل)

وعاقبها الإله بالضعف الأبدي. وهذا هو وعد الإله لإبراهيم ]، وهو ما تزال ألمانيا تعاني منها بسبب مناصرتها لسياسات هتلر ضد اليهود، وكما حدث مع جمال عبد الناصر عام 1967. بحسب زعمهم، و [ إن الله سيرسل للتشريد والذبح والأسر كل الملايين العربية التي ستحاول منع تجمع شعب إسرائيل في أرضه. و لقد بارك الإله أمريكا ورفع مكانتها لأنها باركت قيام إسرائيل وناصرتها وقوض روسيا لأنها عادت إسرائيل وناصرت أعداءه ] 566.

كذلك وجد الساسة في - الدارونية الاجتماعية - سندا لسياساتهم الاستعمارية، وممن مثل هذا الاتجاه عدد كبير من رجال الإدارة ومجلس الشيوخ والقادة العسكريين منهم : السيناتور ألبرت بـ بفرنج، وهنري كابوت لودج، وجون هاي، والرئيس ثيودور روزفلت. وما قاله السيناتور بفرنج Sen. Albert. T. Beveridge التالي: (إن الإله لم يقم بإعداد الشعوب الناطقة بالإنجليزية آلاف السنين عبثاً أو للإدارة الكسولة. لا! إنما جعلنا سادة لتنظيم العالم وإقامة النظام في كل مكان تحكمه الفوضى. لقد جعلنا نتكيف ونتطور في شكل دول حتى ندير الحكومات بين المتوحشين والشعوب الخرفة العجوز) 567.

و أخطر ما في الأصل الديني على الأمة الأمريكية و على بنية العقل الأمريكي، بل و على العالم من حيث علاقاته الدولية و الثقافية و الحضارية هو معتقد و أسطورة الشعب المختار، و ذلك بسبب ما أدت إليه بصورة محتومة إلى تقديس الذات و رفض الآخر، و عدم الاعتراف به إلا كعدوٍ و جب محاربتة و القضاء عليه ، أو منافس و مصارع و جب إخضاعه و إخضاعه.

و أسطورة الشعب المختار هي الأسطورة التي شكّلت أمريكا كما شكّلت من قبلها إنجلترا، و الأمر لا يحتاج إلى تحليل أو استقراء أو استنتاج للنصوص التاريخية، لأن النصوص الدالة على ذلك سواء كانت دينية أو فلسفية أو فكرية أو أدبية أو سياسية أو دبلوماسية قد أخذت منحى التصريح بهذه الأسطورة و ليس التلميح، و قد كان ذلك منذ

---

566 - ماجد عرسان الكيلاني، أصول العقل الأمريكي وتطبيقاته الاقتصادية والسياسية. م س . كتاب إلكتروني غير مرقم.

567 - ن م ، نقلا عن: Jerry Falwell, Listen America, Bantam Ed. 1981.pp.93-103.

بداية تأسيس الولايات المتحدة، فهذا جورج واشنطن<sup>568</sup> في خطابه الافتتاحي الأول رئيساً للولايات المتحدة يُصرِّح قائلاً: "سيكون من غير الملائم بتاتا أن نحذف في هذا الفعل الرسمي الأول تأييدي الحماسي، لأن الرب العظيم الذي يحكم العالم، و الذي يرأس مجالس الأمم، و الذي يمكن لمساعداته الرعوية أن تعوض كل نقص إنساني، و أن بركاته قد تكرر لحرية شعب الولايات المتحدة و سعادته... و ليس هناك شعب يمكن أن يعترف و يحب يد الرب الخفية التي توجّه شؤون العالم أكثر من شعب الولايات المتحدة"<sup>569</sup>.

و إن هذه الأسطورة هي واحدة من أهم العناصر التي تُشكّل مضمون القومية الأمريكية، ليس لدى اليمين الأمريكي فقط، بل أيضا في الثقافة الأمريكية عموماً، فهناك اعتقاد راسخ بأن أمريكا قد جرى اختيارها هي تحديداً، و أنها أمة لا يمكن الاستغناء عنها على حدّ وصف مادلين أولبرايت<sup>570</sup> وزيرة الخارجية السابقة في عهد الرئيس كلينتون و هي تشرح الهجوم على العراق بصواريخ كروز: "إن كان علينا أن نستخدم القوة فذلك لأننا أمريكا، إننا الأمة التي لا يمكن الاستغناء عنها، إننا نقف شامخين طوالاً، إننا نرى أبعد عبر الزمان"<sup>571</sup>، إذن فهي الأمة التي لا غنى عنها، سواء أكانت مختارة من "الرب" أم

---

**568 - جورج واشنطن George Washington (1732-1799)**، أول رئيس للولايات المتحدة (1789-1797)، و القائد العام للقوات المسلحة للجيش القاري أثناء الحرب الأمريكية الثورية، و أحد الأباء المؤسسين للولايات المتحدة، كان خصماً للانفصاليين وقاد التمرد الذي انتهى بإعلان انفصال الولايات المتحدة عن بريطانيا في 4 يوليو 1776، كما أنه ترأس الاتفاقية التي صاغت الدستور، الذي حل محل مواد الاتحاد الكونفدرالي، و أنشأ منصب الرئيس. أنشأ أثناء قيادته العديد من الأشكال و الطقوس الحكومية التي استخدمت منذ ذلك الحين، مثل استخدام نظام مجلس الوزراء و يوم القسم الرئاسي. و علاوة على ذلك، أنشأ الانتقال السلمي من رئاسته لرئاسة جون آدامز و التقاليد التي لا تزال في القرن الواحد و العشرين. وقد أشادت واشنطن بأنه "أب لبلاده" حتى خلال حياته. انظر موسوعة ويكيبيديا:

[https://ar.wikipedia.org/wiki/جورج\\_واشنطن](https://ar.wikipedia.org/wiki/جورج_واشنطن)

**569 - انظر كليفورد لونغلي، الشعب المختار - الأسطورة التي شكلت إنجلترا و أمريكا**، ج1، الطبعة الأولى ( القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2003 ) 31، 32.

**570 - مادلين كوريل أولبرايت** واسمها ماري آنا كوربولوفا ولدت في مدينة براغ عاصمة جمهورية تشيكوسلوفاكيا عام 1937 من عائلة يهودية تحولت إلى المسيحية الكاثوليكية. درست العلوم السياسية والقانون في كلية ويسلي، و العلوم الدولية في جامعة كولومبيا و تخرجت عام 1976، تتحدث إلى جانب اللغة الإنجليزية التشيكية و الفرنسية بشكل كامل، كما أنها تستطيع أن تفهم بشكل جيد الروسية و البولندية والصربية. تنتمي إلى الحزب الديمقراطي. شغلت منصب مندوب الولايات المتحدة الأمريكية الدائم في الأمم المتحدة بدأ من 1993 و حتى 1997. و هي أول امرأة تتولى منصب وزير الخارجية في الولايات المتحدة الأمريكية في العهدة الثانية لبيل كلينتون. عندما سئلت عن وفاه أكثر من نصف مليون طفل من جراء الحصار الاقتصادي على العراق قالت انه ثمن مناسب للحصار. انظر موسوعة ويكيبيديا:

[https://ar.wikipedia.org/wiki/مادلين\\_أولبرايت](https://ar.wikipedia.org/wiki/مادلين_أولبرايت)

**571 - مايكل نورثكوت، الملاك يوجه العاصفة- أسفار الرؤيا و الإمبراطورية الأمريكية**، ترجمة عبد الرحمن الشيخ، الطبعة الأولى، (القاهرة: مكتبة دار الشروق، 2006)، ص 105.



"القدر" أم "التاريخ"، أم أنها موسومة بالعظمة و القدرة على القيادة من خلال امتلاك أعظم شكل للديمقراطية و أنجحها و أقدمها و أكثرها تطوراً<sup>572</sup>.

و هذا المعنى بأن أمريكا بلد له مهمة قومية، هو أمر جوهري تماما بالنسبة للهوية القومية الأمريكية، و هو يشكل أيضا جوهر إيمان الأمة بامتيازها و فرادتها. و قد ساق أناتول ليفن الكثير من أقوال و تصريحات القادة و الساسة و الفلاسفة و رجال الدين الذين يتحدثون عن تلك العوامل الجوهرية للعقيدة الأمريكية و القومية المدنية الأمريكية، نذكر بعضها منها على سبيل المثال، و ليس على سبيل الاستدلال.

فهذا هرمان ملفيل<sup>573</sup> يكتب: " نحن الأمريكان شعب مختار، نحن إسرائيل زمننا، نحن نحمل سفينة الحريات عن العالم، لقد اختار الرب قدرنا مسبقا، و البشرية تنتظر من عرفنا أشياء عظيمة، و نحن نشعر بوجود أشياء عظيمة في أرواحنا، يجب أن تصير بقية البشرية وراعا، نحن رواد العالم، الحرس الأمامي، الذين أرسلوا نحو البراري المقفرة لتجربة ما هو غير مجرب بعد، لفتح السبيل للعالم الجديد الذي هو عالنا؛ و شبيه به إلى حد كبير ما جاء على لسان وودرو ويلسون رئيس الولايات المتحدة و هو يلخص في كلمات موجزة أثناء الحرب العالمية الثانية الدور المتفرد لأمريكا قائلا: " إن لأمريكا الامتياز المطلق في تحقيق قدرها و إنقاذ العالم؛" و ما صرّح به رجل الدين المشهور ببيلي سنداى<sup>574</sup> عند اندلاع الحرب مع ألمانيا عام 1917: " لقد وُضعت أمريكا في موقع جعل قدر العالم معتمدا على سلوكنا إلى حد بعيد، لو طاشت عقولنا لانهارت الحضارة"<sup>575</sup>.

و أورد أناتول ليفن نصا للمؤرخ الديني البارز كونراد شيري جاء فيه: " يُبين تطور موضوع الشعب المختار في كل من ألمانيا و الولايات المتحدة بين عامي 1880 و 1920

---

572 - أناتول ليفن، أمريكا بين الحق و الباطل- تشريح القومية الأمريكية، م س، ص90، 91.

573 - هرمان ملفيل (Herman Melville) (1819-1891)، من أبرز الروائيين في أمريكا. كتب موبى ديك، وهي واحدة من أشهر الروايات الأدبية. ترجع شهرته إلى هذا الكتاب بشكل رئيسي، لكن كثيرا من أعماله الأخرى، هي إبداعات أدبية عالية المستوى، تمتزج فيها الحقيقة والخيال والمغامرة والرمزية البارعة، كتب ملفيل عن تجاربه بطريقة جذابة، جعلته أحد أكثر الكُتّاب شعبية في زمانه. و قد أضفى على مغامراته خيالا خصبا وشكلا فلسفيا، إلى جانب مهارة فائقة في استعمال اللغة الإنجليزية الأمريكية انظر موقع ويكيبيديا: هرمان\_ملفيل/https://ar.wikipedia.org/wiki/ملفيل

574 - William Ashley "Billy" Sunday (1862-1935) رجل دين أمريكي شهير، كان من كبار لاعبي كرة القاعدة Baseball، ثم تحول إلى واعظ و رجل دين إنجيلي في سنة 1880 و اتسعت شهرته خاصة في العقدين الأولين من القرن العشرين. انظر ويكيبيديا:

https://en.wikipedia.org/wiki/Billy\_Sunday#Decline\_and\_death

575 - أناتول ليفن، أمريكا بين الحق و الباطل- تشريح القومية الأمريكية، م س، ص 91 - 93.

السمة المتقلبة لأسطورة القومية الدينية، لقد أثبتت أنها قادرة على تجسيد هوية لأشكال و صور عديدة، توراتية و غير توراتية، و ذلك من دون أن تفقد الأسطورة قوتها".  
الاختلاف اليوم هو بالطبع أن هذه الأسطورة في ألمانيا قد ماتت و دفنت تماما (على الأقل في شكلها القومي) من خلال الفظائع التي جرت بين عامي 1933 و 1945، و هذا يصح إلى حد بعيد على أوروبا الغربية أيضا، أما في الولايات المتحدة فلا تزال هذه الأسطورة حية جدا<sup>576</sup>.

و يكفي للاطلاع على أسطورة الشعب المختار الرجوع للكثير من الكتب حول هذا الموضوع، منها كتاب: (الشعب المختار - الأسطورة التي شكلت إنجلترا و أمريكا-) للكاتب و الصحفي البريطاني كليفورد لونغلي في ثلاثة أجزاء، و (النبوءة و السياسة- الإنجيليون العسكريون في الطريق إلى الحرب النووية-) تأليف غريس هالسيل، و كتاب (أرض الميعاد و الدولة الصليبية- أمريكا في مواجهة العالم منذ 1776م) لمؤلفه والتر أ.مكدوجال، و كتاب (الحرب الصليبية- تواريخ حرب ظالمة-) لمؤلفه جيمس كارول، و كتاب (هرمجدون) لمؤلفه محمود النيجيري، و غيرها كثير.

و كما ترجم الإعلام الأمريكي بمختلف وسائله و أشكاله تلك الأصول الفلسفية و السياسية و العسكرية و المعيشية للعقل الأمريكي، فقد ترجم أيضا الأصل الديني الذي تمحور حول تقديس الذات و رفض الآخر في كم هائل من المنتجات الإعلامية، بدءا من الصحافة المكتوبة و المادة المسموعة، إلى المنتجات السمعية البصرية و المنتجات الإلكترونية.

و قد يصعب في هذه الترجمة التفرقة و التمييز بين أصل و آخر، و ذلك راجع إلى أن تلك الأصول شديدة التداخل و التماهي فيما بينها، و لهذا نجد في المنتج الواحد إشادة بكل تلك الأصول أو بأغلبها؛ و ليس الأمر بالغريب، إذ أنها مجتمعة أو متفرقة، فهي تدل على ماهية واحدة، و تخدم حقيقة واحدة، و هي القومية المدنية و الإيديولوجية الأمريكية أو ما اصطلح عليه بالعقيدة الأمريكية كما سبق الإشارة إليه.

---

576 - ن م، ص 93.

و في هذا المضمار سوف نذكر - على سبيل المثال و ليس الاستدلال - أنواعا من المنتجات الإعلامية التي ترجمت الأصل الديني للعقل الأمريكي، و الذي انبثق عنه تقديس الذات و رفض الآخر انطلاقا من مجموعة من الأساطير الدينية، و على رأسها أسطورة الشعب المختار، و هذه الأنواع من المنتجات هي الأفلام السينمائية و البرامج الدينية التلفزيونية و الإذاعية، و قد وقع الاختيار عليها على اعتبار كثرة جماهيرها و شدة و رسوخ تأثيرها.

فمما لا شك فيه أن السينما أضحت إحدى الوسائل الاتصالية الجماهيرية المتميزة بالنشاط والحيوية و إحدى أهم التكنولوجيات الحديثة التي تستخدم في الترفيه ونشر المعلومات والرسائل الإعلامية المختلفة، فهي وسيلة اتصالية مركبة ذات جوانب جمالية تجمع بين الحركة، الصورة والمؤثرات الصوتية في آن واحد مما يجعل حواس الشخص وعقله عرضة للإثارة إلى درجة التأثير في اتجاهاته ومن ثمة اندماجه ومعايشته لها مما جعل العديد من المفكرين والمهتمين بالاتصال الجماهيري ينتبهون لخطورة دورها و اعتبروها أبعد الفنون أثراً وفاعلية في تشكيل العقل البشري، والثقافة الإنسانية بوجه عام، و توجيه سلوك الناس، وتعديل قيمهم الاجتماعية، والأخلاقية، وتغيير أسلوب الحياة الذي اعتادوا عليه، و هي لا تقدم لنا أفكار الإنسان فحسب كما فعلت الرواية من قبل، بل تقدم لنا سلوكه، وتقترح علينا مباشرة ذلك الأسلوب الخاص<sup>577</sup>.

وبالنسبة للسينما الأمريكية يتجلى دورها العظيم في خدمة الأصل الديني و تقديس الذات المؤسس على أسطورة الشعب المختار، من خلال العدد المعبر من الأفلام الدينية التي أنتجتها و تنتجها هذه السينما، بدءا من فيلم "ملك الملوك" The King of Kings في عصر السينما الصامتة في عقد العشرينيات من القرن العشرين<sup>578</sup>، والذي كان أول فيلم عن قصة المسيح مع الحواريين، و كذا فيلم الوصايا العشر في سنة 1923، وصولا إلى

577 - جمال بن زروق، القيم السياسية و الثقافية المنقولة عبر الصورة السينمائية، م س، ص 392. و انظر موقع:

<http://www.yabeyrouth.com/pages/index3384.htm>

578 - يذكر أن شخصية السيد المسيح هي واحدة من أكثر الشخصيات التي أثارت اهتمام صناع السينما العالمية بمختلف اتجاهاتهم، وأكثر الشخصيات التي تم تناولها، حيث أنتج أكثر من 325 فيلما تناولت شخصية السيد المسيح بمختلف لغات وبلدان العالم، تحتفظ ذاكرة السينما العالمية منها بحوالي 30 فيلما فقط. وكان أول هذه الأفلام عام 1906 بإنتاج السينما الفرنسية لفيلم 'La Vie du Christ' أو حياة وآلام المسيح. انظر كوثر الخولي، بعد 'نوح' المسيح وموسى ومريم في هوليوود 2014. و انظر القدس العربي بتاريخ: 2014/03/19. <http://www.alquds.co.uk/?p=145493>

فيلم آلام المسيح للمخرج اليميني "ميل جيبسون"<sup>579</sup> و فيلمي "الخروج من مصر" و "آلهة وملوك"، و كلاهما عن نبي الله موسى عليه السلام، و فيلم "نوح" عليه السلام و "مريم-يسوع"، و "قابيل و هابيل"، وكل هذه الأفلام الأخيرة أنجزت من وجهة نظر توراتية، و هي تلتقي مع التوجه العام للمذهب البروتستانتي و المسيحية المتصهينة و القومية المدنية الأمريكية، و لهذا لم يُخفِ الإعلام الإسرائيلي تباھيه بشأن نسج غالبية سيناريوهات أهم أفلام 2014 من كتاب التوراة<sup>580</sup>.

و بحسب الكثير من المهتمين بالسينما العالمية، فقد عاد اهتمام هوليوود لإنتاج الأفلام الدينية بفضل ما لاقت من قبول و رواج كبيرين، و بسبب مداخله التي صارت جد مغرية، فعلى سبيل المثال، حقق فيلم "نبي الله نوح" عليه السلام، الذي أخرجه دارين أرونوفسكي و جسّد دور البطولة فيه الممثل النيوزيلندي راسل كرو، نجاحا كبيرا، إذ حقق إيرادات تقدر بأكثر من 300 مليون دولار أمريكي في شبائيك التذاكر بجميع أنحاء العالم في فترة وجيزة، و تعليقا على هذه الظاهرة، قال بول ديرجارابيديان، و هو محلل اقتصادي متخصص في دراسة إيرادات شبائك التذاكر في شركة رينتارك، إن الأرقام السابقة من المتوقع أن تشجع شركات الإنتاج السينمائي على صناعة مزيد من الأفلام من هذا النوع<sup>581</sup>.

و يبدو أن الرواج لهذا النوع من الأفلام و الذي يخدم صناعة السينما، هو مؤشر على موجة من صحوة دينية جديدة تعيشها أمريكا تحمل في طياتها عودة قوية لتقديس الذات و اعتداد بها، و استشعار للخيرية على بقية الشعوب، و بخاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001. و قد جاء في دراسة استطلاعية أعدتها (منظمة إذاعات الدول الإسلامية) بـ(جدة): أنه تمّ تخصيص ما يزيد على المائة مليون دولار لإنتاج سينمائي، في

---

579 - عبد المحسن المطيري، فيلم "نوح" .. الجدل حول الأفلام الدينية لا ينتهي، موقع مجلة المجلة، التاريخ: الأحد 30 مارس 2014. فيلم نوح-الجدل-حول-الأفلام-الدينية-لا/55250565/article/2014/03/majalla.com/arb/

580 - عبد العزيز الدوسري، موجة الأفلام الدينية تجتاح سينما هوليوود بـ 2014، موقع العربية نت الخميس 8 ربيع الأول 1435هـ - 9 يناير 2014م:

موجة-الأفلام-الدينية-تجتاح-سينما-هوليوود-ب-2014/2014/01/09/art/

581 - سالي صلاح، الأفلام الدينية تهيمن على السينما الأمريكية، موقع عمان دايلي ليوم 2015/12/30: <http://omandaily.com/?p=109330>

(هوليود)، ويشمل إنتاج خمسة عشر فلماً، أعدت مادتها من (سفر التكوين)، وثمانية عشر فلماً، أعدت مادتها من (إنجيل لوقا)، لترسيخ فكرة أن الغرب سينقذ العالم، بمن فيهم المسلمين<sup>582</sup>.

و بالنسبة للبرامج الدينية التلفزيونية و الإذاعية، فأمریکا هي الأمة التي لا مثيل لها في مثل هذا المضمار، و تكاد أن تكون الدولة الوحيدة التي تمزج السياسي بالديني، و الديني بالإعلامي، فكثير من محطات الإذاعة و التلفاز مشغولة بالحديث عن التوراة و الإنجيل و رجالهما، بل هناك ظاهرة دينية تفردت بها أمريكا و هي الكنيسة المرئية، و في هذا يقول الدكتور سَفَر بن عبد الرحمن الحوالي<sup>583</sup>: "الكنيسة المرئية: التلفاز الديني في أمريكا أمره عجب؛ إذ تنتشر البرامج التلفازية في أمريكا بشكل يصعب معه حصرها على وجه الدقة. ولكن رابطة الإذاعيين الدينيين تقول: إن لديها ألف محطة تلفازية و إذاعية مشتركة في نشاطها، كما تقدر أن عدد المستمعين إلى المحطات الإذاعية المشتركة فيها يصل إلى 115 مليون نسمة أسبوعياً، و حوالي 14 مليون شخص من أعضائها يشاهدون الكنائس المرئية. و تقول بعض الدراسات: إن أهم عشر كنائس مرئية في الولايات المتحدة يشاهدها 40% من مشاهدي التلفاز الأميركي... ولكن النصارى لا يستطيعون الصلاة إلا في الكنيسة، فتفتقت أذهان موجهيهم عن فكرة هي أنهم قالوا: نحن نأتيكم بالكنيسة المرئية يوم الأحد. ففي أي لحظة افتح التلفاز وستجد الكنيسة أمامك، فأصبحت الأسر الأمريكية تجلس و تفتح التلفاز فيجدون الكنيسة أمامهم، ويسمونها (الكنيسة المرئية). و يقدر معهد جالوب المتخصص

---

582 - أكرم فتاح سليم، قصة الشيطان والأفلام الدينية في السينما الأمريكية (هوليود) - قراءة نقدية ، مجلة الحوار الإلكتروني. 2015/11/2. [http://alhiwarmagazine.blogspot.com/2015/11/blog-post\\_97.html](http://alhiwarmagazine.blogspot.com/2015/11/blog-post_97.html)

583 - ولد بالسعودية سنة 1955م و هو أحد علماء أهل السنة والجماعة و له حضور إعلامي و ثقافي و اجتماعي على الصعيد العربي و الإسلامي، أشار إليه بعض المفكرين الغربيين في كتاباتهم مثل هانتنتون الذي كتب صدام الحضارات، وكذلك الباحث والخبير الأميركي في مركز الدراسات الإستراتيجية و الدولية كوردسمان الذي خصص جزءاً من الدراسات عن السعودية وأشار فيها إلى سفر الحوالي و سلمان العودة. بالإضافة إلى تقارير من مجموعة الأزمات الدولية التي أشارت إلى الحوالي و دوره في الساحة السعودية السياسية و الفكرية برز الحوالي مع حرب الخليج و فاجئ الجميع بجرأته و بخطابه السياسي الغير تقليدي، إذ رفض الاستعانة بالقوات الأميركية في هذه الحرب بوضوح شديد متحدياً السلطة السياسية بقيادة الملك فهد و المؤسسة الدينية بقيادة الشيخ عبد العزيز بن باز، من أعماله: -العلمانية نشأتها و تطورها و أثرها. -ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي. - كشف الغمة عن علماء الأمة. - وعد كيسنجر و الأهداف الأمريكية في الخليج. - منهج الأشاعرة في العقيدة. - قراءة تفسيرية لنبوءات التوراة عن نهاية دولة إسرائيل. - الموقف الشرعي من أحداث 11 سبتمبر. - الانتفاضة و التتار الجدد. انظر: سفر الحوالي [https://ar.wikipedia.org/wiki/سفر\\_الحوالي](https://ar.wikipedia.org/wiki/سفر_الحوالي)

في الإحصاء أنه في عام 1982 كان 52 مليون أمريكي يشاهدون برنامجا أو أكثر من برنامج الكنيسة المرئية شهريا ، وعام 1983 حين ظهر الإيدز ارتفع العدد إلى 60 مليون شخص. وفي الدراسة الاستطلاعية التي أعدتها منظمة إذاعات الدول الإسلامية بجدة عن إذاعات التنصير أن في أمريكا وحدها 38 محطة تلفزيونية و 66 شبكة كابل و1400 محطة راديو [ يعمل فيها أكثر من 80.000 قسيس إنجيلي]<sup>584</sup> ومن بينها أربع خدمات تلفزيونية تتجاوز ميزانية البرامج لكل منها 50 مليون دولار سنويا ، و لك أن تقارن هذا بواقع الإعلام الإسلامي!<sup>585</sup>.

و أورد الدكتور سفر الحوالي حقائق مذهلة عن الإعلام الديني في أمريكا فقال:  
" إن صور نجوم البرامج الدينية المسموعة والمرئية من أمثال بيلي غراهام  
وجيري فالويل احتلت صفحات أبرز المجالات الأسبوعية، وأصبحت تسيطر  
على عقول الأمريكان، حتى إن هؤلاء النجوم - نجوم الأصولية؛ ومنهم جيمي  
سويجارت<sup>587</sup> صاحب برنامج الحملة الصليبية أصبحوا ينافسون نجوم السينما و الفن  
والرياضة في اجتذاب اهتمام الجماهير وتتبع أخبارهم وأحاديثهم باستمرار  
..و قدرت بعض الإحصاءات نسبة الأمريكيين المستمعين والمتابعين لبرامج  
الأصولية الدينية في عام 1980 بحوالي 47% من السكان، ويقولون: إنهم يفتتحون  
محطة إذاعية كل أسبوع، ومحطة تلفاز كل شهر.. وهناك رابطة مشهورة على مستوى  
أمريكا اسمها(الرابطة الوطنية للمذيعين الدينيين)، أي المذيعين العاملين في الإذاعات

584 - محمد السماك، الدين في القرار الأمريكي، الطبعة الأولى( بيروت: دار النفائس، 2003)، ص77.

585 - سقر بن عبد الرحمن الحوالي، القدس بين الوعد الحق .. والوعد المفترى ، الطبعة الأولى( القاهرة: الدار السلفية لنشر العلم، 1414هـ)، ص 31، 32.

586 - ويليام فرانكلين بيلي غراهام جونيور (1918 مبشر مسيحي إنجيلي أميركي من أصول اسكتلندية توبى في بيئة محافظة للغاية ، وصل إلى مرحلة الشهرة بعد دعم الإعلام الوطني الأمريكي له عام 1949. كانت مواعظه تيبث عبر الراديو و التلفزيون مما جلب له شهرة كبيرة داخل الشارع الأميركي ولا يزال يعاد بث بعض من مواعظه إلى اليوم. عمل مستشارا روحيا لعدد من الرؤساء الأميركيين وكان مقربا من ريتشارد نيكسون و دوايت أيزنهاور ، بنى مؤسسة دعوية كبيرة جعلته من أكثر الوعاظ تأثيرا ونفوذاً في العالم حتى وصل عدد متابعيه إلى 2.2 بليون متابع، وحاز على جائزة مؤسسة غالوب لأكثر رجل إثارة للإعجاب لخمس وخمسين مرة منذ عام 1955 وهو لم يحصل عليه أحد منذ

بداية إصدار التقرير. انظر: بيلي\_غراهام/ [https://ar.wikipedia.org/wiki/بيلي\\_غراهام](https://ar.wikipedia.org/wiki/بيلي_غراهام)

587 - جيمي سواجارت 1935 قس أمريكي يملك محطة للتلفزيون يستخدمها للتبشير بمعتقده ولأغراض أخرى فضحته النيابة العامة عند إلقاء القبض عليه واتهمته بسوء خلقه فظهر على شاشات كبريات المحطات التلفزيونية الدولية ليعترف تفصيلا بعلاقته الجنسية مع إحدى البغايا. هو صاحب مجلة the evangelist و له مناظرة مشهورة جدا مع الداعية الإسلامي الشيخ أحمد ديدات و التي انهزم فيها. جيمي\_سواجارت/ [https://ar.wikipedia.org/wiki/جيمي\\_سواجارت](https://ar.wikipedia.org/wiki/جيمي_سواجارت)

الدينية في جميع أنحاء أمريكا، ومذ أنشئت هذه الرابطة عام 1944 يوم كان عدد المحطات الإذاعية 49 محطة، أما في 1980 فقد أصبحت 800 محطة وارتفعت عام 1982 لتبلغ 1000 محطة تنتج وتدير برامج دينية. ومما يجدر ذكره أن هذه الرابطة أخذت منذ 1980 بعد هذا التوسع الهائل في تنظيم مؤتمر سنوي لأعضائها، وفي هذا المؤتمر تقام صلاة إفطار لمصلحة (إسرائيل) وتسيطر الحركة الأصولية النصرانية الغربية على جميع شبكات الكنيسة المرئية والمسموعة، ويتلقى نجرمان من نجومها وهما جيرى فولويل وبات روبرتسون يتلقيان أموالاً أكثر مما يتلقاه الحزبان الرئيسان في أمريكا (الحزب الديمقراطي والحزب الجمهوري). كل هذه حقائق من الصحافة الأمريكية، وقد اعتبرت الحركة الأصولية الأمريكية من الظواهر السياسية في القرن العشرين، وانكب علماء الاجتماع والنفس على دراسة هذه الظاهرة<sup>588</sup>.

و نقل الأستاذ عادل المعلم عن كتاب ( أمة اليمين - قوة المحافظين في أمريكا ) لمؤلفيه جون ميكثوايت، وأدريان وولدريدج) أن " في أمريكا 200 قناة تلفزيونية و 1500 محطة راديو للبرامج المسيحية"<sup>589</sup>.

و قد أورد الدكتور سفر الحوالي قائمة بأسماء أهم عشرة برامج في الكنائس المرئية تبعاً لأكثرها شعبية واجتذاباً للمشاهدين في الولايات المتحدة الأمريكية<sup>590</sup>.

---

588 - سَفَر بن عبد الرحمن الحوالي م س، ص 31.

589 - والتر راسيل ميد، بلد الله - الدين في السياسة الخارجية الأمريكية، م س، ص 10.

590 - سَفَر بن عبد الرحمن الحوالي م س، ص 32، 33.

اسم البرنامج	صاحب البرنامج	البث	المشاهدون أسبوعيا	المشاهدون شهريا
The 700 Club السبعمائة ناد	Pat Robertson بات روبرتسون	يومي	4.420.000	16.300.000
Weekly Crusade الحملة الصليبية الأسبوعية	Jimmy Swaggert جيمي سواجيرت	أسبوعي	3.640.000	9.254.100
Hour of Power ساعة من القوة	Robert Shuller روبرت شلر	أسبوعي	2.720.000	7.641.000
Praise The Lord مجداوا الرب	Jim Bakker جيم باكير	يومي	2.462.100	7.732.000
Expect a Miracle توقع معجزة	Oral Roberts أورال روبرتس	أسبوعي	3.037.600	7.732.000
Old Time Gospel Hour ساعة من إنجيل زمان	Jerry Fal Well جيرى فولويل	يومي	1.870.000	5.603.400
برنامج واستعراض كينيث كوبلاند	Kenneth Copland كينيث كوبلاند	أسبوعي	1.782.900	4.924.200
A Study In The World دراسة في الكلمة	Jimmy Swaggert جيمي سواجيرت	يومي	1.867.800	4.584.600
Day of Discovery يوم الاكتشاف	Paul V. Gorder بول فان جوردر	أسبوعي	1.443.300	4.075.200
برنامج واستعراض ركنس هابرد	Rex Humbard ركنس هابرد	أسبوعي	1.613.100	3.735.660



و قد أكد على هذه الظاهرة الأستاذ أناتول ليفن بقوله: " في الحقل الديني للإنجيليين

أدى ما كان يسمى رجال كنيسة التلفزيون دورا رائدا، و هم الذين استخدموا وسيلة الإعلام الجماهيري الجديدة هذه للتقرب من جمهور أوسع من قبل. بدأ الحملة القس بيلي غراهام، و تبعه عدد من الشخصيات التي لم يقتصر عملها على السعي للوصول إلى جمهور من أعراق مختلفة، بل شمل أيضا إشراك السود و غيرهم في جوقه كنائسهم، حيث توجد كاميرات التلفزيون و السينما لإبراز وجودهم فيها، و كان لغراهام بشكل خاص دور في دعم العديد من قضايا السود"<sup>591</sup>.

و قد يردّ اعتراض مفاده أن ظاهرة تسخير الإعلام في الصحنات الدينية ليست ظاهرة محصورة في الكنائس الأمريكية بمختلف مذاهبها و طوائفها، بل هي ظاهرة تشهدا كثير من الأديان، و خاصة الكبرى منها، و على رأسها الدين الإسلامي؛ غير أنه و بالمقارنة مع أيرلندا و هي أكثر الشعوب النصرانية تدينا من حيث النسبة العددية<sup>592</sup>، و بالمقارنة مع دول من العالم الإسلامي تنصّ في دساتيرها و تشريعاتها الأساسية على أنها تحكم بالدين الإسلامي، مثل المملكة العربية السعودية و جمهورية إيران الإسلامية، نجد أن البونّ شاسع من حيث تسخير الإعلام للخطاب الديني بين أمريكا و جميع دول العالم ذات الشعوب المتدينة.

ففي دراسة علمية أعدتها الدكتورة سهام الصويغ الأستاذة في جامعة الملك سعود بالرياض، في مدينة الرياض عن الأسر السعودية تبين أن البرامج الإخبارية هي الأكثر كثافة من حيث المشاهدة من قبل أفراد عينة البحث، حيث وصلت النسبة إلى 31.9 بالمائة، بينما البرامج الدينية تأتي في المرتبة الأخيرة بنسبة 5.9 بالمائة، و تتوسط هذه البرامج المسلسلات العربية فلأفلام الأجنبية فالأغاني العربية ثم الرياضة فللبرامج السياسية ثم البرامج الثقافية، فالأغاني والمسلسلات الأجنبية، ثم على التوالي البرامج الأخرى مثل الفن والديكور والموضة<sup>593</sup>.

591 - أناتول ليفن، أمريكا بين الحق و الباطل- تشريح القومية الأمريكية، م س، ص 117.

592 - سفر بن عبد الرحمن الحوالي، القدس بين الوعد الحق .. والوعد المفترى، ص 29.

593 - انظر موقع جريدة اليوم السعودية بتاريخ السبت الموافق 13 يوليو 2002 العدد 10620.

<http://www.alyaum.com/article/1000816>

## المطلب الخامس: التحرر من الأخلاق و القيم

ما من دولة أو مجتمع أو أمة أو حضارة إلا و هي تؤمن و تدّعي أن لديها منظومة قيم و أخلاق تتحرك في ضوئها، و تسير على هديها في سياستها الداخلية، و في سياستها الخارجية في مضمار العلاقات الدولية و الحضاراتية؛ غير أن هذا الإيمان و ذلك الادعاء يَظَلَّان في العالم الافتراضي و ما وراء الطبيعة، حتى يصدقها أو يكذبها الواقع الميداني في نفس المضمار، و هو الذي يجعل من ذلك الإيمان و الادعاء حقيقة في العالم الطبيعي المحسوس، أو وهما في عالم الخيال.

و الولايات المتحدة الأمريكية ليست استثناء و لا نشازا في هذا الإيمان و هذا الادعاء، فهي تزعم أنها أمة تأسست على ديانة سماوية و رسالة ربانية قائمة على الأخلاق و القيم و المبادئ، و هي كما سلف بيانه تدعي أنها بلد الرب، و تزعم أنها أمة بروح كنيسة، و أن شعبها متدين منذ هجرة البيوريتانز المُسمَّون بالأطهار و الحجاج إلى أمريكا.. أرض الميعاد، و اعتبروا أنفسهم شعب الله المختار.. كما أن أغلبية الأمريكيين يَعدُّون أمريكا حصن المسيحية في العالم.. و أنهم أصحاب رسالة إلهية يجب إبلاغها لبقية شعوب العالم<sup>594</sup>.

و تُدعّم الولايات المتحدة الأمريكية هذه الادعاءات بوقائع لا حصر لها، من ذلك أن المؤمنين بوجود الله فيها هو 95%، في حين بلغ في ألمانيا 72%، و بلغ في فرنسا 62%، و في الدانمرك 58%، و السويد بنسبة 52%؛ و وصل عدد المنتمين إلى الكنائس في أمريكا 57%، في مقابل 13% في ألمانيا، و 4% في فرنسا، و 4% في الدانمرك، و 9% في السويد؛ و بلغ عدد المنخرطين في التطوع لخدمة الكنائس في أمريكا 23%، أما في ألمانيا فهو 7%، و في فرنسا 3%، و في الدانمرك 2%، و في السويد 5%<sup>595</sup>.

و من ذلك أن أمريكا هي أكثر البلدان استهلاكا للإعلام الديني، ففي خلال شهر واحد يقرأ 37% من الشعب الأمريكي مجلة مسيحية، و 34% كتابا مسيحيا غير الكتاب المقدس،

594 - والتر راسيل مبيد، بلد الله - الدين في السياسة الخارجية الأمريكية، م س، ص 10، 12.

595 - عادل المعلم، مقدمة في الأصولية المسيحية في أمريكا و الرئيس الذي استدعاه الله و انتخبه الشعب الأمريكي مرتين، الطبعة الثالثة ( القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2005 )، ص 175.

و يستمع 39% لموعظة مسيحية في الإذاعة، و يستمع 45% لمحطة إذاعية تذيع موسيقى مسيحية، و يشاهد 49% برنامجاً تلفزيونياً دينياً، و بلغ عدد المشاهدين لتسع برامج فقط في الكنائس التلفزيونية 93.7 مليون مشاهد خلال شهر واحد<sup>596</sup>.

و من ذلك أن الأمريكيين هم أكثر الشعوب استهلاكاً للكتاب الديني، ففي عام 2004 اشترى الأمريكيون كتباً دينية بقيمة 1.9 مليار دولار و هو أضعاف مضاعفة لما قرأه العرب في كل المجالات في العام نفسه؛ و وزعت سلسلة كتب القس تيم لاهاي "المتروكون خلفاً - Left Behind" التي تروي أحداث المجيء الثاني للمسيح، و معركة هرمجدون، 60 مليون نسخة، كما صدرت في صور أخرى كألعاب و شرائط فيديو<sup>597</sup>.

كما لا يجادل أحد في الأثر القوي للدين على السياسة و السياسيين و على صناعة و اتخاذ القرار السياسي<sup>598</sup>، و على الهوية و الثقافة في الولايات المتحدة و على تحديد شخصية الدولة و المساهمة في تكوين أفكار أمريكا عن العالم، و يؤثر على استجابة الأمريكيين للأحداث التي تقع خارج بلادهم، و يفسر أيضاً إحساس الأمريكيين بأنفسهم كشعب مختار، و إيمانهم بما يحملون من مسؤولية نشر القيم التي يؤمنون بها عبر العالم<sup>599</sup>.

و ترى الليبرالية المسيحية - وهي أحد التيارات الثلاثة للبروتستانتية الأمريكية المعاصرة (الأصولية و الليبرالية و الإيفانجيلكية) - أن التعاليم الأخلاقية هي جوهر الدين المسيحي، و أن السيد المسيح هو معلم أخلاقي جليل، كما أن الأخلاق واحدة في كل العالم، إذ يمكن للبوذيين و المسيحيين و الهندوس و اليهود و المسلمين، بل و حتى غير المؤمنين أن يتفقوا جميعاً حول ما هو صواب و ما هو خطأ، و كل ديانة تحظى في جوهرها بجزء من الحقيقة الأخلاقية، و يعلن المسيحيون البروتستانت بتياراتهم الثلاثة - على الأقل رسمياً - مسؤولية إظهار مشاعر الحب و الرحمة تجاه كل إنسان، مسيحياً

596 - ن م، ص 176.

597 - والتر راسيل ميد، بلد الله - الدين في السياسة الخارجية الأمريكية، م س، ص 11، 12.

598 - محمد السماك، الدين في القرار الأمريكي، ص 83؛ سمير مرقس، رسالة في الأصولية البروتستانتية و السياسة

الخارجية الأمريكية، الطبعة الأولى، (القاهرة: مكتبة الشروق، 2001)، ص 15.

599 - والتر راسيل ميد، م س، ص 15.

كان أو غير مسيحي، و يترجمون ذلك بما يقدمونه من مساعدة للمحتاجين، و هم بذلك يعززون رسالة المسؤولية المسيحية إلى العالم<sup>600</sup>.

و كما تزعم الولايات المتحدة أنها صاحبة الصدارة و الريادة في الالتزام الديني، و أنها أمة الأخلاق و القيم، فهي تزعم أيضا أن هذه المنظومات الثلاثة تصبغ كل مجالات حياتها السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و العسكرية، كما أنها تصبغ قطاعات كثيرة، و منها التعليم و الإعلام<sup>601</sup>.

و بالنسبة للإعلام، فإن أمريكا تدّعي أن إعلامها قائم على الأخلاق و القيم، المنصوص عليها في ميثاق الشرف الإعلامي، في شكل مبادئ، مثل الصدق و الدقة و التوازن و العدالة و احترام الخصوصية و الموضوعية و تحية الأهواء الشخصية و الالتزام بالمسؤولية تجاه الصالح العام للمجتمع و احترام القانون و الالتزام بالآداب العامة و جودة الأداء، إلا أن أغلب تلك المبادئ التي تتضمنها ميثاق الأخلاقيات اعتُبرت أساطير للتضليل الإعلامي، وخاصة فيما يتعلق بمبادئ الموضوعية و الحيادة و الصدق و حرية الإعلام<sup>602</sup>.

إن المتأمل في الوقائع التي تحشدها الولايات المتحدة للبرهنة على أنها أمة أخلاق و قيم، يجد أنها على كثرتها و وفرتها إلا أنها لا تكاد تصمد أمام هول الأدلة و البراهين التي تنتقضها و تأتي على أسسها، و ذلك منذ نشأة الكيان الأمريكي نفسه<sup>603</sup>، و قد سبق الإشارة في مبحث سابق إلى بعض انتهاكات أمريكا لحقوق الإنسان، و إعاقة الديمقراطية في أمريكا نفسها، و في أنحاء كثيرة من المعمورة، و ذلك منذ تأسيسها إلى الآن<sup>604</sup>.

---

600 - والتر راسيل ميد، م س، ص 27، 28، 34.

601 - أناتول ليفن، أمريكا بين الحق و الباطل - تشريح القومية الأمريكية، م س، ص 28-30، 131.

602 - هيربرت شيللر، المتلاعبون بالعقول. ترجمة عبد السلام رضوان، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب الكويت: سلسلة عالم الفكر العدد 243، الإصدار الثاني، 1999. ص 11؛ فاضل البدراني، إستراتيجية التضليل الإعلامي الأمريكي وأسلوب التحدي في العراق : "الفعل ورد الفعل"، مجلة المستقبل العربي، العدد 361 لشهر مارس 2009، ص 42، 54.

603 - منير العكش، حق التضحية بالآخر - أمريكا و الإبادة الجماعية، م س، ص- ص 15-23.

604 - انظر الفصل الثاني المطلب الثالث: إعاقة الديمقراطية و نشر الفوضى في العالم الإسلامي، ص 193.

و الحديث عن مسألة القيم و الأخلاق في أية أمة مرتبط بمرجعياتها العقديّة و الفكرية و السياسية و الاجتماعيّة و الاقتصاديّة و العسكريّة، أو بأصول عقلها كما بين ذلك المفكر التربوي الأردني الأستاذ الكيلاني، و ليس غريباً على الأمة الأمريكيّة أن توصف منذ ميلادها و تأسيسها بالأمة الفقيرة أخلاقياً، لأنها تأسست على مجموعة من الأساطير الدينيّة و السياسيّة و الاجتماعيّة و الاقتصاديّة و العسكريّة<sup>605</sup>، التي تتمحور حول تمجيد الذات و تقديس الأنا(أسطورة الشعب المختار)، و رفض الآخر و معاداته، و تقديس الملكية الفردية (وحدانية السوق) و الاستئثار بالتسلط على كل شيء، و الإيمان بالصراع الاجتماعي و البقاء للأقوى (الداروينية الاجتماعيّة).

إن تلك الأساطير كان لها آثار سلبية وخيمة على منظومة القيم الأخلاقية، و قد لخص ذلك المفكر الفرنسي المسلم روجيه جارودي في النقاط التالية:

- 1 - "الاقتناع بأنهم << شعب مختار >> لديه << مصير مبین >> للسيطرة على العالم من أجل أن ينشئ فيه دولة الرب.
- 2 - "التأكد من أن علامة ذلك الاختيار الإلهي هي النجاح و الانتصار، الذي يترجم إلى ثروة، مهما كانت الوسائل التي استخدمها <<الناجحون >> من أجل الوصول إليها.
- 3 - عدم المساواة الأولية و التي جاءت نتيجة للعرق أو لوضع اجتماعي موروث، جعل من <<حرية التجارة >> قانون اللعبة الأكثر تأثيراً، لأنه يعطي للأقوى إمكانية تحطيم الأضعف.
- 4 - من هنا تأتي فكرة أن النجاح في الأعمال هو <<عمل أخلاقي >>، و ذلك حسب التعبير الذي أطلقه شليزنجر، و أن << الرابحين >> و خاصة أكبرهم ينالون الشرف بل التقديس"<sup>606</sup>.

ويعلل بعض الدارسين فقر المجتمع الأمريكي إلى القيم الإنسانية بالقول أن هذا الفقر ينسجم مع التطور التاريخي للولايات المتحدة الأمريكية. ففي أيام التوسع نحو غرب القارة الأمريكية لم يكن هناك ما يلائم الاحتكام إلى القيم المثالية الأخلاقية مثل: (لاتقتل)! ذلك أن

605 - روجي جارودي و آخرون الإمبراطورية الأمريكية م س، ص 165.

606 - ن م، ص 171.

الواقع الذي برز آنذاك هو إما أن يكون الأمريكي قاتلاً أو مقتولاً، ولذلك أصبحت (القيم الصائبة) هي قتل الهنود الحمر. وفي هذه الحالة يكون القاتل أفضل من المقتول<sup>607</sup>.

"و يكاد الإجماع أن يكون تاماً على أن المسؤولية في هذه الأزمة الأخلاقية إنما يقع على التربية الحديثة التي قصرت اهتمامها على وسائل الحياة دون الغايات و المقاصد، واستهدفت المواطن المنتج أكثر من المواطن الصالح المصلح ، وعليه فإن التربية الحديثة لا بد أن تعطى مجالاً أوسع للتربية الأخلاقية، وبناء على ذلك فقد تكونت لذلك مؤسسات ولجان وطنية للبحث، ورصدت أموالاً هائلة لدراسة كل ما يتعلق بالتربية الأخلاقية سواء من حيث المنهج، والمعلم، والأنشطة، وطرق التدريس. ويستطيع الباحث أن يتابع نتائج هذا الجهد في كثير من المراجع والمصادر الأجنبية التي تناولت هذا الموضوع"<sup>608</sup>.

و لقد كانت أزمة القيم في أمريكا محور اهتمام الكثير من الفلاسفة و التربويين، و كذا رجال الدين و السياسيين، فهذا الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر<sup>609</sup> و هو سياسي و رجل دين يصدر كتاباً تحت عنوان ملفت جداً لأزمة القيم داخل أمريكا، و هو: (قيمنا المعرضة للخطر: أزمة أمريكا الأخلاقية )، و قد نبه فيه على خطورة تلك الأزمة قائلاً: "يعتز الأمريكيون بعظمة وطنهم، و لكن الكثيرين منهم لا يدركون مدى اتساع و مدى عمق التحولات التي تحدث الآن في القيم الأخلاقية الأساسية لأمتنا، و في خطابها العام، و

---

607 - ماجد عرسان الكيلاني، أصول العقل الأمريكي و تطبيقاته السياسية و العسكرية ، م س، كتاب إلكتروني غير مرقم. نقلاً عن: O.W. Markley. Changing Images of man, Calif, Standford Rasearch Institute, May, (1977) pp. Vii-Viii

608 - عبد الرحمن عبد الرحيم النقيب، أزمة القيم في المناهج التربوية على الصعيد العالمي وانعكاساتها على التربية في العالم الإسلامي، انظر: استشارية المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالمغرب:

<http://iiit.org.ma-item/119-إصدارات/>

أزمة-القيم-في-المناهج-التربوية-على-الصعيد-العالمي-وانعكاساتها-على-التربية-في-العالم-الإسلامي

609 - جيمس إيرل "جيمي" كارتر. James Earl "Jimmy" Carter, Jr (1924) رئيس الولايات المتحدة التاسع والثلاثون وذلك في الفترة من 1977 إلى 1981 من الحزب الديمقراطي. ولد بولاية جورجيا الأمريكية. خدم في القوات البحرية كفيزيائي حتى 1953. دخل السياسة في 1962 عندما انتخب عضواً في مجلس شيوخ ولاية جورجيا، وفي 1970 انتخب كحاكم للولاية حتى سنة 1975. تميّزت فترة رئاسته بعودة منطقة قناة بنما إلى بنما و توقيع اتفاقيات كامب ديفيد للسلام في الشرق الأوسط. منح جائزة نوبل للسلام عام 2002. و هو قس مشهور ينشط من خلال المركز الذي أسسه: مركز كارتر في أكثر من 70 دولة. انظر :

[https://ar.wikipedia.org/wiki/جيمي\\_كارتر#.D9.85.D8.B1.D8.B6.D9.87](https://ar.wikipedia.org/wiki/جيمي_كارتر#.D9.85.D8.B1.D8.B6.D9.87)

و- سفر بن عبد الرحمن الحوالي، القدس بين الوعد الحق .. والوعد المفترى، م س، ص 20، 30.

في فلسفتها السياسية" و بعد أن أتى على مجموعة من الالتزامات التاريخية بحسب رأيه أردف: " و معظم القضايا الحاسمة و الخلافية التي نواجهها اليوم سبق أن نوقشت قبل وقت طويل وصولي إلى الرئاسة، و هذه المسائل الخلافية طبيعية، و معظمها لا يمكن تجنبه، و تشمل الإجهاض و عقوبة الإعدام، و العلم في مقابل الدين، و حقوق النساء، و فصل الدين عن السياسة و اللواط، و سياسة أمريكا الخارجية، و صورتنا الكوكبية، و الحريات المدنية، و تهديد الإرهاب و الانتشار النووي، و انتشار الأسلحة، و الاختيار بين الحرب و السلام، و نوعية البيئة و العدالة للفقراء<sup>610</sup>.

و يؤكد كارتر على أهمية القيم الأخلاقية بقوله: " إن البلاد سوف تملك السلطة و النفوذ المؤثر بسبب العوامل الأخلاقية، لا بقوتها العسكرية، و بسبب أنها تستطيع أن تكون متواضعة لا صخابة و متغترسة، و بسبب أن شعبنا يريد و بلادنا تريد أن تخدم الآخرين، لا أن تهيمن على الآخرين، و الأمة من دون مبادئ أخلاقية سرعان ما تخسر نفوذها حول العالم"<sup>611</sup>.

و قد سلف البيان أن الأصل الخامس من أصول العقل الأمريكي، الذي هو أصل القيم، يقوم على ركيزة أساسية، و هي تحرر العقل الأمريكي من الأخلاق و القيم، و قد انطبع هذا الأصل على الإعلام الأمريكي، فبات متحررا هو الآخر من الأخلاق و الفضائل و القيم.

---

610 - قيما المعرضة للخطر: أزمة أمريكا الأخلاقية ، ترجمة محمد محمود التوبة الطبعة الأولى، ( السعودية: العبيكان للنشر، 2007) ص 13، 14.  
611 - ن م، 73.

و" يصنف المختصون القيم تصنيفات مختلفة،<sup>612</sup> نختار منها التصنيف القائل: القيم ثلاثة أصناف: قيم جمالية - أي التي يكون الجمال محور معاييرها. وقيم ذرائعية - أي التي تكون الذرائع هي محور معاييرها. وقيم أخلاقية - أي التي تكون الأخلاق الحسنة محور معاييرها"<sup>613</sup>.

و يذهب الأستاذ الكيلاني إلى أن السلوك الأمريكي يتذبذب بين القيم الجمالية و القيم الذرائعية (البراغماتية)<sup>614</sup>، و يهمل و يتجاهل كلياً النوع الثالث وهو القيم الأخلاقية. و نتيجة لذلك نجد أن أمريكا قد حققت تقدماً كبيراً و مذهلاً على مستوى القيم الجمالية و الذرائعية، و التي تجسدت في العمران المادي، البادية آثاره في كل مناحي الحياة، لكنها أخفقت إخفاقاً عميقاً في ميدان القيم الأخلاقية ، و تبرز شواهد ذلك في انفصام الحياة بمختلف مجالاتها السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و العسكرية، و كذا العلوم و

---

**612 -** صنفها قاموس ويبستر Webster Dictionary إلى أربعة أصناف من القيم وهي: القيم الأخلاقية، مثل: الصدق والأمانة والنزاهة والإخلاص، و القيم المجتمعية، مثل: التعاون والعمل التطوعي والمساعدة، والقيم الفكرية، مثل: حب الفضول والتروي والعقلانية، و القيم السياسية، مثل: إثارة المصلحة العامة والمواطنة. وهناك تصنيف آخر يصنف القيم كما يأتي: القيم الأخلاقية الإنسانية، مثل: الصدق والأمانة والنزاهة والمساواة والعدالة والتسامح والحرية والمحافظة على البيئة، و القيم الاجتماعية، مثل: التعاون والمساعدة والتعاطف والاحترام وتحمل المسؤولية، القيم المعرفية أو العقلية، مثل: الفضول والعقلانية والدقة والموضوعية، و القيم الوطنية، مثل: المواطنة الصالحة والتضحية في سبيل الوطن، و القيم الشخصية، مثل: الصبر والثقة بالنفس والشجاعة، و القيم الجمالية، مثل: الميل إلى الفن والإبداع والتناسق. و صنفها عالم الاجتماع الألماني سبرنجر spranger إلى ست مجموعات هي: القيم الدينية، القيم السياسية و القيم الاجتماعية، والقيم النظرية و القيم الاقتصادية و القيم الجمالية. انظر: القيم لدى شباب الجامعة في مصر ومتغيرات القرن الحادي والعشرين د/محمد عبد الرازق إبراهيم و د/هاني محمد يونس موسى.

http://kenanaonline.com/users/drkhaledomran/posts/237063 و موقع:

http://www.schoolarabia.net/educational\_tips/ali\_abbas/living\_values/living\_values\_3.htm

**613 -** انظر: ماجد عرسان الكيلاني، أصول العقل الأمريكي و تطبيقاته السياسية و العسكرية ، م س، كتاب إلكتروني غير مرقم.

**614 -** البراجماتية يعود اسم هذه الفلسفة إلى الكلمة اليونانية (Pragma) وتعني العمل، ولذلك يطلق عليها أحيانا اسم الفلسفة العملية. ويرجعها البعض إلى هرقليطس الذي ركز على فكرة التغير المستمر، وهو ما أكدت عليه البراجماتية. وقد تأثرت البراجماتية بالتراث التجريبي البريطاني. وتنسب أصلاً إلى الفلسفة الوضعية المنطقية التي نشأت على يد أوجست كونت، ثم امتدت إلى إنجلترا بسبب جهود هيربرت سبنسر، ومنها انتقلت إلى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث دعا إليها تشارلز بيرس (1839-1914) الذي ركز على استخدام الطريقة العلمية في فحص الأفكار تجريبياً، وانتشرت على يد وليم جيمس (1842-1910) الذي أكد على تطبيقها في مجالات علم النفس والدين والتربية، وطورها جون ديوي (1856-1952) الذي عمل على تطبيقها في المجال التربوي ولم تعتبر البراجماتية الإنسان بطبعه خيراً أو شراً، بل أمنت بطبيعته المحايدة، ومعنى هذا أن الطبيعة الإنسانية متنوعة ونسبية، فالشخص الذي يسمى شراً في مجتمع ما، قد يسمى خيراً في مجتمع آخر، والعكس صحيح. انظر: يزيد عيسى السورطي، تأثير الفلسفة البراجماتية على التربية العربية: أسبابه، ومصادره، ونتائجه، (الأردن: الجامعة الهاشمية، الزرقاء، مجلة دراسات العلوم التربوية، المجلد 35، (ملحق)، 2008، ص 591، 592

http://journals.ju.edu.jo/DirasatHum/article/download/1813/1801.



المعارف و وسائل الاتصال و المواصلات عن الأخلاق، فالمبدأ الأخلاقي - أو القيمة الأخلاقية - غائبة تمام الغياب عن المدنية و العمران<sup>615</sup>.

لهذا ليس غريبا على الإعلام الأمريكي أن يصطبغ و ينطبع كغيره من مجالات و مسارات الحياة بالقيم الجمالية و القيم الذرائعية، فهو إذن لم يشذ في التنصل من القيم الأخلاقية، بل انسجم منطقيا و واقعا مع منظومته الحضارية، و صار فقط كغيره من مجالات الحياة الأخرى، متأرجحا و متذبذبا بين دينك النوعين من القيم.

فعلاقة البراجماتية بالقيم ليست ثابتة، فالبراجماتيون يعتقدون " أن القيم ليست ثابتة، و لا مطلقة، و لا موضوعية، و يرون أننا نعيش في عالم دائم التغير، و لذلك فإن القيم التي توجه سلوكنا يجب أن تكون أيضا متغيرة، و نسبية مقيدة بالزمان و المكان و الظروف، و ذاتية يصنعها الفرد، و تخضع لتفضيلاته، و ان كل ما يسهم في النمو الشخصي و الاجتماعي للفرد يعتبر قيما، أما ما يقيد خبرته فلا قيمة له، و يقولون بأنه يجب إخضاع القيمة للاختبار بشكل دائم و مستمر، و بما أن معيار قبول القيم أو رفضها عند البراجماتيين هو النتائج العملية و المنفعة، انتقد البعض ذلك و رأوا أنه يجعل القيم تشبه السلع التي تطرح في الأسواق، و ترتفع قيمتها أو تنخفض حسب منفعتها المادية"<sup>616</sup>.

لأجل ذلك لا غرابة في الثقافة الأمريكية أن يتصل الإعلام من القيم الأخلاقية و يتبنى القيم الجمالية و البراجماتية، فيتبرأ من الفضائل و يتبنى الرذائل، و يهجر الصدق و يقبل على الكذب، و ينصرف عن الحياد و الموضوعية إلى التحيز و الذاتية، و يتجاهل الدقة و التوازن و العدالة و احترام الخصوصية، و يعتمد على التضليل و التطفيف و الظلم و انتهاك الخصوصية، و لا يعترف بالالتزام بالمسؤولية تجاه الصالح العام للمجتمع الأمريكي أو الإنسانية، لأن غايته الوحيدة هي الربح، و الربح فقط.

615 - ماجد عرسان الكيلاني، أصول العقل الأمريكي و تطبيقاته السياسية و العسكرية ، م س، كتاب إلكتروني غير مرقم.

616 - يزيد عيسى السورطي، تأثير الفلسفة البراجماتية على التربية العربية: أسبابه، و مصادره، و نتائجه، (الأردن: الجامعة الهاشمية، الزرقاء، مجلة دراسات العلوم التربوية، المجلد 35 (ملحق)، 2008، ص 591، 592.  
<http://journals.ju.edu.jo/DirasatHum/article/download/1813/1801>.

و قد جسّد الإعلام الأمريكي كل ذلك في كمّ هائل من منتجاته، باختلاف أجناسها و أنواعها، ففي مجال الأفلام القذرة يكفي القول أن الولايات المتحدة الأمريكية تصدر صناعة الأفلام الإباحية حول العالم بنسبة 89% تقريبا، إذ تنتج الولايات المتحدة الأمريكية فيلما إباحيا كل 39 دقيقة، ما يضعها على قمة الدول المنتجة للبورنو، متفوقة على ألمانيا التي تحتل المركز الثاني، ويقدر حجم الأعمال في صناعة الأفلام الجنسية في الولايات المتحدة بمبلغ يتراوح بين 4 و 13 مليار دولار سنويا ، و تذكر الإحصائيات أن حوالي 12% من مجموع مواقع الإنترنت هي مواقع إباحية. وتبلغ نسبة المواقع الإباحية المجانية بين 70% و 80%، ويأتي أكثر من نصف المشتركين فيها من خارج الولايات المتحدة الأمريكية، و 9 من كل 10 مستخدمين يشاهدون المحتوى المجاني فقط، والذي يتابع أعداد المواقع الإباحية على شبكة الإنترنت يجد أن الأرقام قد وصلت إلى 18 ضعفا خلال الست أعوام السابقة (أي في 2008)، وبحلول عام 2015، كانت الأجهزة الذكية "المحمولة واللوحية" الوسيط رقم واحد في مشاهدة المواد الإباحية، و أشارت التقديرات أن ذلك سيضاعف عدد مستهلكي المواد الإباحية 3 مرات على الأقل، ومنذ بداية 2014، بلغ عدد مرات البحث عن المواد الإباحية أكثر من مليار و 425 مليون مرة باللغة الإنجليزية فقط<sup>617</sup>.

و نفس الأمر يقال عن آلاف الأفلام التي تمجد الحرب و تقّس العنف و التي تمخض عنها نوع من السينما سمي بـ"السينما الحرب"، و هي تتفق مع بنوية الخطاب الأمريكي من حيث أنها تعبر عن ثنائية الخير و الشر، الأصدقاء و الأعداء، و فكرة المتحضرين البرابرة ، و التي لم تسبق و لم تُضاهي فيها أي دولةٍ دولة الولايات المتحدة الأمريكية، و قد استعمل غالب ما أنتج منها بعد أحداث 11 سبتمبر 2001م لمحاربة الإسلام و المسلمين و تشويه صورتهم تحت مسمى محاربة الإرهاب، كما بينا ذلك في المبحثين الثاني و الثالث من هذا الفصل<sup>618</sup>.

---

617 - محمود الشيخ، صناعة أفلام الجنس.. عائدات بالثانية والحسابه بتحسب، بموقع أخبارك بتاريخ: 15 ديسمبر 2014.

المقال-من-المصدر-صناعة-أفلام-الجنس-عائدات-<http://www.akhbarak.net/articles/17169386>-618 - انظر ص 236، 244، 251، 245.

و إن نظرة فاحصة للبرامج التلفزيونية التي تستحوذ أمريكا على قسط كبير منها تُظهر الاستخدام المفرط للعنف، فمعظم الأنواع التلفزيونية تحتوي على الكثير من العنف الصريح أو الضمني، بدءاً من الأفلام، المسلسلات، النشرات الإخبارية، الأفلام الوثائقية، البرامج الرياضية، أفلام الكرتون وحتى في الفيديو كليبات و الإعلانات ؛ و قد أضحت التعرض للعنف في وسائل الإعلام يتم من جيل صغير، فالأطفال يتعرضون لبرامج كثيرة ومنوعة وفي أحيان كثيرة لا تلائم بمضامينها أعمارهم، كالعنف و الجنس و المخدرات...

و الجدير بالذكر أن هذا الموضوع قد استحوذ على انتباه العديد من الباحثين في مجال الإعلام في الولايات الأمريكية المتحدة، فوجد هؤلاء الباحثون الكثير من المضامين العنيفة في التلفزة الأمريكية، فعلى سبيل المثال، وُجد أن الأطفال حتى نهاية المرحلة الابتدائية يشاهدون أكثر من 20000 عملية قتل في التلفاز، وحوالي 100,000 عمل عنيف آخر ؛ وفي بحث آخر اتضح أن الأطفال الأمريكيين يتعرضون في المعدل لحوالي 50000 محاولات قتل في التلفاز حتى جيل 16 عاماً؛ الأبحاث أثبتت بأن الجريمة في التلفزة الأمريكية منتشرة أكثر بعشر مرات منها في الواقع الأمريكي<sup>619</sup>.

أما عن اعتماد الكذب و الدعاية و التضليل فقد أتى الباحث على نماذج كثيرة منها، و هي متناثرة في ثنايا الرسالة بحسب المقتضى، و هاهنا نأتي على مثال صارخ و دال على أنّ نهج البراجماتية الإعلامية هو نهج رسمي متبع في الثقافة و الإدارة الأمريكية، و أدلته من الكثرة بحيث تحتاج إلى بحث مستقل، و نضرب له مثلاً بما اتخذته وزير الدفاع الأمريكي الأسبق دونالد رامسفيلد<sup>620</sup> في عهد الرئيس الأمريكي الأسبق جورج وولكر

619 - عبد اللطيف المنصوري، العنف في وسائل الإعلام، انظر:

[http://elmansouri60.blogspot.com/2014/02/blog-post\\_5981.html](http://elmansouri60.blogspot.com/2014/02/blog-post_5981.html)

620 - (Donald Rumsfeld) ولد في 1932 بولاية إلينويس، وأصول جده الأكبر تعود إلى ألمانيا التي هاجر منها إلى أمريكا في القرن التاسع عشر وزير الدفاع الأمريكي الأسبق وذلك منذ عام 2001 حتى استقال عام. وهو الشخص الأكبر عمراً الذي يتولى هذا المنصب، تولى منصب عضو في مجلس النواب الأمريكي أربع مرات (من 1962 إلى 1969)، ثم أصبح أصغر وزير دفاع في التاريخ الأمريكي في عهد الرئيس جيرالد فورد وذلك في عام 1975 م وكان يبلغ من العمر 43 عاماً، يعتبر واحداً من أهم الأعضاء في ما يسمى بالصقور أو المحافظون الجدد . وهو من المؤمنين بالإمبراطورية الأمريكية وباستخدام القوة لتحقيق الغايات . أشتهر بالتسبب في قتل آلاف البشر خلال حرب أفغانستان وحرب العراق كما أمر بوضع السجن السرية الأوربية والاعتقالات السرية، وتسبب باعتقال أعداد كبيرة من البشر واستخدام جميع أساليب التعذيب خلال الاستجواب . ومن ناحية أخرى أسس أكبر معتقل بالعالم وهو معتقل خليج غوانتانامو، و الذي أمر باستخدام جميع أنواع أساليب التعذيب ومنها الاعتصاب واستخدام الكلاب، والضرب، والصعق بالكهرباء، والقتل خلال استجواب المعتقلين داخل المعتقل، وحرمان جميع المعتقلين من محاكمة عادلة . انظر موسوعة ويكيبيديا: دونالد رامسفيلد [ar.wikipedia.org/wiki/رامسفيلد](http://ar.wikipedia.org/wiki/رامسفيلد)

بوش<sup>621</sup> من أساليب و وسائل قذرة في الحرب على العالم الإسلامي باسم محاربة الإرهاب، فقد عمدت وزارة الدفاع عقب غزو أفغانستان و قبيل غزو العراق إلى إنشاء- في سرية تامة-(مكتب للتأثير الإستراتيجي) هدفه التلاعب بالرأي العام من خلال وكالات أنباء غير أمريكية ، فمنذ بداية الحرب الأمريكية المزعومة على الإرهاب أكد البنتاغون الحاجة إلى مواجهة المشكلة المتنامية المتمثلة في التضليل المعلوماتي الذي يستخدمه العدو، و قد انفضح أمر هذا المكتب، فقد نشر ميشيل تشوسدوفسكي، وهو أستاذ الاقتصاد بجامعة اتاوا ومدير مركز أبحاث العولمة مقالة قال في مقدمتها : «وفي أعقاب أحداث 11 سبتمبر 2001م قام وزير الدفاع الأمريكي الأسبق دونالد رامسفيلد بإنشاء مكتب التأثير الاستراتيجي أو مكتب التضليل كما يطلق عليه من ينتقدونه، وفجأة تم حل مكتب التأثير الاستراتيجي بشكل رسمي بعد سلسلة من الضغوط السياسية وقصص الإعلام الزائفة التي كان عرضها الكذب عمداً لتقديم المصالح الأمريكية، إلا أنه رغم حل هذا المكتب ظاهرياً، أكد رامسفيلد بعد ذلك في مقابلة صحفية أنه رغم أن اسم مكتب التأثير الاستراتيجي لم يعد موجوداً، فإن وظائف المكتب المرجوة يجري تنفيذها الآن، وهذا يعني لكل عاقل أن السياسة الأمريكية تقوم على الكذب عن سبق إصرار وتقوم على تليفيق القصص الإعلامية الزائفة بهدف إيجاد المبررات المتواصلة كي تبقى مصلحة أمريكا فوق مصلحة الجميع، وهذا ما يجعلني أؤكد مرة أخرى أن الضحية الأولى للكذب الأمريكي وصناعة الوهم الأمريكي هو الشعب الأمريكي أولاً ثم بقية شعوب الأرض، وهذا ما يجعلنا نقف أمام قيادة أمريكية كاذبة وخادعة ومضللة وتتاجر بمشاعر الشعب الأمريكي الذي أرادت له

---

**621 - (George W. Bush)** ولد عام 1946. و هو من أصول إنكليزية وألمانية وأيرلندية وفرنسية وسكوتلندية. رئيس المتحدة الثالث والأربعون من 2001 إلى 2009 كان حاكماً لولاية تكساس قبل توليه رئاسة الدولة وذلك من 1995 إلى 2000. وقد انتخب رئيساً بعد انتخابات أنتت نتيجتها متقاربة مع منافسه الديمقراطي آل غور. وفي عام 2004 أعيد انتخابه للمرة الثانية لمدة أربع سنوات بعد تغلبه على مرشح الحزب الديمقراطي جون كيري. قبل دخوله السياسة كان رجل أعمال، وكانت أعماله تتضمن عدة شركات للنفط. كما أنه كان أحد المالكين لنادي تكساس رنجر للبيسبول من 1989 إلى 1998. يملك مزرعة في كروفورد تكساس. وعدد من أعضاء أسرته سياسيون بارزون. فهو ابن الرئيس السابق جورج هربرت ووكر بوش، والأخ الأكبر لحاكم ولاية فلوريدا الأسبق جب بوش، وحفيد عضو مجلس شيوخ الولايات المتحدة برسكت بوش. جورج دبليو بوش/1-cite\_ref-1/https://ar.wikipedia.org/wiki/

قيادته أن يحيا مرعوباً وأن يموت مرعوباً كي يصفق لها موافقاً على حرق أفغانستان وتدمير العراق ثم الاستعداد لضرب دولاً أخرى وغيرها،!»<sup>622</sup>.

و تتجلى البراغماتية الإعلامية في نسخها الأنجلو - أمريكية في أبشع و أزدل استعمالاتها أيضاً من خلال عالم الإعلان و الإشهار، و هو العالم الذي يشكل سر أنفاس أغلب المنتجات الإعلامية و روحها، فبالإعلان وجودها، و بانعدامه تكاد تفنى و تنعدم، و هو ما سنبينه في مطلب لاحق تحت عنوان "تسخير الإعلام لصناعة الموافقة و تحصيل المال خدمة لطبقة الأوليغارشية"، و الحديث عنه هاهنا هو من زاويته الأخلاقية المنبثقة عن المذهب البراغماتي في الإعلان.

و لا تكمن خطورة الإعلان فقط في البعد الاقتصادي، من حيث استنزاف أموال المستهلكين للسلع بغير وجه حق و نفع في كثير من الأحيان، بل تتعداها إلى الجوانب الخُلقية الأخطر مثل خلق أنماط السلوك غير الإيجابية، كالتطلعات الاستهلاكية غير السليمة التي تعتمد على دوافع الثراء السريع و التقليد غير المنضبط للعادات الاستهلاكية؛ و مثل بعض الجوانب غير الأخلاقية في الإعلان، كاستخدام الرموز و الإيحاءات الجنسية و التوسع في استخدام المرأة للإعلان عن كثير من السلع و الخدمات، بما يؤدي إلى إثارة الغرائز و دفع المشاهدين لتلك الإعلانات للتصرف ليس من منطلق الحاجة الفعلية إلى السلعة المعلن عنها، ولكن بتأثير الرغبة الحسية التي يثيرها الإعلان فيهم، هذا بالإضافة إلى أن الإعلان قد ينقل معلومات غير صحيحة في كثير من الأحيان، و يُخلط على المتلقي بين الإعلام و الإعلان، و ثمة مشكلة مماثلة هي ما يتعرض له الأطفال من أضرار حين يرددون ما تحفل به الإعلانات التليفزيونية من كلمات و تعبيرات متدنية و سوقية، و خاصة تلك التي تردد أغنيات تتضمن أوصافاً و تلميحات تبعد عن القيم و المعايير الأخلاقية<sup>623</sup>.

---

622 - داود الجنابي، الإعلام البعئي في ظل الحروب الإعلامية قراءة في الإعلام المقاوم في ظل العولمة وسيادة شبكة الانترنت ج2. شبكة البصرة.

[http://www.albasrah.net/ar\\_articles\\_2011/1211/janabi2\\_121211.htm](http://www.albasrah.net/ar_articles_2011/1211/janabi2_121211.htm)

623 - جمهورية مصرية العربية، مدينة بني سويف الجديدة، جامعة النهضة و المجلس العربي للتربية الأخلاقية، بحوث محكمة، مؤتمر " أخلاقيات الإعلام و الإعلان " 28 ، 29 من مارس 2009، ص13، 15، 168.

# المبحث الثاني

## طبيعة الإعلام الأمريكي وخصائصه

المطلب الأول: الخضوع لسيطرة المؤسسة السياسية

الحاكمة و الشركات الاقتصادية العملاقة

المطلب الثاني: تسخير الإعلام لسياسة الموافقة و

تحصيل المال خدمة خدمة لطبقة الأوليغارشية

المطلب الثالث: الانحياز و غياب المصداقية و

الموضوعية

المطلب الرابع: استعمال الإعلام سلاحا في الحروب

الثقافية و الإعلامية و ترهيب و تهميش المعارضين

و المخالفين في الداخل و الخارج

تبيين من خلال المبحث السابق، المعنون بـ: ( فلسفة الإعلام الأمريكي و أسسه )، كيف أن تلك الأسس الخمسة التي تأسس عليها الإعلام الأمريكي، قد انبثقت من الأصول العقلية للأمة الأمريكية، و التي هي عبارة عن أصولها العقديّة و الفكرية و الإيديولوجية، أو ما يطلق عليه المفكرون و الفلاسفة و الباحثون المختصون مسمى العقيدة الأمريكية و القومية المدنية الأمريكية، و قد بقيت هذه العقيدة في جوهرها على ما هي عليه طوال أغلب تاريخ أمريكا، و هي تجد جذورها البعيدة بشكل أساس في الديانتين المحرفتين، اليهودية و المسيحية، و في الحضارتين الغربيتين، اليونانية و الرومانية، و تجد جذورها القريبة في عصر التنوير في أوروبا، فضلا عن كونها مشتقة من التقاليد البريطانية (فلسفة جون لوك الليبرالية)<sup>624</sup>.

و في هذا المبحث الذي عنوانه (طبيعة الإعلام الأمريكي و خصائصه)، سيحاول الباحث أن يستنتج أن الخصائص التي انطبع بها الإعلام الأمريكي مهما قلت أو كثرت فهي منبثقة من أسس ذلك الإعلام نفسه و فلسفته، و عليه فإنه يمكن القول أن ثمة انسجام تام بين (أصول العقل الأمريكي)، و (فلسفة الإعلام الأمريكي و أسسه)، و (طبيعة الإعلام الأمريكي و خصائصه)، فالأصول انبثقت الأسس، و الأسس أثمرت الخصائص، و هو ما تم ترجمته و بيانه في الجدول السابق.

و بناء على ذلك نشرع في محاولة بيان خصائص الإعلام الأمريكي، و التي نحاول تجليتها و كشفها أيضا من خلال ما تمارسه أمريكا من حرب حضارية أحادية الجانب على العالم الإسلامي و بخاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م، و هذه الخصائص هي على سبيل التمثيل أكثر منها على سبيل الحصر.

---

624 - أناتول ليفن، أمريكا بين الحق و الباطل- تشريح القومية الأمريكية . ترجمة د ناصرة السعدون، الطبعة الأولى ( بيروت : المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، 2008) ص 129، 130.

## المطلب الأول:

### الخضوع لسيطرة المؤسسة السياسية الحاكمة

#### و الشركات الاقتصادية العملاقة

إنّ أولى و أخطر خاصية تطبع الإعلام الأمريكي أنه يخضع لسيطرة المؤسسة السياسية الحاكمة المتنفذة صانعة القرارات الداخلية و الخارجية، و كذا لمؤسسة الاقتصادية، المتمثلة في الشركات العملاقة المالكة و المهيمنة على الاقتصاد الأمريكي، و قطاع واسع من الاقتصاد العالمي، و التي امتد نفوذها لقطاع الإعلام والاتصال و وسائلها التكنولوجية، و أصبحت تخطط و توجه و تراقب و تحتكر تدفق الأنباء والمعلومات.

و يذهب بعض الدارسين للتاريخ الأمريكي إلى أن السيطرة على الإعلام في أمريكا و الحد من فعاليته تجاه الرأي العام، مسألة قديمة، تعود جذورها إلى بدايات الاستقلال عن التاج البريطاني في سنة 1776م، بل ربما أبعد من ذلك، و ذلك مع البدايات الأولى للغزو و تأسيس أولى المستعمرات البيوريتانية.

ففي عام 1858م كتب هنري ديفيد ثورو<sup>625</sup> صاحب كتاب "الحياة في الغابة" يقول: "لا يحتاج أحد إلى قانون من أجل السيطرة على حرية الصحافة، فإنها تقوم بذلك بنفسها وأكثر مما يجب. ففي حقيقة الأمر عندما تصل المجتمعات إلى رأي موحد حول الأشياء التي يمكن أن يختلف فيها، فإنه لا يوجد واحد في الألف يجرؤ على الإفصاح عن شيء مختلف"<sup>626</sup>.

ويعلق الفيلسوف الفرنسي رجا جاردوي على هنري ديفيد ثورو الذي يصفه بالمنشق النادر قائلاً: "إن قيام التوجيه و السيطرة على الرأي العام - و الذي يُطلق عليه اليوم في الدول التي تقع تحت السيطرة الأمريكية «الفكر الموحد»- كان من خواص

---

**625-** Henry David Thoreau (1817-1862)، شاعر و كاتب مقالات أمريكي . دافع في كتاباته عن قيمة الفرد في المجتمع المادي. تأثر بكتاباته غاندى و الحركة العمالية في بريطانيا. أشهر كتبه " بحيرة وولدن" أو الحياة في الغابة Walden; or Life in the Woods (1854) «الذي يمكن أن يُفسر كسيرة ذاتية أو نقد اجتماعي أو سير لأغوار النفس البشرية، و " رحلات " (1863)، و " أمريكي (يانكي) في كندا " (1866).  
**626-** روجي جاردوي و آخرون، الإمبراطورية الأمريكية، ج2، م س، ص 169، 168.



الفكر الأمريكي الأصلي"؛ ثم يردف جارودي مبينا أن "الفكر المكارثي"<sup>627</sup>، لم ينتظر  
ماكرثي في عام 1952 لكي يهيمن، و لكن الرجل أعطاه العلامة المسجلة، و هي مناهضة  
تنوع الفكر.. هذه التركيبة للفكر الأمريكي، في فترة تعيش فيها الولايات المتحدة أزهى  
عصورها، عُدَّت صورة حديثة للبيوريتانية التفتيشية التي كانت موجودة في البدايات عندما  
قام مشرعو كونكتيكت خلال سنوات 1640-1650- كما ذكر توكفيل في كتابه-، بإصدار  
هذا القانون الجنائي الذي وجد في الكتب المقدسة: "كل من يعبد إلهاً آخر غير إلها،  
سيُقتل" <sup>628</sup>.

و من الطبيعي أن ينتقل هذا التعصب للدين و رفض المخالف إلى ميادين السياسة و  
الاقتصاد و الاجتماع و القيم و الفكر و الإعلام و الاتصال، و كل ذلك من منطلق  
أسطورة في السياسة الأمريكية و هي: "أنا شعب الله المختار". و من هنا كان تدخل  
أصحاب القرار في عمل الإعلام من القضايا الثابتة التي لم تنقطع و لم تتوقف و ذلك لما  
للإعلام من تأثير بارز في تشكيل الرأي العام.

يقول أستاذ العلوم السياسية تيموثي كوك<sup>629</sup> في كتابه (الحكم بالإعلام): "إن التدخل  
الحكومي في عمل الصحافة لم يتوقف في أمريكا و إن اختلفت السبل.. ففي الماضي كانت  
وسائل الحكومة هي الترخيص، ثم الضرائب، و كذلك قوانين السب و القذف و الرقابة، و

---

**627-** نسبة إلى جوزيف ريموند مكارثي (1908- 1957) نائب جمهوري بالكونغرس الأمريكي من ولاية ويسكنسن  
في الفترة ما بين عام 1947 إلى عام 1957 ومع بدايات عام 1950 أصبح مكارثي من أشهر الشخصيات العامة في  
فترة بلغت فيها شكوك المعادين للشيوعية أوجها لتأثرهم بالتوترات الناتجة عن الحرب الباردة . وقد ذاعت شهرته نتيجة  
ادعائه بدون دليل أن هناك عددا كبيرا من الشيوعيين والجواسيس السوفيت والمتعاطفين معهم داخل الحكومة الفيدرالية  
الأمريكية، وفي النهاية أدى نهجه إلى ضعف مصداقيته وتعنيفه رسمياً بواسطة مجلس الشيوخ الأمريكي. وقد ظهر  
مصطلح المكارثية لأول مرة ضمن كاريكاتير رسمه الفنان الأمريكي هربرت بلوك عام 1950، واصفا الهستيريا  
الجماعية التي كانت بلاده تعيشها وقتها في إشارة إلى ممارسات مكارثي وتم استخدام هذا المصطلح بعد ذلك للتعبير عن  
الإرهاب الثقافي الموجة ضد المثقفين. وقال «بلوك» لاحقاً إن الكلمة «كانت وصفا لبلاء كان يصعب إيجاد اسم له». و قد  
دخلت القاموس المعاصر باعتبارها تلك الحالة من اغتيال الخصوم السياسيين معنويا عبر اتهامات بالجملة تطعن في  
شرفهم ووطنيتهم، ثم التنكيل بهم وإقصائهم. والمكارثية ظهرت في خمسينيات القرن العشرين وكانت عبارة عن اتهامات  
بالخيانة والعمالة بغض النظر عن وجود أدلة تثبت تلك الادعاءات، واستخدمت وقتها ممارسات التفتيش في الضمائر  
وتلفيق الاتهامات والفضائح لإسكات الآراء المخالفة ليس فقط للحكومة، وإنما لكل من يعترض على المكارثية ذاتها إنظر:

جوزيف\_مكارثي/https://ar.wikipedia.org/wiki/

**628-** روجي جارودي و آخرون، الإمبراطورية الأمريكية، ج2، ص 169.

**629-** تيموثي كوك Timothy E. Cook (1954- 2006) باحث أمريكي في وسائل الاتصال الجماهيري، وأستاذ  
الصحافة في جامعة ولاية لويزيانا. اشتهر بكتبه التي تهتم بالتفاعل بين السياسة والإعلام، و قد كان له تأثير على بحوث  
الصحافة والتعليم.. نال شهرة واسعة عن كتابه الحكم بالأخبار أو بالإعلام. انظر:

Timothy\_E.\_Cook/https://en.wikipedia.org/wiki/

التي اختفت مع <<التقدم>> الكبير في حرية الصحافة، ثم ظهرت بعد ذلك وسائل أخرى من ألوان الدعم و الضغط الحكومي، لا تقل فاعلية و تأثيرا عن سابقتها في أشكال و قوالب و مضمون الأخبار، بحيث يمكن القول بأن الصحافة لم تكن حرة قط من التدخل الحكومي بأمريكا في جميع العصور<sup>630</sup>.

و في العقود الأخيرة من القرن العشرين و إلى الآن، لم تعد المسألة مجرد تدخل في الإعلام، و إنما تحول الوضع إلى سيطرة شبه كاملة من قبل المؤسسة السياسية الحاكمة و المؤسسة الاقتصادية المتحالفة معها، و صار الإعلام مجرد مؤسسة تابعة، وظيفتها تسويق السياسات التي يقررها النظام الحاكم. و أصبح الحكم يمارس من خلال الإعلام، و بمعنى آخر أصبحت وظيفة الإعلام، هي صناعة الموافقة أو صناعة الإجماع الذي تريده الطبقة الحاكمة لتنفيذ سياسات معينة<sup>631</sup>.

و ذكر ألكسيس دو توكفيل<sup>632</sup> في كتابه "الديمقراطية في أمريكا"، أمرا في غاية الأهمية، عن حرية الصحافة و عن الأساليب و الآليات البارعة في الذكاء حول كيفية التحكم فيها؛ فعلى الرغم أن لا أحد من الشعب الأمريكي يجرؤ على أن يقترح فرض أي قيد على الصحافة<sup>633</sup>، إلا أن تأثيرها في الرأي العام يبقى محدودا. و قد فسر ألكسيس ذلك فقال: "يعزو أوسع الأمريكيين ثقافة و استنارة ضالّة تأثير الصحافة عندهم إلى توزع قوتها و بعثرتها، فمن بديهيات العلوم السياسية المعروفة في تلك البلاد أن الطريق الوحيد إلى تحييد أثر الصحافة العامة إنما هو الاستكثار منها"<sup>634</sup>.

---

630- رمزي كلارك و آخرون الإمبراطورية الأمريكية ، (مقال د حسن رجب، الإعلام الأمريكي.. تسلية حتى الموت)، ج1، ص 68.

631- رمزي كلارك و آخرون م س، ص69،68.

632 - (Alexis-Charles-Henri Clérel de Tocqueville)، مفكر سياسي و رجل سياسة و عالم اجتماع و مؤرخ فرنسي. اهتم بالسياسة في بعدها التاريخي. وُلد في 1805 و مات في 1859. أشهر مؤلفاته أشهر آثاره: «الديمقراطية في أمريكا» (1835 - 1840 م)، و«النظام القديم والثورة» 1856. حياته و أعماله جعلت منه أكثر المفكرين تمثيلا لعصر تموقع بين النظام القديم وفرنسا ما بعد الثورة. اشتهر بتحليلاته للثورة الفرنسية و للديمقراطية في أمريكا و تطور الديمقراطيات الغربية. انظر: [https://fr.wikipedia.org/wiki/Alexis\\_de\\_Tocqueville](https://fr.wikipedia.org/wiki/Alexis_de_Tocqueville)

633 - الكسيس توكفيل الديمقراطية في أمريكا ، ترجمة أمين مرسي قنديل الطبعة الرابعة، القاهرة: عالم الكتب 2004 ج1، ص 165

634- ن م، ج1، ص167.

و الملفت للنظر أن ظاهرة الاستكثار من وسائل الإعلام عددا، بقيت إلى الآن ميزة في الإعلام الأمريكي، و ما تغير هو عدد المالكين الذي انحصر مع الزمن في فئة محتكرة في شكل مؤسسات ضخمة قوية عابرة للقارات، تستهدف الربح فقط، سواء من خلال صناعة الإعلام نفسها، أو لخدمة المصالح الاقتصادية المتشابكة الأوسع. و هذه ميزة أخرى في الإعلام الأمريكي، لا تقل خطورة عن مثيلاتها التي تخدم هيمنة طبقة الواحد بالمائة<sup>635</sup>.

يقول المفكر الإستراتيجي عبد الحي زلوم: " تمتلك طبقة الواحد بالمائة النفوذ و السيطرة على الإعلام. و عندما كتب بين باغديكيان Ben Bagdikian العميد الفخري لكلية الصحافة بجامعة كاليفورنيا الطبعة الأولى من كتابه « احتكار الإعلام » عام 1983م، كانت أغلبية ملكية الشركات ذات النفوذ الإعلامي محصورة في خمسين شركة، و عندما أصدر الطبعة الخامسة من كتابه آنف الذكر في العام 1997م كان عدد الشركات التي تسيطر على وسائل الإعلام الأمريكية قد تقلص إلى عشر، و حتى عندما كان العدد خمسين شركة حذر باغديكيان من خطورة الموقف قائلا: « عندما يسيطر خمسون رجلا و امرأة، هم رؤساء شركاتهم على أكثر من نصف المعلومات و الأفكار التي تصل إلى 220 مليون أمريكي، فإن الوقت قد حان لينتدبر الأمريكيون المصادر التي توفر لهم الصورة اليومية عن العالم و ما يعتريه من أحداث !!»<sup>636</sup>.

و يتساءل البروفيسور زلوم حول ما إذا كانت هناك مؤامرة تكمن وراء هذا التركيز لسلطة الإعلام في أيدي زمرة قليلة من الناس؟ و يجيب عن ذلك بما نقله عن بين باغديكيان قوله: " هناك نظريات مؤامرة في تفسير التركيز المتسارع لنفوذ الإعلام، و لكن في تاريخنا الحديث فليس هناك في الحقيقة حاجة إلى المؤامرة. و لكن عدم وجود المؤامرة لا يعني بالضرورة أن شركات الإعلام الكبرى تفتقر إلى النفوذ، أو تفشل في استعمال هذا النفوذ بطريقة موحدة ! لقد تقاسمت تلك الشركات و تشاركت في القيم التي

---

635 - يقصد بطبقة الواحد بالمائة الطبقة الأكثر ثراء في المجتمع الأمريكي و التي تضم كبار أصحاب المال و الذين يملكون أكثر من 50% من ثروة الولايات المتحدة، و بإضافة 19% يصير مجموع ما تملكه طبقة 20% من المجتمع الأمريكي هو 80% من ثروة الولايات المتحدة. انظر عبد الحي زلوم، نذر العولمة، م س، ص 33.

636 - عبد الحي زلوم، نذر العولمة، م س، ص 33.

تتعرض في ما تركز عليه و تؤكد نشراتها الإخبارية و ثقافتها الشعبية. إن هؤلاء هم الأطراف الرئيسية التي تشكل و تحدد اتجاهات الرأي العام الأمريكي إزاء الأحداث و ما تعني هذه الأحداث من مغاز. و من خلال ما سلف و بواسطة تنظيم نفسها في وحدات كبرى ذات تأثير و نفوذ على درجة بالغة الأهمية فإنها تتمتع بتأثير كبير جدا على الحكومات<sup>637</sup>.

لقد نشأت ظاهرة الكارتلات الإعلامية في أمريكا في وقت مبكر نسبيا، فمثلا الكارتل المختص في مجال البث عبر الأثير بدأ عام 1919. و من الأسباب الكامنة التي تغري بامتلاك وسائل الإعلام هو النفوذ السياسي الذي توفره، فالشركات المالكة لتلك الوسائل هي شركات ضخمة و تتركز مصالحها الأساسية و الرئيسة في نشر ثقافة الشركات و تعزيزها، و الترويج للتشريعات التي تراعي مصالحها. أما إثارة الحقائق التي تخدم الفئات الأدنى دخلا، أو تلك التي تخدم نظام الضرائب، و مدى مساهمة الشركات و وسائلها في إيرادات الحكومة الفيدرالية، فلا تتعرض لها وسائل إعلام تلك الشركات و إن تعرضت لها فبالنزر القليل الذي يذر الرماد في العيون من باب التضليل للجماهير<sup>638</sup>.

إن المرء ليكاد يذهل أمام الكم الهائل الذي يهيمن عليه الكارتل الإعلامي، فهو يمتلك داخل أمريكا آلاف من محطات الراديو، و آلاف من محطات البث التلفزيوني، و آلاف الصحف و المجالات. غير أن هذه الكثرة لا تتم عن التنوع و التعدد الذي يُفترض أن يكون في مثل هذه الحالات، ففي حقيقة الأمر إذا تابع أحدهم إحدى تلك الوسائل، فكأنه تابعها جميعا، لأن جميع عناصر هذه المملكة الإعلامية مملوكة لحفنة من الشركات التي تتقاسم القيم و المبادئ نفسها. و المواد الإعلامية التي تبثها تلك الوسائل صيغت لتخدم الرأسمالية المعلوماتية العالمية و أصحابها - فئة الواحد بالمائة- و تخدم أهدافها سواء في وقت السلم أو الحرب. و قد صدقت مقولة الرئيس التاسع عشر للولايات المتحدة الأمريكية

637 - ن م، ص 288.

638 - ن م، ص 292.

ار. بي هيز<sup>639</sup> منذ زمن طويل" إن مقولة هذه حكومة الشعب و بالشعب و للشعب لم تعد قائمة ... إنها حكومة الشركات و بالشركات و للشركات". فأصحاب تلك الشركات يسيطرون على البنية الهيكلية للسطوة و النفوذ من خلال المزيج الذي يتم بصورة ماهرة و ذكية بين المال و الإعلام و التسويق، و ينتج عن هذا المزيج حملة من الطراز الأول لتسويق المنتج المرغوب في تسويقه سواء كان فكرة أو سلعة أو شخصا أو قضية أو مشروعا أو أي شيء آخر<sup>640</sup>.

و من هاهنا يُعلم أن أخطر تهديد للإعلام الأمريكي و العالمي هو طبيعة ملكية وسائل الإعلام، التي غلب عليها الاحتكار من قبل المؤسسات فائقة الضخامة، و ما لم يحدث توازن في عنصر الملكية بين الدول و الأمم و الحضارات، و بين القطاع الخاص و العام فإن الإنسانية ستظل في خطر، و ستتهدها مخاطر الحروب الحضارية و الثقافية و الدينية.

و المثير للانتباه أنه في الوقت الذي شهدت فيه أمريكا ثورة عظمى في الإعلام ، تدعمت بالمال الضخم و التقدم التكنولوجي المتسارع بصورة لم يعرفها البشر - مما أدى إلى ظهور مؤسسات إعلامية أخطبوطية عملاقة خرجت من المحلية إلى الكونية و أصبحت الأداة الرئيسية في إعادة تشكيل فكر و وجدان مختلف الشعوب على قلب و قالب أمريكا - فقد خسر هذا الإعلام في داخل أمريكا وظيفته الأساسية كمؤسسة اجتماعية و سياسية لها دورها الرئيسي و مكانه الخطير في العملية الديمقراطية، مما أثر بالسلب ليس على مؤسسة الإعلام وحدها، بل أيضا على المؤسسات الاجتماعية الأخرى<sup>641</sup>.

و لقد كان من نتيجة انحراف الإعلام عن وظيفته الاجتماعية و السياسية، أن اغترب قسم كبير من المجتمع الأمريكي، و صار عازفا عن المشاركة في الحياة العامة و العملية

---

**639** - رذرفورد هايز ( Rutherford Birchard Hayes ) ( 1822 1893 ) الرئيس التاسع عشر للولايات بين عامي 1881 - 1877 لدوره رئاسية واحده، وهو أحد خريجي جامعة هارفارد . كان هايز جمهوريا. وانتخب كحاكم لولاية أوهايو ثلاث مرات قبل أن يصبح رئيسا. ارتاد كليه كينون في غامبير-أوهايو وبعد ذلك ذهب إلى كلية الحقوق في جامعة هارفارد. انضم إلى الحزب الجمهوري سنة 1849. وفي سنة 1852 تزوج لوسي ويب والتي كانت تشاركه في رفضه للعبودية. في سنة 1860 شارك في الحرب الأهلية الأمريكية إلى جانب ولايات الاتحاد الشمال انظر:

[https://ar.wikipedia.org/wiki/هايز\\_رذرفورد](https://ar.wikipedia.org/wiki/هايز_رذرفورد)

**640** - عبد الحي زلوم، نذر العولمة ، م س، ص 294، 303، 304.

**641** - رمزي كلارك و آخرون، الإمبراطورية الأمريكية ج 1، م س، ص 61.

السياسية، و هو ما من شأنه أن يهدد الأساس الديمقراطي الذي يقوم عليه النظام، فيكفي لذلك مثالا أن انتخابات الكونجرس لعام 1994م و التي اعتبرها الحزب الجمهوري تفويضا شعبيا ساحقا، لم يشارك بها سوى 38% من الناخبين، و أن الانتخابات الرئاسية لا تجتذب أكثر من 50% من الناخبين. لهذا راح كثير من المفكرين الأمريكيين يحذرون منذ سنوات بعيدة من تدهور الصحافة الأمريكية شكلا و مضمونا، و فقدانها لدورها الشعبي السياسي المؤثر، و تحولها إلى أداة طيعة في أيدي الشركات الاحتكارية الكبرى و رجال الحكم المتحالفين معها، مما أفقدها ثقة الجمهور فيها<sup>642</sup>.

إن السيطرة على الإعلام و المال، و التزاوج بينهما، قد أوجدا ما أسماه عبد الحي زلوم الرأسمالية المعلوماتية، ذات النفوذ الهائل إلى درجة مرعبة، بحيث لو قررت الرأسمالية المعلوماتية هذه شن اعتداء على دولة أو منطقة، فإن بإمكانها إحداث دمار و خراب مذهلين دون إطلاق رصاصة واحدة، فأجهزة الكمبيوتر التي تعمل بشكل ذاتي تستطيع في غضون ثوان قليلة سحب المليارات من أموال المضاربين العالميين، لتترك البلد محطما مدمرا بعد أن تستنزف احتياطاته، و تطيح بعملته الوطنية، و تدخله في دوامة عجز عن سداد الديون، و تسلّم هذا البلد في حالة إنهاك لصندوق النقد الدولي، و يكون بعد ذلك لقمة سائغة للشركات المتعددة الجنسية<sup>643</sup>.

و قد تعززت ظاهرة الاستكثار و الاحتكار بظاهرة أخرى لا تقل خطورة عنهم في تضليل العقول و تبليدها، و هي التدفق الإعلامي على كل المستويات، في الأخبار و الأنباء و المعلومات و الأفلام و الإشهار و الإعلان و غيرها، و غلق أي فسحة للعقل للتفكير و التأمل و النقد، بوسائل لا تقل تأثيرا عن المسكرات و المخدرات، بل هي أشد منها فتكا بالعقول و النفوس، لأن تأثيرها بعيد المدى، بينما المسكرات و المخدرات ذات تأثير محدود مقارنة بها.

و هذا التدفق للأنباء و المعلومات من قبل الشركات العملاقة العابرة للقارات، هو تدفق من الشمال إلى الشمال و الجنوب، و الحرية هي فقط لهذا النوع من التدفق في اتجاه واحد.

642 - ن م، ص 61، 63.

643 - عبد الحي زلوم، نذر العولمة، م س، ص 33، 34.

و تكمن أهم مخاطره في كون هذه الشركات ليست شركات إعلامية متخصصة و متمحضة للإعلام فقط، على الرغم من خطر هذا النوع أيضا، و إنما لأنها شركات متعددة و متنوعة الإنتاج، و ليس لها من أهداف غير الربح و الربح فقط.

و في مضمار العلاقات الحضارية و الدولية، يقدم الإعلام الأمريكي الأخبار الدولية من منظور الخارجية الأمريكية، و هو منظور كما أسلفنا أوليغارشي <sup>644</sup> يخدم اللوبي المالي الصناعي الإعلامي، و لكن و إمعانا في التليل يقدم تحت مظلة خدمة المجتمع الأمريكي و وحدته... و من الطبيعي أن يؤدي هذا المنظور إلى إهمال أحداث، و تشويه أخرى، و يؤدي إلى "النمطية" و تقديم الأخبار كمادة تسلية، و هذا لا يساعد أبدا المواطن الأمريكي نفسه على التفكير السليم و اتخاذ القرار الحكيم، بل و يجعله يوافق على قرارات ضد مصالحه و مستقبله.

و أما صورة الولايات المتحدة الأمريكية في مرآة المجتمع الدولي، فيقدمها إعلامها أيضا بأسلوب تضليلي تحت مظلة خدمة المجتمع الدولي و صالح الإنسانية، و بآليات القانون الدولي العام، و احترام حقوق الإنسان و نشر الديمقراطية.

و في هذا المضمار تقول الدكتورة سلافة الزغبي: "هناك متغيران أساسيان يحددان الفلسفة الأمريكية على صعيد النشاط الإعلامي الخارجي، بما يساير السياسة الخارجية الأمريكية وهما:

1- تقديم الدولة (الولايات المتحدة الأمريكية) أمام الرأي العام الخارجي على أنها لا تمثل نشارا و لا تخرج عن القواعد المتداولة في السلوك الدولي، و تؤكد السلوك السلمي و التواضع القيادي و عرض التقاليد الداخلية على أنها نموذج التقدم و الديمقراطية.

---

**644 -** الأوليغارشية أو الأوليغارشية Oligarchy هو حكم القلة هي شكل من أشكال الحكم بحيث تكون السلطة السياسية محصورة بيد فئة صغيرة من المجتمع تتميز بالمال أو النسب أو السلطة العسكرية. الكلمة "أوليغارشية" مشتقة من الكلمة اليونانية أوليغارخيا. وقد كان أفلاطون هو أول من أشار إلى حكم الأوليغارشية وذلك في كتابه "الجمهورية" حيث قسم أنظمة الحكم إلى: الدولة المثالية "جمهوريته" ثم الدولة الديمقراطية ثم الأوليغارشية ثم عاد في كتابه "السياسة" و قدم تقسيما أوضح و أوضح هو من ستة أنواع: منها ثلاثة تنقيد و تحترم القانون و ثلاثة لا تلتزم بالقانون و منها حكم الأوليغارشية. انظر: حكم الأقلية/ [https://ar.wikipedia.org/wiki/حكم\\_الأقلية](https://ar.wikipedia.org/wiki/حكم_الأقلية)

2-خلق الهيئة الدولية، بمعنى ترسيخ القناعة في الإطار الدولي بأن الولايات المتحدة الأمريكية تمثل الاستقرار والتناسق في التعامل السياسي الذي تكمن خلفه قيادة ديمقراطية ترفع من مستوى المعاهدات وتعبر عن خصائص رجل الدولة بمعناها الحقيقي<sup>645</sup>.

و النتيجة التي يمكن الخلوص إليها أن الأساس السياسي الذي قامت عليه الولايات المتحدة الأمريكية، والفكر الليبرالي الموجود عند أفرادها، هما اللذان يحددان مرتكزات وتوجهات إعلامها، فالقائمون على هذا الإعلام، هم أفراد أمريكيون، يعكسون مبادئهم وأفكارهم وتوجهاتهم السياسية على العمل الإعلامي<sup>646</sup>.

---

645 - د سلافة فاروق الزغبي، فلسفة الإعلام الأمريكي والشبكات الفضائية، م س، ص 130.  
646 - ن م، ص 130.



## المطلب الثاني

### تسخير الإعلام لصناعة الموافقة

#### و تحصيل المال خدمة لطبقة الأوليغارشية

و من الخصائص السلبية التي تطبع الإعلام الأمريكي، أنه مسخر لصناعة الموافقة و الإجماع و تحصيل المال، خدمة لطبقة الأوليغارشية المنتفذة التي يسميها البروفيسور زلوم طبقة الواحد بالمائة، و هذا يُعد انحرافا خطيرا عن وظيفة الإعلام و تحوله من وسيلة لخدمة المجتمع و الإنسانية، إلى وسيلة لخدمة أصحاب النفوذ و صناع القرار، و بخاصة أصحاب الشركات العملاقة.

و صناعة الموافقة التي يطلق عليها بعض النقاد "هندسة الموافقة" هي أسلوب للسيطرة مستخدم من قبل طبقة الرأسمالية المعلوماتية بترسانتها الإعلامية على الجماهير الجاهلة، والتي يجب تنظيم عقولها و التحكم في حياتهم الخاصة بصرامة ، و بأكبر قدر ينظم به أفراد الجيش أجسامهم. و ينبغي برمجة و تدريب الجماهير البليدة على التخلي عن أي أفكار خطيرة وهدامة تهدد مصالح تلك الطبقة، و على تلك الجماهير اتباع الأوامر فحسب، لأن ذلك في مصلحتها التي لا تدركها، بل هي من اختصاص المتنفذين أصحاب القرار. و حتى يتسنى ذلك يعمل هؤلاء الدهاة على توجيه اهتمامهم إلى الأشياء الأكثر سطحية والتي تؤلف قدرا كبيرا من الاستهلاك ذي العلاقة بعالم الطبقات الاجتماعية العليا. و يجب عليهم تبني "فلسفة العبث واللاجدوى" والتخلي عن مصيرهم للعظماء (ذوي المثاليات السامية) والذين يديرون النظام السياسي647.

و يمكن الإشارة إلى أن من أفضل الدراسات التي حللت ظاهرة توظيف و تسخير الإعلام الأمريكي - بجميع أنواعه و أشكاله، و في مختلف المراحل التاريخية التي مرت

---

647 - روبرت دبليو مكينزي، جون نيكولوس. وسائل إعلامنا وليست لهم الكفاح الديمقراطي ضد شركات الإعلام الكبرى، ترجمة الدكتور فهد بن عبد العزيز الخريجي. الناشر: SEVEN STORIES PRESS ، نيويورك ص 17.

بها الولايات المتحدة الأمريكية - في صناعة الموافقة، كتابا بنفس هذا العنوان "صناعة الموافقة" من تأليف الأستاذين الشهيرين إدوارد هرمان<sup>648</sup>، و نعوم تشومسكي<sup>649</sup>، و قد ووجه بعاصفة من النقد من قبل الجهات الحاكمة، و العناصر اليمينية، لجرأته على تعرية النظام الأمريكي المعاصر.

و يفضح هذا الكتاب الليبرالية الرأسمالية التي ترى في فن الدعاية وسيلة شرعية لإعداد الجماهير لتقبل سياسات << قد تطلو عن مداركها، و لكنها في الصالح العام >> و أشار مؤلفاه إلى أن الأهمية الخاصة التي تحتلها الدعاية فيما سماه والتر ليبمان << صناعة الموافقة >> قد اعترف بها منذ زمن طويل من كتبوا في مجال العلاقات العامة و الدعاية و احتياجات النظام الاجتماعي في أمريكا. و يستشهد الكتاب بما أورده والتر ليبمان في مؤلفه المشهور <<الرأي العام >> في العشرينيات من القرن العشرين، من أن <<الدعاية>> قد أصبحت أداة طبيعية من أدوات الحكم الجماهيري، تزداد باستمرار أهميتها و حرفيتها<sup>650</sup>.

---

**648 -** إدوارد هيرمان Edward S. Herman (1925) هو خبير اقتصادي ومحلل وسائل الإعلام الأمريكية مع تخصص في قضايا الشركات والتنظيمية فضلا عن الاقتصاد السياسي ووسائل الإعلام. وهو أستاذ فخري المالية في كلية هارتون في جامعة بنسلفانيا. من أعماله: 1970 فظائع في فيتنام. 1973 مكافحة العنف الثوري - حمامات الدم في الحقائق و الدعاية (مع نعوم تشومسكي). 1982: شبكة الإرهاب الحقيقي. 1988 صناعة الموافقة: الاقتصاد السياسي من وسائل الإعلام (مع نعوم تشومسكي) 1990: الإرهاب صناعة. 1992. ما وراء النفاق: فك شفرة الأخبار في عصر الدعاية. 1997: وسائل الإعلام العالمية (مع روبرت ماكنزي). 1999: أسطورة ليبرالية ووسائل الإعلام. 2010 سياسة الإبادة الجماعية (مع ديفيد بيترسون) و غيرها. انظر: [https://en.wikipedia.org/wiki/Edward\\_S.\\_Herman](https://en.wikipedia.org/wiki/Edward_S._Herman)

**649 -** أفرام نعوم تشومسكي (Avram Noam Chomsky) (1928) هو أستاذ لسانيات وفيلسوف أمريكي إضافة إلى أنه عالم إدراكي وعالم بالمنطق ومؤرخ وناقد وناشط سياسي. وهو أستاذ لسانيات فخري في قسم اللسانيات والفلسفة في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا والتي عمل فيها لأكثر من 50 عام. ويوصف بأنه "أب علم اللسانيات الحديث" إضافة إلى عمله في مجال اللسانيات فقد كتب تشومسكي عن الحروب والسياسة ووسائل الإعلام وهو مؤلف لأكثر من 100 كتاب. وفقاً لقائمة الإحالات في الفن والعلوم الإنسانية عام 1992 فإنه قد تم الاستشهاد بتشومسكي كمرجع أكثر من أي عالم حي خلال الفترة من 1980 حتى 1992، كما صُنف بالمرتبة الثامنة لأكثر المراجع التي يتم الاستشهاد بها على الإطلاق في قائمة تضم الإنجيل و كارل ماركس وغيرهم. وقد وُصف تشومسكي بالشخصية الثقافية البارزة، حيث صُوت له كـ "أبرز مثقفي العالم" في استطلاع للرأي عام 2005. انظر: نعوم تشومسكي / [https://ar.wikipedia.org/wiki/نعوم\\_تشومسكي](https://ar.wikipedia.org/wiki/نعوم_تشومسكي)

**650 -** رمزي كلارك و آخرون م س، ص 69.

و طرح المؤلفان نموذجا للدعاية<sup>651</sup>، بيّنا فيه المسارات التي من خلالها يستطيع المال و السلطة أن ينقيا الأخبار من كل ما هو غير صالح للنشر، و تحجيم كل اختلاف، و تمكين الحكومة و المصالح الرأسمالية المسيطرة من توصيل رسالتها إلى الجمهور، و هذه الآليات هي:

- 1 - الحجم و تركيز الملكية في أيد قليلة و التوجه نحو الربح: فوسائل الإعلام أصبحت مملوكة لمصالح الشركات الكبرى التي لها مصلحة راسخة في الوضع السياسي والاقتصادي الراهن .
- 2 - الإعلان كوسيلة أساسية للإعلام: فمعظم دخل وسائل الإعلام مستمد من الإعلان وليس البيع؛ والمعلنون أنفسهم يمثلون مصالح الشركات الكبيرة، ولا يوافقون على الأصوات المعارضة.
- 3 - اعتماد وسائل الإعلام على الحكومة و رجال الأعمال و الخبراء الممولين من قبل الحكومة كمصادر أساسية للأخبار .
- 4 - الإرهاب والقصف الاتصالي- في صورة خطابات و برقيات و مكالمات و رفع قضايا و خطب و استجابات في الكونجرس و التهديد و العقوبات- لكل من يتجرأ و يخرج عن الدور. فالتقارير النقدية تقابل بمواجهة عدائية بصورة آلية من قبل الحكومة و المسؤولين في الشركات، بما في ذلك الدعاوى القضائية، والضغوط غير الرسمية وسحب الإعلانات أو نشر القصص المسيئة .
- 5 - مكافحة الشيوعية كعقيدة قومية و أداة للاحتواء<sup>652</sup> .

و ما زالت جل الآليات تحتفظ بفعاليتها و شرستها، فكل الأخبار لا بد أن تمر بهذه المرشحات المتتالية بحيث لا يصل في النهاية سوى المادة >> المنتقاة الصالحة للنشر<<<sup>653</sup> .

---

**651-** لقد وُضعت العديد من النماذج النظرية التي تشرح الدور الذي تضطلع به شركات وسائل الإعلام في العملية السياسية. وإن نموذج "الدعاية" التي وضعه هيرمان وتشومسكي هو من النماذج القوية ويفسر هذا النموذج ميل وسائل الإعلام في الدول الغربية عموما و أمريكا بوجه خاص للتكيف مع التوافق السياسي، مع الإشارة إلى خمسة "مرشحات" تمر من خلالها جميع الأخبار و هي المذكورة في المتن.

**652-** رمزي كلارك و آخرون م س، ص70.

**653-** ن م، ص70.

و يلاحظ أن الآلية الخامسة قد عوضت بعد انهيار الشيوعية كإيديولوجية و منظومة حضارية، بمكافحة الإسلام عقيدة و شريعة و حضارة، تحت مسمى الإرهاب، أو بما ذهبت إليه هذه الدراسة تحت عنوان الحرب الحضارية، و تؤكد هذا الأمر بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م.

و يشير المؤلفان إلى أمر خطير و هو أن هذه الآليات تتفاعل معا و يقوي بعضها بعضا، و الأخبار <<الخام>> لا بد أن تمر بهذه المرشحات المتتالية بحيث لا يصل في النهاية سوى المادة <<المنتقاة الصالحة للنشر>>، و الأمر الأخطر هو أن سيطرة الأقلية على الإعلام و استبعاد و تهميش المخالفين الناتجة عن تشغيل المرشحات يجعل الغالبية من رجال الإعلام يمارسون على أنفسهم الرقابة الذاتية و ذلك بإقناع أنفسهم بأنهم يختارون و ينشرون الأخبار بشكل موضوعي و على أسس المعايير المهنية السليمة.

و هناك انحراف آخر للإعلام الأمريكي عن وظائفه الاجتماعية و الحضارية لا يقل خطورة عن تسخيريه لصناعة الموافقة و الإجماع و تضليل الرأي العام و جعله موافقا ومؤيدا لطبقة الأوليغارشيا، و هذا الانحراف هو السعي نحو الربح و تحصيل المال كهدف استراتيجي، لا ينافسه و لا يزاحمه هدف آخر يحد من هيمنته أو يقلل من سطوته.

و لقد كان من نتائج هذا الانحراف أن تشيأ (الشيء) الإعلام و غدا سلعة تباع و تشتري بصرف النظر عن معناها و فائدتها<sup>654</sup>، و صار يخضع لقانون السوق الغربي مثل العرض و الطلب و المنافسة و الاحتكار و غيره.

و في الحقيقة إن هذه الظاهرة السلبية (تسليع الإعلام) لم تنشأ مع ميلاد الإعلام الأمريكي، و إنما ظهرت بعد أن قطع أشواطاً في خدمة المجتمع في مختلف قضاياها؛ فقد بيّن الدارسون لتاريخ الإعلام أن الصحافة السياسية الأمريكية كانت قد نشأت - مثل أخواتها في أوروبا في القرن التاسع عشر - صحافة رأي، يُموّل أكثرها الأحزاب السياسية، غير أنها تختلف عنها في كونها محلية بصورة شبه كاملة من حيث الاهتمامات و الملكية، إذ كانت الأخبار محلية بطبيعتها، و القضايا المطروحة تعالج بالأساس قضايا

---

654 - رمزي كلارك و آخرون م س، ص66.

المدينة أو الإقليم، كذلك كانت الملكية محلية أيضا تستهدف خدمة المجتمع المحلي و الممول. و بقي الأمر كذلك حتى حدث أمران مهمان ساهما في تغير طبيعة و خصائص الإعلام الأمريكي، فالأمر الأول هو اختراع التلغراف الذي ألغى عنصر المسافة و جعل الدولة كلها ضاحية واحدة على حد قول مخترعه صمويل مورس، قد ساهم في تغيير مفهوم المعلومات نفسه، و انفكت المعلومة من ارتباطاتها القديمة و مفهومها بأن تكون بالضرورة تواسلا ذا معنى و ذا فائدة و وظيفة في السياق الاجتماعي و السياسي لترتبط أساسا بمفاهيم الحداثة و الخروج عن المألوف و إثارة الاهتمام؛ و الأمر الثاني هو التقدم التكنولوجي الذي أدى إلى ازدهار الصناعة، و التي أصبحت الصحافة جزءا منها و ظهور الإعلانات كعامل أساسي في تمويل الصحافة، مما جعل الصحافة مشروعا اقتصاديا و صناعة تحتاج إلى رأسمال كبير لتشغيلها، و هكذا لأن الربح قد أمسى هو الدافع الأكبر للصحافة الأمريكية، فقد أصبحت تتجنب القضايا الخلافية و تهمل شؤون الفقراء و المقهورين الذي قد يؤدي نشر أخبارهم إلى هروب المعلنين<sup>655</sup>.

و يذكر المؤرخون أن الصحافة الأمريكية عندما تحولت في نهاية القرن التاسع عشر إلى صناعة تستهدف الربح، بدأ الكبير يبتلع الصغير حتى يحتكر سوق الإعلان و يحقق أعلى الأرباح. و خلال قرن من الزمان تطورت ملكية الصحافة، و انكشمت التعددية تاركة المجال للوكالات الكبيرة التي صارت تحتكر سوق الإعلان، و يشرح بين باغدikian<sup>656</sup> Ben Bagdikian في كتابه المهم <<الاحتكار الإعلامي>> كيف تطورت ملكية الصحافة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حين كانت 80% منها مستقلة، ثم انقلبت النسبة عام 1989 فصارت 80% من هذه الصحف مملوكة لمؤسسات كبيرة<sup>657</sup>.

655 - ن م، ص 66، 67.

656 - أمريكي الجنسية أرمني الأصل (1920-2016) ولد في، الإمبراطورية العثمانية (تركيا) أستاذ و صحفي منذ عام 1941. انه كبير النقاد في وسائل الإعلام الأمريكية، عميد فخري في جامعة كاليفورنيا في بيركلي بكلية الدراسات العليا في الصحافة. في عام 1983، نشر كتاب الاحتكار الإعلامي الذي كشف فيه أن وسائل الإعلام تتحرك بسرعة للتكتل و التي تضع المزيد من المؤسسات الإعلامية في أيدي حفنة متناقصة لكل عملية الدمج. تم تحديث هذا العمل عام 2000 قبل إعادة تسميته تحت اسم الاحتكار الإعلامي الجديد. ويعتبر موردا حاسما في معرفة ملكية وسائل الإعلام. انظر:

<http://www.nytimes.com/2016/03/12/business/media/ben-h-bagdikian-reporter-of-broad-range-and-conscience-dies-at-96.html>

657 - ن م، ص 71.

و لكن ما كان يعتبره النقاد منذ ربع قرن مشكلة قد تحول إلى كارثة مزدوجة الآن، الأولى هي استمرار تقلص المؤسسات الإعلامية من 50 مؤسسة ضخمة في 1983م إلى 25 مؤسسة مع نهاية التسعينيات، انتهاء إلى ست مؤسسات فائقة الضخامة في سنة 2011 اكتسبت اسم (Mega-corporations) وهي فيكوم (Viacom)، و نيوزكوربوراشن (News Corp) لصاحبها مردوخ، و شركة ن ب س (NBC) التي أخذت مكانة جنرال موتورز (GM) و التي تضم ثلاث مؤسسات ضخمة و ذات مبيعات ضخمة (80مليار دولار سنوياً)، و ديزني (Disney)، و تايم وارنر (Time Warner)، و س ب اس (CBS)، و هذه الست تهيمن و تسيطر و تراقب 90 % من الإعلام<sup>658</sup>، و أما الكارثة الثانية فهي أن هذه الاحتكارات لم تعد تحصر نشاطها داخل الولايات المتحدة الأمريكية، بل أصبحت عابرة للقارات في ظل سيادة العولمة، و يكفي لذلك مثالا أنه في عام 1990 كانت أكبر مؤسستين عالميتين في العالم « تايم وارنر و ديزني » تحصلان على 15% من دخلهما من خارج الولايات المتحدة و لكن في عام 1997 ارتفعت هذه النسبة إلى 35% و من المتوقع أن تتجاوز خلال سنوات قليلة نسبة 50 % ..!<sup>659</sup>.

و يشرح روبرت ماكنزني<sup>660</sup> و إدوارد هرمان في كتابهما "وسائل الإعلام العالمية: المبشرون الجدد بالرأسمالية المؤسسية" (The Global Media: The New Missionaries of Corporate Capitalism) خطورة السيطرة الإعلامية لمنظومة إعلامية تجارية تتكون من شبكة هائلة من المؤسسات متعددة الجنسية أغلبها مقره في أمريكا على الإعلام الدولي بالكامل. و هي تعمل في خدمة السوق العالمية و تشجع القيم التجارية و تعمل على تشويه

658 - <http://www.thethinkingatheist.com/forum/Thread-90-of-the-media-is-controlled-by-6-mega-corporations>

659 - رمزي كلارك و آخرون م س، ص72، 73.

660 - روبر ديليو ماكنزني ROBERT W. Machesney ولد في 1952 بأمریکا يعمل أستاذاً (بروفسور) باحثاً في معهد بحوث الاتصالات والكلية الجامعية للمكتبات والمعلومات بجامعة إلينوى - أوربانا شامبين. تخصص في تاريخ الاتصال و الاقتصاد السياسي للاتصال، و دور وسائل الإعلام في المجتمعات الديمقراطية والرأسمالية. وقد شارك في تأسيس " منظمة صحافة حرة" (Free Press) عام 2003، و هي حركة عالمية قوية لتغيير وسائل الإعلام والسياسات التقنية، فضلاً عن تعزيز الاهتمام العام ودعم الديمقراطية. وتدعم فري برس حرية وصول الجميع وبأسعار معقولة إلى الإنترنت، وملكية وسائل الإعلام المتنوعة ووسائل الإعلام العامة المختلفة والصحافة ذات الجودة العالية . انظر: <http://robertmchesney.org/about/>.

كل صحافة أو ثقافة تتناقض و لا تتماشى مع المصالح المادية الأساسية للمؤسسات الاقتصادية العالمية<sup>661</sup>.

لقد صار الإعلان نشاطا اقتصاديا هاما و أداة فاعلة للترويج، يكفي لذلك مثلا أنه في عام 1989 أنفقت الشركات العالمية على الإعلان وحده حوالي 240 مليار دولار، و خلال نفس العام تم دفع 380 مليار دولار أخرى على تصميمات الإعلان و الوسائل الترويجية الأخرى

و قد كشفت شركة Zenith Optimedia المتخصصة بالإعلانات أن حجم الإنفاق العالمي على إعلانات الإنترنت للعام 2014 بلغ 121 مليار دولار و أوضحت الشركة في تقرير نشرته على شبكة الإنترنت أن حجم الإنفاق العالمي على الإعلانات لعام 2014 حوالي 537 مليار دولار و ذلك بنسبة نمو 5.5% و كانت حصة إعلانات الإنترنت حوالي الربع و بلغت تقريبا بحوالي 121 مليار دولار<sup>662</sup>.

و يعلق البروفيسور زلوم على ذلك قائلا: "إن هذا الإنفاق السنوي الهائل بكل المقاييس يساعد على نشر ثقافة عالمية و نمط معيشة عالمي أيضا يتمشيان مع ثقافة الاستهلاك التي أبدعتها و كرستها الرأسمالية العالمية الأنجلوساكسونية<sup>663</sup>.

و لقد بلغ من مكر الرأسمالية المعلوماتية الأنجلوساكسونية بالإنسانية و هي تلهث نحو الربح الفاحش، أن تفتق مكرها و دهاؤها عن نوع من غسيل للأدمغة البشرية بالإعلان، يبدأ من مرحلة الطفولة و يستمر إلى المراحل المتقدمة من العمر، و بهذا تضمن برمجة للإنسان، فيصبح كالألة الصماء التي يُتحكم بها كيفما شاءوا. لهذا تشهد أمريكا قلعا كبيرا و متزايدا إزاء أثر الإعلان القاسي على الأطفال بصفة خاصة و المنقول عبر الإعلام ، و بخاصة حينما يبرمج الإعلان داخل محتوى البرامج.

661 - رمزي كلارك و آخرون م س، ص72.

662 - انظر موقع جديد التقنية: كم-يبلغ-حجم-الإنفاق-العالمي-على-إعلاننا/2014/04/07/ http://technew.com/

663 - عبد الحي زلوم، نذر العولمة، م س، ص 292.

و في هذا يقول روبر دبليو ماكزني وجون نيكلوس في كتابهما ذي الأهمية العظمى ( وسائل إعلامنا وليست لهم: الكفاح الديمقراطي ضد شركات الإعلام الكبرى): "والمكان الوحيد الذي يوجد به غسيل للدماغ الأمريكي بصورة أكثر وضوحا هو الأطفال حيث زاد الاعتداء الإعلاني بصورة مكثفة في التسعينات وهناك الآن أربع قنوات كبلية تعمل طول الوقت (تمتلكها أكبر أربع شركات إعلام أمريكية) وهي تقصف الأطفال بالبرامج التجارية على مدار أربعة وعشرين ساعة في اليوم. وقد استهدف المعلنون سوق الشباب باعتباره الأكثر أهمية في الأمة. وتتفق البنات اللاتي تتراوح أعمارهن ما بين سبعة وأربعة عشر عاما مبلغ 24 بليون دولار أمريكي في السنة ومبلغ 66 بليون دولار أمريكي آخر بسبب تأثيرهن على قرارات والديهن . ويعتبر التلقين التجاري للأطفال من الأمور الحاسمة لأمريكا المتحدة ... وهذه الرغبة للتلقين تدعم الدافع التجاري في التعليم ونؤكد بأن الأسس الأخلاقية للأجيال القادمة ربما تكون مستقرة على قاعدة مشكوك فيها. ولا أحد يعلم على وجه الدقة نتيجة هذه الحملة الإعلانية التجارية الكاسحة على الأطفال إلا أن نطاق الحوار يمتد من "سيء إلى حد ما" إلى بغیضة بدرجة مطلقة) والشيء الوحيد الذي نعرفه على وجه التأكيد هو أن عمالقة الإعلام والمعلنين الذين ينتعشون من الإعلام لا يهتمون ولا يستطيعوا أن يهتموا لأنها خارج نطاق صلاحياتهم" <sup>664</sup>.

إن تسخير الإعلام الأمريكي لصناعة الموافقة و تحصيل المال خدمة للأقلية قد أدى به إلى الانحراف عن الوظائف الاجتماعية و السياسية و الإنسانية و الحضارية المنوطة به، فبدل أن يكون مؤسسة من مؤسسات المجتمع، يسهم في التنوير العقلي و البناء الثقافي، و

---

664 - روبرت دبليو مكينزي، جون نيكلوس. وسائل إعلامنا وليست لهم الكفاح الديمقراطي ضد شركات الإعلام الكبرى، ترجمة الدكتور فهد بن عبد العزيز الخريجي. الناشر: SEVEN STORIES PRESS ، نيويورك ص 44.



نشر القيم و الأخلاق و خدمة الديمقراطية و حقوق الإنسان و الذود عن الفقراء و  
المقهورين، و إقامة جسور الحوار بين القبائل و الشعوب و الأمم و الدول و الثقافات و  
الحضارات، صار أداة لتحقيق أغراض الأقلية المتنفذة من طبقة الواحد بالمائة، مما نتج  
عنه مخاطر و تهديدات ليس فقط على المجتمع الأمريكي و إنما على بقية شعوب العالم  
بسبب العولمة التي اتخذتها الشركات العملاقة أداة للسيطرة و الهيمنة.

## المطلب الثالث

### الانحياز و غياب المصداقية و الموضوعية

و من الأزمات التي يعيشها الإعلام الأمريكي حتى صارت له طبيعة و خصيصة، الانحياز و غياب المصداقية و غياب الحياد و الموضوعية، الأمر الذي أدى إلى انحراف هذا الإعلام عن واحدة من أهم وظائفه ألا و هي تنوير العقل و بناء الفكر، و إمداد الجماهير بالأخبار و تزويدها بالأنباء و تمكينها من المعلومات التي تحتاج إليها، و التي تحولت إلى وسيلة للتخدير و التضليل و الخداع، و ذلك باعتماد الدعاية و الإشاعة و التسلية و الترفيه<sup>665</sup>.

و المتأمل في هذه الخاصية المعقدة يجد أنها ذات ارتباط وثيق بالخاصيتين اللتين سبقتا، وهما خضوع الإعلام لسيطرة السياسيين المنتفذين و للشركات العملاقة فائقة الضخامة، و كذا تسخيرها لصناعة الموافقة و تحصيل المال، فالخضوع في حد ذاته هو انحياز، و الانحياز من مقتضيات الخضوع؛ و صناعة الموافقة و الإجماع هي انحياز لمصالح أصحاب القرار، و الانحياز لأصحاب النفوذ من مقتضيات صناعة الموافقة و الإجماع.

و المصداقية يقصد بها في مجال الإعلام المؤشرات التي تحدد صدق المضمون من كذبه، ويعتبرها البعض البديل العملي للمسؤولية الإعلامية، ويتوسع بعض الباحثين، في مفهوم مصداقية الصحافة، فيحدد له الأبعاد الثلاثة التالية<sup>666</sup>:

أولاً: مصداقية القائم بالاتصال. وتشمل عدم التسرع في نشر الحقيقة و العمل لصالح الحقيقة وليس لصالح الحكومة أو الجريدة و نشر الحقائق بطريقة مباشرة، وليس بالإشارة

---

665 - خصص الباحث مطلباً لذلك في المبحث الأول (ملاحق إستراتيجية الإعلام الأمريكي في الحروب الحضارية) من الفصل الرابع (دور الإعلام الأمريكي في الحرب الحضارية على العالم الإسلامي) حين الحديث عن نموذج نظري عن نظريات الإعلام المعتمدة في حروب أمريكا الحضارية و هو نموذج هربرت شيلر. انظر ص 666 - وليد زغبى، صورة المهاجرين المغاربة في الصحافة الفرنسية المكتوبة- دراسة تحليلية لمضمون جريدة LE FIGARO - مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علوم الإعلام و الاتصال، إشراف الدكتور حسين خريف، جامعة منتوري- قسنطينة كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية قسم علوم الإعلام و الاتصال. السنة الجامعية 2007-2008. ص79، 80.

أو التلميح و مراعاة العرف والتقاليد في النشر و عدم المساس بالحياة الشخصية للآخرين، أو نشر الفضائح و البعد عن الأخبار الكاذبة، والقصاص الملفقة، حتى لو كانت موافقة لأغراض رئيس التحرير، وسياسات الدولة.

**ثانياً:** مصداقية المضمون. و تشمل وضوح الرسالة حتى في أوقات الخطر و اليسر والسهولة في تناول الحقائق و نشر الحقائق بكل أبعادها السلبية و الدقة في تناول الخبر.

**ثالثاً:** مصداقية الوسيلة. و تشمل اعتماد الوسيلة الإعلامية على إعلاميين موثوق فيهم .  
تعبير الصحيفة عن هموم واحتياجات الشعب.

وفي دراسة إحصائية أعدتها مؤسسة جالوب<sup>667</sup> (gallup) المتخصصة في أبحاث الرأي العام والدراسات الإحصائية في 13 جوان 2005، وُجد أن 44% فقط من الشعب الأمريكي يثق في وسائل إعلامه بوجه عام، و انخفضت النسبة بشكل حاد إلى 28% فقط فيما يتعلق بالثقة في الصحف وقنوات الأخبار التلفزيونية<sup>668</sup>، ويعني ذلك أن معظم الشعب الأمريكي لا يثق في مصداقية الإعلام الأمريكي رغم ادعاء هذا الإعلام للحياد والإيجابية والتغطية المتوازنة للأحداث<sup>669</sup>.

---

**667 - جالوب لاستطلاعات الرأي (Gallup poll)** هي إحدى أقسام منظمة جالوب التي تجري بانتظام استطلاعات الرأي العام في الولايات المتحدة وأكثر من 140 دولة. حصلت على شهرتها من الإشارة إليها في كثير من الأحيان في وسائل الإعلام بوصفها كمؤسسة موثوق بها وموضوعية لقياس الرأي العام. تنشر نتائج الاستطلاع لجالوب والتحليلات وأشرطة الفيديو يومياً على عبر موقعها على الشبكة في شكل بيانات إخبارية . تعرف في العالم العربي بجالوب لاستطلاعات الرأي . تحصلت جالوب على مسماها من وراء اسم منشئها جورج جالوب وهو إحصائي أميركي، أسس الدكتور غالوب المعهد الأميركي للرأي العام، في مدينة برنستون، بولاية نيوجيرسي، في عام 1935، والذي مهد في نهاية الأمر لإنشاء منظمة جالوب. ولضمان الاستقلالية والموضوعية، قرر الدكتور جالوب أنه سوف يجرى اقتراعات غير مدفوع لها بأي شكل من الأشكال من قبل جماعات الضغط أو المصالح الخاصة مثل الحزب الجمهوري الأميركي أو الحزب الديمقراطي، وهو الالتزام الذي تتمسك مؤسسة غالوب به حتى اليوم ، منظمة غالوب تمتلك أربع أقسام، غالوب لاستطلاعات الرأي، غالوب الاستشارية، جامعة غالوب، وغالوب الصحفية.م.انظر:

[https://ar.wikipedia.org/wiki/جالوب\\_لاستطلاعات\\_الرأي](https://ar.wikipedia.org/wiki/جالوب_لاستطلاعات_الرأي)

**668 - Mark Gillespie . Media Credibility Reaches Lowest Point in Three Decades.**

[http://www.gallup.com/poll/13132/Media-Credibility-Reaches-Lowest-Point-Three-Decades.aspx?g\\_source=media%20Credibility&g\\_medium=search&g\\_campaign=tiles](http://www.gallup.com/poll/13132/Media-Credibility-Reaches-Lowest-Point-Three-Decades.aspx?g_source=media%20Credibility&g_medium=search&g_campaign=tiles)

**669 - باسم خفاجي، مصداقية الإعلام الأمريكي، انظر موقع العرب نيوز:**

<http://alarabnews.com/alshaab/2005/07-10-2005/8.htm>

و في دراسة أعدها كل من أندرو كوت وروبرت قوث حول ثقة المواطن الأمريكي في مصداقية الإعلام الغربي، ونشرت في دورية "الصحافة والسياسة" الصادرة عن جامعة هارفارد، وجد أن المجتمع الأمريكي قد انخفضت ثقته بالإعلام الغربي بصورة واضحة في السنوات الأخيرة. كما أظهرت نفس الدراسة أن أكثر من 60% من الشعب الأمريكي يعتقد أن الإعلام يركز على الجوانب السلبية أكثر من اللازم، و أن أهم أسباب عدم المصداقية يرجع إلى "عدم الحيادة" من جانب الإعلام الغربي عند طرح القضايا وتحليلها. و بينت الدراسة أن الغالبية من الشعب الأمريكي التي كانت تثق في مصداقية وسائل الإعلام الغربية قد تحولت إلى أقلية خلال العشر سنوات الماضية. فبينما اعتقد 33% من الشعب الأمريكي في عام 1985 أن الإعلام بصورة عامة يفتقد للمصداقية، فقد ارتفعت هذه النسبة إلى 44% في عام 1992، وبلغت في نهاية عام 1997 حوالي 53%<sup>670</sup>.

و ترجع وكالة الأنباء الصينية "شينخوا" أن التراجع الملحوظ في مصداقية الإعلام الأمريكي يرجع إلي الروايات المبالغ فيها والمنحازة والمعلومات غير المؤكدة، بالإضافة إلي انعدام المهنية في نقل الأخبار<sup>671</sup>.

و يعلق الدكتور باسم خفاجي على ما سبق بقوله: "إن انعدام المصداقية ليس سببه فقط عدم الحياد، وإنما عدم الالتزام بالمبادئ الأخلاقية أيضاً في التغطية الإعلامية . فقد شهد العام الماضي (2004) عدداً من حوادث طرد الصحفيين المرموقين من المراكز الإعلامية التي يحتلون لها لثبوت ضلوعهم في تليفق قصص لا أصل لها سواء على مستوى التغطية المحلية للأخبار، أو على مستوى التعامل مع الأحداث العالمية . فقد اعتذرت مؤخراً مجلة النيوزويك أنها لم تلتزم الدقة الصحفية عند الحديث عن تمزيق المصاحف في معتقل جوانتنامو"<sup>672</sup>.

---

670 - باسم خفاجي، مصداقية الإعلام الأمريكي، انظر موقع العرب نيوز:

<http://alarabnews.com/alshaab/2005/07-10-2005/8.htm>

671 - رشا صبيح، المصداقية.. للخلف در! ، جريدة أخبار اليوم، العدد: 3699 السبت 26 سبتمبر 2015 انظر: <http://dar.akhbarelyom.com/issue/detailze.asp?mag=akh&akhbarelyom=&field=news&id=27743>

672 - باسم خفاجي، مصداقية الإعلام الأمريكي، انظر موقع العرب نيوز: <http://alarabnews.com/alshaab/2005/07-10-2005/8.htm>

و كما سلف بيانه، فالإعلام في الولايات المتحدة الأمريكية تمت السيطرة عليه من قبل منظومة الشركات الإعلامية العملاقة، و هي في الغالب تسلك منهجية الخيار الحكومي لدعم الإستراتيجيات السياسية والاقتصادية والعسكرية عبر استراتيجيات إعلامية رصينة تعدها بيوت الخبرة ومراكز الدراسات المعنية بها، و عادة ما يجري التعاطي الإعلامي وفق المنظور الاستراتيجي ذي المنحى السياسي والعسكري الحربي، " لذا لم يشهد تاريخ الإعلام الأمريكي اختلافا محوريا حول الإستراتيجية الإعلامية المتبعة ومحاورها، بل حقق غايات وأهدافا إستراتيجية سياسية واقتصادية وعسكرية كبرى باستخدام منظومات الإعلام وأساليب الدعاية بكافة أدواتها، الصناعة (الفبركة)، التضليل، الخداع، الانحياز، التلاعب، التزييف، التأثير، حرب الصور، حرب الأثير، والابتعاد عن الحيادية والمهنية والمصادقية في تناول الخبر وتغطية الأحداث والحروب والتي يفترض وفق المنظور الفكري والنظري والمهني التي تحتويه النظريات الإعلامية<sup>673</sup>.

و هناك أسباب عديدة لأزمة المصادقية الاتصالية، أو ما يطلق عليه البعض فجوة المصادقية الإعلامية، فبعضهم يعزوها للتدفق الهائل للرسائل الإعلامية التي تبثها وسائل الأعلام العديدة، و آخرون يرجعونها زيادة كمية المواد الإعلامية المضللة و المدمرة (سياسياً واجتماعياً وأخلاقياً)، والتي تسعى إلى جذب انتباه جمهور أكثر ، و فريق ثالث يربطها بظهور هيمنة و سيطرة الشركات العملاقة و الشركات فائقة الضخامة على عالم الإعلام و الاتصال العالميين، إلا أن المتفحص للظاهرة يجد أن أسبابا كثيرة قد تضافرت على ذلك، و يبقى للعنصر الأخير و هو سيطرة الشركات العملاقة الحظ الأكبر، و هو الذي سبق بيان بعض جوانبه.

و لم تكن أزمة المصادقية في الإعلام الأمريكي بالمسألة الجديدة، بل قد طرح الأمر منذ ما يزيد عن سبع عقود، فمع نهاية الخمسينيات من القرن الماضي تساءلت الجماهير: " ماذا نصدق؟ وأي من الرؤى ووجهات النظر العديدة أصح؟ وهل هذا الانتشار الهائل للمعلومات يساعد على أن نعيش حياة أفضل، ونتفاعل بشكل أكثر إيجابية تجاه الآخرين؟

673 - مركز صقر للدراسات الإستراتيجية والعسكرية، الإعلام الأمريكي والحرب . انظر موقع دار بابل للدراسات و الإعلام. [http://www.darbabl.net/show\\_derasat.php?id=130](http://www.darbabl.net/show_derasat.php?id=130)

ونهتم بشكل أفضل بالعالم حولنا، ويجعلنا ننمو

ومما يزيد من خطورة ما سبق، إن وسائل الاتصال والإعلام قد تجعلنا نعيش في جو من الحلم أو الأمل، أو التوقع للأحسن، وقد لا يتحقق معظم ذلك، فنصاب بثورة من الإحباط واليأس المدمر، أو تجعلنا نعيش في عالم من الوهم، والشعارات المزيفة، التي تجعلنا في حالة من التخدير النفسي والتنويم، لا نفيق منها إلا على حدث ضخم، اقتصادي أو سياسي يجعلنا نقرر حقيقة هي: إن ما قدم لنا كان غير صادق، وغير حقيقي، وغير موثوق

فيه»<sup>674</sup>.

وقد أدى التزاوج بين الانفجار الاتصالي و هيمنة الشركات العملاقة على قطاع الإعلام إلى انسحاب الكثير من الناس عن متابعة وسائل الإعلام ، و أصبحوا يرفضون التعامل معها إلا فيما اضطروا إليه؛ بل وجد بعضهم أن الجهل ربما يكون نعمة، أفضل من تزييف الوعي الاجتماعي والسياسي .

و لقد أثار الكثير من المفكرين الاستراتيجيين و الناقدین من الأمريكيين و غير الأمريكيين مسألة المصدقية و الموضوعية و التحيز في الإعلام الأمريكي، و خطورته على الإعلام نفسه و على الجماهير و على الحضارة الأمريكية، و من أمثال هؤلاء هربت شيلر و نعوم تشومسكي و إدوارد هرمان و روبرت دبليو مكينزي و جون نيكولاس و بين باغديكيان وديفيد كرومويل وديفيد إدواردز و غيرهم<sup>675</sup> .

---

674 - محمد فياض ، الإعلام المصري يعاني أزمة مصداقية. انظر :

Http://www.gopetition.com/petitions/أزمة-مصداقية/الإعلام-المصري-يعاني-أزمة-مصداقية

675 - David Cromwel ديفيد كرومويل كاتب اسكتلندي وناشط، ومتخصص في جغرافية البحار في مركز جغرافية البحار في بريطانيا. أما ديفيد إدواردز David Edwards فهو كاتب بريطاني أيضاً معني بحقوق الإنسان، والبيئة والإعلام. وكلا الباحثين يقوم بتحرير موقع إلكتروني مهم جداً، يسمى ميديا لينز Media Lens أي عدسة الإعلام. مهمة هذا الموقع الذي بدأ عام 2001 تقديم نقد موثق لتحيز الإعلام السائد وتعامله مع الأحداث الجارية، بالإضافة إلى موضوعات أخرى ذات صلة بالإعلام. انظر:

http://www.medialens.org

http://www.alukah.net/culture/0/52037/#ixzz3ntOaOiTa

فمن القضايا التي أثرت من قبل نعوم تشومسكي و إدوارد هرمان مسألة التحيز نحو الوضع السياسي الراهن و غياب العدالة والدقة في نقل أو تبليغ الأخبار. الأمر الذي جعل من هؤلاء المفكرين الناقدین أهدافاً توجه إليها سهام التهم، و يحاصران في وسائل الإعلام و يمارس عليهما أشنع أنواع التهميش، و ينظر إليهما من قبل الإعلام المنتقد بقدر كبير و بنفس الطريقة التي كانت تنظر بها وكالتي تأس و البرافدا إلى المنشقين السوفيات<sup>676</sup>.

و من القضايا التي أثارها الثنائي ديفيد كرومويل و ديفيد إدواردز في كتابهما الذي يعتبر من الكتب الرائدة في نقد الإعلام المتحيز، الموسوم بـ "حماة القوة: أسطورة الإعلام المتحرر" (Guardians of Power: The Myth of the Liberal Media) مسألة الحيادية. فالأصل " في وسائل الإعلام أن تكون حيادية ، و تقدم صورة أمينة للواقع دون زيادة أو نقصان، لكن هذه الغاية النبيلة لم تتحقق ، و السبب في رأي الكاتبين ، أن شركات عم لاقاة هي التي تهيمن على الإعلام و تملي عليه إرادتها. فالإعلام بأنواعه المتعددة يعمل خادماً أميناً لرعاية مصالح النخبة. فالذين يملكون السلطة والثروة يصدرن أوامرهم إلى أجهزة الإعلام التي تحت سيطرتهم أن تقوم بعملية (فلتر) للأخبار و تهميش الآراء المخالفة لمنهجهم ورؤيتهم. و معروف أيضاً أن قسماً كبيراً من عائدات الصحافة و محطات التلفاز و الراديو و غيرها ترد إليها من الإعلانات التجارية التي تضغط بصورة مباشرة أو غير مباشرة على وسائل الإعلام . و الكتاب يبين للقارئ بالأدلة و البراهين كيف أن معظم القائمين على وسائل الإعلام استبدلوا الكذب بالحقيقة، و الظن باليقين، و الغثّ بالسمين، و كيف أن الأخبار تخضع لعملية فلتر دقيقة، فكل ما يخالف هوى الأقوياء و السياسات المهيمنة من تقارير و آراء و أخبار تلقى جانباً و تهمل بالكامل أو يشار إليها من طرف خفي و على استحياء"<sup>677</sup>.

---

676 - روبرت دبليو مكينزي، جون نيكولس. وسائل إعلامنا وليست لهم الكفاح الديمقراطي ضد شركات الإعلام

الكبرى، م س، ص 26.

677 - بشار كروم، الإعلام في قفص الاتهام، في موقع شبكة الألوكة، بتاريخ 20/03/2013.

/http://www.alukah.net/culture/0/52037

و هناك من الدارسين من يعود بهذه الظواهر السلبية في الإعلام الأمريكي إلى تاريخ أقدم من التواريخ السابقة، فقد نقل روجيه جارودي عن توكفيل من كتابه (الديمقراطية في أمريكا) قوله: " لم أعرف بلادا فيها هذا الحد القليل من استقلال الفكر و النقاش مثل الولايات المتحدة"<sup>678</sup>، و هو ما حدا بـ جارودي في مقالة له بعنوان: "الأساطير المؤسسة للسياسة الأمريكية" أن يستنتج قائلاً: " أصبحت مهمة السياسيين و الإعلاميين و كل من يدعمهم هي تخدير الشعب عن طريق تحويل تلك الأساطير إلى حقيقة تاريخية و ذلك من الجذور".<sup>679</sup>

و من الكُتاب الذين تناولوا الإعلام الأمريكي بالنقد و بخاصة في انحرافه عن وظائفه الاجتماعية و الحضارية الكاتب الأمريكي نيل بوستمان<sup>680</sup> Neil Postman، ففي كتابه النقدي عن تأثير التلفزيون على الثقافة الموسوم " تسلية حتى الموت " ( Amusing Ourselves to Death) يشرح الكاتب و يحلل كيف تحولت الصحافة المطبوعة والإلكترونية في أمريكا من إثارة الفكر و النقاش إلى التسطيح و الاستخفاف، و كيف تحولت المعلومة إلى سلعة، ثم إلى أداة للترفيه و تغييب للعقل.

و يصل بوستمان إلى نتيجة خطيرة و هو أن الإعلام الأمريكي استطاع أن يسيطر على الإنسان باللذة و ليس بالألم و النتيجة كانت هي التحول إلى حضارة تافهة، يُستحمر فيه الإنسان إلى درجة يحب فيها من يدمره، و يكره و يبغض من ينفعه<sup>681</sup>.

و لقد كان لظهور التلفزيون و استعماله للإعلان، الأثر الكبير في تحويل وظيفة وسائل الإعلام إلى الترفيه و التسلية و التمييع و هو ما عبّر عنه بـ <<المعلوماتر فيهيّة>> (Infotainment)، و في ذلك يقول بوستمان: " ليست المشكلة أن التلفزيون، فهذا في حد ذاته لا يهدد حضارة، و لا يستحق أن تدبج فيه الكتب، و التسلية في حد ذاتها أمر مطلوب

678 - روجي جارودي و آخرون الإمبراطورية الأمريكية م س، ص 168.  
679 - ن م، ص 168.

680 - مؤلف أمريكي من أصول يهودية ولد سنة 1931 و توفي سنة 2003. و هو ناقد ثقافي و منظر إعلامي و يعد من الكتاب ذوي النزعة الإنسانية، و يعتقد أن "التكنولوجيا الجديدة لا يمكن أبدا أن تكون بديلا عن القيم الإنسانية" من أعماله ما يلي: التلفزيون و تدريس اللغة الإنجليزية ( 1961 ). اللغويات : ثورة في التدريس مع تشارلز Weingartner (ديل النشر ، 1966 ) كيفية مشاهدة التلفزيون الأخبار ، مع ستيف باورز ( 1992 ) و غيرها. انظر ويكيبيديا:

[https://fr.wikipedia.org/wiki/Neil\\_Postman](https://fr.wikipedia.org/wiki/Neil_Postman)

681 - رامزي كلارك و آخرون، الإمبراطورية الأمريكية، ج1، م س، ص 61، 62.



لإضفاء البهجة على مسيرتنا في حياتنا.. أو هذا على الأقل ما يؤمن تسعون مليون أمريكي يشاهدون التلفزيون كل ليلة .. المشكلة هي أن التلفزيون قد جعل التسلية هي القالب الوحيد لكل الخبرات.. إن جهاز التلفزيون يجعلنا في تواصل مستمر مع الدنيا، و لكنه يفعل ذلك بابتسامة متحجرة لا تتغير. ليست المشكلة أن التلفزيون يقدم إلينا مواد ترفيهية، و لكن المشكلة أن كل المواد تقدم إلينا باعتبارها ترفيهية، و ذلك قضية أخرى تماما<sup>682</sup>.

## المطلب الرابع

استعمال الإعلام سلاحا في الحروب الثقافية و الحضارية، و  
ترهيب و تهميش المعارضين و المخالفين في الداخل و الخارج.

و من الانحرافات الخطيرة التي أصابت الإعلام الأمريكي و طبعته بطابع السلبية، أنه صار مُسَخَّرًا في الحروب الثقافية و الحضارية التي تشنها أمريكا على كثير من القبائل و الشعوب و الأمم و الدول و الديانات و الثقافات و الحضارات، و كذا استعماله سلاحا لترهيب و تهميش المعارضين و المخالفين لسياسات و أهداف الطبقة المتنفذة (الرأسمالية المعلوماتية)، و يستوي في ذلك المعارضة في الداخل و في الخارج؛ و هذا أيضا يُعدّ انحرافا خطيرا يضاف إلى الانحرافات السابقة لوظيفة الإعلام، و تحوله من وسيلة لخدمة المجتمعات الإنسانية بمختلف ثقافات و حضاراتها و دياناتها، إلى وسيلة لخدمة المترشحين من اللوبيات الصناعية و أصحاب النفوذ و صناع القرار، و بخاصة أصحاب الشركات العملاقة، المتكسبين و المستفيدين من جميع أنواع الحروب، بدءا من الحروب الساخنة، إلى الحروب الباردة و الحروب الثقافية و الحضارية.

إن الأصل في وسائل الإعلام أنها مُسَخَّرَةٌ للاتصال و التواصل الإنساني من أجل إرساء دعائم التعاون الدولي و الحوار الثقافي و التعارف الحضاري، فالمجتمع الإنساني بحاجة ماسة إلى جميع أنواع أشكال التعاون لمواجهة صعوبات الحياة و مشكلاتها، و لهذا لا سبيل لتحقيق هذه الغاية دون تعارف و تعاون على الخير، قال جل و عز:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾<sup>683</sup>، و قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالتَّوَدُّانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾<sup>684</sup>، و التعارف و التعاون إنما يتما بالاتصال المباشر و غير المباشر، و بوسائل الإعلام و وسائطه.

683 - سورة الحجرات، الآية 13.

684 - سورة المائدة، الآية 2.

إن من نافلة القول الإقرار بالدور الريادي للإعلام في الحروب الساخنة أو الباردة، طالما كانت تلك الحروب دفاعاً عن النفس، أو صدأً لعدوان، أو دفاعاً عن قضايا عادلة؛ كما أنه من الطبيعي أن يُجندَّ الإعلام في الاستعداد للمواجهة الحضارية لأي احتلال، أو في المقاومة الحضارية لأي عدوان حضاري، أمّا أن يُجندَّ هذا الإعلام بصد مقصد الخالق من الخلق المُعبّر عنه بـ(الجعل - جعلناكم-)، و بصد مقتضيات الفطرة و الأخلاق، و بصد سنن الاجتماع الإنساني، فهذا من شأنه إفشاء الحروب بدل السلام، و العيش في ظلمات الخوف بدل أنوار الأمن، و تدمير الحضارة الإنسانية بدل تشييد صرحها.

إنه لا أحد بمستطيع إنكار الدور العظيم لوسائل الإعلام في تكوين و تشكيل الصور الذهنية و الصور النمطية، الفردية و الجماعية، للجماعات البشرية، من شعوب و قبائل و مجتمعات و دول و ديانات و أمم و ثقافات و حضارات؛ و في الآن نفسه لا يمكن إنكار أن ثمة عوامل أخرى قد تكون ذات أهمية، منها علي سبيل المثال: المكون الديني، التنشئة الاجتماعية، الخبرة الشخصية، السمات النفسية و الاجتماعية (القابلية للانخداع، الكسل العقلي، الجهل.. إلخ) 685.

إن خطورة وسائل الإعلام - كما تؤكد الكثير من الدراسات- لا تكمن فقط في تكوين و صناعة الصورة الذهنية، بل بتنظيم هذه الصور و طبعها في أذهان الجماهير. و نظراً لان الإعلام يعد أبرز المصادر الرئيسية التي يستقي منها الفرد معلوماته، لم تعد أدوات لنقل المعلومات فقط، بل أصبح أداة لتوجيه الأفراد و الجماعات و تكوين مواقفهم الفكرية و الاجتماعية، ولذا فإن دوره لا يقف في صنع الصورة فقط، بل بتنظيم هذه الصورة و طبعها في أذهان الجماهير.. مع ضرورة الأخذ في الحسبان بأنه ليست كل المعلومات التي تصل، تؤثر على بناء الصورة الذهنية لدى الفرد، إذ أن هناك معلومات بسيطة قد لا تحظى باهتمام الفرد. و يذهب عدد كبير من الباحثين إلى أن وسائل الإعلام تستطيع خلق

685 - هشام محمد علي حسين، العلاقات العامة بين القناعة و التهميش في الوطن العربي، الأكاديمية العربية البريطانية للتعليم العالي، ص- ص 38- 40. كتاب إلكتروني، انظر موقع الأكاديمية:

<http://www.abahe.co.uk/Research-Papers/Public-Relations-between-the-conviction-and-Negligence.pdf>؛ علاء الشامي، وسائل الإعلام و تشكيل الصورة الذهنية.. قراءة في إشكالية التحيز الإعلامي، انظر: [http://omerhago.blogspot.com/2013/06/blog-post\\_8908.html](http://omerhago.blogspot.com/2013/06/blog-post_8908.html)

آراء عن الموضوعات الجديدة، لأن درجة وضوح الموضوع، أو عدم ارتباطه بتجمعات أو تمركز الاتجاهات الموجودة تجعله قادراً على التغلب على الصعوبات التي تقف عادة أمام التحول، فالفرد ليس مهياً لأن يرفض وجهة النظر التي يسمعها حول موضوع جديد عليه، ذلك لأن العمليات الانتقائية لن تقف في تلك الحالة عقبة في وجه المعرفة، وإن كان من غير المحتمل أن تعين تلك العمليات الرسالة الاتصالية على تحقيق التآهي «686».

لأجل ذلك ركبت القوى المهيمنة على الإعلام الأمريكي هذه الوسيلة العظيمة، و راحت تحقق بها الغايات و الأهداف و الأغراض من حربها الحضارية أحادية الجانب ضد العالم الإسلامي، بما أغناها عن كثير من الجهد و المال و الوسائل؛ فقد توسلت بوسائل الإعلام في تعبئة الجبهة الداخلية و صناعة الإجماع و الموافقة على إستراتيجيتها في تلك الحرب، و تمكنت من إقناع حلفاء أمريكا و أتباعها لمساندتها و الالتفاف عليها؛ كما استطاعت تسخير تلك الوسائل في حربها النفسية ضد عدوها الذي صنعتة (الإرهاب- الإسلام)، و ذلك من خلال شيطنته و تشويه صورته، و تسويق صور نمطية عنه، و إفشاء الكره له، و نشر الخوف الرهيب منه (الرهاب من الإسلام المسمى بالإسلاموفوبيا).

إن وسائل الإعلام الأمريكية لم و لا تترك مناسبة إلا اغتمتها للترويج لصورة العربي أو المسلم القبيح، و قد ساهم ذلك إلى حد كبير في خلق نوع من عدم الثقة و عدم المحبة للعرب و المسلمين في قلوب الأمريكيين. و الصورة النمطية للعربي أو المسلم لم تكن بحاجة إلى انتظار أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 م لتظهر للعلن، بل لقد كانت جاهزة بسبب و بغير سبب قبل ذلك بسنين كثيرة، فوفقاً لدراسة شاهين Shaheen (1984) التي أكد فيها " أن العرب اليوم يواجهون - بشكل مماثل - ما واجهه اليهود خلال العهد النازي في ألمانيا، عندما كانوا يوصفون بصفات تنطوي على تمييز عنصري من

686 - انتصار إبراهيم عبد الرزاق د. صفد حسام الساموك، الإعلام الجديد.. تطور الأداء والوسيلة والوظيفة. الطبعة الإلكترونية الأولى (جامعة بغداد: الدار الجامعية للطباعة والنشر والترجمة، 2011)، ص 76، 77.

ناحية لون البشرة (Darken) أي لون بشرتهم بني ذوي عيون مأكرة و خادعة، يقبلون الرشوة و يشكلون تهديدا<sup>687</sup>.

و قد شهدت فترة ما قبل التسعينيات من القرن العشرين رسومات كاريكاتورية كثيرة للرسام الشهير أوليفانت، و التي كانت تصور العرب و المسلمين ملتحين ذوي أبدان بدينة و أنوف معقوفة، يجلسون على الأرض و أمامهم الشواء و النساء. و نشرت صحيفة واشنطن بوست في عدد من أعداد جويلية 1993 رسما لزحام بين المهاجرين، تحت عنوان "دعنا نبحث عن (أبو) أي العربي، و تحت الرسم تعليق يقول: "ستجده إذا وجدت فتيل القنبلة و إذا لم تجد الفتيل خلال 40 ثانية ستصبح قتيلا". و نشرت ذا نيوزيوركر في عددها الصادر في 26 جويلية 1993 على صفحة غلافها رسما يصور أطفالا بينون قصرًا من الرمال على شاطئ البحر في شكل مبنى مركز التجارة العالمي و بعض معالم مدينة نيويورك، بينما يظهر الطفل العربي (الإرهابي) يقفز لتفجير المركز<sup>688</sup>.

إن تشخيص صورة المسلمين و العرب في المخيال الأمريكي، دائما أو غالبا ما يرتبط بالدين الإسلامي و رموزه، المتمثلة في لفظ الجلالة (الله) و النبي محمد صلى الله عليه و سلم، و في القرآن الكريم، و في مدينة مكة و الكعبة الشريفة و المساجد و المنارات، و كذا في ركن من أركان الإسلام الخمسة. و الغالب على تلك التشخيصات أنها تتضمن أن الإسلام: <<عقيدة دينية تخنق الإبداع>>، <<الإسلام له تأثير تعويقي>>، <<دين زائف>> و أنه يقصد الحروب الدينية، و أن المسلمين متعصبون، قديرون، بطيئون في قبول التغيير، يحملون عقائد ليس هذا زمانها، شعب مولع بالحروب ، متدينون جدا لكنهم مضللون، مخلصون لكنهم مستغلون، و، إرهابيون و أنانيون و أشرار و متعصبون، و أثرياء نפט و مستغلون له و برابرة و جنباء و شهوانيون مولعون بالجنس، و ما إلى ذلك من الصفات السلبية الكثيرة جدا<sup>689</sup>.

687 - مركز دراسات قناة النيل الثقافية، بنية العقل الأمريكي: دراسة في جذور و تكوين الوعي الأمريكي المعاصر، م س، ص 325.

688 - ن م، ص 325.

689 - ميخائيل سليمان، صورة العرب في عقول الأمريكيين. م س، ص 109، 112.

و لقد استغل هذا التصوير النمطي في إشعال نار الحرب الحضارية و إذكائها، و نشر الكره و الخوف الشديد من الإسلام (الرهاب من الإسلام-الإسلاموفوبيا-) و بخاصة مع تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر 2001، حيث مع الساعات الأولى لتلك الأحداث، و قبل أي تحقيقات، راحت وسائل الإعلام الأمريكية تتهم المسلمين بالضلوع فيها، و تعلن أن الصدام الحضاري و الحرب الحضارية التي حذرّ منها المتخصصون في التاريخ و العلوم السياسية أمثال برنار لويس و صموئيل هنتنغتون و جوديث ميللر و فرنسيس فوكوياما، قد بدأت بالفعل و قد تحققت نبوءة هؤلاء الإستراتيجيين.

و يقسم الباحث أيمن طلال يوسف ظاهرة التتميط الغربي للإسلام إلى ثلاث مراحل، حيث تبدأ **المرحلة الأولى** منذ القرن التاسع عشر حتى بدايات القرن العشرين و بالضبط مع نهاية الحرب العالمية الأولى، و خلال هذه الفترة كانت تصورات الغرب الاستعماري حول الإسلام تعكس الصور النمطية و القوالب الذهنية الجاهزة التي أسقطت على الإسلام و المسلمين و صورتهم قوما من الرعاع المتقلبين على الجمال في الصحاري العربية و الباحثين عن الماء و الكلاً و عن النساء في إطار تعدد الزوجات؛ و **المرحلة الثانية** تمتد من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى قيام الثورة الإسلامية في إيران و غزو الاتحاد السوفييتي لأفغانستان في سنة 1979م، و اتسمت النظرة الغربية تجاه الإسلام في هذه المرحلة بالأصولية و التزمت الفكري، و بدأ الحديث عن الإسلام و الإسلامية، و الذي يمثل فعلاً مشروعاً فكرياً و حضارياً مضاداً و معارضاً و متحدياً للنموذج الغربي؛ أما **المرحلة الثالثة** فتمتد من 1979 إلى وقتنا الراهن، و هنا تحول الإسلام بالنسبة للغرب إلى نوع من الفوبيا و الخوف غير المبرر عند الإعلام و دور النشر و مراكز الأبحاث الغربية، و قد تعززت هذه الصورة بعد نهاية الحرب الباردة، و بداية البحث الأمريكي عن عدو جديد يُستغل كمشجب يعلق عليه جميع أسباب التدخلات الغربية و الأمريكية في العالم الثالث، و قد عزز تلك الصورة المرعبة حول الإسلام ظهور حركة طالبان و

القاعدة، و قد تعمقت هذه الصورة في الإعلام الغربي و في الوجدان و العقلية الغربية بعد أحداث سبتمبر 2001م<sup>690</sup>.

إن عملية تدميط الإسلام و تحويله إلى فزاعة يشكل خطراً كبيراً على العلاقات الدولية و على المصالح الغربية في العالم الإسلامي<sup>691</sup>، لأن هذه النظرة - إن لم تواجه- ستؤدي إلى العداء بين العالمين الغربي و الإسلامي، و ستزيد التطرف عند الجانبين، و تفسح المجال لأدعياء حتمية الحروب الدينية و الثقافية و الحضارية من الطرفين لترويج أفكارهم و نفث سمومهم، و تقضي على أي مبادرات أو مشاريع للحوار و التعاون و التعارف الحضاري المنشود في العلاقات الدولية و الحضارية.

و لقد تضاعفت حملات تدميط الإسلام بعد الحرب الباردة و تفكيك الاتحاد السوفياتي و انهيار الإيديولوجية الشيوعية باعتبارها منظومة حضارية غربية، و بخاصة حينما وجد الغرب نفسه من دون عدوٍّ محرّك و خصم محفز على صعيد العلاقات الدولية و الحضارية، فاتخذ الإسلام عدواً؛ و قد ساهمت الصهيونية بالقسط الأكبر في هذه العمليات القذرة، بل هي التي تولّت كبر هذه الهجمة الشرسة بما لديها من نفوذ إعلامي و سياسي و ليف من المفكرين و الإستراتيجيين في مختلف التخصصات، و كانت أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 م ضالّتها المنشودة التي تمّ استغلالها لإثبات نبوءة مفكرها المنذرين بالصدام الحضاري.

و قد اتفقت معظم الدراسات على أن الإسلام كان ولا يزال أكثر الأديان تعرضاً للإساءة، و لم يلق دين من الأديان من التشويه و العداء الإعلامي مثل ما لقيه الدين الإسلامي، فهو يوصف بأنه إرهاب، و الإرهاب يوصف بأنه الإسلام، و هما وجهان لعملة واحدة، و أنه خال من أي قيمة إبداعية، يكبل أتباعه بمجموعة من الموروثات اللاعقلانية، و يحول بينهم و بين اندماجهم في ثقافة الغرب .. الثقافة الوحيدة القادرة على إخراجهم من تخلفهم و إدخالهم في مجرى سيرورة التقدم؛ كما أن المسلمين كانوا ولا يزالون أكثر الأمم

690 - أيمن طلال يوسف، تدميط الإسلام في التصورات الغربية بين الأصولية و الفوبيا: قراءة تحليلية نقدية . مركز دراسات الوحدة العربية: المجلة العربية للعلوم السياسية(المجلة الإلكترونية)، العدد 18، أبريل 2008. ص 119، 120. انظر: [http://www.caus.org.lb/Home/electronic\\_magazine.php?emagID=87&screen=3](http://www.caus.org.lb/Home/electronic_magazine.php?emagID=87&screen=3)  
691 - ن م، ص 121.

حظا من التشويه والتجريح ، وقد التصق بهم من النعوت الشنيعة والقبيحة ما ينزع عنهم صفة الإنسانية، فهم وحدهم الإرهابيون والمتهم الجاهز لكل جريمة ، وهم متحجرون في عاداتهم وقوانينهم الدينية والحضارية ، وهم الهمج وأعداء الحياة ، كما يتسمون بالتعصب والقدارة وعداء أمريكا واضطهاد النساء والبدائية والخيام والرمال والبتروال والنساء و غير ذلك. وتلك الصور السلبية ليست قاصرة فقط على المضامين الإعلامية، وإنما تشمل أيضا المضامين الإعلانية ، التي يتم استخدامها في الترويج للسلع والخدمات ، ففي عام 1996م نشرت مجلة لايف الأمريكية إعلاناً تضمن صورة رجل مسلم ساجد أمام زجاجة كوكاكولا، ورسمت الزجاجة على هيئة الكعبة المشرفة، وكتب تحت الصورة عبارة توقف للانتعاش، كما عرض التلفزيون الأمريكي إعلاناً عن نوع من الصابون ، يظهر فيه رجل عربي قدر ، ولكنه ما إن اغتسل بذلك الصابون حتى زالت عنه القدارة، وقال المذيع التلفزيوني معلقاً: إن هذا الصابون معجزة لأنه نظف ذلك العربي القدر<sup>692</sup>.

و يعترف الرئيس نيكسون في كتابه انتهاز الفرصة بأنه: " ليس لأية أمة ولا حتى للصين صورة سلبية في الضمير الأمريكي مثل صورة العالم الإسلامي . و مثله نيكولاس فون هوفمان الصحفي بجريدة الواشنطن بوست بقوله : " لم تشوه سمعة جماعة دينية أو ثقافية أو قومية ويحط من قدرها بشكل منظم كما حدث للعرب والمسلمين". و قد أكد ديفيد ماكداول على دور وسائل الإعلام الغربية الطاغية في ارتكاب هذه الجريمة بقوله : إن وسائل الإعلام الغربية كان لها دور كبير في توجيه الأذهان نحو فكرة العدو المسلم ورسم صورة للإسلام وكأنه يخيم بظلال تهديده فوق الغرب ، مما يؤكد على أن ظلم الإعلام الغربي للإسلام ومحاولة تشويه صورته ونشر سمومه ضده وتقديم مفاهيم مغلوطة عنه وغرس الكراهية في عقول الغربيين نحو كل ما هو إسلامي بات أمراً مسلماً به من قبل الغربيين أنفسهم وليس مجرد عاطفة تنتاب المسلمين ينتج عنها فهم خاطئ لصورتهم، وصدق الله إذ يقول : ﴿ لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾<sup>693</sup> ، بل لقد بلغت شراسة الحملة

692 - حسن نيازي الصيفي، رؤية الإعلام الغربي للإسلام والمسلمين. موقع الطبري للدراسات الإنسانية:

<http://www.al-tabari.org/?p=1281>

693 - سورة آل عمران، الآية 186.



التي صعدها وسائل الإعلام الأمريكية ضد المسلمين إلى الحد الذي دعت فيه إحدى الصحف الأمريكية إلى إبادة المسلمين عن بكرة أبيهم ، و ضرب مكة المكرمة بقتل نوية. ثم جاءت موجة الرسوم الكاريكاتورية الساخرة التي تصور الرسول صلي الله علي وسلم بصورة سلبية ومهينة بقصد تشويه دعوته والنيل من رسالته<sup>694</sup>.

لم تعد حملات التشويه قاصرة على وسائل الإعلام فحسب وإنما امتدت لتشمل كبار السياسيين الذين باتوا يغذون وسائل الإعلام بالتصريحات والمواقف المعادية للإسلام والمسلمين وليس أدل على ذلك من أن يكرر الرئيس الأمريكي عبارة الحرب ضد الإسلام الفاشي نحو عشر مرات خلال خطابه بمناسبة الذكرى الخامسة لأحداث 11 سبتمبر<sup>695</sup>.

و قد أعد البروفيسور جاك شاهين<sup>696</sup> تقريراً بالغ الأهمية استغرق إعداده عشرين عاماً ولم يورد فيه معلومة دون أن يحدد مصدرها، ويحلل ما في الكتب وبرامج الإذاعة والتلفزيون وأفلام السينما الأمريكية، ويصل من هذا التحليل إلى أن (صناعة العقل الأمريكي) تعمل على تكوين صورة سلبية عن العرب والمسلمين في الثقافة الشعبية الأمريكية، و يؤكد التقرير أنه منذ الربع الأخير من القرن العشرين ظل العرب يمثلون (الآخر الخطير) في المنظور الأمريكي، ويتردد بقوة أن الخطر الأخضر (الإسلام) هو البديل للخطر الأحمر (الشيوعية)، وفي الذهن الأمريكي هناك معنى واحد للإسلام، والجهاد، والكراهية، والتعصب، والعنف، وعدم التسامح، واضطهاد المرأة .. كما تشير

694 -حسن نيازي الصيفي ، م س. انظر موقع الطبري. <http://www.al-tabari.org/?p=1281>

695 - حسن نيازي الصيفي، رؤية الإعلام الغربي للإسلام والمسلمين. موقع الطبري للدراسات الإنسانية، م س:

<http://www.al-tabari.org/?p=1281>

696 - Jack Shaheen أميركي من أصل عربي لبناني ولد في بنسلفانيا لأبوين مسيحيين هاجرا من لبنان، ولم يلتق قط بأي مسلم أو عربي حتى بلغ الأربعين من عمره عندما فاز في السبعينيات بمنحة من مؤسسة فولبرايت الأميركية للتدريس في بيروت التي كانت الحرب تمزقها آنذاك، وأدرك على الفور أنه لا يعرف شيئاً في الواقع عن المنطقة التي ينتمي إليها أسلافه. فالقليل الذي شاهده عن العالم العربي عن طريق التلفزيون وفي الأفلام لا علاقة له بخبرته المباشرة في لبنان والأردن والسعودية. و هو أستاذ الاتصال الجماهيري بجامعة الينوى الجنوبية، وأستاذ زائر بمركز التفاهم الإسلامي المسيحي بجامعة جورج تاون ، وباحث بمؤسسة فولبرايت، ومستشار شبكة (سى. بى. إس) وتزيد مؤلفاته على 300 كتاب وتقرير منها كتاب (العربي في التلفزيون) عام 1984، كان شاهين ينتقد أساليب السينما الأمريكية لتشويه صورة العرب وشاهده أكثر من 1000 فيلماً أمريكياً، وله أيضاً مقالات ودراسات عديدة عن تأثير الصور النمطية والقوالب الجاهزة في الكتب المدرسية والجامعية والمجلات العلمية والدوريات الأمريكية. انظر:

[http://www.bintibeil.com/A/news/011116\\_shaheen.html](http://www.bintibeil.com/A/news/011116_shaheen.html)

[https://fr.wikipedia.org/wiki/Jack\\_Shaheen](https://fr.wikipedia.org/wiki/Jack_Shaheen)

الدراسة إلى استطلاع للرأي أجرى عام 1994 بين ثلاثة آلاف شخص من الأمريكيين البيض والسود وذوى الأصل الآسيوي واللاتيني حول العلاقة بين الطوائف الأمريكية، فقال 42% منهم إنهم يرون أن الإسلام دين يرتبط بالإرهاب ويؤيده، و 47% يرون أن المسلمين معادون للغرب عموماً وللأمريكيين خصوصاً، و 62% يرون أن المسلمين يضطهدون المرأة ويسئون معاملتها، كما تشير الدراسة إلى أن (الجهاد) في الإعلام والأدب والسينما في أمريكا يقدم على أنه (حرب مقدسة) يفرضها الإسلام على المسلمين ضد غير المسلمين، وأصبحت كلمة (الأصولية) مرتبطة بالإسلام والمسلمين وبالجماعات الإرهابية دون تفرقة، بالرغم من أن (الأصولية) ليست إسلامية أو عربية، وإنما ظهرت عند الأمريكيين البروتستانت الذين يلتزمون التزاماً حرفياً بالإنجيل، كما أن الإعلام الأمريكي يكرر بصورة مقصودة وصف الإسلام بالأصولية والإرهاب على أنه لا يمكن الفصل أو التفرقة بينهما! ويردد الإعلام الأمريكي أن كل مسلم في العالم هو صورة طبق الأصل من الخميني أو صدام حسين، وقد نجح الإعلام في الخلط بين العقائد الإسلامية والمواقف والحركات السياسية في العالم الإسلامي وجعلوها حزمة واحدة<sup>697</sup>.

---

697 - رجب البناء، الإسلام ضحية الإعلام الأمريكي. انظر موقع الكاتب:  
<http://www.ragabelbanna.com/octM016.htm>

# الفصل الرابع

## دور الإعلام الأمريكي في الحرب الحضارية على العالم الإسلامي

### المبحث الأول

ملامح إستراتيجية الإعلام الأمريكي في الحروب  
الحضارية

### المبحث الثاني

تنزيل نظرية التضليل الإعلامي على الحرب  
الحضارية الأمريكية ضد العالم الإسلامي

## تمهيد

ينبغي التنويه في مستهلّ هذا الفصل إلى أن محاولة فهم الدور الذي يقوم به إعلام الولايات المتحدة الأمريكية في حربها الحضارية أحادية الاتجاه ضد العالم الإسلامي ، و الوقوف على أهمّ المراحل و الأطوار التي يمرّ بها لكي يتجسّد كسلاح ثقافي و حضاري في تلك الحرب ، يقتضي بالضرورة فهم السياسة الإستراتيجية (ملاحمها و معالمها) التي يسير في ضوئها هذا الإعلام عموماً، و السياسة الخاصة بالقضايا الخارجية و الدولية بوجه خاص، و كذا السياسة ذات العلاقة بالعالم الإسلامي بوجه أخص، و هو ما حاول الباحث بيانه من خلال **المبحث الأول** و المعنون بـ: ملاحم إستراتيجية الإعلام الأمريكي في الحروب الحضارية.

و لقد اقتضت الضرورة المنهجية من الباحث لتحقيق ذلك الغرض، الانطلاق من بعض نظريات الإعلام و الاتصال التي تتوافق مع الدراسات الثقافية و الحضارية، و تتناسب مع واقع الإعلام الأمريكي في سياسته الخارجية، و هو ما ضمّنه الباحث في المطلب الأول، الذي تناول الفئات العامة للنظريات المعتمدة ليكون بمثابة إطار منهجي للتظير (لتلك الفئات)، و كذا في المطلب الثاني الذي تناول نماذج تطبيقية عن أهم نظريات الإعلام و الاتصال المعتمدة في حروب أمريكا الحضارية .

غير أن هذا الأمر لم يكن يسيراً، إذ واجه البحث هاهنا بعض الإشكاليات الموضوعية و المنهجية، و منها على سبيل المثال، الاضطرار إلى الخوض في حقول و مناهج معرفية نبتت و ترعرعت في بيئات ثقافية و حضارية غير بيئتنا، و المقصود بذلك هو حقل الإعلام و الاتصال الذي نشأ في الغرب و تطورت مجالاته و مناهجه و نظرياته هناك، و ما يزيد الإشكال تعقيداً بالنسبة لبحث مجاله المكاني و الزماني هو حاضر العالم الإسلامي، هو أنّ الوضع الاعتباري للبحث في مجالات الإعلام و الاتصال مازال يعرف في الغرب نفسه - حيث ولد و تطور - نقاشاً واسعاً حول الاعتراف به كمبحث علمي مستقل له مشروعية الوجود بين التقسيمات الجامعية المرعية<sup>698</sup>.

698 - بيرنار مبيج، الفكر الاتصالي من التأسيس إلى منعطف الألفية الثالثة ، ترجمة أحمد القصور، الطبعة الأولى، (المغرب، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 2011)، ص 5.

و من أجل تحقيق تلك الغاية، اقتضى الأمر المنهجيّ، الرجوع إلى مكتبة المصادر و المراجع الحديثة المتخصصة في التأريخ لنظريات الاتصال و الإعلام، و البراديغمات و المفاهيم ذات العلاقة، و كذا بعض المراجع المواكبة لأهم التطورات الحاصلة في هذا الميدان الفسيح، و المتابعة لآثار هذه النظريات و المفاهيم في واقع المجتمعات، و في راهن العلاقات الدولية و الحضاراتية، و هو الأمر الذي أمكن من خلاله تبني بعض الحلول التي طرحها بعض المفكرين و المختصين و النُقّاد في مجال الفكر الاتصالي و الإعلامي.

و لكي تكتمل صورة دور الإعلام الأمريكي في حربه الحضارية، كان لزاما تقديم نماذج تطبيقية عن هذا الدور من واقع العلاقات الحضاراتية بين أمريكا و العالم الإسلامي، و هو ما تضمنه **المبحث الثاني**، تحت عنوان تنزيل نظرية التضليل الإعلامي على الحرب الحضارية الأمريكية ضد العالم الإسلامي بعد 11/09/2001، و ذلك منذ الحرب الحضارية الأولى (17/02/1990م)، إلى راهن الأحداث التي واكبت الانتفاضات التي حدثت في بعض الدول العربية (2011)، مروراً بأحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، و احتلال أفغانستان في 2001م، و احتلال العراق في 2003م.

و قد حاول الباحث من خلال تلك الأحداث، التي أخذت كنماذج عن دور الإعلام في الحرب الحضارية الأمريكية أحادية الجانب ضد العالم الإسلامي، تجلية الكيفيات التي تُنزلُ بها بعض النظريات الإعلامية و الاتصالية في ميدان الصراعات و الحروب الحضارية التي تخوضها الولايات المتحدة، و قد تم التركيز -على سبيل المثال وليس الحصر- على نظرية المفكر و المنظر الأمريكي هربرت شيللر، المعروفة ضمن نظريات التضليل الإعلامي.

**المبحث الأول**

**ملاح إستراتيجية الإعلام الأمريكي  
في الحروب الحضارية**

**المطلب الأول**

**مدخل نظري للفئات العامة للتطبيقات المتعددة  
في حروب أمريكا الحضارية**

**المطلب الثاني**

**نموذج عن أهم نظريات الإعلام المتعددة  
في حروب أمريكا الحضارية**

## المطلب الأول

### مدخل نظري للفئات العامة للنظريات

#### المعتمدة في الحروب الحضارية

يُعدُّ حقل الإعلام و الاتصال من أوسع حقول العلوم الإنسانية من حيث تعدد تخصصاتها من جهة، و من حيث اختراقه لمعظم مجالات الحياة الاجتماعية و المهنية، بما استفاده من قوة جذب هائلة، بفضل الأفعال التي تتم باسمه، و التقنيات العديدة التي يقترحها، و الدلالة الرمزية التي ينشرها من جهة ثانية، و كذا من حيث كثرة النظريات و المقاربات التي توطره، و قدرته على الوصل بين إشكاليات منبثقة عن تيارات نظرية متباينة من جهة ثالثة<sup>699</sup>.

و من ثمَّ فإنَّ عملية اختيار و انتقاء النظريات و المقاربات الموظفة في الحروب الحضارية، حتى و إن كانت تتوافق مع الدراسات الثقافية و الحضارية، و تتناسب مع واقع الإعلام الأمريكي في سياسته الخارجية، لَهِيَ عملية من العسر بمكان.

لأجل ذلك اقتضى الأمر - كما سلف - الرجوع إلى مكتبة المصادر و المراجع الحديثة، المتخصصة في التاريخ لنظريات الاتصال و الإعلام، و كذا، تلك المتابعة لآثار هذه النظريات و المفاهيم في واقع المجتمعات، و في رهن العلاقات الدولية و الحضاراتية؛ فمن ذلك - على سبيل المثال و ليس الحصر - كتاب ( تاريخ نظريات الاتصال ) لمؤلفيه أرمان ماتلار و ميشال ماتلار، و كتاب ( الفكر الاتصالي - من التأسيس إلى منعطف الألفية الثالثة - ) لمؤلفه بيرنار مبيج، و ( موسوعة نظريات الاتصال / ENCYCLOPEDIA OF COMMUNICATION THEORY ) و هي تأليف جماعي تحت إشراف الأستاذين ستفان ليتلجون (Stephen W. Littlejohn)، و كارن فوس (Karen A. Foss) من جامعة نيو مكسيكو.

---

699 - بيرنار مبيج، الفكر الاتصالي من التأسيس إلى منعطف الألفية الثالثة، م س، ص 9، 13.

فبالنسبة لكتاب **(تاريخ نظريات الاتصال)** لمؤلفيه أرمان ماتلار و ميشال ماتلار، و هو مؤلف في غاية الأهمية من حيث موضوع و تاريخ النظريات و البراديغمات، و كذا من حيث تنزيلاتها على الواقع الاجتماعي، استفاد الباحث منه فكرة إمكانية تطبيق نظرية في مجال مُعيّن في مجال آخر و بيئة أخرى، إذ جاء في مقدمة المترجمين: " كان أرمان ماتلار أستاذ الإعلام و الاتصال في جامعة باريس 8 في بداية حياته العلمية متخصصا في علم الديمغرافيا، و بدأ الاهتمام بعالم الإعلام و الاتصال في التشيلي في الستينيات من القرن الماضي، و لقد اندهش من بعض الجامعيين الأمريكيين الذين طبقوا تقنيات و إستراتيجية التسويق (Marketing) في الحملات الإعلامية الخاصة بتنظيم الأسرة، أي تنظيم النسل، فأدرك حينذاك أن حضارة جديدة.. حضارة الإعلام ستغمر العالم بأسره، لقد أكدت الأيام و التطور الهائل الذي تعيشه وسائل الإعلام صحة اعتقاده"<sup>700</sup>.

كما استفاد الباحث من الكتاب السالف، فكرة أن الاتصال حقل معرفي يمتاز بالتعددية و التوزيع (التناقض و الانشطار)، بين المادية و غير المادية، و بين البيولوجي و الاجتماعي، و بين الطبيعة و الثقافة، و بين الدراسات الشاملة و المحدودة، و بين القرية و الكرة الأرضية، و بين الفاعل الاجتماعي و النسق الاجتماعي، و بين الفرد و المجتمع، و بين حرية الاختيار و الحتميات الاجتماعية؛ و كذا فكرة أن الاتصال كما جاء على حد قول ماتلار: "من العلوم القليلة التي تتكثف و تتقاطع فيها مجموعة من العلوم، إذ يعتبر علما/ ملتقى للكثير من التخصصات العلمية. فقد أثارت سيرورات الاتصال اهتمام الكثير من العلوم المتنوعة، ابتداء بالفلسفة، و التاريخ، و الجغرافيا، و علم النفس، و السوسولوجيا، و الإثنولوجيا، و الاقتصاد، مروراً بالعلوم السياسية، و علم الإحياء، وصولاً إلى السيبرنيطيقا (التحكم الآلي)، و العلوم الإدراكية. و قد شكل هذا الحضور للتخصصات الأخرى داخل الاتصال، و هو يؤسس لحقله المعرفي الخاص داخل فضاء العلوم الاجتماعية، أحد المداخل الأساسية للتساؤل عن شرعيته العملية، كعلم قائم بذاته؛ و هو ما جعله يبحث عن نماذج تضيء عليه الطابع العلمي"<sup>701</sup>.

700 - أرمان ماتلار و ميشال ماتلار، **تاريخ نظريات الاتصال**، ترجمة نصر الدين لعياضي و الصادق رابح، الطبعة الثالثة، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2005)، ص10.

701 - ن م، ص19، 20.



إن هذه النتائج "الأفكار" التي وصل إليها ماتلار، و التي مفادها إمكانية تطبيق تقنيات و استراتيجيات خاصة بمجال معين و بيئة ثقافية و حضارية معينة، في مجالات أخرى، و في بيئات ثقافية و حضارية مغايرة، كما جاء في الفكرة الأولى؛ و أنّ الاتصال حقل معرفي يمتاز بالتعددية و التوزع (التناقض و الانشطار)، كما جاء في الفكرة الثانية؛ و أنّ الاتصال من العلوم القليلة، التي تتكثف و تتقاطع فيها مجموعة من العلوم، كما جاء في الفكرة الثالثة، هذه الأفكار الثلاث هي ما تبناه الباحث و عدّه بمثابة فرضيات يسعى لإثباتها في هذا المبحث الذي يهدف إلى الكشف عن أهم ملامح إستراتيجية الإعلام الأمريكي في الحروب الحضارية، و ذلك من خلال تعامله مع عشرات النظريات و النماذج الإعلامية و الاتصالية التي تمّ اعتمادها في حرب أمريكا الحضارية على العالم الإسلامي.

فقد أمكن الباحث من خلال الفكرة الأولى لماتلار، أن يستخلص أنّ السبب وراء تلك الإمكانية هو أنّ الظاهرة الإعلامية و الاتصالية من حيث التأثير و التأيير، بل و من حيث تخلقها و تكوينها، و نشأتها و تطورها، و انفعالها و تفاعلها، تخضع لمنظومة من السنن و القوانين الاجتماعية؛ و أنّ إمكانية تطبيق تقنيات و استراتيجيات خاصة بمجال معين، و بيئة ثقافية و حضارية معينة، في مجالات أخرى، وحتى في بيئات ثقافية و حضارية مغايرة، يدلّ على أنّ هناك سننا و قوانين اجتماعية مشتركة في مجال الظواهر الإعلامية و الاتصالية تصلح لجميع البيئات الاجتماعية لأنها بيئات إنسانية، و أنّ هناك سننا و قوانين اجتماعية تصلح لمجالات خاصة دون غيرها، لخصوصيات المجال ليس إلّا.

و من هنا يمكن الخلوص إلى نتيجة أساسية وهي أنّ فهم ظاهرة الحروب الحضارية، و فهم مختلف أبعادها، و بخاصة البعد الإعلامي و الاتصالي، المتداخل و المتشابك أصلاً مع كل الأبعاد، تأثراً و تأثيراً، يقتضي أن يكون وفق المنظور السنني القرآني<sup>702</sup>، أو ما يُسميه القرآن نفسه في مواضع عديدة بالسنن الإلهية، في مثل قوله جل و عز: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾<sup>703</sup>، و قوله: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ

702 - في مفهوم هذا المنظور انظر: الطيب برغوث، مقدمة في المنظور السنني لدراسة السيرة النبوية ، بحوث المؤتمر العالمي الأول للباحثين في السيرة النبوية، فاس، المغرب 2012 . المجلد 2. ص- ص861- 864.  
703 - سورة الأحزاب، الآية 38.

خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا<sup>704</sup>، و قوله: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأُولَى فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا<sup>705</sup>، و قوله: ﴿... سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ<sup>706</sup> و قوله: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا<sup>707</sup>؛ كما يقتضي الأمر تأسيس مناهج للنظر لهذا المنظور، مؤصلة من الوحيين (القرآن و السنة)، و مستفيدة من كنوز التراث الإسلامي، و بخاصة من محاولات بعض الأفاضل من العلماء و المفكرين، أمثال ابن خلدون في مقدمته، و تاريخه "ديوان العبر"، و مالك بن نبي في مشروعه الفكري ذي العنوان المعبّر عن "مشكلات الحضارة"، و محمد باقر الصدر في بعض كتبه، و بخاصة في مؤلفه "المدرسة القرآنية: السنن التاريخية في القرآن<sup>708</sup>.

و السنن الإلهية التي تسبح فيها الظاهرة الاتصالية و الإعلامية- باعتبارها ظاهرة اجتماعية معقدة ضمن النسيج الواسع للظواهر الاجتماعية-، هي تلك السنن التي توصف بأنها القانون و النظام الإلهي المحكم، وهي في هذا السياق، ترد بمعنى القواعد الثابتة، والضوابط، و النظام الموثق في الكون، و التاريخ، و لمجتمع؛ لهذا عرفت بأنها الضوابط أو القوانين التي تتحكم في عملية التحضر، و عرفت بالقوانين و الأحكام الإلهية الجارية الثابتة و المطردة، التي تتحكم في حركة التاريخ، و تتحكم بالدورات الحضارية، أو تبدل الحضارات بين الأمم، وهي تجري على الناس جميعا دون استثناء، و هي تتصف بالعموم و الشمول و الثبات و الدوام؛ و هذا المدخل<sup>709</sup>، يركز على الجانب الموضوعي للسنن، أي جانب القانون و النظام المطرد و المتقن الذي لا يحابي أحدا، و يمكن دراسته بطريقة علمية

704 - سورة الأحزاب، الآية 62.

705 - سورة فاطر، الآية 43.

706 - سورة غافر، الآية 85.

707 - سورة الفتح، الآية 23.

708 - السيد محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية: السنن التاريخية في القرآن، الطبعة (د)، (لبنان: دار التعارف للمطبوعات، 1989)، ص- ص 45-93.

709 - هناك أربعة مداخل أساسية ذكرها الدكتور عبد العزيز برغوث لتحديد مفهوم السنن الإلهية. المدخل الأول و يتناول السنن الإلهية بوصفها إرادة الله و حكمته و مشيئته و فعله في خلقه؛ و المدخل الثاني يتناول السنن بوصفها القانون و النظام الإلهي المحكم المذكور في المتن؛ و المدخل الثالث و يعالج السنن بوصفها المنهج و الطريقة و السيرة المتبعة؛ و المدخل الرابع و ينظر للسنن بوصفها المثال و النموذج و العادة المعلومة التي يقاس عليها و تأخذ منها العبرة. انظر:  
- عبد العزيز برغوث، ملاحظات حول دراسة السنن الإلهية في ضوء المقاربة الحضارية، مجلة إسلامية المعرفة، السنة الثالثة عشرة، العدد 49، صيف 2007/1428م، لبنان: بيروت، ص- ص 33-41.

بغض النظر عن عقيدة الفرد وتوجهه الديني. فهو نظام وقوانين دقيقة علمية، يمكن فهمها وتفسيرها واكتشافها وتسخيرها من قبل أي فرد أو مجتمع<sup>710</sup>.

و يمكن عدُّ هذه السنن، المنتظمة للظواهر الاجتماعية، نوعاً من سنن التسخير، و التي يطلق عليها "سنن الأنفس"، و سنن التسخير هي منظومة سننية كبرى تشمل أربعة منظومات كبيرة و هي : منظومة سنن الآفاق، و منظومة سنن الأنفس، و منظومة سنن الهداية، و منظومة سنن التأييد<sup>711</sup>.

و تكمن أهمية اكتشاف شبكة السنن ضمن النظرة الكلية المتكاملة و المتداخلة في:  
- فهم حقيقة الإنسان، و حقيقة وظيفته الاستخلافية في هذا الكون، و فهم طبائع الحياة و أنماط العيش، و إدراك التغيُّرات و التحولات ، التي تأخذ حيزها في الآفاق و الأنفس و التاريخ، و وفق سنن مطردة لا تعرف التغير و التبديل.  
- جعل السنن واحداً من أكبر مصادر القدرة و القوة و التمكّن، التي تعين الإنسان على الفهم، و التفسير، و الفعل العمراني و الاستخلافي و الحضاري، الأكثر انسجاماً و توافقاً مع طبائع الأشياء و منطقتها الفطري.  
- ضبط حركة الخلق، و تنظيم شؤون المخلوقات في كل مستوياتها المشهوددة ضمن عالم الشهادة.

لأجل ذلك شكّلت فكرة السنن أساساً مركزياً محورياً في القرآن الكريم، و بصورة خاصة في رؤيته للكون، و الإنسان، و الحياة، و التاريخ، و الاستخلاف، و الحضارة، و العمران البشري<sup>712</sup>.

و من الفكرة السابقة يمكن أن نستخلص ، أنّ النظرة الكلية المتكاملة و المتداخلة لشبكة السنن، المشار إليها آنفاً، تُمكن صاحبها أيضاً من الإحاطة الكلية بالمنظومات السننية الخاصة، و التي تحكم مجالاً خاصاً بعينه، كالمجال السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو الإعلامي و الاتصالي و غيره، و كل ذلك في منظومة سننية عامة أعلى و أشمل، و هي التي تنتظم المنظومات السننية الخاصة و تؤطرها.

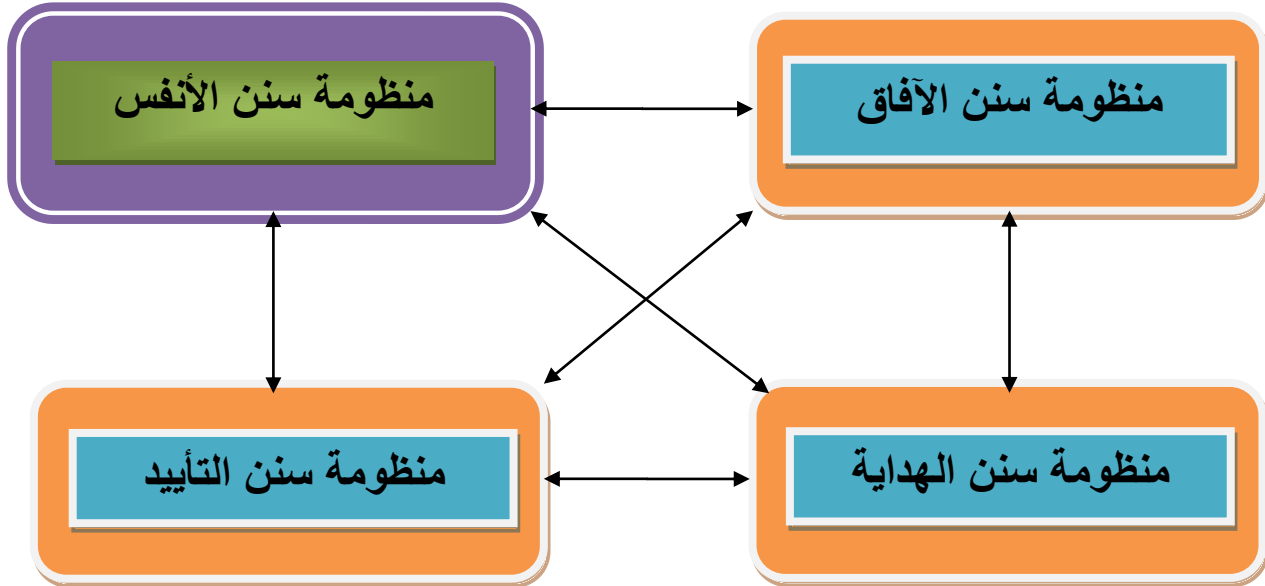
710 - ن م، ص 35.

711 - الطيب برغوث، مقدمة في المنظور السنني لدراسة السيرة النبوية، م س، ص- ص 889- 994.

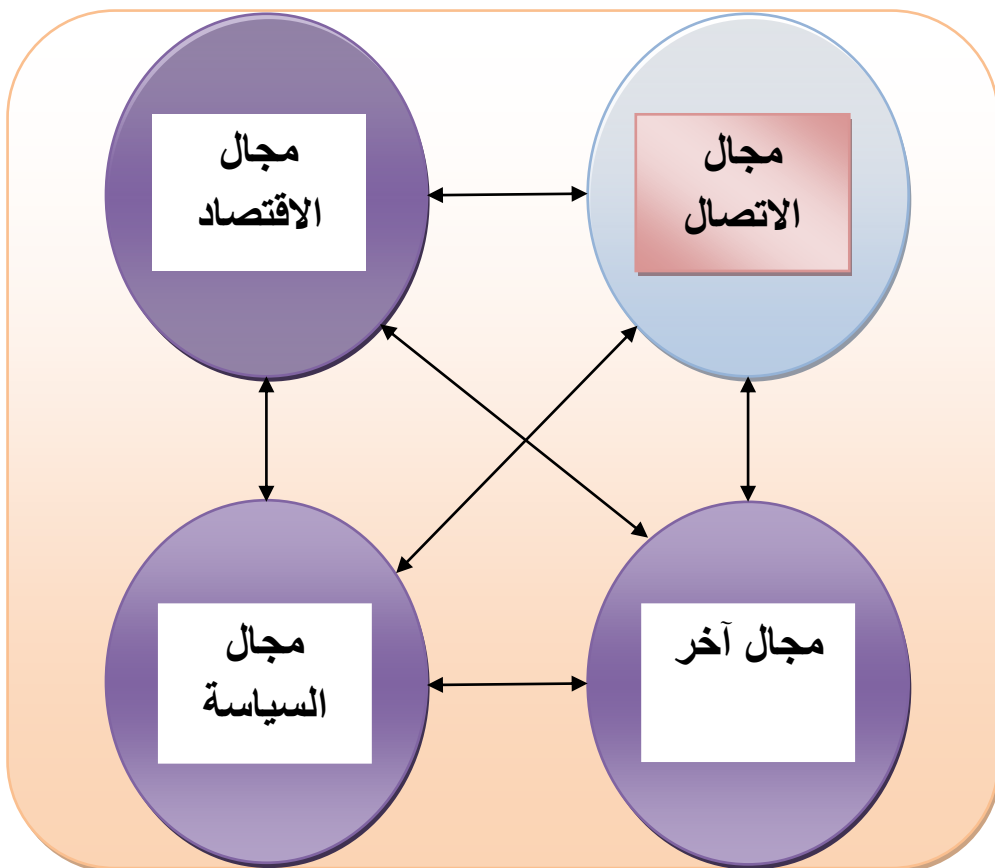
712 - عبد العزيز برغوث، ملاحظات حول دراسة السنن الإلهية في ضوء المقاربة الحضارية ، م س، ص 17، 18، 44.

ر ..هذا، و يمكن بيان ما يتعلق بالسنن الإلهية(سنن التسخير)، و كذا علاقة الظواه  
الاتصالية و الإعلامية بها في الجدولين التاليين:

منظومات سنن التسخير و مكانة سنن الأنفس(الاجتماعية) منها



منظومة سنن الأنفس و مكانة مجال الاتصال و الإعلام منها



و بالرجوع إلى ماتلار نجده قد أشار إلى ما هو قريب من ذلك بحسب مرجعيته  
الثقافية و الحضارية، و ذلك من خلال ما ذكره عن أدولف كيتلي<sup>713</sup>، الذي أسس سنة  
1835 علما جديدا للقياس الاجتماعي، أطلق عليه مصطلح " الفيزياء الاجتماعية"، و هذا  
العلم وَحَدُّهُ الرئيسية هي " الإنسان المتوسط" و هو ما يعادل عنده مركز الثقل في جسم  
الإنسان، يقوم على أساس أن "الإنسان المتوسط" يمكن أن يكون مقياس تقييما للأعراض  
الاجتماعية، و الأزمات و الاختلالات التي يعرفها النظام الاجتماعي، و قد ذكر ماتلار أن  
كيتلي وضع جداول لعدد الوفيات، و أخرى لتصنيفات الجريمة، حسب الجنس، و العمر،  
و المناخ، و الوضع الاجتماعي، بهدف استنباط قوانين النظام الأخلاقي (وهو في فكرنا  
الإسلامي حاصل العلاقة بين سنن الهداية و سنن الأنفس)، الذي بحسبه يمكن أن يكون  
موازيا للنظام الفيزيائي (سنن الآفاق). و من هنا يمكن القول، أن ما ذكره كيتلي عن  
استنباط قوانين النظام الأخلاقي، هو شبيه بقوانين النظام الأخلاقي في الثقافة الإسلامية، و  
الذي هو جزء من القوانين و السنن التسخيرية، غير أن غياب سنن الهداية عن الفكر  
الغربي يجعله ناقصا و خديجا، على الرغم من إقرارنا بقيمة ما وصل إليه.

أما الفكرة الثانية و التي مفادها أن الاتصال حقل معرفي يمتاز بالتعددية و التوزع  
(التناقض و الانشطار) بين الكثير من الثنائيات المتناقضة، فقد أمكن الباحث أن يستخلص  
منها خاصية التعقيد و التباين، و التداخل و التشابك في الظاهرة و العملية الاتصالية و  
الإعلامية، و هذه الخاصية تدفع و تفرض ضرورة إخضاع هذا الحقل المعرفي لدراسات  
عميقة و مكثفة، فردية و مؤسسية، و من حيث الموضوع أو المناهج، و هو ما يأمل  
الباحث تحقيقه في المستقبل على مستوى التأطير و الإشراف و المخابر البحثية.

أما بالنسبة للفكرة الثالثة التي مضمونها أن الاتصال من العلوم القليلة التي تلتقي و  
تتكثف فيه مجموعة كبيرة من العلوم، و تتقاطع فيه الكثير من التخصصات العلمية، فقد  
أمكن الباحث أن يستخلص منها أن فعالية توظيف حقل الإعلام و الاتصال في الحروب  
الثقافية و الحضارية تكمن في تلك الكثرة من التخصصات العلمية، التي يمس كل

---

**713 - Lambert Adolphe Jacques Quételet** (1796-1874)، بلجيكي من أصول فرنسية، و هو عالم  
في الرياضيات و الفلك و الإحصاء، و هو من رواد الدراسات الديموغرافية و مؤسس المرصد الوطني البلجيكي. انظر  
ويكيبيديا: [https://fr.wikipedia.org/wiki/Adolphe\\_Quetelet](https://fr.wikipedia.org/wiki/Adolphe_Quetelet)

تخصص منها جانباً من جوانب تلك الحرب، التي بيّنا أن لها أبعاداً دينية و إيديولوجية و نفسية و اجتماعية و اقتصادية و سياسية وغيرها.

كما أفاد البحث من كتاب **الفكر الاتصالي - من التأسيس إلى منعطف الألفية الثالثة** -

لمؤلفه بيرنار مبيج السابق ذكره أيضاً، و الذي حاول فيه التصدي للبحث عن العناصر المكونة للفكر الاتصالي عبر مختلف المراحل التي قطعها، و اعتبر الفكر الاتصالي منطبعاً بطبع التفكير التأملي و الإنتاج العلمي في آن واحد، و " ينفصل الفكر الاتصالي تأملات هؤلاء المتخصصين الجدد، و تلك الصادرة عن بعض المهنيين (مهندسو الشبكات، إشراريون، صحافيون، مكلفون بالاتصال، متخصصون في الإستراتيجيات، مصممون خدمات الاتصال عن بعد...)، إنه فكرٌ مصغٍ و متنبهٌ للتغيرات المتدخلة في سياسات الدول و الاستراتيجيات المهنية و التقنيات المستغلة و ممارسات الفاعلين الاجتماعيين<sup>714</sup>.

و تكمن الفائدة التي استوحاها الباحث من كتاب ( **الفكر الاتصالي** ) في البحث عن السنن و القوانين الاجتماعية التي تحكم الظاهرة الإعلامية و الاتصالية، و ذلك من خلال الخوض في بعض جوانب الفكر الاتصالي، سواء كان ذلك الفكر مستوحى من عالم التنظير الذي سماه بيرنار مبيج (تأملات المتخصصين)، أو مستوحى من عالم التنزيل الذي سماه (تأملات المهنيين).

و في خضم البحث عن نظريات الإعلام و الاتصال، و بخاصة النظريات ذات العلاقة بموضوع الدراسة، وجدَّ الباحث ضالته في " **موسوعة نظريات الاتصال**"<sup>715</sup>، التي حوت في صفحاتها الـ 1174 على أكثر من 400 نظرية متضمَّنة في 17 مجموعة أو فئة، و هو ما يمكن عدُّه منجماً ثرياً أو كنزاً نفيساً في عالم التنظير في مجال الإعلام و الاتصال، و لقد أفادت الموسوعةُ الباحثَ ليس فقط بكثرة النظريات و المقاربات و البراديجمات التي زخرت بها، و إنما بطريقة تنظيمها البديعة في مجالها لتلك النظريات في فئات و زمر.

714 - بيرنار مبيج، **الفكر الاتصالي من التأسيس إلى منعطف الألفية الثالثة**، م س، ص 11، 12.

715 - Stephen W. Littlejohn, Karen A. Foss, Editors. **ENCYCLOPEDIA OF COMMUNICATION THEORY**, SAGE Publications, Inc. Printed in the United States of America.

و من الملفت للنظر أنّ تلك النظريات من الكثرة و التنوع و التعدد و التباين، حتّى أنّ الباحث ليكاد يعجز عن اختيار ما يناسب بحثه؛ و ليست المشكلة ذات بعد منهجي فقط، و المتمثل في الكثرة و التنوع، بل هناك بُعد موضوعي، يتجلى في السياسة أو الإستراتيجية الإعلامية في الحرب الحضارية الأمريكية نفسها، و التي لا تبرح أي نظرية أو نموذج يمكن توظيفهما في تلك الحرب إلا و أخذت بهما، لهذا نجد كمًّا هائلًا من النظريات و النماذج في تلك الإستراتيجية.

هذا و تجدر الإشارة إلى أنّ واحدا من أبرز أسباب كثرة نظريات الاتصال هو أنّ "علوم الاتصال نفسها مدينة لإسهام تخصصات مختلفة تشمل الرياضيات، علم النفس، المنطق، علم الاجتماع، الألسنية، الأنثروبولوجيا، السيميائية، الخ. و الشيء نفسه يمكن قوله عن مناهج البحث التي هي مستوحاة من تخصصات مثل الاقتصاد، علم الاجتماع، الأنثروبولوجيا، التاريخ ... إن هذا التنوع يفسره الموقف الأيديولوجي الشخصي للباحث و المحيط الاجتماعي و الاقتصادي و السياسي و الثقافي الذي يتحرك بداخله و كذا تكوينه و سوابقه التخصصية"<sup>716</sup>.

لأجل ذلك سيقصر البحث في هذا الموضوع من الدراسة إلى مجرد الإشارة و التنبيه إلى النظريات ذات الأبعاد الحضارية و الثقافية و الصراعية و العلاقات الدولية، ثمّ يعمد إلى نماذج من تلك النظريات لرسم بعض الملامح العامة عن نماذج من إستراتيجيات الإعلام الأمريكي في حروبه الحضارية ضد العالم الإسلامي، و يمكن إجمال ذلك في البيان التالي:

---

716 - ألان لارامي و برنار فالي، البحث في الاتصال- عناصر منهجية - ترجمة أ د ميلود سفاري و آخرون، مخبر علم اجتماع الاتصال، جامعة منتوري قسنطينة، الطبعة الثانية ( قسنطينة: ديوان المطبوعات الجامعية، 2009)، ص 80.

## أولاً: الفئات العامة للنظريات المعتمدة.

إنّ الفئات العامة التي سوف تُعتمد هاهنا مصدرها " موسوعة نظريات الاتصال " المشار إليها آنفاً، ومما يجدر التنويه إليه، أن الباحث سيُدرج ضمن كل فئة مجموعة النظريات التي لها صلة منهجية أو موضوعية بإستراتيجية الإعلام الأمريكي في الحرب الحضارية، و الهدف من ذلك هو لفت النظر إلى ضرورة دراسة كل النظريات و النماذج ذات الصلة بالتفاعلات الحضارية.

### 1 \* فئة التطبيقات والسياقات (Applications and Contexts):

و يدخل ضمنها النظريات الصراعية (Conflict Communication Theories)، و النظريات الثقافية، و نظريات العولمة، و نظريات الاتصال بين الثقافات، و نظريات الاتصال الدولي، و نظريات وسائل الإعلام والاتصال الجماهيري، و نظريات الاتصال المرئي، و نظريات الاتصال الديني<sup>717</sup>.

### 2\* فئة التوجهات الحاسمة (Critical Orientations):

و يدخل ضمنها نظرية أمركة وسائل الإعلام، و النظريات النقدية، مثل مدرسة فرانكفورت، و نظرية الهوية<sup>718</sup>.

### 3\* فئة التوجهات الثقافية (Cultural Orientations):

و يندرج تحتها الكثير من النظريات الثقافية، مثل النظرية السياقية الإثنية و الدينية (Contextual Theory of Interethnic)، و النظرية الإثنوغرافية (وصف الأجناس البشرية)، و الإثنولوجية (علم الأجناس البشرية)، و نظرية الأنماط الثقافية، و نظريات الهوية، و الهوية الاجتماعية، و نظرية كفاءة الاتصال بين الثقافات، و نظريات التواصل فيما بين الثقافات، و نظريات الاتصال الديني، و نظرية القيم الاجتماعية - الثقافية<sup>719</sup>.

717 - Stephen W. Littlejohn, Karen A. Foss, Editors. ENCYCLOPEDIA OF COMMUNICATION THEORY, p xiii..

718 - Ibid. p xiv.

719 - Ibid. p xiv, xv.



#### 4\* فئة توجهات السبر نطيقا (التحكم و الضبط) والنظم (Cybernetic and Systems Orientations):

مثل نظرية الإثنوغرافيا التلقائية، و النظرية السيبرانية (Cybernetic)، و نظرية التحكم العلائقية (Relational Control Theory)<sup>720</sup>.

#### 5\* فئة تكنولوجيا وسائل الإعلام و الاتصال (Information, Media, and Communication Technology):

و يدخل ضمن هذه الفئة نظرية الأجندة أو ترتيب الأولويات، و نظريات الجمهور، و نظرية أمركة وسائل الإعلام، و النظرية النقدية، و نظرية فرانكفورت النقدية، و نظرية التدفق المعلوماتي، و نظرية العولمة<sup>721</sup>.

#### 6\* فئة المفاهيم الدولية والعالمية (International and Global Concepts):

و يدخل ضمن هذه الفئة نظرية الثقافة و الاتصال، و نظرية التدفق الإعلامي و التدفق المضاد (contra-flow)، و نظرية حرية العقيدة. و نظريات العولمة. و نظريات الاتصال بين الثقافات. و نظرية السيادة الإعلامية. و نظرية الاستعمار الجديد، و نظرية النظام العالمي الجديد للإعلام و الاتصال<sup>722</sup>.

#### 7\* فئة النماذج (البراديجمات) و التقاليد و المدارس (Paradigms, Traditions, and Schools):

و نجد هنا أيضا الكثير من النظريات غير الغربية: و يندرج ضمنها نظريات الاتصال الخاصة بكل حضارة أو مجموعة حضارية أو ثقافية أو دينية مثل نظرية الاتصال الإفريقية و الآسيوية و نظرية الاتصال البوذية. و النظريات المعرفية، و النظرية النقدية، و النظرية الامبريالية، و نظرية الحداثة في الاتصال، فلسفة الاتصال<sup>723</sup>.

720 - Ibid. p xv.

721 - Ibid. p xvi.

722 - Ibid. p xvii.

723 - Ibid. p xviii.

## 8\* فئة التوجهات الفلسفية (Philosophical Orientations):

و يندرج في إطارها مجموعة من النظريات مثل نظرية علم القيم، و نظرية الابستمولوجيا، و النظريات الأخلاقية، و نظرية الوجودية، و نظرية الحتمية، و نظرية الظواهرية، و نظرية فلسفة الاتصال، و النظريات البراجماتية، و نظرية الواقعية و الآراء الواردة<sup>724</sup>.

## 9\* فئة التوجهات النفسية-المعرفية (Psycho-Cognitive Orientations):

و تتضمن نظرية الترتيبات، و نظرية الموقف، و نظرية علم النفس الاجتماعي، و نظريات الجمهور، و النظريات المعرفية، و النظرية البنائية، و نظرية الغرس الثقافي، و نظرية حقل الصراع، و نظرية كفاءة الاتصال بين الثقافات، و نظريات الرأي العام، و نظريات الاتصال الدينية، و نظرية الاختراق الاجتماعي، و نظرية دوامة من الصمت، و نظريات إدارة أو التحكم في عدم اليقين<sup>725</sup>.

## 10\* فئة الاتجاهات الكلامية (Rhetorical Orientations):

و يمكن ذكر نظريات الاتصال السياسي، و نظريات الاتصال الديني و نظريات الاتصال المرئي و النظرية التفكيكية<sup>726</sup>.

## 11\* فئة التوجهات الاجتماعية والتفاعلية (Social-Interactional Orientations):

و نجد هاهنا نظرية الأجندة أو ترتيب الأولويات، و نظريات الجمهور، و النظرية الثقافية، و نظريات الحوار، و نظريات الجمهور، و نظريات الهوية، و نظرية ما بعد البنوية، نظرية الهوية الاجتماعية، نظريات التفاعل الاجتماعي، نظرية الاختراق الاجتماعي، نظرية دوامة الصمت، نظرية القصص و الأكاذيب و التضليل، نظرية القيم<sup>727</sup>.

724 - Ibid. p xviii.

725 - Ibid. p xviii, xix.

726 - Ibid. p xix, xx.

727 - Ibid. p xx, xxi.

ثانياً: ملاحظات منهجية حول الفئات العامة للنظريات المعتمدة في الحرب الحضارية.

- إن أول ما يلاحظ على عالم التنظير في مجال الاتصال أنه عالم فسيح و شاسع جداً، و متداخل و متشابك جداً، و متنوع و متباين جداً، حيث نجد أنّ الفئة الواحدة تتضمن الكثير من النظريات و النماذج. و هذا ما يجب أخذه في عين الاعتبار في أي نوع من الدراسات الاتصالية و الإعلامية.

- إن النظرية الواحدة من نظريات الاتصال، و النموذج الواحد من نماذجه، قد يكون في أكثر من فئة، و هذا ينبُ عن تعقّد الظاهرة الاتصالية في حد ذاتها، فقد تتناول في نظرية واحدة من زاوية ثقافية و أخرى صراعية و ثالثة إثنية أو دينية، و بناء على ذلك يمكن أن تدرج في أكثر من فئة؛ و من هنا فمن الخطأ المنهجي - حين التنزيل في الدراسات النظرية (الفلسفية) و التطبيقية- عدم مراعاة هذه الخاصية.

- إن السياسة أو الإستراتيجية الإعلامية في الحرب الحضارية الأمريكية كما سلف، لا تبرح أي نظرية أو نموذج يمكن توظيفهما في تلك الحرب إلّا و أخذت بهما، لهذا نجد كمّاً هائلاً و متداخلاً من النظريات و النماذج في تلك الإستراتيجية، و هو أيضاً ممّا يجب وضعه في حسابان الباحثين في الدراسات الاتصالية و الإعلامية.

- إن النظريات ذات الأبعاد الحضارية و الثقافية تكاد أن تكون في أغلب الفئات العامة، فقد أفضى الاستقصاء ضمن سبعة عشرة فئة في الموسوعة المذكورة آنفاً، إلى استخلاص إحدى عشرة فئة كلها يحوي نظريات حضارية أو ثقافية أو ذات صلة بها، و هذا يدل على أهمية هذه الأبعاد في مجال الاتصال و موقعها في العلاقات بين الأمم و الشعوب و الدول و الثقافات و الحضارات، فالاتصال كعملية إنسانية و اجتماعية هو رسالة ثقافية و حضارية أكثر منه وسيلة، فنحن كأفراد و مجموعات صغيرة أو كبيرة نتصل ببعضنا البعض لإيصال رسائل من منظمتنا الفكرية و الثقافية و الحضارية.

- إن عدم مراعاة المرجعيات الدينية و الإيديولوجية و الثقافية و الحضارية للنظريات الاتصالية و الإعلامية، بل و لفلّك الشاسع الذي تسبّح فيه (النظريات الإنسانية و الاجتماعية) يجعل الباحث مستلباً ثقافياً، و مرتهاً حضارياً، بل و يصبح وسيلة و قناة

لثقافات و حضارات أخرى، تنتقل من خلاله الأفكار الميئة و المميئة لحضارة هذا الباحث، و من هنا يمكن الخلوص إلى أن الإعلام و الاتصال هو أخطر أسلحة الحرب الثقافية و الحضارية، فهو بمثابة الروح للجسد.

- إن الباحث- وبخاصة المسلم- إذا لم يتعامل مع تلك النظريات و المقاربات بالمنظور السنني القرآني، الذي تم الإشارة إليه باختصار و اقتضاب، و بالنظرة الحضارية الكلية المتكاملة، فإنه إضافة إلى ما ذكر في الملاحظة السابقة (من خطورة الاستلاب الثقافي و الارتهان الحضاري، المفضي للإعدام الثقافي و الحضاري)، فإنه سيعجز عن الفهم و الإدراك المطلوبين لماهية و حقيقة الظاهرة الاتصالية و الإعلامية، و سيخفق عن تسخيرها و استثمارها في عملية الاستخلاف و العمران و البناء الحضاري، و سيجد نفسه كلاً على غيره، و لا يستطيع إنجاز أي فعل كامل و سليم في مشروع الاستعداد للمقاومة و المواجهة الحضارية.

## المطلب الثاني

### نموذج عن أهم نظريات الإعلام

### المعتمدة في حروب أمريكا الحضارية

#### نموذج هربرت شيللر

#### أولاً : عرض نظرية هربرت شيللر عن التحليل الإعلامي

يعتبر هربرت شيللر (Herbert Irving Schiller) واحداً من أبرز النقادين الأميركيين في مجال الإعلام والاتصال، وهو من الشخصيات الرئيسية البارزة في البحث والنقاش العام حول دور وسائل الإعلام في المجتمعات الحديثة.

و تُعدّ نظرياته - التي سوف نعتمد جانباً منها ضمن النماذج الخاصة بالنظريات الإعلامية المعتمدة في حروب أمريكا الحضارية، و التي ضمّنها في بعض من كتبه، مثل: "المتلاعبون بالعقول" و "الاتصال و الهيمنة الثقافية" و "وسائل الاتصال والإمبراطورية الأميركية" - من نظريات التحليل الإعلامي، و الهيمنة و الصراع الثقافي. وقد صنفتها الباحثة المصرية الدكتورة عواطف عبد الرحمن في مدرسة التبعية الإعلامية والثقافية<sup>728</sup>، التي خرجت من قلب المجتمع الأمريكي الذي يمثل ذروة التقدم الرأسمالي، سواء في الاقتصاد أو الإعلام، وذلك في نهاية الستينات، و قد اعتبرت الدكتورة عواطف صدور الدراسة الرائدة التي قدمها البروفيسور هربرت شيللر بعنوان (الإعلان والإمبراطورية الأمريكية)، - التي أوضح فيها الأبعاد الحقيقية للإمبراطورية

---

**728** - تضم مدرسة التبعية الإعلامية نفراً من الأساتذة والباحثين الإعلاميين لا ينتمون في أغلبهم إلى دول العالم الثالث بل يمثلون الجناح الراديكالي في المدرسة الغربية. وقد انبثق اهتمامهم بقضايا التبعية الإعلامية والثقافية في العالم الثالث انطلاقاً من الدراسات الهامة التي قدمتها مدرسة التبعية الاقتصادية في أمريكا اللاتينية وبعض الدراسات التي قدمتها المدرسة الاشتراكية في الإعلام. فضلاً عن الدراسات الرائدة التي قدمها البروفيسور شيللر عن الاستعمار الثقافي والإعلامي مستعينا بوقائع وتطورات التجربة الأمريكية في الإعلام وقد كان حريصاً على إبراز تناقضاتها ومخاطرها على شعوب العالم الثالث، ومن أبرز هربرت شيللر و كارل نورد تسترييم و تابيوفاريس و راكيل ساليناس ولينا بالدان (فنلندا) و كارل سوكانت و بالاس سميث (كندا) و ارمان مائل أرت و سميث سيبلوب (فرنسا) و تران فان دنا (فيتنام). و قد حاولت قديم رؤية بديلة للنظريات التي أدت إلى تكريس التبعية الإعلامية والثقافية في العالم الثالث انظر: عواطف عبد الرحمن، قضايا التبعية الإعلامية والثقافية في العالم الثالث ، سلسلة عالم عدد 78، الطبعة (د)، (الكويت: المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1984)، ص 35.

الإعلامية في الولايات المتحدة وأخطارها الاجتماعية والثقافية على الدول النامية- بمثابة رمز لنشأة تلك المدرسة<sup>729</sup>.

و في موسوعة نظريات الاتصال أُدرجت نظريات هربرت شيللر في فئات و مجموعات متباينة من نظريات الاتصال، و اعتُبرت ذات ارتباط وثيق بنظرية التدفق الحر للمعلومات، و نظرية النظام العالمي الجديد للإعلام والاتصال، و نظرية أمركة الإعلام، و نظرية العولمة الإعلامية و العولمة الثقافية، و النظريات الصراعية، و النظريات الثقافية، و نظريات الهيمنة، و نظريات الاتصال بين الثقافات، و نظريات الاتصال الدولي، و نظرية القوة و علاقات القوة و غيرها<sup>730</sup>.

و عند التأمل الفاحص في هذه النظريات، و أعمال النظر في الفكرة التي تربط شبكة العلاقات فيما بين محاورها و أطروحاتها و مواضيعها، نجد أنها تركز على طبيعة الإعلام و الاتصال لدى أمة من الأمم، بأبعاده الثقافية و الحضارية، و تبحث على وظيفة هذا الإعلام داخل تلك الأمة، و تهدف إلى الكشف عن كفاءات تسخير الإعلام في العلاقات الثقافية و الحضارية بين الأمم و الشعوب.

و لسوف يتم التركيز- من خلال كتبه الثلاثة السابقة التي نتناولها على سبيل المثال و ليس الحصر- على رسم و استخراج أهم ملامح إستراتيجية الإعلام الأمريكي في الحروب الحضارية ضد العالم الإسلامي.

ففي كتابه " المتلاعبون بالعقول " تناول شيللر إستراتيجية التضليل الإعلامي الأمريكي من حيث المضمون و الشكل معا. و على الرغم أن الكتاب قد صدر في السبعينات و قبل وقت طويل من أحداث 11 سبتمبر 2001 ، إلا أن دلالات مضمونه ذات مصداقية كبيرة على طبيعة الإعلام الأمريكي و خصائصه، و التي يمكن أن نستنتج منها ثبات تلك الطبيعة و الخصائص، و على صدقية وقوة نظريته.

729 - ن م، ص 34، 35، 39.

730 - Stephen W. Littlejohn, Karen A. Foss, Editors. **ENCYCLOPEDIA OF COMMUNICATION THEORY**, Sage Publications, Inc. Printed in the United States of America, p xxxix, 414, 446, 539,783

يقول شيلر عن الطبيعة التضليلية للإعلام الأمريكي: "و ليس من المستغرب أن يبلغ التضليل الإعلامي، بوصفه أداة للهيمنة أعلى درجات تطوره في الولايات المتحدة". ثم يردف قائلاً: " و حيث يكون التضليل الإعلامي هو الأداة للهيمنة الاجتماعية، كما هو الحال في الولايات المتحدة، تكون الأولوية لتنسيق و تنقيح الوسائل التقنية للتضليل على الأنشطة الثقافية الأخرى. من هنا تجتذب أنشطة التضليل الإعلامي طبقاً لمبادئ السوق، أدكى المواهب، نظراً لأنها تقدم أعلى حوافز النظام"<sup>731</sup>.

و إذا كان شيلر و هو أمريكي الموطن و الجنسية، يطرح من بين مبررات دراسته للتضليل الإعلامي الأمريكي، كون الاعتراف بأن وسائل الاتصال في الولايات المتحدة، تمثل موضوعاً بالغ الأهمية بالنسبة للمجتمع العالمي، و ذلك بسبب القضايا الحيوية التي يثيرها هذا النظام فيما يتعلق بالسيادة الوطنية للشعوب الأخرى، بل و استمرار بقائها أيضاً، إذ ثقافة أمريكا الشمالية يجري تصديرها عالمياً، حتى أصبحت بالفعل النموذج السائد في أماكن عديدة خارج الولايات المتحدة<sup>732</sup>، إذا كان الأمر كذلك، فإن الدارسين و الباحثين من غير الأمريكيين، و خاصة من ينتمون إلى الثقافات المستهدفة بالأمركة الثقافية هم أولى بهذا الصنف و النوع من الدراسات و البحوث.

و ينطلق في بيان نظريته عن التضليل الإعلامي في أمريكا، من بيان حقيقته و هو أنه إحدى الأدوات الرئيسة للسيطرة، في أيدي مجموعة صغيرة حاكمة من صناعات القرار من أصحاب الشركات العملاقة و مسؤولي الحكومة، و هو أداة للقهر يمثل إحدى الأدوات التي تسعى النخبة من خلالها إلى تطويع الجماهير لأهدافها الخاصة، بل و إقناعها بالتصويت ضد أكثر مصالحها أهمية، و ذلك باستخدام مجموعة من الأساطير التي تفسر و تبرر الشروط السائدة للوجود، و تضيف عليها أحياناً طابعاً خلاباً، ليضمن المضللون التأييد الشعبي لنظام اجتماعي لا يخدم في المدى البعيد المصالح الحقيقية للأغلبية<sup>733</sup>.

---

731 - هيربرت شيلر، المتلاعبون بالعقول. ترجمة عبد السلام رضوان، الإصدار الثاني ضمن سلسلة عالم الفكر، العدد

243 (الكويت: المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، 1999)، ص 11.

732 - ن م ، ص 13.

733 - ن م ، ص 7، 9.

و يحدد شيللر خمسة أساطير يعتمد عليها سائسو العقول في أمريكا لإخضاع الجماهير، و هي تشكل مضمون النظام التضليلي، أما الشكل الذي يتخذه هذا النظام فيبرز من خلال تقنيتين تشكلان الوعي، و بيان نظريته كما يلي<sup>734</sup>:

## أ - مضمون النظام التضليلي.

### 1 أسطورة الفردية و الاختيار الشخصي.

يذهب شيلر إلى أن أعظم انتصار أحرزه " التضليل الإعلامي " يتمثل في الاستفادة من الظروف التاريخية الخاصة للتطور الغربي ، من أجل تكريس تعريف محدد للحرية ، تمت صياغته في عبارات تتسم بالنزعة الفردية ، و هو ما يُمكن المفهوم من أداء وظيفة مزدوجة، فهو يحمي حيازة الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج من ناحية، و من ناحية أخرى يطرح نفسه في الوقت ذاته بوصفه حارسا لرفاهية الفرد، موحيا - إن لم يكن مصرا- بلأن هذه الأخيرة لا يمكن بلوغها إلا في وجود الأولى ، و فوق هذا المعنى أو التفسير المركزي يتم تشييد هيكل كامل من التضليل الإعلامي . فما الذي يفسر قوة هذا المفهوم؟<sup>735</sup>

و يذهب شيللر بعيدا و هو يثبت أن هناك من الشواهد ما يكفي للقول بلأن حقوق الفرد المطلقة ليست سوى أسطورة، و بأنه لا يمكن الفصل بين الفرد و المجتمع ، إذ من الثابت أن بدايات الحضارة تمتد جذورها في التعاون و الاتصال<sup>736</sup>.

### 2 أسطورة الحياد.

يفند شيللر أسطورة حياد الإعلام الأمريكي بأسلوب المحققين الجنائيين، فيبين أن التضليل الإعلامي " لكي يؤدي دوره بفعالية أكبر، لا بد من إخفاء شواهد وجوده، أي أن

---

734 - أحمد القصور، الأساطير المؤسسة للتضليل الإعلامي- مع هربرت شيلر في : " المتلاعبون بالعقول ". انظر موقع أندلسيات: /الأساطير- المؤسسة- للتضليل- الإعلامي/2013/12/19/ <https://andalusiat.com/2013/12/19/>

735 - ن م ، ص 17.

736 - ن م ، ص 18.



التضليل يكون ناجحا عندما يشعر المضللون أن الأشياء هي على ما عليه من الوجهة الطبيعية و الحتمية، لأن التضليل الإعلامي يقتضي واقعا زائفا هو الإنكار المستمر لوجوده أصلا<sup>737</sup>، و لبلوغ ذلك، يوضح شيللر ضرورة إيمان الشعب الذي يجري تضليله بحياد مؤسساته الاجتماعية و الرئيسة. فلا بد أن يؤمن بلأن الحكومة و الإعلام و التعليم و العلم بعيدة جميعا عن معترك المصالح الاجتماعية المتصارعة<sup>738</sup>، و تشكل الحكومة ركيزة أسطورة الحياد، فهذه الأسطورة تفترض مسبقا الاقتناع الكامل للشعب (الأمريكي) باستقامة حكومته و عدم تحزبها بوجه عام، و يشمل الحياد عناصرها المكونة لها مثل الكونغرس و النظام القضائي و الرئاسة، و من ثمة تُفسَّر وقائع الفساد و الغش و الاحتيال كفتيجة مترتبة على الضعف الإنساني فقط، أما المؤسسات فهي بعيدة تماما عن المؤاخذة<sup>739</sup>.

كما يفترض أن أجهزة الإعلام تتسم بالحياد، و في هذا الإطار يؤكد شيللر أن "وسائل الإعلام ( الصحافة، و الدوريات و الإذاعة و التلفزيون) هي جميعا و بلا استثناء مشروعات تجارية تتلقى مداخيلها من الاستغلال التجاري لمساحاتها الزمنية أو المكانية لمصلحة الإعلانات، فمن الواضح أنها لا تثير أي مشكلة بالنسبة لهؤلاء الذين يدافعون عن موضوعية و نزاهة الهيئات العاملة في حقل الإعلام"<sup>740</sup>.

### 3 أسطورة الطبيعة الإنسانية الثابتة.

يقصد شيللر بالطبيعة الإنسانية الثابتة ما جُبل عليه الإنسان من الخير أو الشر، و أيهما هو طبيعة للإنسان، لأن ذلك هو الذي يحكم تصرفات الناس.

ويلاحظ شيللر أن النظرية التي تؤكد على الجانب العدواني في السلوك الإنساني، و عدم قابلية الطبيعة الإنسانية للتغيير، تجد استحسانا و قبولا في الولايات المتحدة، كما تستوعب قدرا كبيرا من الجهد و الفكر، و يتم نشرها على نطاق واسع من خلال وسائل

737 - ن م، ص 20

738 - ن م، ص 20، 21.

739 - ( ص 21 )

740 - ( ص 22 )

الإعلام؛ و مرَدُّ ذلك إلى أن الاقتصاد المبني على الملكية الخاصة و الحيازة الفردية و المَعْرَض دائماً للصراعات الشخصية و الاجتماعية التي تفرضها هذه الأوضاع، سيُسَرَّ كثيراً بمثل هذا التفسير الذي يضفي المشروعية على مبادئه الأساسية المؤثرة في الواقع<sup>741</sup>.

و يؤكد شيلر أن الطبيعة الإنسانية عند مضللي العقول ثابتة لا تتغير و كذلك الحال بالنسبة للعالم، ذلك أن سائسي العقول يسهبون في الحديث عن التغيرات الفيزيائية ( وسائل نقل جديدة، تكييف هواء، أطعمة معلبة..)، إلا أنهم يحجمون بحرص بالغ عن التعرض للتغيرات الحادثة في العلاقات الاجتماعية ، أو في البنى المؤسساتية التي تشكل الدعامة الأساسية للاقتصاد<sup>742</sup>. هكذا سيبقى العالم باستثناء بعض التجديدات الديكورية الباهرة كما هو تماماً، و ستبقى العلاقات الأساسية دون تغيير، حيث إنها على حد زعمهم، شأنها شأن الطبيعة الإنسانية، غير قابلة للتغير. أما فيما يتعلق بتلك الأجزاء من العالم التي شهدت عمليات إعادة تنظيم اجتماعي بعيدة الأثر، ف إن ما يكتب عنها - إذا كتب عنها شيء أصلاً- يركز على العيوب و المشاكل و الأزمات التي يتلذذ بالتشبهت بها مضللو الوعي في داخل البلاد<sup>743</sup>.

#### 4 أسطورة غياب الصراع الاجتماعي.

بحسب شيلر فإن المتحكمين في الوعي ينكرون إنكاراً مطلقاً وجود الصراع الاجتماعي في مجال تصويرهم للساحة الداخلية. ذلك أن الصراع - كما تصوره الأجهزة القومية لصنع الأفكار و التوجهات العامة، هو في الأساس مسألة فردية، سواء في تجلياته أو في أصوله. إذ لا وجود أصلاً للجذور الاجتماعية للصراع في رأي مديري أجهزة الثقافة و الإعلام<sup>744</sup>.

741 - ن م ، ص 24.

742 - ن م ، ص 27.

743 - ن م ، ص 27.

744 - ن م ، ص 28.

و يوضح شيللر أن سيطرة النخبة تقتضي تجاهل أو تحريف الواقع الاجتماعي، فالدراسة المخلصة و المناقشة الجادة للصراع الاجتماعي لن تؤدي إلا إلى تعميق و تكثيف مقاومة الظلم الاجتماعي، و هذا لا يخدم مصالح الديناصورات المتنفذة. و الشركات العملاقة تصاب بتوتر بالغ و قوي، إذا ما تم لفت الأنظار للممارسات الاستغلالية التي يشاركون فيها<sup>745</sup>.

## 5 أسطورة التعددية الإعلامية (التمركز الإعلامي و الكارتلات).

يعتبر شيللر أن أغلبية الأمريكيين يعتقدون أن أمريكا قائمة على حرية الاختيار في بيئة من التنوع الثقافي و الإعلامي، و هو ما يجعلهم سريعي التأثر بالتضليل الإعلامي الشامل، بل إن هذه الحرية هي الصورة الذائعة عن أمريكا على مستوى العالم، و هي الشرط للحياة في أمريكا. و هذه الأسطورة هي إحدى الأساطير المركزية التي يقوم عليها ازدهار نشاط "توجيه العقول"<sup>746</sup>.

و رغم أن حريتي الاختيار و التنوع تمثلان مفهومين مستقلين فإنهما لا تنفصلان في الواقع، فحرية الاختيار لا تتوافر بأي معنى من المعاني دون التنوع؛ فإذا لم توجد خيارات واقعية، فإن عملية الاختيار إما أن تصبح بلا معنى و إما أن تصبح منطوية على التضليل، و يصبح احتمال انطوائها على التضليل واقعا فعليا عندما يصاحبها الوهم بأن الاختيار ذو معنى. و يقرر شيللر أن وهم حرية الاختيار فيما يتعلق بالإعلام أكثر انتشارا في الولايات المتحدة من أي مكان آخر في العالم، و يتعزز هذا الوهم من خلال الميل - الذي يعمد المسيطرون على الإعلام إلى المحافظة على استمراره - إلى الخلط بين وفرة الكم الإعلامي و بين تنوع المضمون<sup>747</sup>.

745 - ن م ، ص 29، 30.

746 - ن م ، ص 31.

747 - ن م ، ص 31، 32.

و يؤكد شيلر أنه باستثناء قطاع صغير جدا من السكان يُحسن الانتقاء، و يعرف ما الذي يشاهده، و يستطيع بالتالي أن يستفيد من التدفق الإعلامي الهائل، ف إن معظم الأمريكيين محصورين أساسا - دون وعي - داخل نطاق مرسوم من الإعلام لا اختيار فيه، فتنوع الآراء في ما يتعلق بالأخبار الخارجية و الداخلية ، أو بالنسبة لشؤون المجتمعات المحلية، لا وجود له في المادة الإعلامية ، و هو ما ينتج أساسا من التطابق الكامن للمصالح المادية و الإيديولوجية لأصحاب الملكية، ومن الطابع الاحتكاري لصناعة وسائل الاتصال بوجه عام<sup>748</sup>.

و من ثم يبرز التنوع السطحي في قطاع الإعلام حيث تقدم معظم الصحف و المجالات و الأفلام التي تنتجها وسائل الإعلام رؤية واحدة للواقع. و على الرغم من اختلاف "كل برنامج مفرد و كل مؤد أو معلق أو معلومة عن مقابله المنافس له، فإننا لا نجد أي فارق كفي ملموس بينها"، ذلك أن المادة الترفيهية و الأخبار و المعلومات العامة و التوجهات و الأفكار يجري انتقاؤها جميعا من الإطار المرجعي الإعلامي نفسه من جانب حراس البوابة الإعلامية، حيث تحركهم دواع تجارية لا يمكن التخلي عنها ، و قد يختلف الأسلوب و التعبير المجازي، لكن الجوهر واحد ؛ و يخلص شيلر إلى أن شرط التعددية الخالي تماما من أي تنوع حقيقي هو الذي يوفر أسباب القوة للنظام السائد لتعليب الوعي، فالفيض الإعلامي المتدفق عبر العديد من القنوات يخلق الثقة في فكرة الاختيار الإعلامي الحر، و يضيف عليها المصادقية، في الوقت الذي يتمثل فيه تأثيره الأساسي في توفير الدعم المستمر للوضع القائم<sup>749</sup>.

---

748 - ن م ، ص 32.

749 - ن م ، ص 34.

## ب- : شكل النظام التضليلي.

أما الشكل الذي يتخذه النظام التضليلي الإعلامي فيبرزه شيلر من خلال تقنيتين تشكلان الوعي و هما:

### 1- التجزئية (Fragmentation) بوصفها شكلا للاتصال.

يستهل شيلر و هو يعرض للتقنية الأولى التي تشكل الوعي " التجزئية" بأن الأساطير السابقة تستخدم من أجل هدف محدد هو السيطرة على الشعب ، فعندما يتم إدخالها على نحو محسوس في الوعي الشعبي ( وهو ما يحدث بالفعل من خلال أجهزة الثقافة و الإعلام)، فلن " قوة تأثيرها تتضاعف من حيث إن الأفراد يضلّون غير واعين بأنه قد تم تضليلهم، و فضلا عن ذلك فإن عملية السيطرة تصبح أكثر فاعلية من خلال الشكل الخاص الذي يجري نقل الأسطورة من خلاله. ذلك أن تقنية النقل (الكيفية) يمكن أن تضيف بذاتها بعدا جديدا إلى العملية التضليلية"<sup>750</sup>.

إن شكل الاتصال و الإعلام هو تجسيد فعلي للتحكم في الوعي، و هو ما يمكن ملاحظته بسهولة في التقنية التي يسميها التجزئية؛ و يقصد بالتجزئية في وسائل الإعلام حصر المشكلات في بؤر بدلا من رؤيتها بوصفها أبعادا لكل واحد. و كتب شيلر : إن التجزئية أو الحصر داخل بؤر هو الشكل العام السائد - و الوحيد في الواقع- لعملية توزيع المعلومات و الأخبار في أمريكا الشمالية ، فأخبار المذيع و التلفزيون تتسم بطابع التكرار الآلي ( آلية طلاقات المدفع) لموضوعات كثيرة لا رابط بينها. أما الصحف فهي حشد من الصفحات المحشوة بمواد يتم تدبيجها على نحو جزافي في اغلب الأحيان، أو تماشيا مع القواعد الملغزة للصحافة. و تعتمد المجالات تقطيع المقالات ، و نقل معظم النص في صفحات العدد الداخلية.. كذلك يتم قطع برامج الإذاعة و التلفزيون بصفة مستمرة لإذاعة فقرات إعلانية"<sup>751</sup>.

750 - ن م، ص 38.

751 - ن م، ص 38، 39.

و يذهب إلى أن الإعلان ( فضلا عن وظائفه المعروفة مسبقا و المتمثلة في بيع السلع و استثارة حاجات استهلاكية جديدة و تجميل النظام) يوفر خدمة أخرى لا تقدر بثمن لاقتصاد المؤسسات الضخمة المتعددة الشركات. ذلك أن إقحامه في كل قنوات الإعلام و الأعمال الإبداعية يختزل قابلية الجمهور الواصلة أصلا إلى حدها الأدنى، لاكتساب أي إحساس بالمعنى الكلي للحدث أو القضية أو الموضوع المطروح<sup>752</sup>.

إن الجهاز الإعلامي بوصفه أخطر أدوات السيطرة في يد النظام سوف لن يكشف عامدا عن الكيفية التي تمارس بها السيطرة. و يقدم مثلا بالطريقة التي يتم بها توضيب أي برنامج تلفزيوني أو إذاعي عادي، أو الصفحة الأولى لأي صحيفة يومية كبيرة. لذلك فـ " السمة المشتركة بينها جميعا هي التباين الكامل للمادة ، و الإنكار التام للترابط بين الظواهر الاجتماعية التي يتناولها الحديث أو التعليق، و تمثل برامج الحوار التي تتكاثر في المحيط الإذاعي و التلفزيوني النموذج المثالي للتجزيء بوصفه شكلا عاما"<sup>753</sup>.

و يلفت شيلر الانتباه إلى أن أجهزة الإعلام ليست وحدها فيما يتعلق بتوكيد التجزيء ، فالحقل الثقافي - التعليمي بأسره يشجع و يعزز التجزيء إلى ذرات ، و التخصص و التقسيم إلى جزئيات ميكروسكوبية. و يكشف فهرس المقرر الجامعي المشتمل على المواد التي يدرسها الطلاب في العلوم الاجتماعية التقسيمات التحكيمية المفروضة على العملية التعليمية في الجامعة. فكل فرع من فروع الدراسة يصر على نقائه الخاص، و نجد أن النماذج التي تستبعد الآثار غير المحسوبة للتفاعل مع الفروع الأخرى هي التي تلقى إعجابا أكثر<sup>754</sup>.

و في نهاية المبحث يطرح مسألة البحث عن المعنى في ظل استفادة أجهزة الإعلام من التكنولوجيا الجديدة للاتصال ، إذ يتسارع معدل التدفق الإعلامي غير المترابط و تتزايد الشكوى المبررة إلى حد ما، من "العمل الإعلامي الزائد". و واقع الحال أنه لا زيادة في المعلومات ذات المعنى. فتماما مثلما تعطلّ الإعلانات التركيز و تحوّل المواد

752 - ن م، ص 40.

753 - ن م، ص 40، 41.

754 - ن م، ص 41، 42.

الإعلامية التي تُقَطَّعُها إلى مادة مبتذلة، كذلك تتيح التكنولوجيات الجديدة عالية الكفاءة في معالجة المعلومات نقل سيل جارف من المعلومات الخارجة عن الموضوع ، مما يضع المزيد من العراقيل أمام البحث الفردي اليائس عن المعنى<sup>755</sup>.

## 2- فورية المتابعة الإعلامية (Immediacy of Information).

في بداية هذه التقنية ، يؤكد الباحث الارتباط الوثيق بين الفورية و عملية التجزيء بحيث إنها تشكل عنصرا ضروريا من عناصر وجودها ، ذلك أن الطابع الآني اللحظي يساعد على تزايد القوة التضليلية لأجهزة الإعلام على اعتبار أن المادة الإعلامية سريعة الزوال و لا تخلف وراءها أي بنية باقية أو ثابتة ، لذا فهي تعوض أيضا عملية الفهم<sup>756</sup>.

و يوضح شي لير أن سرعة الأداء ليست ميزة في حد ذاتها ، حيث يُحوّل النظام التنافسي وقائع الأخبار إلى سلع ، و يتحقق الامتياز لمن يسبق الآخرين في الحصول على تلك السلعة السريعة التلف ( أي الأخبار) و يبيعها للمستهلك. كما أن الإحساس الزائف بالطابع المُلح للزمن ، المترتب على الإصرار على فورية المتابعة، يؤدي إلى النفخ في أهمية الموضوع، و من ثمة تكون الخطوة التالية إفراغه من أي أهمية. و نتيجة لذلك تضعف القدرة على التمييز بين الدرجات المتباينة للأهمية<sup>757</sup>.

فالإكثار من الأخبار و تنويعها على مدار الساعة (التدفق) يتحدى أي حكم أو تقويم. وفي مثل هذا الوضع ، يتم التخلي عن عملية الفرز العقلي التي تساعد عادة على بلورة المعنى، و يتحول العقل إلى غربال تصب من خلاله يوميا عشرات التصريحات و الإعلانات، أقلها مهم ، وأكثرها لا أهمية له، وبدلا من أن يساعد الإعلام على تركيز الإدراك و بلورة المعنى، نجده يسفر عن الإقرار الضمني ( اللاشعوري ) بعدم القدرة

755 - ن م، ص 42.

756 - ن م، ص 42.

757 - ن م، ص 43.

على التعامل مع موجات الأحداث المتلاحقة التي تظل تطرق بالحاح و عي المرء، فيتعين عليه دفاعا عن النفس ، أن يخفض باستمرار الدرجة التي تبدأ معها حساسيته<sup>758</sup>.

وينتقد شيلر استخدامات تكنولوجيايات الاتصال حيث يتم الترويج لتوجهات بلا تاريخ ، و بالتالي فهي توجهات مضادة للمعرفة. ذلك أن النظام الاجتماعي الحالي يستخدم الوسائل التقنية للاتصال السريع من اجل التشويش على المعنى أو استئصاله في الوقت الذي يزعم فيه أن هذه السرعة تعزز الفهم و الاستنارة، و بالتالي فان اقتصاد المؤسسات الخاصة متعددة الشركات يسيء تطبيق الوسائل التقنية للاتصال الحديث<sup>759</sup>.

### السلبية: الهدف النهائي لسياسة أو توجيه العقول

و يخلص شيلر إلى أن الهدف النهائي لسياسة أو توجيه العقول هي خلق السلبية الفردية، أي حالة القصور الذاتي التي تعوق الفعل. و ذلك في الواقع هو الشرط الذي تعمل وسائل الإعلام و النظام ككل بنشاط جم على تحقيقه، من حيث أن السلبية تعزز و تؤكد الإبقاء على الوضع القائم. و تتغذى السلبية على ذاتها ، مدمرة القدرة على الفعل الاجتماعي الذي يمكن أن يغير الظروف التي تحد من الإنجاز الإنساني. و يذهب شيلر إلى أن في اقتصاد السوق المتقدم، تنطوي السلبية على بُعد بدني و بعد ثقافي أو فكري، يجري استغلالهما ببراعة من خلال تقنية و توجهات أجهزة السيطرة على العقول<sup>760</sup>.

---

758 - ن م، ص 44.

759 - ن م، ص 44.

760 - ن م، ص 45.



## ثانياً: مناقشة نظرية التحليل الإعلامي.

إن الظروف الزمانية و المكانية و الموضوعية التي انبثقت فيها و منها و عنها هذه النظرية تقتضي طرح العديد من الأسئلة التي تتمحور حولها المناقشة.

فالظرف الزماني الذي ظهرت فيه النظرية، و هو عام 1974م (قرابة نصف القرن)، يقتضي طرح مسألة صلاحية النظرية في الوقت الراهن؟.

و الظرف المكاني أو الجغرافي الذي انبثقت عنه، يقتضي التساؤل عن قابلية تلك النظرية للتطبيق في مجال أوسع من أمريكا و المجتمع الأمريكي، أي العالم و المجتمع العالمي، و بعبارة أخرى هل مضمون تلك الأساطير الخمسة و تقنياتها في تشكيل الوعي ما زالت قابلة للتطبيق، و خاصة في حرب أمريكا الحضارية أحادية الجانب ضد العالم الإسلامي؟.

و أما الظرف الموضوعي الذي انبثقت عنه النظرية، و هو تعمق الشركات الكبرى في أمريكا و خارجها، و احتدام الحرب الباردة بين المعسكرين الاشتراكي و الرأسمالي، فيقتضي التساؤل عن صلاح و جدوى النظرية بعد أن أصبح المعسكران محورا واحدا و هو محور موسكو - واشنطن، بتعبير مالك بن نبي رحمه الله، و بعد أن أصبحت أمريكا مترتبة على عرش القيادة و الريادة العالميتين؟

و الجواب المفصل عن هذه الأسئلة يقتضي دراسات مستقلة، فردية و جماعية، و أمّا الجواب المجمل، فيمكن القول أن كل هذه الظروف ما زادت تلك النظرية إلا تأكيدا و ما زادت قَدَمها في الواقع إلا رسوخا و ترسيخا.

و كما تم تسويق تلك الأساطير داخل المجتمع الأمريكي، منذ زمن بعيد من أجل تضليله و تطويع الجماهير للأهداف الخاصة بالنخبة الحاكمة من صناع القرار، من أصحاب الشركات، و مسؤولي الحكومة، فإنّه يجري تسويقها الآن للأمريكيين و للمجتمع العالمي من أجل تضليل و إخضاع الجميع، و الهيمنة عليهم و تطويعهم للأهداف الخاصة

بنخبثها المتنفذة الحاكمة صاحبة القرار، التي يسميها عبد الحي زلوم فئة الواحد بالمائة<sup>761</sup>.

و من الملفت للانتباه أن الإعلام الأمريكي ما زال إلى الآن يُسوّق تلك الأساطير التي بينها شيللر داخل أمريكا و خارجها، و قد تأكد هذا الأمر و بخاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001م، التي سوف نعتمدها مفصلاً يفصل بين زمنين و حدثاً يربط بين حضارتين، و سببا حول سياسة إعلامية داخلية إلى إستراتيجية إعلامية دولية؛ حيث ادعى الإعلام الأمريكي منذ الوهلة الأولى للأحداث، و ادعى معه الناطقون باسم تلك الطبقة المتنفذة، أن الاعتداءات الإرهابية المزعومة هدفها هو النيل من المبادئ التي يقوم عليها الغرب، و هي نفس تلك [الأساطير] أو مما تفرع عنها، و كل ذلك من حيث المضمون و من حيث الشكل، و من حيث الهدف و هو خلق السلبية في الأفراد و الأمم و الدول، و إيجاز ذلك كما يلي:

### أ- من حيث مضمون النظام التضليلي

بالنسبة للأسطورة الأولى " الفردية و الاختيار الشخصي " استمر التضليل الإعلامي الأمريكي في النفخ فيها، و عدّ هجمات سبتمبر و ما تلاها إلى يومنا هذا، اعتداء من البرابرة على الحضارة الغربية و ما تمثلها من قيم الديمقراطية و الليبرالية و العلمانية و التحررية، و بخاصة على الأيديولوجية أو العقيدة الأمريكية<sup>762</sup>.

و بالنسبة للأسطورة الثانية " أسطورة الحياد " فدوليا يسعى الإعلام الأمريكي، إلى ضرورة إيمان الرأي العام العالمي - الذي يجري تضليله - بحياد المؤسسات الاجتماعية و الرئيسية في الولايات المتحدة، و مازال التضليل قائماً على أن الإعلام و التعليم و العلم

761 - عبد الحي زلوم، نذر العولمة، م س، ص5.

762 - يقصد بالعقيدة الأمريكية لدى الأمريكيين الأيديولوجية الأمريكية و هي مجموعة مقترحات و مسائل بشأن أمريكا تقدمها الأمة لنفسها و للعالم الخارجي، و قد كتب رالف والدو إيمرسن عن الالتزام بالمبادئ الأمريكية للحكم على أنه شكل من أشكال اعتناق الدين. هذه الأطروحة أو العقيدة، بما يرافقها من أساطير قومية تشكل الأساس الذي بنيت عليه القومية المدنية الأمريكية، و تجعل من الوجه العلني للولايات المتحدة الأمريكية نموذجاً للقومية المدنية بامتياز... انظر: أناتول ليفن، أمريكا بين الحق و الباطل- تشريح القومية الأمريكية. ترجمة د ناصرة السعدون، الطبعة الأولى (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، 2008) ص127.

مجالات محايدة، و أن الحكومة تشكل ركيزة أسطورة الحياد ، و بالتالي فدولة الولايات المتحدة الأمريكية هي رمز الحياد في المجتمع الدولي.

و تعود جذور أسطورة الحياد كصفة إيجابية للولايات المتحدة إلى بداية نشأتها؛ كتب لويس هارتز خلال الخمسينات عن العقيدة الأمريكية "القومية الملزمة"، و "رسوخ الليبرالية و الدوغماتية كطريقة للحياة". و تشمل الأساطير المرتبطة بالعقيدة قناعة واسعة النطاق، أن الولايات المتحدة تمتاز بالولاء للديمقراطية و الحرية، و بالتالي فهي طيبة بشكل استثنائي، و لأن أمريكا طيبة بشكل استثنائي، فهي تستحق أن تكون لها قوة استثنائية، و بموجب طبيعتها الطيبة لا يمكنها استخدام هذه القوة لأغراض شريرة. و بالنتيجة فالعقيدة الأمريكية(الأسطورة) هي المفتاح المؤسس للإيمان ببراءة أمريكا الفطرية<sup>763</sup>.

و بهذا يبرر النظام التضليلي الإعلامي الأمريكي جدارة أمريكا بقيادة العالم، و أحقيتها بالتفرد بالقوة و الاستقطاب، و جدارتها بالتسلح النوعي الرادع، و تسليح حلفائها، و بعدالة حروبها ضد كل من اعتبرته عدوًا و خطراً قائماً، أو حتى عدواً و خطراً محتملاً، يجوز شنُّ حرب استباقية ضده، و يجب منعه من التسلح النوعي، أو تملكه لقوى بشرية أو مادية إستراتيجية، لها قابلية الردع، سواء في الحاضر أو المستقبل.

أما الأسطورة الثالثة و هي " الطبيعة الإنسانية الثابتة "، فعلى الرغم من تناقضها مع أصل الأسطورة السابقة، و هي طيبة الشعب الأمريكي بشكل استثنائي، و التي تعود إلى "عقيدة الشعب المختار"، فإنَّ نظام التضليل الإعلامي يُفرِّق بينهما في أساليبه التضليلية، فهو يُسوِّق عن الشعب الأمريكي أنه طيب بأصل نشأته، أما بقية العالم فيُسوِّق عنه و له، النظرية التي تؤكد على الجانب العدوانى في السلوك الإنسانى و عدم قابلية الطبيعة الإنسانية للتغيير، و بالنتيجة سيبقى الشعب الأمريكي طيباً إلى الأبد و غيره شريراً إلى الأبد، و هذا فحوى أسطورة الشعب المختار.

---

763 - أناتول ليفن، أمريكا بين الحق و الباطل- تشريح القومية الأمريكية، م س، 131، 132.

و إذا ما انتقلنا للأسطورة الرابعة و هي " غياب الصراع الاجتماعي " فما يجري تداوله في الساحة الداخلية الأمريكية، هو النفي التام لوجود الصراع الاجتماعي داخل مكونات الشعب الأمريكي، و كذا النفي لجذوره الاجتماعية. و على نفس المنوال يسعى النظام التضليلي الإعلامي في الساحة الدولية، إلى نفي الحرب الحضارية التي تشنها أمريكا على بقية الأمم و الحضارات و الثقافات، و إلى إنكار نية الهيمنة الثقافية، و بأن كل ما تفعله أمريكا هو لصالح البشرية.

و ختام الأساطير الخمسة، و هي " أسطورة التعددية الإعلامية "، التي تنطلق من صورة ذائعة عالمياً، و قناعة راسخة داخل أمريكا، أن شرط الحياة في أمريكا هي حرية الاختيار في بيئة من التنوعين الثقافي والإعلامي. و إذا كانت هذه النظرة حين تغلغت في أعماق أغلبية كبيرة من الأمريكيين جعلتهم سريعي التأثير بالتضليل الإعلامي الشامل ، فإنها حين تغلغت في أعماق أغلبية كبيرة من المجتمع العالمي جعلته منبهرًا، و كان لها التأثير نفسه.

## ب- من حيث شكل النظام التضليلي

إذا كان هذا الوهم قد تعزز داخلها (في أمريكا) من خلال الميل إلى الخلط بين وفرة الكم الإعلامي و بين تنوع المضمون ، كما سبق الإشارة إليه، فإنه في الساحة العالمية قد تم تسويقه من قبل النظام التضليلي الإعلامي الأمريكي تحت ذريعة و مبدأ التدفق الحر للمعلومات، و الذي يتم في كثير من الأحيان عن طريق الشركات متعددة الجنسية و منظمات دولية مثل اليونسكو<sup>764</sup>.

و قد انطلق شيللر في كتابه "الاتصال و الهيمنة الثقافية" لبيان الهيمنة الثقافية من النتيجة التي توصل إليها إيمانويل والرشتين في دراسته الشاملة عن "النظام العالمي الحديث"، و هي أن هذا النظام يتكون من ثلاثة عناصر أساسية و هي:

1- سوق واحدة ذات ربحية قصوى للقلة.

---

764 - هريبرت شيللر. الاتصال و الهيمنة الثقافية ، ترجمة وجيه سمعان عبد المسيح، الطبعة (د)، ( القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2007)، ص 54.

2- مجموعة من الدول متباينة القوى.

3- توزيع فائض العمل على نحو يحقق وجود ثلاث فئات، بدلا من فئتين في العملية الاستغلالية.

و بحسب شيللر فإنّ هذه العناصر الثلاثة، هي التي تستند عليها الإمبريالية الثقافية، لأنها تنمو في نظام عالمي ينطوي على سوق واحدة. و من الضروري أن يتطور قطاع الاتصالات الثقافية في النظام العالمي، بما يتسق مع أهداف النظام العام و غاياته و بما يُيسر تحقيقها، و يمثل تدفق المعلومات في اتجاه واحد إلى حد كبير انطلاقا من المركز إلى المحيط موطن القوة فعلا، و كذلك الأمر فيما يتعلق بترويج انتشار لغة واحدة هي الإنجليزية.

و يشير شيللر إلى أن الوحدة التنظيمية الاقتصادية الأساسية في الاقتصاد الرأسمالي العالمي الحديث هي الشركة المتعددة الجنسية، التي تهيمن فئات قليلة منها-جلها أمريكي- على السوق العالمية لإنتاج و توزيع السلع و الخدمات. و ما يهم هنا، و له دلالاته البالغة، هو أن هذه الهيمنة تمتد كذلك إلى إعداد و توزيع ناتج الاتصالات الثقافية... و أثناء قيامها بتعزيز أهدافها - ضمنا للأسواق العالمية و عدم عرقلة الحصول على الأرباح- تضطر إلى التأثير و الهيمنة إن أمكن على كل مجال ثقافي إعلامي يبعدها عن السيطرة الكاملة على بيئتها العالمية/الوطنية. و هذا الأمر هو بالنسبة إليها ضرورة دائمة في المديين القريب و البعيد<sup>765</sup>.

و يكشف شيللر أن نظرية التدفق الحر للمعلومات نشأت و اتسع مفهومها مع فترة الصعود الضخم للولايات المتحدة، و لم يكن مصادفة حدوث هذا التزامن التاريخي بين هاتين الظاهرتين. و حالما أوشكت الحرب العالمية الثانية على نهايتها، انتقلت الاستعدادات الخاصة بترويج مبدأ التداول الحر للمعلومات من الصعيد الوطني إلى الصعيد الدولي، و عبر جهود لقنوات الدبلوماسية الدولية و صنع السلام، تم تنويع الجهد الأمريكي بمؤتمر للدول الأمريكية المعني بمشكلات الحرب و السلام في مدينة مكسيكو

في فيفري 1945م، و قد كان من أولى المناسبات التي أتيحت لمحفل دولي كي يدافع عن مبدأ التداول الحر<sup>766</sup>.

و يذكر الكاتب أن بداية انتشار النظرية الأمريكية للتدفق الحر خارج الولايات المتحدة، كانت أمريكا اللاتينية التي كانت موقعا طبيعيا لاختبار النظرية الجديدة، و خاصة بعد نجاح مؤتمر مكسيكو السالف الذكر، ثم عمدت الولايات المتحدة بعد هذا النجاح في نصف الكرة الغربي إلى بقية أصقاع العالم؛ و قد كانت بُنى الحفاظ على السلام تُرسى على النطاق العالمي، و أيقنت الولايات المتحدة أن الأمم المتحدة التي أنشئت حديثا، و منظمة الأمم المتحدة للتربية و العلوم و الثقافة (اليونسكو) المرتبطة بها، سوف تهتمان اهتماما كبيرا بقضية التداول الحر. ثم بيّن شيللر أنه لا يمكن الفهم الأفضل لاستخدام الأمم المتحدة و المنظمات المنتسبة إليها كأدوات للسياسة الأمريكية، فضلا عن استخدامها كمحافل فعالة لنشر مبدأ التداول الحر، إلاّ في سياق الاقتصاد الدولي منذ 1945م<sup>767</sup>.

ومن هنا يمكن الاستنتاج أن نظام التضليل الإعلامي الأمريكي، كما حافظ على مضمونه بعد أحداث 09/11، فقد حافظ أيضا على روح شكله من خلال التقنيتين السابقتين ( التجزيئية و فورية المتابعة الإعلامية)، بل و دعمهما بتقنيات أخرى سوف نببحثها و نذكرها في بحوثنا المستقبلية إن شاء الله، و لقد كان الهدف العام دائما هو غرس السلبية في شعوب المعمورة لكي تبقى تابعة للسيد الأول أو لطبقة الواحد بالمائة.

---

766 - ن م، ص54،53،44.

767 - ن م، ص-ص، 67-54.

## المبحث الثاني

تنزيل نظرية التضليل الإعلامي على  
الحرب الحضارية الأمريكية ضد العلم  
الإسلامي بعد 2001/09/11

### المطلب الأول

التضليل الإعلامي قبل 2001/09/11  
من خلال الحرب الحضارية الأولى

### المطلب الثاني

التضليل الإعلامي من خلال أحداث 2001/09/11

### المطلب الثالث

التضليل الإعلامي في عملية غزو أفغانستان و العراق

خلص الباحث في نهاية الفصل الأول إلى بناء و استخلاص مفهوم للحرب الثقافية و الحضارية مفاده أنها <sup>768</sup>: [ عملية غزو و تفكيك منهجي للعالم الإسلامي، أو للذات الحضارية الإسلامية كمركب حضاري ، أو لمكونات الجامعة الإسلامية، الممارسة من قبل أمريكا و حلفائها و أتباعها عبر العالم - باعتبارها الوريث للحركة الكولونيالية اللاتينية - و التي وظفت فيها جميع وسائلها العسكرية والمدنية (الاقتصادية و السياسية و الفكرية و الثقافية و الإعلامية و...)، و هذا التفكيك هو بالنتيجة تفكيك لعناصر القوة التي استندت إليها حركة العالمية الإسلامية سابقا، و تقوم عليها فكرة العالمية الإسلامية التي قد تتبعث و تحي من جديد؛ كل ذلك بهدف التغيير الحضاري للآخر(العالم الإسلامي) و دمج جميع خصوصياته الحضارية في الخصوصية الحضارية الأمريكية، و تغيير أنظمتها و مركباته الحضارية و إبادتها ] .

كما خُصَّ البحث إلى أن عناصر و مكونات المركب الحضاري الإسلامي المتمثلة في:

4 - مكون الأصول الحضارية.

5 - مكون الأركان الحضارية.

6 - مكون المرتكزات الحضارية.

.. تلك العناصر، هي المستهدفة من عملية الغزو و التفكيك؛ و عليه و انطلاقا من هذه الخلاصة، فإنّ ما يقوم به الإعلام الغربي عامة، و الإعلام الأمريكي بوجه خاص من استهدافِ للذات الحضارية الإسلامية كمركب حضاري ، أو لمكونات الجامعة الإسلامية ، أو لجزء من مُكوّن ما، من المكونات العامة أو الخاصة، يدخل ضمن مُسمّى الحرب الحضارية و الثقافية.

و بناء على ذلك، فإنّ عملية التضييل الإعلامي الممارسة في الحرب الحضارية الأمريكية ضد العالم الإسلامي، يجب ألا تُفهم في سياق تجزيئي ذرّي، و لا في سياق فعلٍ عبثي، أو ردّة فعل تلقائي، و إنّما مقتضى الأمر أن تفهم و تُفقه في سياق كليّ شمولي، و كفعل قصدي إرادي، يدخل ضمن منظومة و عالم الأفعال الحضارية، التي تهدف إلى غزو و تفكيك الذات الحضارية الإسلامية كمركب حضاري.

---

768 - انظر: المطلب الثالث من الفصل الأول، ص 121.



و عليه فإن عملية التضليل تلك، ضمن سياق و منظور الحرب الحضارية، تهدف إلى تشويه كل مكونات المركب الحضاري الإسلامي، انطلاقاً من مكون الأصول الحضارية ( الأصول العقديّة والأصول التشريعية والأصول الأخلاقية )، ومروراً بمكون الأركان الحضارية (اللغة العربية والعلماء والوحدة والشورى والرسالية والتجديد والتراث و التاريخ والعدل والحرية والعادات والتقاليد والأعراف)، ووصولاً إلى مكون المرتكزات الحضارية (المرتكز الجغرافي/الحيوي-سياسي/ والمرتكز الاقتصادي و المرتكز الإنساني أو البشري).

و في ضوء هذا المنظور الكلي، تصبح التفسيرات الجزئية لعملية التضليل الإعلامي في الحروب الحضارية، التي تركز على البعد الإيديولوجي مثلاً، أو البعد السياسي<sup>769</sup>، أو الاقتصادي، أو العسكري، ليست فقط قاصرة، و إنما مضللة أيضاً، و تسمي جنداً من جنود التضليل الإعلامي، و أداة من أدوات الحروب الحضارية.

و بناء على ما جاء في نظرية هربرت شيلر التي بناها على تلك الأساطير الخمس السابقة الذكر، فإنه يمكن القول أنّ هذه الأساطير هي ليست نشازاً في المنظومة الثقافية و الحضارية الأمريكية، بل هي جزء من عالم كامل من الأساطير بنيت عليه الحضارة الأمريكية، و له جذوره في المرجعيات الدينية و الفلسفية و الفكرية، و له امتدادات في كل مجالات الحياة بدءاً من المجال السياسي و الاقتصادي، و الاجتماعي و العسكري، و غيره، و قد كتب في ذلك مفكرون و كتاب كبار أمثال نعوم تشومسكي و روجيه جارودي<sup>770</sup>.

و ضمن المطالب التالية سنحاول تتبع تلك الأساطير التي أتى عليها هربرت شيلر، سواء في كتابه "المتلاعبون بالعقول" أو كتاب "الاتصال والهيمنة الثقافية"، كما سنحاول تتبع علاقة هذه الأساطير بمنظومتها العامة، و سيكون هذا التتبع في سياق المنظور الكلي للحرب الحضارية، و ذلك من خلال ربط أي أسلوب في التضليل الإعلامي بالمكون الذي يريد تفكيكه ضمن مكونات المركب الحضاري الثلاثة ( مكون الأصول مكون الأركان مكون المرتكزات).

769 - هويدا مصطفى، الإعلام و الأزمات المعاصرة، الطبعة (د)، ( القاهرة: دار مصر المحروسة، 2008)، ص45.  
770 - انظر: روجيه جارودي و آخرون، الإمبراطورية الأمريكية. م س، ص169.

## المطلب الأول

التضليل الإعلامي قبل 2001 /09/11

من خلال حرب الخليج الثانية (1991)

على الرغم من أن هذا الحادث سابق لأحداث سبتمبر 2001 إلا أنّ هناك دواعيان له، أولهما هو أنه يرتبط بأول حرب حضارية كما ذهب إلى ذلك المفكر المغربي المهدي المنجرة في كتابه " الحرب الحضارية الأولى - مستقبل الماضي و ماضي المستقبل"<sup>771</sup>، و ثانيهما لمحاولة التأكيد على أن أمريكا لم تنتظر حتى تُضرب في عقر دارها في 2001، لتتخذ من ذلك ذريعة لشن حرب حضارية أحادية الجانب على العالم الإسلامي، بل هي إستراتيجية عليا ضمن سياسة وجودها منذ إبادتها للهنود الحمر وجودا و ثقافة و حضارة، وكذلك لمحاولة الوقوف على أوجه الشبه و الخلاف في التضليل الإعلامي الممارس في هذه الحرب.

و تكتسي حرب الخليج الثانية أهمية كبيرة من زوايا عديدة و متنوعة، فضلا عن كونها من أهم الأحداث الدولية من منظور العلاقات الدولية بعد الحرب العالمية الثانية، فإنها تكتسي أهمية إعلامية لافتة و أهمية حضارية استثنائية، و قد أشار إلى ذلك المفكر المنجرة حين قال: "إن نشر القوة العسكرية للولايات المتحدة و حلفائها القدامى و الجدد، الأوروبيين و الغربيين، لا سابق لها في تاريخ الإنسانية فهو من بدايته و حتى الآن أكبر بكثير من انتشار هذه القوات في فييتنام، و لا يمكن مقارنته مع الحرب العالمية الثانية نظرا للتطور التكنولوجي و لتعقيد السلاح النووي.. و تترافق مع هذا الانتشار العسكري حرب نفسية لا مثيل لها أيضا في مجلدات التاريخ، و هي مصحوبة بهجمة إعلامية هذيانية بالغة الدلالة. هنا يظهر غورينغ اليوم كأحد الهواة المبتدئين في مواجهة الأساتذة الكبار الجدد في علوم الإعلام و الاتصال، و على باحثي العالم الثالث إعطاء الأولوية

---

771 - المهدي المنجرة، الطبعة الأولى، (الجزائر، باتنة: شركة الشهاب، 1991)، ص 11، 106.

لتحليل هذه المادة الإعلامية الشديدة الغنى، و الضرورية في فهم التطور المستقبلي في العلاقات ما بين الشمال و الجنوب<sup>772</sup>.

و برغم مرور ربع قرن على تلك الحرب ( 1991 ) إلا أنها لا تزال تشغل اهتمام الباحثين من مختلف الاختصاصات و التوجهات و الثقافات، و ما ذلك إلا لأهميتها الكبرى على جميع الأصعدة، و كونها شكلت فسيفساء الراهن الدولي المعيش، كما أثارت الدراسات العديد من القضايا الخاصة بالإعلام، منها قضية الموضوعية و الرقابة الإعلامية و مصداقية وسائل الإعلام و مفهوم البث المباشر، و غيره من المفاهيم<sup>773</sup>.

"و قد ركزت معظم تلك الدراسات على التغطية التلفزيونية، كما تناولتها شبكات التلفزيون الأمريكية، و ذلك بهدف قياس مدى نجاح الإدارة الأمريكية السياسية و العسكرية في تطويع إمكانات تكنولوجيا الاتصال لتشكيل رأي عام يدعم قرار الحرب و يقر بشرعية التدخل العسكري في الخليج، و قد سعت هذه الدراسات إلى استخلاص بعض المفردات و العبارات التي استخدمت لتبرير العمليات العسكرية، و ذلك في إطار البحث عن مدى التزام هذه الوسائل بالتناول الموضوعي للأزمة، و قد كشفت هذه الدراسات عن عدم التزام المحطات الأمريكية في تغطيتها حرب الخليج بالموضوعية في التناول أو التوازن في عرض وجهات النظر المختلفة"<sup>774</sup>.

و قد خلصت كثير من الدراسات التي تناولت التغطية الإعلامية لتلك الحرب، من حيث التزامها بكل من الموضوعية و الحياد و الدقة و التوازن، و كيفية طرح أبعاد الأزمة و مسبباتها، و مسؤولية الأطراف الفاعلة فيها إلى:

-انحصار أغلب الأخبار في مصدر واحد، و هو شبكة س آن آن (CNN)، إذ أثبتت الدراسات أن 75% من الأنباء التي أذيعت في المحطات الدولية منقولة من هذه الشبكة.  
-الانحياز الكامل لهذا المصدر (CNN) للإدارة الأمريكية، و ذلك بتدعيم كل أهدافها و سياساتها العسكرية.

772 - ن م، ص 20.

773 - هويدا مصطفى، الإعلام و الأزمات المعاصرة، م س، 45.

774 - ن م، ص 46.

-غياب المصدقية و الدقة في هذه الشبكة (CNN)، التي هي مصدر أغلب الأخبار، حيث أثبتت الدراسات أن 70% من الأنباء التي أذيعت عن العمليات العسكرية قد اعترف البنّاجون بعدم دقتها بعد انتهاء الحرب.

-تحكم إدارة الإعلام التابعة للقوات العسكرية الأمريكية، ( و كذا التابعة لقوات التحالف مثل فرنسا) في قدر المعلومات عن كل ما يتعلق بالحرب، من خلال اتباع نظام (Pool System)، أي تكوين مجموعة من المراسلين لتفقد أماكن العمليات العسكرية من خلال تنظيم زيارات لإعداد التقارير الصحفية و الأخبار و ذلك تحت إشراف القيادات العسكرية، و من خلال السيطرة على توقيت بث و إذاعة الأخبار و البيانات عبر الأساليب التقليدية و منها البيانات العسكرية و تصريحات القادة و إشراك المتحدث الرسمي باسم البيت الأبيض في عمليات الإعداد و التوجيه الإعلامي و ذلك لإحكام السيطرة على المعلومات و البيانات الخاصة بسير العمليات العسكرية.

-الاعتماد على تشويه صورة الخصم، و ذلك من خلال خلق صور ذهنية سلبية عنه بالرسوم الكاريكاتورية مفادها أن صدام حسين(عدواني قاتل و عديم الإنسانية)، و قد زادت وتيرة هذه الصور مع اقتراب موعد الحرب، كل ذلك من أجل خلق اتجاه عام لدى الرأي العام بسلبية سلوك و تصرفات القيادة العراقية لكسب تأييد الرأي العام للتدخل العسكري في الخليج.

-تسخير الإعلام في صناعة الإجماع و الموافقة و جعله أداة رئيسية من أدوات التخطيط لتحقيق ما أطلق عليه الباحثون "تسويق الأهداف العسكرية و السياسية"<sup>775</sup>.

إن هذا النزر اليسير من خلاصات بعض الدراسات كفيل بتفنيد كل الأساطير التي يقوم عليها الإعلام الأمريكي، بل و بنسف كل الأساطير التي قام عليها الكيان الأمريكي، كأسطورة الشعب المختار، و تقديس الحقيقة، و خدمة الإنسانية و نشر الديمقراطية و الدفاع عن حقوق الإنسان و نشر قيم الفضيلة.

و بالتأمل في نتائج الدراسات يجد المرء أنه لا يوجد فرق كبير بين الدول المتخلفة، و أعظم دولة كالولايات المتحدة، في ميدان حقوق الإنسان عامة، و بعض حقوقه الخاصة، مثل الحقوق الإعلامية و الاتصالية.

فإذا كان قد ثبت من خلال تلك الدراسات، أن الأداء الإعلامي في بعض الدول العربية تجاه حرب الخليج الثانية، قد طُبع بالسلبيات التالية:

- التطيف الإعلامي و تجزئة الحقائق و انتقائية المواقف و القضايا.
- التعظيم على الآراء المخالفة وذلك في إطار احتكار المعلومات لصالح جهة واحدة.
- التبعية الإعلامية سواء للسلطة السياسية في الداخل أو للنظام الإعلامي الدولي وفق علاقات القوى و السيطرة على مصادر المعلومات و توزيعها<sup>776</sup>.
- المبالغة و التهويل في تناول الإعلام لتصرفات القيادة العراقية.
- إذا كان الأمر كذلك، فما الفرق بين الأدائين إذن، اللهم إلا من حيث أن الأداء في أمريكا يغلب عليه الدهاء الخارق في التضليل، و الأداء في الدول المتخلفة يغلب عليه الغباء الأخرق و التقليد الأحمق.

و تماشياً مع ما هدف البحث إلى تحقيقه من خلال تتبع علاقة هذه الأساطير بمنظومتها العامة في سياق المنظور الكلي للحرب الحضارية، فإنه يمكن القول أن ذلك الأداء التضليلي الذي تلبَّس به الإعلام الغربي عامة و الأمريكي خاصة في حرب الخليج الثانية، كان الهدف منه ضرب مكون المرتكزات الحضارية (المرتكز الجغرافي/الجيوسياسي/ والمرتكز الاقتصادي و المرتكز الإنساني أو البشري )، تمهيداً لضرب و تفكيك مكون الأركان، من أجل تحقيق الغاية الكبرى و هي إعدام مكون الأصول، كل ذلك وفق خطة محكمة يجري تنفيذها انطلاقاً من قاعدة الهرم للوصول إلى قمته.

## المطلب الثاني

### التضليل الإعلامي من خلال أحداث 2001/09/11

على الرغم من مرور خمسة عشر عام على حدث الحادي عشر من سبتمبر 2001، إلا أن دويّه و صداه مازال يصنع و يؤثر في الأحداث العالمية و الإقليمية، و حتى الوطنية لكثير من الدول، و ذلك لأنه ليس بالحدث العادي أو العرضي، فهو من الضخامة و الأهمية و الخطورة التي جعلت آثاره و تداعياته تسفر عن أزمة عظمى ألفت بظلالها على المجتمع الدولي بأسره، فقد ردّت الولايات المتحدة على ذلك الهجوم بإعلان ما أطلقت عليه " الحرب ضد الإرهاب" و راحت تُشكّل أكبر تحالف دولي لخوض غمار هذه الحرب تحت قيادتها؛ و يكفي للدلالة على جسامة هذا الحدث أيضاً، ما أعقبه من خطوات قادت الولايات المتحدة إلى احتلال بلدين مسلمين، و هما أفغانستان و العراق<sup>777</sup>، بذريعة محاربة الإرهاب الذي ادعت أنه ضربها<sup>778</sup>، و إلى الآن ما زالت ارتدادات ذلك الاحتلال تهز العالم الإسلامي هزا عنيفاً، و ما تركت مجالاً من مجالات الحياة إلا و قد أثرت فيها. و لقد عُدَّ هذا الحدث من الأحداث العظمى في التاريخ المعاصر، ليس لأن من قضاوا نحبهم فيه كثرة كاثرة أو من طينة نادرة، بل لأنه كان نقطة تماس حضارية خطيرة، تماسّت فيه ثقافتان عظيمتان، و حضارتان عريقتان، و أمّتان تاريخيتان، هما الأمة الإسلامية، و الأمة الغربية (الرومية) بقيادة أمريكا، لأجل هذا ما زال مداد المفكرين و الباحثين و العلماء و الدارسين سيالاً، و ما زالت صحائفهم لم تجف بعدُ، و هي إلى الآن تتوالى تترى. و لقد انبرى لفيف من الفلاسفة من مختلف الثقافات، محللين لمضامين هذا

---

777 - هويدا مصطفى، الإعلام و الأزمات المعاصرة، م س، ص 65؛ السيد ولد أباه، عالم ما بعد 11 سبتمبر 2001 - الإشكالات الفكرية و الإستراتيجية، الطبعة الأولى، ( لبنان، بيروت: الدار العربية للعلوم، 2004)، ص 25.

778 - ديفيد راي جريفين و بيتر ديل سكوت، الحادي عشر من سبتمبر و لإمبراطورية الأمريكية- المفكرون يتحدثون، الطبعة الأولى، (القاهرة: دار نهضة مصر، 2008)، ص 121.

الحدث منذ الوهلة الأولى، و توقعوا له أن يغير مجرى التاريخ المعاصر، و قد صدقت توقعاتهم، و ما يجري الآن في قلب العالم الإسلامي لهو خير دليل.

لأجل هذا ينبغي- و نحن نتناول هذا الحدث، بقصد فهم و فقه عملية التضليل الإعلامي الذي صاحبه- ألا ننظر إليه، و لا إلى عملية التضليل، على أنهما حدثان عرضيان أو عفويان أو عبثيان، بل يجب أن ننظر إليهما بمنظور سنني حضاري كلي، كيما نفهمهما في سياقهما الحقيقي و الطبيعي و المنطقي.

و في هذا المضمار "يميز المؤرخ الفرنسي المشهور "فرديناند بروديل" بين التاريخ الحدتي ذي الإيقاع السريع، أي زمن الأحداث اليومية المتتالية، و التاريخ اللاحدي ذي الإيقاع البطيء، أي زمن البنيات العميقة و التحولات الهيكلية غير الظاهرة.. و يذهب إلى أن الزمن الحدتي الذي يسميه أيضا "زمن الحروب و الهدن"، هو الذي استأثر باهتمام المؤرخين على الرغم من أنه نسبي و جزئي و مضلل أحيانا، باعتباره يقف عند التموجات السريعة التي لا يتسنى فهمها و ضبطها إلا في سياقها البنيوي الأعمق"<sup>779</sup>.

و من هنا يمكن أن نستنتج أن المنظور الأقرب إلى منظورنا عند "فرديناند بروديل" هو المنظور اللاحدي، الناظر للحدث على أنه سيغير التاريخ، و هو الذي قد وقع فعلا، دون إهمال تفاعل الإعلام به و معه، في عملية حضارية لا تقل أهمية و لا خطورة عن الحدث نفسه، و هذه العملية هي موضوعنا "التضليل الإعلامي" الذي يبدو كأنه مقصود لذاته في الحرب الحضارية، بينما الحدث (التفجيرات) مقصود لغيره، من باب أن العملية الإعلامية تُعدّ من المقاصد، بينما الحدث العنفي يُعدّ من الوسائل.

---

779 - السيد ولد أباه، عالم ما بعد 11 سبتمبر 2001- الإشكالات الفكرية و الاستراتيجية، م س، ص- ص 11- 14.

و كما اهتم المفكرون و الباحثون بأحداث حرب الخليج الثانية التي أطلق عليها المفكر المغربي المهدي المنجرة "الحرب الحضارية الأولى" فقد اهتموا بأحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، بل ربما نالت هذه الأحداث عناية أكبر لأسباب كثيرة منها: أنها وقعت في عاصمة الحضارة الغربية "رمز الهيمنة"، و كذا لسهولة التعامل الإعلامي معها بسبب التطور التكنولوجي الهائل، و أيضا محدودية الجغرافيا التي وقعت فيها، و أخيرا و هو مقصودنا لأن هذه الأحداث مركب ذلول لأستراتيجية التضليل الإعلامي و بخاصة عند من يفسرون أن تلك الأحداث مفتعلة، و هي بيل هاربور ثانية<sup>780</sup>.

و في تفاعلها مع الإعلام أثارت أحداث 2001/09/11 الكثير من الملاحظات ، و لقد تعددت الانتقادات و اختلفت الآراء و الاتجاهات حول التغطية الإعلامية التي تفاعلت معها، و قد أثارت الدراسات و الأبحاث مسألة موضوعية الإعلام و الحرية الإعلامية و دور الإعلام في تشكيل صورة الآخر، و بخاصة لما أعلنت الولايات المتحدة "حربها الشاملة على الإرهاب و هو ما فجر أزمة صدام الثقافات و صراع القيم الذي نشأ بين ما أطلقت عليه الولايات المتحدة "محور الخير" في مقابل محور الشر" و كلها مفاهيم أفسحت مجالات واسعة أمام الإعلام للعب دور مؤثر في مناقشة و طرح هذه المفاهيم و تشكيل الاتجاهات من خلال الكيفية التي أدار بها الإعلام مراحل و تطورات أزمة 11 سبتمبر<sup>781</sup>.

و ما لوحظ على نتائج الدراسات التي تناولت أحداث 11 سبتمبر، أنها لم تختلف عن نتائج حرب الخليج الثانية في تعاطي الإعلام معا بأسلوب التضليل المنهجي وفق نظرياته الكثيرة و منها نظرية شيللر، فقد استمرت مشكلة المصادقية و الموضوعية. كما أظهرت تداعيات أحداث سبتمبر استمرارية تسخير الإعلام كأداة لإدارة الأزمة، و كجزء من

780 - ديفيد راي جريفين و بيتر ديل سكوت، الحادي عشر من سبتمبر و لإمبراطورية الأمريكية، م س، ص 16، 30، 104، 120.

781 - هويدا مصطفى، الإعلام و الأزمات المعاصرة، م س، 65، 66.



الإستراتيجية السياسية و العسكرية التي اتبعتها الولايات المتحدة لتحقيق أهدافها و مصالحها و تأثيرها على المجتمع الدولي.

و برغم الفارق التكنولوجي في التعاطي الإعلامي مع الأزمة و هو دخول الأنترنت بقوة على الخط مع أحداث 11 سبتمبر، إلا أن أخلاقيات الإعلام استمرت في التدهور و التأزم، و استمر التضليل على المواطن الأمريكي كما على المواطن العالمي أو بأسلوب أحكم على الآخر البربري و العدو و الشرير و غير ذلك من الأوصاف السلبية، و لم تختلف تغطية الشبكات الإخبارية المتخصصة عن شبكة (CNN)<sup>782</sup>، و أسباب ذلك واضحة كما بينها في الفصل الثالث، كون وسائل الإعلام تستحوذ عليها الكارتلات الكبرى التي تمارس التضليل لتحقيق مآربها .

و تنزيلا للمنظور الكلي للحرب الحضارية على أحداث 11 سبتمبر و كيفية تفاعل الإعلام الأمريكي معها

فإنه يمكن القول أن الأسلوب التضليلي الذي اتصف به الإعلام الغربي عامة و الأمريكي خاصة، كان الهدف منه أكبر من ضرب مكون المرتكزات الحضارية، الذي عرفته حرب الخليج الثانية، فقد صعدّ مع أحداث 11 سبتمبر الموقف إلى ضرب مكون الأركان الحضارية (اللغة العربية و العلماء و الوحدة و الشورى و الرسالية و التجديد و التراث و التاريخ و العدل و الحرية و العادات و التقاليد و الأعراف )، و كذلك مكون الأصول الحضارية (الأصول العقدية و الأصول التشريعية و الأصول الأخلاقية )، و قد كان هذا الهدف الخطير مغلفا بدعوى محاربة الإرهاب الأصولي (الإسلام)، و الذي تطور شيئا فشيئا حتى سمي بالدولة الإسلامية.

---

782 - هويدا مصطفى، الإعلام و الأزمات المعاصرة، م س، ص66، 67.

## المطلب الثالث

### التضليل الإعلامي في عمليتي غزو أفغانستان و العراق

لم تكن عمليتا غزو أفغانستان و العراق إلا كنتائج لعملية 11 سبتمبر 2001، أو بيرل هاربر الجديدة، كما تبنى ذلك كثير من المفكرين الغربيين، و من ثم فالعمليتان لا تختلفان كثيرا عن أمهما 11 سبتمبر، من حيث التعاطي الإعلامي و ممارسة التضليل الإعلامي ضمن إستراتيجية الحرب الحضارية الأمريكية.

و لقد استمر التضليل الإعلامي الأمريكي على ما كان عليه قبل الغزو و بعده، و ما ذلك إلا لكونه إستراتيجية و ليس تكتيكا، مما جعله يتعرض إلى لانتقادات واضحة كان من أبرزها انخفاض مصداقية الإعلام الأمريكي ، فنسبة الثقة في التغطية الإخبارية لشبكة (cnn) الإخبارية انخفض من 56 % إلى 30% عقب الهجوم على أفغانستان. و يعزى هذا الانخفاض إلى الإجراءات المتشددة في مكافحة الإرهاب التي انعكست على مناخ الحريات العامة.

و كثير من وسائل الإعلام الأمريكية تعرضت إلى قيود كثيرة، كان من شأنها تقييد حرية الوصول إلى المعلومات و الوثائق السرية، و صارت المحاكم لا تعترف بحق الصحفي في عدم الكشف عن مصادر المعلومات و الأخبار التي حصل إليها. و لقد ازداد الأمر سوءا مع دخول الأزمة مرحلة المواجهة العسكرية، ففرضت قيود صارمة على أنباء العمليات العسكرية في أفغانستان، و بهذا يتبين كيف أن أزمة الغزو حرمت الرأي العام العالمي من الاطلاع على حقيقة الحرب<sup>783</sup>.

و قد أدت تلك الإجراءات الصارمة إلى فقدان الرأي العم الأمريكي الثقة في وسائل الإعلام، حيث تولد شعور عام بأن الإدارة الأمريكية تمارس ضغوطا على أجهزة الإعلام لأسباب أمنية، و من ذلك ما حث من ضغط مارسته كوندوليزا رايس لعدم تكرار إذاعة الشرائط التي تظهر أسامة بن لادن.

---

783 - هويدا مصطفى، الإعلام و الأزمات المعاصرة، م س، ص 69.

و هذا التراجع في الحريات و حقوق الإنسان ينسف كل تلك الأساطير التي قامت عليها فلسفة الإعلام الأمريكي.

و مع احتلال العراق ازداد الرأي العام الأمريكي و العالمي فقداناً للثقة في الإعلام الأمريكي مما ألجأ دهاقنة الحروب الحضارية إلى الإعلام البديل كخيار لتعزيز الفتن داخل العراق، فعندما استخدمت أميركا الإعلام عنصراً فاعلاً في بناء مقدمات إسقاط نظام بغداد، ولم تلبث سرعة انتشار المعلومة في شرح حيثيات وتطورات الاحتلال الأميركي للعراق إلى عائق رئيس يقف حائلاً دون تحقيق أطماع الاحتلال الغاشم، بعد أن سطر الشعب العراقي من فنون المقاومة ما لم تستطع أعظم الآلات الإعلامية من رصد كل فعالياته. لذلك كله احتاج الاحتلال إلى "إعلام بديل" يتولى تسليط الضوء على قضايا ومسائل تتعلق بشؤون الأقليات والطوائف لإشغال فتيل الفتنة بين أبناء البلد الواحد، وإشغال الرأي العام العربي والعالمي بعيداً عن القضية الرئيسية المتمثلة في استمرار الاحتلال الأميركي للعراق، وما ينشأ عنه من آثار سلبية تطل الدول المحيطة وأولها الدول العربية<sup>784</sup>.

و مما يؤكد على أن التضليل الإعلامي خيار استراتيجي في حروب أميركا الحضارية هو ما تلجأ إليه الإدارة الأمريكية من إنشاء مؤسسات كبرى و تسخيرها للتضليل، و كنموذج على ذلك يذكر ما قام به وزير الدفاع السابق دونالد رامسفيلد وكبار مساعديه بمراجعة المهام العسكرية وتأسيس دوائر جديدة لكي تصبح «حرب الإعلام» عنصراً مركزياً في أي حرب تخوضها الولايات المتحدة. ويأمل البعض أن يبلغ هذا الجانب نفس درجة الأهمية التي تتمتع بها القنابل وقذائف المدفعية.

فقد أنشأ مكتبا خاصا بالتضليل و هو «مكتب التأثير الاستراتيجي» التابع لوزارة الدفاع (البنتاغون). وكانت إحدى مهام هذا المكتب المعلنة بث المعلومات الخاطئة والدعاية المضللة لمساعدة الولايات المتحدة في حربها ضد الارهاب.

---

784 - سوسن البرغوثي، الإعلام البديل خيار الاحتلال في تعزيز الفتن . انظر:  
<http://www.al-moharer.net/moh213/index.html>

والهدف المعلن لهذا المكتب هو الإعلام الأجنبي، خصوصا في منطقتي الشرق الأوسط وآسيا. ومثلما أكد المنتقدون، فإنه ليست هناك وسيلة في عصر الاتصالات الفورية بين كل أصقاع الكرة الأرضية أن تتمكن واشنطن من القيام بنشاطات الدعاية خارج الولايات المتحدة بدون أن يتم بث نفس تلك الدعاية داخليا<sup>785</sup>.

وفي كل هذه الحالات وغيرها أصبحت وسائل الإعلام الأميركية والغربية معتمدة على المعلومات التي تقدمها الدوائر العسكرية الأميركية لها. وقد يكون ذلك ناجما عن عدم تمكن الصحفيين من السفر إلى بعض أجزاء العراق وأجزاء أخرى من المنطقة بدون مرافقة عسكريين لهم، لذلك فما ينقلونه هو فقط ما يبلغه إياهم العسكريون.

---

785 - البنّاجون يدرس استخدام الخداع الإعلامي على نطاق واسع. انظر

<http://www.lost-truth.com/arabicreveltion/newss/561.html>

الخطمة

الآن وقد انتهت هذه المحاولة المتواضعة التي سعت لدراسة بعضا من الجوانب المتعلقة بموقع و مكانة الإعلام من الحرب الحضارية ضد العالم الإسلام بعد الحادي عشر من سبتمبر 2001 ، من خلال الوقوف على ظاهرة الحروب الحضارية و استكناه مفهوما و طبيعتها و أسسها و أهدافها، و كذا تجلية دور الإعلام المسخر فيها و معرفة طبيعته و فلسفته و خصائصه، يجدر أن يكون هذا المقام تلخيصا لأهم نتائجها ، و بيانا لأهم آفاق الاستفادة منها نظريًا و ميدانيًا .

### أهم النتائج :

بالإضافة إلى ما سبق بيانه من نتائج في ثنايا البحث و هو المعتمد عليه لارتباطها بكل عنصر جزئي، فإنّ الخلاصة التي يمكن تسجيلها هي أنّ الحرب الحضارية على الأمة الإسلامية ليست كأبي نوع من الحروب السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية بل و حتى العسكرية، لأن هذه الحرب (الحضارية) تستهدف ذات الأمة و روحها، و تستهدف تفكيك مركبها الحضاري و مكونات جامعتها، و عناصر قوتها التي يقوم عليها وجودها، و هي لا تستهدف إضعاف الأمة و تهوينها بقدر ما تستهدف إعدامها و إفناءها، و ذلك مكن خطرًا.

و إذا كان الحديث عن الحرب الحضارية الأمريكية على العالم الإسلامي بهذا الشأن العظيم من حيث الأهمية و الخطورة، فإنّ بيان دور الإعلام في هذه الحرب لا يقل شأنه عن الحرب نفسها، بل لا نجافي الحقيقة قيد قطمير إذا اعتبرنا الحرب الحضارية نارا، و الإعلام ريحها و وقودها، و هذا ما تم الوصول إليه كنتيجة عبر هذه الدراسة.

فدور الإعلام في الحرب الحضارية الأمريكية على العالم الإسلامي، لم يزد هذه الحرب بُعدا استراتيجيا آخر مع الأبعاد الأخرى، كالبعد السياسي و الاقتصادي و الاجتماعي و العسكري، و إنما بفضل الثورة في تكنولوجيات الإعلام و الاتصال، و الثورة التنظيرية في علوم الإعلام و الاتصال، زادت فعالية الحرب الحضارية و تضاعف تأثيرها و تعاضم خطرها، و ذلك لأن الإعلام صار له الحظ الأعظم في

صياغة العقل و تشكيل النفس و تحديد السلوك، أو بكلمة موجزة تكوين شخصية الفرد و شخصية المجتمع(الرأي العام).

و لقد اعتبر الباحث أن تصور أي نتيجة للبحث، و أي بيان لمكانة و موقع الإعلام من هذه الحرب مرهون بمدى النجاح في الوصول إلى تصور كلي و شامل لهذه الحرب، لأنه من دون ذلك لا يمكن الوقوف إلا على صور الحقائق و ظواهرها و منها حقيقة تسخي الإعلام فيها، و لهذا اقتضى الأمر تحليل ظاهرتي الثقافة و الحضارة من مختلف جوانبهما، و هو ما أفضى إلى تصور كلي و شامل لتلك الحرب على أنها عملية غزو و تفكيك منهجي للعالم الإسلامي، أو للذات الحضارية الإسلامية كمركب حضاري أو لمكونات الجامعة الإسلامية، و هذا التفكيك هو بالنتيجة تفكيك لعناصر القوة التي استندت إليها حركة العالمية الإسلامية الأولى، و تهدف الحرب الحضارية إلى التغيير الحضاري للعالم الإسلامي و دمج جميع إمكاناته الحضارية في الخصوصية الحضارية الأمريكية، و تغيير أنظمتها و مركباته الحضارية و إبادتها و هذه العناصر و مكونات المركب الحضاري الإسلامي هي مكون الأصول الحضارية و مكون الأركان الحضارية و مكون المرتكزات الحضارية.

و الذي يترتب على هذا التعريف هو أنه يمكننا من أمور في غاية الأهمية و هي:

\*فقه عملية البناء و الدفاع الحضاري وفق المكونات الثلاث.

\*فقه عملية التفكيك و الهجوم الحضاري وفق المكونات الثلاث.

\*فقه السنن التي تحكم عملية تسخير أي من العناصر التالية في الحروب

الحضارية:

- تسخير الأفكار

- تسخير الأشخاص

- تسخير الأشياء

و هذه العناصر لا يعدو الإعلام إلا أن يكون خلاصة منها أو بعضا منها.

\* كما أفضى البحث إلى أن الأسس التي تركز عليها الحرب الحضارية الأمريكية

على العالم الإسلامي كثيرة و مختلفة و متنوعة، فمنها الديني و الفكري و السياسي و

الاقتصادي و الاجتماعي و غيره، و هو ما يجعل آثارها لا تتعلق بالعالم الإسلامي و الغربي فحسب بل تمتد إلى كل المعمورة؛ و هي لا تتعلق فقط بالحاضر، بل تمتد إلى المستقبل البعيد.

و هذه الأسس هي ذات علاقة وثيقة ب مكونات المركب الحضاري الإسلامي و هي مكون الأصول الحضارية و مكون الأركان الحضارية و مكون المرتكزات الحضارية. و النتيجة التي أفضى إليها البحث و هو يستكنه حقيقة الإعلام الأمريكي هي أن هذا الإعلام هو نتاج طبيعي للبنية الثقافية و الحضارية و الاجتماعية للمجتمع الأمريكي منذ تأسيسه، فلأسس التي قام عليها ذلك الإعلام وتأسست عليه فلسفته، هي نابعة من أصول العقل الأمريكي نفسه و تطبيقاته

و من النتائج التي أفضى إليه البحث أيضا هي أن الباحث المسلم إذا لم يتعامل النظريات و المقاربات الغربية بالمنظور السنني القرآني، و بالنظرة الحضارية الكلية المتكاملة، فإنه سيصلب بداء الاستلاب الثقافي و الارتهان الحضاري، المفضي للإعدام الثقافي و الحضاري، كما أنه سيعجز عن الفهم و الإدراك المطلوبين لماهية و حقيقة الظاهرة الاتصالية و الإعلامية، و سيخفق عن تسخيرها و استثمارها في عملية الاستخلاف و العمران و البناء الحضاري، و سيجد نفسه كلاً على غيره، و لا يستطيع إنجاز أي فعل كامل و سليم في مشروع الاستعداد للمقاومة و المواجهة الحضارية.

و هنا نتيجة أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها و هي أن ما يقوم به الإعلام الغربي عامة، و الإعلام الأمريكي بوجه خاص من استهداف الذات الحضارية الإسلامية كمركب حضاري، أو لمكونات الجامعة الإسلامية، أو لجزء من مكوناتها، من المكونات العامة أو الخاصة، يدخل ضمن مسمى الحرب الحضارية و الثقافية.

و بناء على ذلك، فإن عملية التضييل الإعلامي الممارسة في الحرب الحضارية الأمريكية ضد العالم الإسلامي، يجب ألا تفهم في سياق تجزيئي ذري، و لا في سياق فعل عثي، أو ردّة فعل تلقائي، و إنما مقتضى الأمر أن تفهم و تفقه في سياق كلي شمولي، و



كفعل قصدي إرادي، يدخل ضمن منظومة و عالم الأفعال الحضارية، التي تهدف إلى غزو و تفكيك الذات الحضارية الإسلامية كمركب حضاري.

### آفاق الاستفادة من هذه الدراسة

في ختام هذا الختام أود أن أشير إلى أن هذا البحث كان من أهدافه الكبرى خدمة موضوع يتعلق بقضية جوهرية من قضايا حاضر العالم الإسلامي و مستقبله، ألا و هي قضية الصراع الحضاري، التي تحكمها سنة من أكبر السنن الاجتماعية في الأمم و الشعوب، و هي سنة التدافع الحضاري. و المسألة ليست مسألة فرعية من مسائل الشريعة، بل ليست حتى مسألة كلية من جملة كلياتها، و إنما هي كلية الكليات و غاية الغايات، و هي المقصد الأسنى من مقاصد الشريعة الإسلامية، فالضروريات و الحاجيات و التحسينيات كلها عائدة لحفظ الذات الحضارية للأمة، و لهذا فإن أهم آفاق الاستفادة من هذا البحث يمكن أن تكون على صعيدين و هما:

#### الاستفادة منه علمياً

لقد فتح هذا البحث المتواضع للباحث مجالات كثيرة جداً للبحث ندع الله أن ييسر الخوض فيها، كما يمكن أن يكون إثارة لغيره من الباحثين و ذلك في مثل المجالات التالية:

\* دراسات حاضر العالم الإسلامي و مستقبله من منظور قرآني سنني حضاري كلي و شمولي.

\* دراسات الحضارات الأخرى التي تشارك حضارتنا الوجود المكاني و الزماني من أجل إيجاد سبل للتعاون و التعارف بدل الصراع و التحارب.

\* اقتحام ميدان الدراسات الحضارية الشاملة و الدراسات الإعلامية و الاتصالية بوجه خاص. فهذا الميدان جدير بالمتخصصين في الدعوة و الإعلام و الخطاب الإسلامي و فكره اقتحامه و الاستفادة من النتائج التي وصل إليها.

## الاستفادة منه عمليا

\* إن هذه الدراسة يمكن أن تكون منطلقا للكثير من الدراسات الميدانية التي تفتقر إليها جامعاتنا و من هنا يمكن التتبيه إلى أ، الدراسات حوت على كثير من القضايا التي لم تحلها و هو أمر متروك للباحثين النبعاء لفك رموزه.

\* إن هذه الدراسة يمكن للمشتغلين بالدعوة و الإعلام و رجال المساجد و رجال الإعلام أن يسترشدوا بها و ينزلوا مباحثها النظرية في أرض الواقع.

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تمت.

# الفهارس

## فهرس المصادر و المراجع

أولاً: المصادر و المراجع باللغة العربية (و المترجمة إلى العربية)

### أ □

- أحمد يوسف أحمد و آخرون ، صناعة الكراهية في العلاقات العربية - الأمريكية. الطبعة الثانية(بيروت:مركز دراسات الوحدة العربية. 2004)
- أرسطو طاليس، السياسة. ترجمة أحمد لطفي السيد، الطبعة (د) (القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، 1979).
- انتصار إبراهيم عبد الرزاق د. صدف حسام الساموك، الإعلام الجديد.. تطور الأداء والوسيلة والوظيفة. الطبعة الالكترونية الأولى(جامعة بغداد: الدار الجامعية للطباعة والنشر والترجمة، 2011 )
- إيناس سعدي عبد الله، الحرب الباردة.. تاريخ العلاقات الأمريكية الروسية ، الطبعة (د)،(الأردن عمان: أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، 2015)
- اولبرايت، مادلين ، الجبروت والجبار - تأملات في السلطة والدين والشؤون الدولية ، ترجمة عمر الأيوبي ، الطبعة الأولى(بيروت: الدار العربية للعلوم - ناشرون، 2007 ) .

### ب □

- البازعي، سعد، المكون اليهودي في الحضارة الغربية ، الطبعة الأولى،( لبنان بيروت، 2007).
- الباش، حسن ، صدام الحضارات: حتمية قدرية أم لوثة بشرية؟ الطبعة الثانية(سوريا، دمشق. لبنان،بيروت: دار قتيبية،2005)
- بيليجر، جون ، حكام العالم الجدد ، ترجمة إسماعيل داود، الطبعة(دون القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2008).
- بشير ، خالد ، تلخيص كتاب مصدق و الصراع على السلطة في إيران ، ترجمة الطيب الحصني، الطبعة الأولى( بيروت: جداول للطباعة و النشر و التوزيع، 2014)[
- بوش- الجد الأكبر لآل بوش. محمد مؤسس الإمبراطورية الإسلامية. ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الطبعة الثالثة (الرياض: دار المريخ، 2005)
- بونيفاس، باسكال ، الحرب العالمية الرابعة، ترجمة أحمد الشيخ، الطبعة الأولى( القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2006)

### ت □

- تشومسكي، نعوم ، سنة 501 الغزو مستمر ، ترجمة مي النبهان، الطبعة الأولى ، سوريا: دار المدى(1996)
- تشومسكي، نعوم ، الهيمنة أم البقاء- السعي الأمريكي للسيطرة على العالم – ترجمة سامي الكعكي. الطبعة (د) بيروت : دار الكتاب العربي(2004).
- تشومسكي، نعوم ، السيطرة على الإعلام- الإنجازات الهائلة للبروباغوندا ، ترجمة أميمة عبد اللطيف، الطبعة الأولى ( القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2003)
- توكفيل، الكسيس الديمقراطية في أمريكا ، ترجمة أمين مرسي قنديل الطبعة الرابعة، القاهرة: عالم الكتب 2004 ج1

## ج □

- الجفائري محمد عبد السلام، مشكلات الحضارة عند مالك بن نبي، الطبعة(دون)، (ليبيا: طرابلس: الدار العربية للكتاب، 1984)
- الجزائري، محمد بن عبد الكريم ، الثقافة و مآسى رجالها، الطبعة(د)(الجزائر : شركة الشهاب، سنة الطبع (د)
- جارودي، رجاء ، في سبيل حوار حضارات. الطبعة الرابعة. تعريب عادل العوا، (لبنان بيروت: دار عويدات للنشر و الطباعة، 1999).
- جارودي، رجاء ، الإرهاب الغربي ، ترجمة سلمان حرفوش ، 1 طبعة الأولى،(دمشق: دار كنعان، 2007)
- جارودي، روجيه و آخرون، الإمبراطورية الأمريكية، الطبعة الأولى( القاهرة: مكتبة الشروق، 2001) ج2
- الجابري، محمد عابد ، قضايا في الفكر المعاصر: العولمة – صراع الحضارات – العودة إلى الأخلاق – التسامح – الديمقراطية و نظام القيم – الفلسفة و المدينة ، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1997 )
- الجابري، محمد عابد ، مسألة الهوية، العروبة والإسلام والغرب، الطبعة الأولى(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1995)
- جونثان كيرش، نهاية تاريخ العالم، ترجمة عبد الوهاب علوب. الطبعة الثانية،(القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2011)
- جيرفين، ديفيد راي ، بيتر ديل سكوت. الحادي عشر من سبتمبر و الإمبراطورية الأمريكية- المفكرون يتحدثون ، ج 1، الطبعة الأولى (القاهرة: نهضة مصر للطباعة، 2008 . )

## ح □

- حبيب، رفيق ، حروب الديمقراطية- معارك الإصلاح و الهيمنة، الطبعة الأولى، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2006)

➤ الحسن، يوسف ، البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي-الإسرائيلي، الطبعة الرابعة، ( بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية (2005).

➤ حاج حمد، محمد أبو القاسم ، العالمية الإسلامية الثانية- جدلية الغيب و الإنسان و الطبيعة-، الطبعة الأولى( بيروت: دار ابن حزم، 1996)

➤ الحوالي سَفَر بن عبد الرحمن ، القدس بين الوعد الحق .. والوعد المفترى، الطبعة الأولى( القاهرة: الدار السلفية لنشر العلم، 1414هـ).

## خ

➤ ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، الطبعة السابعة (بيروت: دار القلم، 1989)

➤ خالد مصطفى، و عمر فروخ. التبشير والاستعمار في البلاد العربية - عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي- الطبعة الخامسة(بيروت: المكتبة العصرية، 1973م).

## د

➤ ديورانت، ول ، قصة الحضارة، نشأة الحضارة. ج1، ترجمة زكي نجيب محمود، الطبعة الأولى(القاهرة: لجنة التأليف و الترجمة و النشر، 1956)

➤ دورتي، جيمس ، روبرت بالاستغراف. النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية ترجمة وليد عبد الحي، الطبعة الأولى(بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، 1985)

➤ ديار بكرلي، عبدالرزاق ، تنصير المسلمين بحث في أخطر إستراتيجية طرحها مؤتمر كولورادو التنصيري، الطبعة الأولى( الرياض :دار النفائس 1410هـ - 1989م)

➤ الدعيمي، محمد. الاستشراق: الاستجابة الثقافية الغربية للتاريخ العربي الإسلامي، الطبعة الأولى،(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2006)

➤ ديلودال، جيرار ، الفلسفة الأمريكية. تر د جورج كتورة و د إلهام الشعراي. الطبعة الأولى(بيروت: المنظمة العربية للترجمة 2009)

## ر

➤ الربيع حامد ، الثقافة العربية بين الغزو الصهيوني و إدارة التكامل القومي ، الطبعة(د) ( القاهرة: دار الوقف العربي، 1983)

- رولان بريتون: جغرافيا الحضارات، ترجمة خليل أحمد خليل، الطبعة (د)، (لبنان بيروت، 1993)
- رياض، محمد: الإنسان: دراسة في النوع والحضارة، الطبعة الثانية، 1974 (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة و النشر و التوزيع)
- رسلان، أحمد فؤاد ، نظرية الصراع الدولي، دراسة في تطور الأسرة الدولية المعاصرة، الطبعة الأولى ( القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986)
- الرويلي، ميجان ، سعد البازعي. دليل الناقد الأدبي الطبعة الثالثة، ( المغرب: الدار البيضاء، لبنان: المركز الثقافي العربي، 2002).
- بن روان، بلقاسم ، وسائل الإعلام و المجتمع- دراسة في الأبعاد الاجتماعية و المؤسساتية-، الطبعة الأولى، (الجزائر: دار الخلدونية للنشر و التوزيع، 2007)
- رضوان، سليم ، ظلال الهباء- مقالات فلسفية في مأساة 16 ماي، الطبعة الأولى (المغرب: منشورات الجدل، 2006)

## □ ز

- زلوم، عبد الحي ، نذر العولمة. الطبعة الثانية، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات و النشر، 2000).
- زريق، قسطنطين: في معركة الحضارة، الطبعة الأولى، ( بيروت: دار العلم للملايين، 1964)
- الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر. أساس البلاغة، الطبعة الأولى، (لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية، 1989)

## □ س

- السامرائي، نعمان عبد الرزاق ، نحن والحضارة والشهود (الجزء الأول) سلسلة كتاب الأمة، العدد 80 الطبعة الأولى، (قطر: وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، 2001)
- سعدي، محمد ، مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أسنة الحضارة و ثقافة السلام . الطبعة الأولى (لبنان: بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2006)
- سعيد، إدوارد ، الاستشراق- المعرفة، السلطة، الإنشاء ، ترجمة كمال أبو ديب، الطبعة العربية السادسة (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، 2003)
- سعيد، إدوارد ، الثقافة و الإمبريالية، ترجمة: كمال أبو ديب، ( بيروت : دار القلم، 1997 )

- سليمان، ميخائيل ، صورة العرب في عقول الأمريكيين . ترجمة عطا عبد الوهاب، الطبعة الثانية( لبنان، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية2000م)
- السماك محمد ، الدين في القرار الأمريكي ، الطبعة الأولى( بيروت: دار النفائس، 2003).

## □ ش

- شابيرو، إيان ، نظرية الاحتواء: ما وراء الحرب على الإرهاب، الطبعة الأولى(بيروت: شركة المطبوعات للنشر و التوزيع، 2012)
- شمتز، باول، الإسلام قوة الغد العالمية. ترجمة د.محمد شامة. الطبعة الأولى.(القاهرة: مكتبة وهبة، 1971 م)
- شيللر، هربرت. الاتصال و الهيمنة الثقافية، ترجمة وجيه سمعان عبد المسيح، الطبعة(د)، ( القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2007).
- شيللر، هربرت ، المتلاعبون بالعقول. ترجمة عبد السلام رضوان، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب الكويت: سلسلة عالم الفكر العدد 243، الإصدار الثاني، 1999.

## □ ص

- صالح، أماني ، عبد الخبير عطا محروس. العلاقات الدولية: البعد الديني و الحضاري، الطبعة الأولى، ( دمشق: دار الفكر، 2008)
- الصدر، محمد باقر ، اقتصادنا، الطبعة الثالثة،( بيروت : دار الفكر، 1969)
- الصدر السيد محمد باقر ، المدرسة القرآنية: السنن التاريخية في القرآن، الطبعة (د)، (لبنان: دار التعارف للمطبوعات، 1989)

## □ ع

- عبد الرحمن، عواطف ، قضايا التبعية الإعلامية والثقافية في العالم الثالث، سلسلة عالم عدد 78، الطبعة(د)، (الكويت: المعرفة، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، 1984)
- العماري، أحمد، نظرية الاستعداد في المواجهة الحضارية للاستعمار: المغرب نموذجاً. الطبعة الأولى (فريجينا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي. 1997)
- عارف، نصر محمد، الحضارة الثقافية. المدنية، دراسة لسيرة المصطلح و دلالة المفهوم، سلسلة المفاهيم والمصطلحات(1)، الطبعة الثانية،(الوم أ، هيرندن، فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1994)



- عمارة، محمد ، إستراتيجية التنصير في العالم الإسلامي: دراسة في أعمال مؤتمر كولورادو لتنصير المسلمين، الطبعة الأولى، (مالطا: مركز دراسات العالم الإسلامي، 1992)
- عطية، جمال الدين ، نحو تفعيل مقاصد الشريعة. الطبعة الثانية (الجزائر: دار التنوير، أمريكا – فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2004)
- العكش منير ، حق التضحية بالآخر- أمريكا و الإبادات الجماعية، الطبعة الأولى(بيروت: رياض الرئيس للكتب و النشر، 2002)

## غ

- غانم، أماني محمود ، البعد الثقافي في العلاقات الدولية- دراسة في الخطاب حول صدام الحضارات. الطبعة (دون) القاهرة: دار اقرأ للطباعة، 2007م)
- الغريب، فنسان ، مأزق الإمبراطورية الأمريكية ، الطبعة الأولى(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2008).

## ف

- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب مجد الدين ، القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، الطبعة الثامنة، (لبنان- بيروت: مؤسسة الرسالة، 2005)
- فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ و الإنسان الأخير. ترجمة فؤاد شاهين و آخرون. الطبعة(د) ، (لبنان، بيروت مركز الإنماء القومي، 1993)
- الفنجري محمد شوقي، مفهوم و منهج الاقتصاد الإسلامي، (دون معلومات النشر)
- الفنجري، محمد شوقي ، ذاتية السياسة الاقتصادية الإسلامية و أهمية الاقتصاد الإسلامي، الطبعة الأولى: ( مصر- قليوب: مطابع الأهرام التجارية، 1993)

## ق

- القحطاني، سهام ، العذراء والرب: قراءة في الخطاب السياسي الأمريكي ، الطبعة الأولى،( القاهرة: دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، 2007.
- قطب، سيد ، في ظلال القرآن ، الطبعة الثانية و الثلاثون، (بيروت: دار الشروق، 2003).
- القاضي، أحمد عرفات ، الإسلام و الغرب – إشكالية الصراع و ضرورة الحوار، الطبعة الأولى،(القاهرة: مكتبة مدبولي، 2010)

## ك

- كارول، جيمس ، الحرب الصليبية – تواريخ حرب ظالمة- تر د.قاسم عبده قاسم، الجزء الأول، الطبعة الأولى(القاهرة: مكتبة الشروق الدولية. 2005م)
- إيلين كلاستر، إيديولوجيا الغزو، ترجمة جوزيف عبد الله، الطبعة(د) (لبنان:بيروت، 1984)
- كلايد كلوكهون، الإنسان في المرأة -علاقة الأنثروبولوجي بالحياة المعاصرة، ترجمة و تعليق شاكر مصطفى سليم، تقديم د غوث الأنصاري، (الطبعة(د)، (العراق، بغداد: مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، منشورات المكتبة الأهلية، 1964)
- كلارك رامزي و آخرون، الإمبراطورية الأمريكية، الطبعة الأولى(القاهرة: مكتبة الشروق، 2001) ج1.
- كوربت مايكل، وجوليا ميتشل كوربت ، الدين والسياسة في الولايات المتحدة الأمريكية ، الجزء الأول ، ترجمة عصام فايز و ناهد وصفي، الطبعة الأولى ( القاهرة: مكتبة الشروق، 2001)
- الكيلاني، ماجد عرسان ، أصول العقل الأمريكي وتطبيقاته الاقتصادية والسياسية، الطبعة(د)، (الأردن عمان: دار الفرقان، 2005) كتيب اليكتروني.

## □ ل

- لارامي، ألان و برنار فالي، البحث في الاتصال- عناصر منهجية- ترجمة أ د ميلود سفاري و آخرون،مخبر علم اجتماع الاتصال، جامعة منتوري قسنطينة، الطبعة الثانية ( قسنطينة: ديوان المطبوعات الجامعية، 2009)
- لينتونن، رالف، الأصول الحضارية للشخصية، ترجمة د عبد الحميد اللبان، الطبعة(د)(لبنان: بيروت، دار اليقظة العربية، 1964)
- ليفن، أناتول ، أمريكا بين الحق و الباطل- تشريح القومية الأمريكية. ترجمة د ناصرة السعدون، الطبعة الأولى( بيروت : المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية،2008)
- لونجلي، كليفورد ، الشعب المختار - الأسطورة التي شكلت إنجلترا و أمريكا، ج1، الطبعة الأولى ( القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2003 )

## □ م

- مركز دراسات قناة النيل الثقافية، بنية العقل الأمريكي: دراسة في جذور و تكوين الوعي الأمريكي المعاصر، الطبعة(د)، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2003)

- المراغي، محمود ، حرب الجلباب و الصاروخ: وثائق الخارجية الأمريكية حول الإرهاب، الطبعة الأولى( القاهرة: دار الشروق، 2002)
- مرقس، سمير ، الإمبراطورية الأمريكية: ثلاثية الثروة..الدين..القوة من الحرب الأهلية إلى ما بعد 11سبتمبر، الطبعة الأولى( القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2003)
- مرقس، سمير ، رسالة في الأصولية البروتستانتية و السياسة الخارجية الأمريكية، الطبعة الأولى،(القاهرة:مكتبة الشروق، 2001)
- مارتن برنار، أثينا السوداء، (الجزء الأول) تليفق بلاد اليونان، تر: مجموعة من المترجمين، الطبعة(د)(القاهرة: المشروع القومي للترجمة،1997).
- مقري، عبد الرزاق ، صدام الحضارات- محاولة للفهم أبعاد، أسباب و مآلات العدوان الأمريكي على الأمة الإسلامية الطبعة الأولى،(مصر، المنصورة: دار الكلمة،2004)
- مقلد، إسماعيل صبرى ، العلاقات السياسية الدولية- دراسة في الأصول والنظريات، الطبعة الخامسة، (الكويت:جامعة الكويت ، 1991)
- المسيري عبد الوهاب، الصهيونية و النازية و نهاية التاريخ- رؤية حضارية جديدة-، الطبعة الثالثة (القاهرة: دار الشروق،2001)
- المنجرة، المهدي ، الحرب الحضارية الأولى- مستقبل الماضي و ماضى المستقبل- الطبعة الأولى(الجزائر: شركة الشهاب، 1991)
- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب ، تحقيق المخزومي مهدي و السامرائي إبراهيم، ط 1، (لبنان بيروت: دار صادر، السنة: دون ذكر )
- الميلاد، زكي ، المسألة الثقافية- من أجل بناء نظرية في الثقافة، الطبعة الثانية، (بيروت: مكتبة مؤمن قريش، 2010)
- الميلاد، زكي، و آخرون، تعارف الحضارات، الطبعة الأولى(بيروت: دار الفكر المعاصر، 2006)
- مولر، هارالد، تعايش الثقافات :مشروع مضاد لهنتنغتون، ترجمة إبراهيم أبو هشيش، الطبعة الأولى (بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2005 )
- المعلم، عادل ، مقدمة في الأصولية المسيحية في أمريكا و الرئيس الذي استدعاه الله و انتخبه الشعب الأمريكي مرتين، الطبعة الثالثة ( القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2005).

- المعلم، عادل ، مقدمة في الأصولية المسيحية في أمريكا و الرئيس الذي استدعاه الله و انتخبه الشعب الأمريكي مرتين ، الطبعة الثالثة ( القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2005 )
- مصطفى، نادية محمود و آخرون، العدوان على العراق .. خريطة أزمة ومستقبل امة، الطبعة الأولى(لقاهرة: مركز البحوث والدراسات السياسية، 2003 )
- مبيج بيرنار ، الفكر الاتصالي من التأسيس إلى منعطف الألفية الثالثة ، ترجمة أحمد القصور، الطبعة الأولى، (المغرب، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 2011)
- ماتلار أرمان، و ميشال ماتلار، تاريخ نظريات الاتصال، ترجمة نصرالدين لعياضي و الصادق رابح، الطبعة الثالثة، ( بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2005)
- مكوجال، والتر ألان ، أرض الميعاد و الدولة الصليبية: أمريكا في مواجهة العالم منذ 1776 ترجمة رضا هلال، الطبعة الأولى( القاهرة: دار الشروق، 2000م

## □ ن

- بن نبي، مالك، مشكلة الثقافة، تر عبد الصبور شاهين، الطبعة الأولى(القاهرة: مكتبة دار العروبة، 1959)
- بن نبي مالك، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة بسام بركة و أحمد شعبو، الطبعة الأولى، ( الجزائر، دمشق: دار الفكر، 1992)
- بن نبي، مالك، فكرة الإفريقية الآسيوية، ترجمة عبد الصبور شاهين، الطبعة الأولى (القاهرة: مكتبة دار العروبة، 1957)
- بن نبي، مالك ، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة. الطبعة الثالثة(الجزائر ، دمشق : دار الفكر، 1988)
- النجار، عبد الهادي علي. الإسلام و الاقتصاد - دراسة في المنظور الإسلامي لأبرز القضايا الاقتصادية والاجتماعية المعاصرة ، ( الكويت: المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب- سلسلة عالم المعرفة، العدد 63)
- نورثكوت، مايكل ، الملاك يوجه العاصفة- أسفار الرؤيا و الإمبراطورية الأمريكية، ترجمة عبد الرحمن الشيخ، الطبعة الأولى،(القاهرة: مكتبة دار الشروق، 2006).

## هـ □

- همند، أندرو ، كيف ينظر العرب لأمريكا؟ بحث في أسباب الكراهية، ترجمة مصطفى عبد الرزاق، الطبعة الأولى(القاهرة: مركز دراسات الإسلام و الغرب، 2011)
- هنتنغتون، صموئيل ، صدام الحضارات و إعادة بناء النظام العالمي الجديد، ترجمة د مالك عبيد أبو شهيو و د محمود محمد خلف، الطبعة الأولى(ليبيا، مصراتة: الدار الجماهيرية للنشر و التوزيع و الإعلان، 1999)
- هنتنغتون صموئيل، و آخرون، الغرب و بقية العالم بين صدام الحضارات و حوارها، الطبعة الأولى (لبنان، بيروت: مركز الدراسات الإستراتيجية و البحوث و التوثيق، 2006)
- غريس هاسل، النبوءة و السياسة: الإنجيليون العسكريون في الطريق إلى الحرب النووية، ترجمة محمد السماك، الطبعة السابعة (بيروت: دار النفائس، 2008)
- هشام محمد علي حسين، العلاقات العامة بين القناعة و التهميش في الوطن العربي، الأكاديمية العربية البريطانية للتعليم العالي، ص- ص 38- 40. كتاب إلكتروني

## و □

- والتر راسيل ميد، بلد الله - الدين في السياسة الخارجية الأمريكية، ترجمة حمدي عباس، الطبعة الأولى(القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2007).
- الواصل ، عبد الرحمن بن عبد الله. البحث العلمي خطواته ومراحلها ، أساليبه ومناهجه، أدواته ووسائله، أصول كتابته . 1420 هـ - 1999 م. كتاب إلكتروني

### ثانيا: المصادر و المراجع باللغة الأجنبية

- Jean Maitron, **Le mouvement anarchiste en France**, Gallimard, coll. «Tel», 1992.
- 1 - Sébastien Faure, **Encyclopédie anarchiste**, Paris, La Librairie Internationale.
- Emmanuel de Waresquiel, **Le siècle rebelle, dictionnaire de la contestation au XXe siècle**, Larousse, coll. «In Extenso», 1999
- Francis Dupuis-Deri “**L’anarchie dans la philosophie politique. Réflexions anarchistes sur la typologie traditionnelle des régimes politiques.**”

Un article publié dans *Les ateliers de l'éthique, La revue du CREUM*, vol. 2 no 1, printemps 2007.

- Henri Moniot : (**L'histoire des peuples sans histoire**), dans *Faire de l'histoire*, T.2, Jacques le Goff et Pierre Nora, Folio, Paris, 1974
- Stephen W. Littlejohn, Karen A. Foss, Editors, **ENCYCLOPEDIA OF COMMUNICATION THEORY**, Sage Publications, Inc. Printed in the United States of America
- Aron, R., **Qu'est-ce qu'une théorie des Relations Internationales ?** *Revue française de science politique*, 17e année, n°5, 1967

### ثالثاً: بحوث المؤتمرات و الرسائل الجامعية غير المطبوعة و الدوريات المحكمة

- عبد الحق بن جديد كلية الحقوق جامعة باجي مختار- عنابة. **الاتصال وإدارة النزاعات الدولية** مجلة العلوم الإنسانية جامعة محمد خيضر بسكرة العدد الحادي عشر 2007.
- أحمد محمد أبو زيد. **كينيث والتز: خمسون عاما من العلاقات الدولية ( 1959-2009) دراسة استكشافية**. المجلة العربية للعلوم السياسية عدد 27 صيف 2010،
- أنور محمد فرج، **نظرية الواقعية في العلاقات الدولية** - دراسة نقدية مقارنة في ضوء النظريات المعاصرة، مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية، السليمانية 2007.
- الطيب برغوث، **مقدمة في المنظور السنني لدراسة السيرة النبوية**، بحوث المؤتمر العالمي الأول للباحثين في السيرة النبوية، فاس، المغرب 2012 . المجلد 2.
- عبد العزيز برغوث، **ملاحظات حول دراسة السنن الإلهية في ضوء المقاربة الحضارية**، مجلة إسلامية المعرفة، السنة الثالثة عشرة، العدد 49، صيف 2007/هـ 1428م، لبنان: بيروت.
- أيمن طلال يوسف، **تنميط الإسلام في التصورات الغربية بين الأصولية و الفوبيا: قراءة تحليلية نقدية** . مركز دراسات الوحدة العربية: المجلة العربية للعلوم السياسية (المجلة الإلكترونية)، العدد 18، أبريل 2008
- وليد زغبي، **صورة المهاجرين المغاربيين في الصحافة الفرنسية المكتوبة- دراسة تحليلية لمضمون جريدة - LE FIGARO** مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علوم الإعلام و الاتصال، إشراف الدكتور حسين خريف، جامعة منتوري- قسنطينة كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية قسم علوم الإعلام و الاتصال. السنة الجامعية 2007-2008.

- **بحوث محكمة، مؤتمر " أخلاقيات الإعلام والإعلان "** 28 ، 29 من مارس 2009. جمهورية مصر العربية، مدينة بني سويف الجديدة، جامعة النهضة و المجلس العربي للتربية الأخلاقية.
- **يزيد عيسى السورطي، تأثير الفلسفة البراجماتية على التربية العربية :أسبابه، ومصادره، ونتائجه، (الأردن: الجامعة الهاشمية، الزرقاء، مجلة دراسات العلوم التربوية، المجلد 35 (ملحق)، 2008.**
- **عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب ، أزمة القيم في المناهج التربوية على الصعيد العالمي وانعكاساتها على التربية في العالم الإسلامي، استشارية المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالمغرب.**
- **فاضل البدراني ، إستراتيجية التضييل الإعلامي الأمريكي وأسلوب التحدي في العراق: "الفعل ورد الفعل " ، مجلة المستقبل العربي، العدد 361 لشهر مارس 2009.**
- **سلافة فاروق الزغبى، فلسفة الإعلام الأمريكي والشبكات الفضائية. مجلة الباحث الإعلامي، كلية الإعلام، جامعة بغداد. العدد الثامن، مارس 2010**
- **جمال بن زروق، القيم السياسية و الثقافية المنقولة عبر الصورة السينمائية- دراسة نظرية و تحليلية لفلم أكاذيب حقيقية True lies . مجلة البحوث و الدراسات الإنسانية لجامعة سكيكدة، العدد 5، السنة 2010**
- **يحيى اليحياوي، القوة الناعمة؛ أو في التظاهرات الجديدة للتسلط . مجلة المستقبل العربي، العدد 369، نوفمبر 2009**
- **محمد فاروق النبهان، سايس بيكو..والمشرق العربي .. حديث تاريخي(محاضرة) في مقر الأكاديمية الملكية المغربية في الرباط يوم الخميس 19 مارس 2015. انظر موقع النبهان: سايس-بيكو-والمشرق-العربي/ <http://www.dr-mfalnbhan.com/>**
- **باكينام الشرقاوي، الديمقراطية في المفردات الأمريكية، القاهرة: مجلة الديمقراطية، السنة الرابعة العدد 13، (يناير 2004)، ص42.**
- **أشرف عبد الله محمد ياسين، السياسة الأمريكية تجاه الإصلاح السياسي في الشرق الأوسط، المجلة العربية للعلوم السياسية ( المجلة الإلكترونية)، العدد 26، أفريل 2010.**
- **محمد كمال، الديمقراطية على الأجندة الأمريكية، القاهرة: مجلة الديمقراطية، السنة الرابعة العدد 13، (يناير 2004).**
- **أشرف عبد الله محمد ياسين، السياسة الأمريكية تجاه الإصلاح السياسي في الشرق الأوسط، المجلة العربية للعلوم السياسية ( المجلة الإلكترونية)، العدد 26، أفريل 2010**
- **قطب مصطفى سانو، في ظاهرة الإسلاموفوبيا المواجهة الآنية والمستقبلية . مجلة الكلمة العدد(60) السنة الخامسة عشرة - صيف 2008 / 1429 هـ**
- **فرنسيس فوكوياما . عشر سنين على نهاية التاريخ ، ترجمة المنصف الشنواني، مقال في الثقافة العالمية، المجلس الوطني، الكويت، العدد 98، سنة 2000**

- منهج المستشرق برنارد لويس في دراسة الجوانب الفكرية في التاريخ الإسلامي ، رسالة دكتوراه في الاستشراق الحديث والمعاصر للدكتور مازن صلاح مطبقاني . كلية الدعوة - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمدينة المنورة - رمضان 1414هـ تحت إشراف أ.د. محمد خليفة حسن أحمد. عرض وتقديم: د. خالد نعيم في موقع: مركز المدينة المنورة لدراسات و بحوث الاستشراق.
  - مثنى فائق مرعي العبيدي، **البعد الديني في الحرب الأمريكية لاحتلال العراق** ، مجلة جامعة تكريت للعلوم القانونية والسياسية، المجلد: 1 العدد: 4، السنة الأولى 2009
  - محمود حيدر، **الجذر الديني و الفلسفي للمحافظين الأميركيين الجدد** ، مجلة تحولات، العدد الثاني عشر - جوان 2006.
  - ذاكر آل حبيب، **الآخر بوصفه مفهوما حول طبيعة تشكل مفهوم الآخر في الوعي الإنساني**، مجلة الكلمة العدد (40) - السنة العاشرة - صيف 2003م - 1424هـ
  - منير محمود بدوي، **مفهوم الصراع : دراسة في الأصول النظرية للأسباب والأنواع** . مجلة "دراسات مستقبلية" ، العدد الثالث ( يوليو 1997م) مركز دراسات المستقبل - جامعة أسيوط، ج. م. ع.
  - بسمة خليل نامق، **مؤسسات مخازن التفكير ودورها في صياغة السياسة الخارجية للدولة الحديثة النموذج الأمريكي** ، مجلة القادسية للقانون والعلوم السياسية العدد: الثاني المجلد: الثاني كانون الأول 2009
  - السيد ياسين، **قضية التحدي الحضاري بين العرب وإسرائيل** ، مجلة فكر ونقد، انظر موقع د عابد الجابري.
  - جفافة نور الدين، **الحرب الحضارية(الثقافية)- محاولة لرصد تاريخ المصطلح و الظروف العامة لانبثاقه** ، مجلة المعيار، العدد 37، ديسمبر 2014، كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة الجزائر.
  - بلخيرة محمد، **برديغيات العلاقات الدولية المعاصرة:المركزية الغربية نموذجا** . مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية و الإنسانية العدد 10، جوان 2013م
  - إدريس نغش الجابري، **الباراديجم العلمي الإسلامي .. قيمه الثقافية وخصائصه الإبتيمية** مجلة الإحياء الصادرة عن الرابطة المحمدية للعلماء بالمغرب
  - Déclaration de Mexico sur les politiques culturelles. Conférence mondiale sur les politiques culturelles، Mexico City، 26 juillet - 6 août 1982.
- [http://portal.unesco.org/culture/fr/files/12762/11295422481mexico\\_fr.pdf/mexico\\_fr.pdf](http://portal.unesco.org/culture/fr/files/12762/11295422481mexico_fr.pdf/mexico_fr.pdf)



## فهرس الأآآ

سورة البقرة ﴿ 2 ﴾		
الصفحة	رقمها	الآية
12	143	﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾
20	251	﴿ وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾
38	180	﴿ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ ﴾
38	185	﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾
186	208	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾
سورة آل عمران ﴿ 3 ﴾		
12	110	﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ... ﴾
320	186	﴿ لَنْتَلُونَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ

تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤﴾

#### ﴿ سورة النساء ﴾ 4

38

8

﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ ﴾

#### ﴿ سورة المائدة ﴾ 5

314

2

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

#### ﴿ سورة هود ﴾ 11

172

61

﴿ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾

#### ﴿ سورة الأنبياء ﴾ 21

186

107

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

#### ﴿ سورة الحج ﴾ 22

20

40

﴿ وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهَدَمْتُ صَوَامِعَ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾

#### ﴿ سورة العنكبوت ﴾ 29

258

20

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ

كُلُّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾

### ﴿سورة الأحزاب﴾ 33

178

38

﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ  
اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ ﴿١﴾

218

62

﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ  
لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ ﴿٢﴾

### ﴿سورة فاطر﴾ 35

68

43

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ  
اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ ﴿١﴾

### ﴿سورة غافر﴾ 40

131

85

﴿... سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ  
هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿١﴾

### ﴿سورة الفتح﴾ 48

358

23

﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ  
لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ ﴿١﴾

### ﴿سورة الحجرات﴾ 49

،186 ،27  
314

13

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى  
وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ

عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاتُمْ إِنِّي اللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٥١﴾

﴿سورة الذاريات﴾ 51

172

56

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾

﴿سورة الناس﴾ 114

118

3-1

قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس

## فهرس الأعلام و المناهج المنظمة و المؤتمرات

### [أ]

79	أنور إسكندر عبد الملك
264	أولبرايت
254	أناتول ليفن
47	إدوارد بيرنت تايلور
298	إدوارد هيرمان
333	أدولف كيتلي
295	الأوليغاركية
159	أبرام كاردينر
59	إدوار سابير
152	إدوارد وديع سعيد
09	الأناركية
67	ألفريد ريجنالد رادكليف براون
75	ارنولد جوزيف توينبي
107	الأناركية
183	الأسطول السادس
97	أوغست كونت
204	اتفاقية سايكس بيكو
168	اتفاقية بريتون وودز

### [ب]

83	باري بوزان غوردون
77	برنار لويس
270	بيلي غراهام
74	باول شميترز
52	براديجم الأصل اليوناني paradeigma
301	باغديكيان
265	بيلي سندي
79	بروميثوس (Prométhée)
74	باول شمترز
46	بول توماس مان
98	البيوريتان البيوريتانية أو التطهيرية
280	البراجماتية

243	بريجنسكي
189	باسكال بونيفاس
182	بوش- الجد الأكبر لآل بوش
236	بينجمان كيد

## [ت]

22	توماس صاموئيل كون (كوهن)
298	تشومسكي
289	تيموثي كوك
112	توماس هوبز

## [ث]

112	ثوسيديديس
-----	-----------

## [ج]

262	جيري فالويل
245	جان بودريار
242	جون فيسك
247	جورج كريل
61	جون ديوي
270	جيمي سواجارت
278	جيمي "كارتر"
321	جاك شاهين
254	جون لوك
261	جوزيا سترونغ
84	جورج بوش الابن
264	جورج واشنطن
115	جان بول سارتر
86	جورج فورست كينان
115	جاك لاكان
235	جون ديوي
307	جالوب

## [خ]

38	أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون
----	-------------------------------------

## [د]

235	دارون
235	الدارونية الاجتماعية
235	الدارونية البيولوجية
235	الدارونية
140	دون ماكري
290	دو توكفيل
109	دو غماتية

## [ر]

123	رفيق حبيب
47	روبرت موريسون ماكيف
78	روجيه-رجاء جارودي
66	روبرت ردفيلد
235	ريتشارد هوفستاتر
159	رالف لنتون
153	رالف والدو إمرسون
283	رامسفيلد
293	رذرفورد هايز
94	روبير دافيد كابلان
171	الرأسمالية المعلوماتية

## [س]

269	سفر الحوالي
-----	-------------

## [ص]

46	صموئيل هنتنغتون
----	-----------------

## [ع]

354	العقيدة الأمريكية
170	عبد الحي زلوم

## [غ]

167	الغزالي الطوسي
-----	----------------

## [ف]

44	فرانز بواس
59	فريديريك غوستاف كلیم

98 ، 81 ، 80.....	فوكوياما
90.....	فؤاد عجمي
109.....	الفوضوية

## [ق]

63.....	قاموس ويبستر
280.....	القيم
186.....	قطب مصطفى سانو
204.....	القواعد العسكرية الأميركية

## [ك]

61 ، 45.....	كلايد كلوكهون
98.....	كارل ماركس
243.....	كيسنجر
310.....	كرومويل

## [ل]

99 ، 81.....	الليبرالية
104.....	لويس كوزر
61.....	لينتون، رالف

## [م]

78.....	المهدي المنجرة
85.....	مؤسسة أولين Olin
66.....	ملفيل هرسكوفيتز
107.....	مايكل آرثر ليدين
232.....	ماجد عرسان الكيلاني
267.....	موسى
242.....	مورغنتاو
159.....	مرغريت ميد
115.....	ميشال فوكو
267.....	مريم
267.....	المسيح عيسى
249.....	مايكل تشوسدوفسكي
289.....	مكارثي
302.....	ماكزني



57، 56	مالك بن نبي
61	معن زيادة
138	- مؤتمر القاهرة عام (1906م)
138	- المؤتمر التبشيري العالمي في أدنبرة باسكوتلنדה عام (1910م)
138	- مؤتمر التبشير في لکنو بالهند عام (1911م)
138	- مؤتمر بيروت عام (1911م)
138	- مؤتمرات التبشير في القدس
138	- مؤتمر الكنائس البروتستانتية عام 1974م في لوزان بسويسرا
138	- مؤتمر كولورادو في 1978م (مؤتمر أمريكا الشمالية لتنصير المسلمين)
138	- المؤتمر العالمي للتنصير في السويد ومن مؤتمراتهم
139	• مؤتمر استانبول
139	• مؤتمر حلوان بمصر
139	• مؤتمر لبنان التبشيري
139	• مؤتمر بغداد التبشيري
139	• مؤتمر قسنطينة التبشيري في الجزائر وذلك قبل الاستقلال
139	• مؤتمر شيكاغو
139	- مؤتمر مدارس التبشير في بلاد الهند
139	- مؤتمر بلتيمور 1942
139	• مؤتمر أمستردام 1948م
139	• مؤتمر ايفانستون 1954م - أمريكا
139	• مؤتمر نيودلهي 1961
139	• مؤتمر أوفتالا 1967م بأوروبا
139	• مؤتمر جاكرتا 1975م - أندونيسيا
60	مولر هارالد
150	مشروع الشرق الأوسط الكبير
13	منظمة التعاون الإسلامي
258	مدرسة فرانكفورت
336	موسوعة نظريات الاتصال
341	مدرسة التبعية الإعلامية
98	المشيجاني
111	ماكسيميليان كارل إميل ويبر

## [ن]

363	نظريات الإعلام (حوالي 200 نظرية)
40	نوربرت الياس

237	نظرية الاحتواء
267	نوح
258	نصر الدين لعباضي
312	نيل بوستمان
238	نظرية التأثير المعتدل لوسائل الاتصال الجماهيرية
63	نوح ويبستر
112	نيكولو دي برناردو دي ماكيافيلي

## [هـ]

46	هيرمان فون كيسرلينج
147	هنري جيسب
98	هيغل
199	هوما كاتوزيان
288	هنري دافيد ثورو
265	هرمان ملفيل
182	همفري بريدو

## [و]

45	وول ديورانت
46	والتر راتناو
62	ويليام هيرد كليباتريك
248	وودرو ويلسون
159	وروث بنديكت
209	والتر آلان ماكوجال

# فهرس الرسالة

3	إهداء
4	شكر و عرفان
5	خلاصة الرسالة
8	Summary of the research خلاصة الرسالة مترجمة إلى الإنجليزية
<b>مقدمة</b>	
11	مدخل
13	أولاً: أهمية الدراسة
13	أ- الأهمية النظرية
14	ب- الأهمية العملية و التطبيقية
15	ثانياً: مشكلة الدراسة
16	ثالثاً: أسباب اختيار الموضوع
17	رابعاً: فرضيات الدراسة
19	خامساً: منهج الدراسة
22	سادساً: صعوبات الدراسة.
23	سابعاً: أدوات البحث
24	ثامناً: الدراسات السابقة
31	تاسعاً: هيكل الدراسة
<b>الفصل الأول</b>	
<b>مفهوم الحرب الحضاري</b>	
34	تمهيد
35	<b>المبحث الأول: مفهوم الحضارة</b>
37	المطلب الأول: الحضارة في اللغة العربية
40	المطلب الثاني: الحضارة في اللغات الأوروبية
44	المطلب الثالث: نماذج من تعريفات الحضارة
50	المطلب الرابع: التعريف الإجرائي للحضارة
54	<b>المبحث الأول: مفهوم الثقافة</b>
56	المطلب الأول: الثقافة في اللغة العربية
58	المطلب الثاني: الثقافة في اللغات الأوروبية
61	المطلب الثالث: نماذج من تعريفات الثقافة

65	المطلب الرابع: التعريف الإجرائي للثقافة
71	<b>المبحث الثالث مفهوم الحرب الحضارية و الثقافية</b>
72	المطلب الأول: تاريخ المصطلح و الظروف العامة لانبثاقه
94	المطلب الثاني: الأطروحات ذات العلاقة بأطروحة الحرب الحضارية
96	الفرع الأول: أطروحة نهاية التاريخ
103	الفرع الثاني: أطروحة حذاء الحضارة أو حراخ الحضارة
107	الفرع الثالث: أطروحة الأناركية أو الفوضى أو التحررية
114	الفرع الرابع: أطروحة نحن و الآخرون
121	المطلب الثالث: بناء و استخلاص مفهوم الحرب الثقافية و الحضارية
125	جدول 1 عملية البناء و الدفاع الحضاري وفق المكونات الثلاث
125	جدول 2- عملية التفكيك و الهجوم الحضاري وفق المكونات الثلاث
<h2>الفصل الثاني</h2> <h3>أسس الحرب الحضارية الأمريكية و أهدافها الإستراتيجية</h3>	
128	<b>المبحث الأول: أسس الحرب الحضارية الأمريكية</b>
130	المطلب الأول: الأساس الديني
145	المطلب الثاني: الأساس الفكري و الفلسفي
156	المطلب الثالث: الأساس الثقافي الاجتماعي
161	المطلب الرابع: الأساس السياسي.
167	المطلب الخامس: الأساس الاقتصادي
<h3>المبحث الثاني</h3> <h3>الأهداف الإستراتيجية للحرب الحضارية الأمريكية</h3>	
174	المطلب الأول: خلق عدو خارجي
177	المطلب الثاني: شيطنة الإسلام ومحاربتة تحت مسمى الإرهاب
182	المطلب الثالث: إعاقة الديمقراطية و نشر الفوضى في العالم الإسلامي

	المطلب الرابع: التدخل في الشؤون الداخلية للدول و تطويق مناطق المواد الخام
222	المطلب الخامس: إستراتيجية الأمن القومي-التواجد العسكري وسياسة الوصول
<h2>الفصل الثالث</h2> <h3>ماهية الإعلام الأمريكي</h3>	
231	المبحث الأول فلسفة الإعلام الأمريكي و أسسه
234	جدول 3-انبثاق خصائص الإعلام الأمريكي عن الأسس، و الأسس عن أصول العقل الأمريكي
235	المطلب الأول:التسخير لخدمة مصالح الأقوياء
240	المطلب الثاني: تقديس القوة و العنف و الإرهاب و الصراع
252	المطلب الثالث: تمجيد الملكية الخاصة والمتعة و الاستهلاك
260	المطلب الرابع: تقديس الذات و رفض الآخر
274	المطلب الخامس: التحرر من الأخلاق و القيم
286	المبحث الثاني طبيعة الإعلام الأمريكي و خصائصه
288	المطلب الأول: الخضوع لسيطرة المؤسسة السياسية الحاكمة و الشركات الاقتصادية العملاقة
297	المطلب الثاني: تسخير الإعلام لصناعة الموافقة و تحصيل المال خدمة لطبقة الأوليغارشية
306	المطلب الثالث: الانحياز و غياب المصداقية و الموضوعية
314	المطلب الرابع: استعمال الإعلام سلاحا في الحروب الثقافية و الحضارية، و ترهيب و تهميش المعارضين و المخالفين في الداخل و الخارج
<h2>الفصل الرابع</h2> <h3>دور الإعلام الأمريكي</h3> <h3>في الحرب الحضارية على العالم الإسلامي</h3>	

226	<b>المبحث الأول</b> <b>ملامح إستراتيجية الإعلام الأمريكي</b> <b>في الحروب الحضارية</b>
327	المطلب الأول: مدخل نظري للفئات العامة للنظريات المعتمدة في الحروب الحضارية
336	أولاً: الفئات العامة للنظريات المعتمدة.
339	ثانياً: ملاحظات منهجية حول الفئات العامة للنظريات المعتمدة في الحرب الحضارية.
341	المطلب الثاني نموذج عن أهم نظريات الإعلام المعتمدة في حروب أمريكا الحضارية
341	أولاً : عرض نظرية هربرت هيلر عن التضييل الإعلامي
253	ثانياً: مناقشة نظرية التضييل الإعلامي.
359	<b>المبحث الثاني</b> <b>تنزيل نظرية التضييل الإعلامي على الحرب الحضارية</b> <b>الأمريكية ضد العالم الإسلامي بعد 2001/09/11</b>
362	المطلب الأول: التضييل الإعلامي قبل 2001/09/11 من خلال حرب الخليج الأولى
366	المطلب الثاني: التضييل الإعلامي من خلال أحداث 2001/09/11
370	المطلب الثالث التضييل الإعلامي في عمليتي غزو أفغانستان و العراق
<b>الخاتمة</b>	
	أهم النتائج
	آفاق الاستفادة من الدراسة
<b>الفهارس العامة</b>	
	<b>فهرس المصادر و المراجع</b>

	فهرس الأبات
	فهرس الأعلام و المناهج المنظمات و المؤتمرات
	فهرس الجدائل
	فهرس المحتويات